



وقائع مؤتمر إمام الحسين
عليه السلام السنوي السادس

المجلد الثالث

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026

ISBN: 9789922778341

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/٢/٢٠٢٥: كربلاء، العراق).

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين: قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/٢/٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٦/٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ. ٥ مجلد؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).

يتضمن ارجاعات بيلوجرافية.

١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه - مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان. تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239,3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين: قراءة في المنهج والادوات/ مؤتمر. ط ١- كربلاء:

دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الثالث، (٥٣٨ صفحة)، ٢٤ سم.

١. الإمام الحسين بن علي عليه السلام - الإمام الثالث - مؤتمرات.

م. العنوان.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٣) - لسنة ٢٠٢٦م

وقائع مؤتمر الأيام الحسنية
الدولي السنوي لسجاد حسين

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين عليّ القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة
بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٦/٢/٢٠٢٥)



جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارة الى كتابكم ذي العدد (ع.ش.٩ / ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرافقه الاولييات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين - قراءة في المنهج والادوات) والمزمع انعقاده للمدة (٢٠٢٥/٢ / ٢٠٥) ، وبالنظر لاستيفانكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٣٥٩/٢) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر اعلام.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير

٢٠٢٥/ ١ / ٢٩

نسخة منه الي//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي/ لتعمية المؤتمرات / مع الاولييات.

م.م. مزود ١/٢٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا، وَخَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَهُ الطَّاهِرِينَ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ...

خلق الله تعالى أمثلة للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجته في أرضه التي لا تخلو من مثال لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثل أعلاها نبينا محمدًا ﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمّن يليه في هذه المرتبة فلا بد من الاستعانة بخطّ شروع متفق عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبي ﷺ: ((عَلَيَّْ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرک وصحّحه، ووافقه الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدد - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمّا في مصادر أهل البيت عليه السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متفق على صحّته ونسبته إلى رسول الله ﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدّم أقيم هذا المؤتمر العلميّ الدوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوّنات المسلمين عن الأثر القرآنيّ لأمر المؤمنين ﷺ، وبيان ما له من علوم قرآنيّة تفرّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور أنفًا.



وقد حدّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيّة على وفق منهج أمير المؤمنين (ع)، والبرهنة العمليّة على كماليّة القرآن الكريم بشموله لكلّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمّ مشكلاتها في ضوء ما قدّمه أمير المؤمنين (ع) من أثر قرآنيّ امتدّ ليشمل الحاجات الإنسانيّة على مختلف العصور، مرّكزاً في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشتها، ومن هنا فإنّ المؤتمر يركّز على الأثر القرآنيّ لأمر المؤمنين (ع) تفسيراً وعلومًا، ومقاربتة على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيّة في التخصصات الإنسانيّة والعلميّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين (ع) بوصفه حلًّا لكلّ التقاطعات، والمرجعيّة الأصيلة التي يمكن أن تنتهي إليها بمعنيّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستين بحثًا في شتّى التخصصات المعرفيّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمّ المسارات التي حدّدت بشأن أقامته، وما هذه الوقائع إلّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيّة من لدن الباحثين والمتخصّصين والمتابعين بشكل عام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله

الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان / رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين / معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم

م.د. عماد طالب موسى / مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية

أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة / مدير تحرير مجلة هدي التقلين

م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج / مدقق لغوي

م.د. عمار عبد العباس عزيز / مدقق لغوي

أحمد حامد شاكر / مدقق فني

الفهرس

الأثرُ القرآني لأمير المؤمنين عليه السلام في العلوم القرآنيّة جامعّة القرآن انموذجًا ١١

أ.م.د. أصغر طهماسبى البُلداجي

تأثيرُ أمير المؤمنين عليه السلام في سياسة الحكم الرشيد والعلوم القانونيّة..... ٤١

أ.م.د. إقبال عبد الله أمين

الأبعاد القرآنيّة الأخلاقيّة والإيقاعيّة في حكم الإمام عليّ عليه السلام..... ٦٣

أ. م. د. تومان غازي حسين فتات الخفاجي

الاستراتيجياتُ القرآنيّة في خطبِ الحربِ والجهادِ للإمام عليّ عليه السلام قراءةٌ استشرافيّة ١١٣

أ.م.د. رحيق صالح فنجان

الموجّهات التفسيريّة عند الإمام عليّ عليه السلام..... ١٣٣

أ.م.د. رياض عبد الرحيم حسين



..... وَقَائِعُ مُؤْتَمَرِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (ع) الدَّوْلِيُّ السَّنَوِيُّ السَّادِسُ / الْجُزْءُ الثَّلَاثُ

أثر القيم الدينية في النشاط الاقتصادي نموذج القيم الإسلامية عند الإمام علي (ع) .. ١٦٥

أ.م.د. عدنان حسن موسى سلمان العبيدي / أ.م.د. حسين علي ريس المشهداني

الرقابة الاقتصادية وضمان سعي الإنسان رؤية في فكر الإمام علي (ع) ١٨٧

أ.م.د. علاء حسن مردان اللامي

الإمام علي (ع) مفسرًا: الغيبيات أنموذجًا ٢١١

أ.م.د. مها طالب عبد الله الجبوري

المنهج الاقتصادي للإمام علي (ع) من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية ٢٣٩

أ.م.د. ميثم عزيز ثجيل الهلائي

المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في كتاب وقعة صفين لنصر

بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ) دراسة تحليلية ٢٦٧

أ.م.د. هاشم جبار الزرني



المسائل القضائية للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام (ت ٤٠ هـ / ٦٦١ م) في الحدود والقصاص
دراسة، فقهية، قضائية، تأريحية، وصفية ٢٩٧

أ.م.د. ياسين رشيد الزبياريّ

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني على الخطابة العربية ٣٢١

أ.م.د. ماجد مهدي ذياب السلطاني / م. د. نادية سالم عيسى

المشكلة الاقتصادية والإمامة من منظور اقتصادي وإسلامي معاصر (الإمام عليّ عليه السلام)
أنموذجا) ٣٤٣

م.د أحمد إبراهيم حسين علي العبيديّ / م. م. هبة قاسم زويد الموسويّ

الأثر القرآني في سياسة الحكم الرشيد عند الإمام عليّ عليه السلام ٣٦٧

م.د أركان ناهي موسى / م.م. ناجح كريم جودة

المرجعيات القرآنية في نهج البلاغة دراسة في ضوء تحليل الخطاب قراءة في نماذج .. ٣٩٣

م. د عماد طالب موسى جاسم

العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في خطب الإمام عليّ عليه السلام ٤٢٩

م. د. زينة عباس فاضل / الباحثة: زينب كامل جواد

الأثر الفكري للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في تفسير القرآن الكريم / دراسة تاريخية... ٤٥٩

م. د. زيد كميل جواد سماوي الفتلاوي

لفظة (الصادقين) في القرآن الكريم / دراسة تحليلية..... ٤٨١

م. د. سرمد محمد بكر / م. م. مرفد محمد بكر

تمثّلاتُ الشاهدِ القرآنيّ في نهجِ البلاغة..... ٥٠١

م. د. مكاسب عبادي عبود سلمان

أثرُ أميرِ المؤمنينِ عليّ عليه السلام في نشرِ الأخلاقِ الإسلاميّةِ وتعزيزِها دراسةً في الحكمةِ والإرشادِ.... ٥١٩

م. د. مصطفى حسين عبد الرسول

الأثر القرآني لأمير المؤمنين عليه السلام في العلوم القرآنية

جامعية القرآن أنموذجاً

أ.م.د. أصغر طهماسبى البلداجي

جامعة شهر كرد / جمهورية ايران الإسلامية / قسم علوم القرآن والحديث

ملخص البحث:

من القضايا المهمة المتعلقة بالقرآن جامعته، التي قدم المفكرون الإسلاميون منذ البداية وجهات نظرٍ مختلفة حولها؛ الجامعية المطلقة في جميع العلوم، الجامعية المعتدلة، والجامعية الأدنى، من أهم وجهات النظر في هذا الصدد، وتواجه كل من وجهات النظر هذه تحديات وانتقادات.

وتنص الآيات والروايات في جامعية القرآن على شموليته في الشؤون الإرشادية والدينية، ولا شيء أو موضوع في الدين أو الهداية إلا إذا نص عليه في القرآن؛ ولكن ومن خلال فحص البنية الظاهرية للقرآن يتضح أن القرآن ليس شاملاً حتى في الأمور الدينية؛ بمعنى: لا يمكن استخلاص جميع القواعد والمسائل الدينية من ظواهر القرآن، بينما الآيات وخاصة الروايات العديدة تعبر عن الجامعية المطلقة للقرآن.

وقد ورد في أحاديث الإمام علي عليه السلام أساسين هاميين حول جامعية القرآن؛ أولهما: أن القرآن له جامعية مطلقة في الشؤون الإرشادية، والأساس الثاني: هو أن



جامعية القرآن بمعناها المطلق خاصة بالمعصومين (عليه السلام) الذين يدركون ظهر القرآن وبطنه.

وتقوم هذه الدراسة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، بنقد وفحص نظريات المفسرين والمفكرين الإسلاميين حول شمولية القرآن، بالرجوع إلى كلام الإمام علي (عليه السلام) الذي يشرح المفهوم الصحيح لجامعية القرآن في بعدين، ويُجَلِّلُ ويبحثُ موقف الأثر القرآني للإمام علي (عليه السلام) في شرح مفهوم جامعية القرآن.

الكلمات المفتاحية: جامعية القرآن، الإمام علي (عليه السلام)، نهج البلاغة، علوم القرآن.

Abstract:

One of the crucial issues concerning the Quran is its comprehensiveness (Jami'iyyah), regarding which Islamic thinkers have presented various perspectives since the beginning. Absolute comprehensiveness across all sciences, moderate comprehensiveness, and minimal comprehensiveness are the most prominent views in this regard, each facing specific challenges and criticisms.

While Quranic verses and narrations (Hadiths) assert the Quran's comprehensiveness in guidance and religious affairs—implying that no religious or instructional topic exists without being addressed in the Quran—an examination of the Quran's apparent structure (Zahir) reveals that it is not exhaustive even in religious matters. That is, not all religious rules and issues can be derived solely from the Quran's literal surface, despite verses and numerous narrations expressing its absolute comprehensiveness.

In the teachings of Imam Ali (PBUH), two fundamental

principles regarding the Quran's comprehensiveness are mentioned: first, that the Quran possesses absolute comprehensiveness in guiding affairs; and second, that this absolute comprehensiveness is exclusive to the Infallibles (PBUH), who perceive both the apparent and the hidden depths (Batin) of the Quran.

Using a descriptive-analytical method, this study critiques and examines the theories of commentators and Islamic thinkers on Quranic comprehensiveness. By referring to the words of Imam Ali (PBUH), the study explains the correct concept of comprehensiveness in two dimensions and analyzes the role of his Quranic legacy in clarifying this concept.

Keywords: Comprehensiveness of the Quran, Imam Ali (PBUH), Nahj al-Balagha, Quranic Sciences.



المقدمة:

إنَّ جامعيَّة القرآن من القضايا التي أُثِرت حول رسالة القرآن وتوقع الإنسان من الدين، وهناك خلافٌ بين المفكرين الإسلاميين حول كميَّة جامعيَّة القرآن وكيفيَّتها، ويعود تاريخ إثارة جامعيَّة القرآن إلى زمن الصحابة^(١)، وطبعًا منذ عهد الإمام عليّ (ع)^(٢) والأئمَّة من بعده^(٣) قيلت بعض الأقوال عن نوعيَّة الجامعيَّة للقرآن.

تُعبرُ الآيات والروايات عن الجامعيَّة المطلقة؛ بمعنى الاستجابة الكاملة للقرآن لاحتياجات الهداية التي تشمل جميع جوانب الحياة البشريَّة. كما يوجد اختلاف في الرأي بين المفكرين الإسلاميين حول كميَّة الجامعيَّة ونوعيَّتها، وقد تمَّ تحليل هذه المسألة ودرستها على أمتها جامعيَّة القرآن، وفي هذا الصدد هناك ثلاث وجهات نظر مهمَّة: أقصى الجامعيَّة للقرآن، يعني: تغطية القرآن على جميع العلوم، والجامعيَّة الشاملة للقرآن، والحد الأدنى من جامعيَّة القرآن، يعني: معالجة القضايا الأخرويَّة، وتواجه كلُّ من وجهات النظر هذه تحديات وانتقادات.

وبالنظر إلى الآيات والروايات حول الشموليَّة المطلقة للقرآن في مسائل الإرشاد يتبيَّن أنَّه لا يمكن استخلاص جميع القضايا الدينيَّة من ظهور القرآن من خلال فحص البنية الظاهريَّة للقرآن؛ بمعنى آخر: إنَّ القرآن ليس شاملاً وجامعاً حتَّى في الأمور الدينيَّة، أي: إنَّه لا يمكن التعبير عن القواعد والتعاليم الدينيَّة بالقرآن وحده.

على سبيل المثال: القواعد العمليَّة مثل الصلاة والصوم والحجّ مذكورة بشكل عامٍّ في القرآن، وقواعدها التفصيليَّة غير مذكورة في القرآن، فإذا كان القرآن شاملاً بالسنة النبويَّة، فإنَّ جامعيَّة القرآن ليست مستقلَّة، أي: أنَّه أصبح شاملاً وجامعاً بسبب

(١) ينظر: سنن سعيد بن منصور: ٧ / ١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ٢٢٤: خطبة ١٥٨.

(٣) ينظر: الكافي: ٦٠ / ١.



السنة النبوية، بينما تعبر آيات القرآن، وروايات المعصومين ﷺ العديدة عن الجامعية المطلقة للقرآن في الأوامر الإرشادية؛ أي: إن ما يمكن استخلاصه من الآيات والأحاديث أن القرآن له شمولية مطلقة في المسائل الإرشادية والدينية دون الحاجة إلى أي مصدر، وهذا دليل على أن معارفه تتجلى في ظاهر الآيات وباطنها.

وستحلل الدراسة الحالية هذه المسألة بمنهج تحليلي مع التركيز على تعاليم الإمام عليّ ﷺ في نهج البلاغة، وبالرجوع إلى آيات القرآن وروايات أهل البيت ﷺ، وبالاستناد إلى الأدلة القرآنية والروائية فيما يُعبر عن الجامعية المطلقة للقرآن في مسائل الهداية وإسنادها لأهل البيت ﷺ.

خلفية البحث:

تم إجراء العديد من الأبحاث حول جامعية القرآن وكيفية إجرائه، وقد قام كل منها بفحص هذه المسألة من زاوية مختلفة، إذ تم اقتراح وجهات النظر القصوى والتوجيهية والصغرى في هذا الصدد. وقد جاءت بعض الأبحاث حول الجامعية مستقلة وقائمة على كل حالة على حدة^(١)، وبعضها تحت تفسير الآيات المتعلقة بالشمولية^(٢)، ويمكن أن نلاحظ فيها الآتي:

(١) البحث في مجال التوقع من القرآن، ودراسة دلالة تفسير المكون كل شي في جامعية القرآن، وجامعية القرآن، ودراسة وجهة نظر صدر المتألهين الشيرازي في جامعية القرآن، وبحث في نظرة الجامعية المطلقة للقرآن، وتحليل الآيات المتعلقة بجامعية القرآن الكريم، ودراسة مقارنة للنظرية الجامعية للقرآن من منظر تفسير الميزان، وكيفية شمولية القرآن في ضوء آراء المفكرين والمفسرين المسلمين، ودراسة جامعية القرآن في الموقف التفسيري لفخر الرازي والألوسي البغدادي.

(٢) الاتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٦٤، وإحياء علوم الدين: ١/ ٣٨٤-٣٨٣، ومفاتيح الغيب، الشيرازي: ١٦٠، والجواهر في تفسير القرآن: ١/ ٣، والقرآن الكريم والعلم الحديث: ١٢٦، وتفسير الكوثر: ٦/ ١٩٤، وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٧/ ٢٥٣، والبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٤١٨، وجامع البيان في تفسير القرآن: ٤/ ١٠٩، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ٢٣٨، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٥٨٧، والتحرير والتنوير: ١٣/ ٢٠٥-٢٠٤.



أولاً: لم يتم التمييز بين جامعيّة القرآن وجامعيّة الإسلام.

ثانياً: لم يستبين كيفية شمولها، وحدودها، ودور القرآن والروايات في هذه العمليّة، إضافة إلى أنّه لم يتم تحليلها ودراستها، كما أنّ معاني الأمور الإرشاديّة وأمثلتها لم يرد ذكرها في مسألة شموليّة الإسلام.

وعليه فإنّ الدراسة الحاليّة بمنهجها التحليلي تشرح للجمهور الجامعيّة المطلقة للقرآن المُعبّر عنها في الروايات، وتحلّل جامعيّة الإسلام من منظور مواءمة القرآن والروايات في عمليّة الشمول، وأمثلة على هذه الجامعيّة بالاعتماد على البعد الإرشادي للدين الإسلامي، والجامعيّة المطلقة للقرآن في هذه الدراسة لا تعني الشمول المطلق للقرآن في جميع العلوم والمعارف، بل الجامعيّة المطلقة في الأمور الإرشاديّة، والاستجابة لكلّ ما يحتاجه الإنسان حتّى يوم الدين؛ للوصول إلى الكمال والسعادة.

المبحث الأول: المفاهيم وكليات البحث

المطلب الأول: الجامعيّة في اللغة

كلمة الجامعيّة هي من أصل (جمع) وجاءت في معجم (مقاييس اللغة) بمعنى: جمعُ أشياء منفصلة على محور شيءٍ مشترك^(١)، كما أعطها الراغب الأصفهاني نفس المعنى واعتبرها تعني ارتباط مكونات الشيء^(٢)، وقال ابن منظور: ((الجمع: جمع الشيء عن تفرقه، يجمعه جمعاً))^(٣)، واستخدم بعض الباحثين أيضاً كلمة الجمع لتعني التجميع^(٤)، وكلمة (جامع) تعني أيضاً المتعلّم^(٥)، وعليه يُمكن تعريف

(١) معجم مقاييس اللغة: ١ / ٤٧٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٢٠١.

(٣) لسان العرب: ١ / ٤٩٨.

(٤) قاموس القرآن: ٢ / ٤٧.

(٥) القاموس الشامل الحديث: ٢٨٢.

الجامعية بالقول: التعلّم والاندماج في شيء ما، بحيث يكون هذا التعلّم بلا عيب في هذه المسألة.

المطلب الثاني: مفهوم جامعية القرآن

لم يرد ذكر جامعية القرآن الذي يحمل نفس العنوان في المصادر الدينية، باستثناء حالة واحدة أشار فيها الإمام الحسين عليه السلام إلى القرآن الكريم بـ(الكتاب الجامع) في صلاة عرفة، حيث يقول: ((وَمُنْزَلُ الْمَنَافِعِ وَالْكِتَابِ الْجَامِعِ بِالنُّورِ السَّاطِعِ، وَهُوَ لِلدَّعَوَاتِ سَامِعٌ، وَلِلْكَرْبَاتِ دَافِعٌ، وَلِلدَّرَجَاتِ رَافِعٌ))^(١)؛ ولكن هناك موضوعات قريبة منه، وتستخدم مصطلحات جوامع والجمع؛ كما في رواية الإمام الرضا عليه السلام في وصف القرآن إذ أُسْتُخِدِمَت كَلِمَةٌ (جميع) في وصف جامعية القرآن، فهو يقول في وصف جامعية القرآن: ((جِهَلُ الْقَوْمِ وَخُدْعَا عَنْ أَدْيَانِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، بَيَّنَّ فِيهِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَالْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ، وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ كَمَا...))^(٢).

ولم يرد في مؤلفات القدماء عنوان جامعية القرآن ولكن تمّ التطرّق إلى هذه المسألة تحت عناوين أخرى. على سبيل المثال عبر السيوطي عن هذا الأمر تحت عنوان (العلوم المستنبطة من القرآن)^(٣)، كما تطرّق الزركشي إلى موضوع جامعية القرآن بعنوان (فُصِّلَ فِي الْقُرْآنِ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ)^(٤)، وتمّ إعطاء تعريفات مختلفة لمفهوم جامعية القرآن ترتبط بطريقة ما برسالة القرآن، وما يجب أن يقوله

(١) إقبال الأعمال: ٣٤٠.

(٢) أمالي الصدوق: ٦٧٥.

(٣) الإتيقان في علوم القرآن: ٣٤٢-٣٣٠.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٨٢.



القرآن، وفي المجالات التي يجب أن يقدم فيها برنامجاً يمكن تطبيقه ليكون جامعاً. ويعتبر البعض جامعية القرآن كلها أمور دينية وغير دينية، وبناءً على ذلك يتم توسيع تعريفهم للجامعية، بمعنى شموله وإدراجه في جميع العلوم^(١)، واعتبر بعض المفكرين أن نطاق جامعية القرآن هو بعده الإرشادي، فجاء تعريفهم مناسباً للنطاق الإرشادي للقرآن.

إن جامعية القرآن تعني: إن القرآن شاملٌ وجامعٌ في الهداية، وقد بين كل ما يحتاجه الإنسان في طريق سعادة وكمال الدنيا والآخرة. بالإضافة إلى ذلك فهو يشمل علوم السماوات والأرض والغيب وأخبارها، والجامعية المطلقة للقرآن خاصة بالمعصومين عليهم السلام، فهم من يمكنهم استنتاج جميع القواعد والتعاليم من ظاهر أو باطن القرآن، وسيتم ذكر أسباب إثبات هذا التعريف لاحقاً.

المطلب الثالث: مفهوم الظاهر والباطن في القرآن

يتفق الفريقان على وجود الباطن في القرآن، ولكن هناك اختلافات جوهرية في البحث عن معنى الباطن ومستوياته. إلا أن حجة الباطن للقرآن قد ثبت برأي الفريقين واستشهدوا بروايات في هذا الصدد، وقد استند مفكرون من السنة إلى رواية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لإثبات الباطن للقرآن، إذ قال صلى الله عليه وآله: ((أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ لكلٍ آيٍ منها ظهر وباطن))^(٢)، وفي رواية أخرى قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله: ((ما أنزل الله عز وجل آية إلا ولها ظهر وباطن، ولكل حرفٍ حدٍّ، ولكل حدٍّ مطلع))^(٣)، إضافة إلى أن هناك روايات كثيرة وصحيحة عن بطن القرآن في روايات

(١) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٢٨، وإحياء علوم الدين: ١ / ٣٨٤-٣٨٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١ / ٢٢، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٣١٦.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ١ / ٥٥٠.



الشيعة، منها: ((عَنْ ذَرِيحِ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي فِي كِتَابِهِ بِأَمْرِ فَأُحِبُّ أَنْ أَعْمَلَهُ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لِيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، قَالَ: لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ لِقَاءَ الْإِمَامِ، وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ تِلْكَ الْمَنَاسِكُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سِنَانٍ: فَاتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لِيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ قَالَ: أَخَذَ الشَّارِبِ وَقَصَّ الْأَظْفَارِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ ذَرِيحَ الْمُحَارِبِيِّ حَدَّثَنِي عَنْكَ بِأَنَّكَ قُلْتَ لَهُ: لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ لِقَاءَ الْإِمَامِ، وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ تِلْكَ الْمَنَاسِكُ، فَقَالَ: صَدَقَ ذَرِيحٌ وَصَدَقْتُ، إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَمَنْ يَحْتَمِلُ مَا يَحْتَمِلُ ذَرِيحٌ))^(١)؛ و((عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدًا صَالِحًا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ﴾ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ فَجَمِيعُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ مِنْ ذَلِكَ أَيْمَةُ الجَوْرِ، وَجَمِيعُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الكِتَابِ هُوَ الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ مِنْ ذَلِكَ أَيْمَةُ الحَقِّ))^(٢).

ومن ذلك ما ورد من كلام الرسول الكريم ﷺ في ظهر القرآن وبطنه: ((لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ، ظَاهِرُهُ أَيْقُونٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ))^(٣).

ويمكن أن يقال عن جامعية القرآن أن هناك العديد من معارف القرآن في بطنه، ولا يمكن للجميع فهم هذا البطن، كما يعتقد البعض أن القرآن الكريم من جهة هو كتاب هداية للبشر، وتحديث بلغتهم، ومن جهة أخرى يُعبّر عن جميع التعاليم المؤثرة في سعادة الإنسان، وبما أنه لا يمكن التعبير عن كل هذه المعارف في شكل

(١) الكافي: ٤/ ٥٥٠.

(٢) م.ن: ١/ ٣٧٤.

(٣) م.ن: ٢/ ٦٠٠.



كلماتٍ محدودة من القرآن، فقد تمَّ التعبيرُ عن بعضها في شكلٍ معانٍ باطنية، على الرغم من أن هذا لا يعني أنه يمكنُ للجميع الحصول على جميع هذه المعاني الباطنية^(١)، بالإضافة إلى الاستناد إلى الآيات الجامعة: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، ويُستنتج أنه إذا كان المقصود في هاتين الآيتين تفسير (كل شيء) هو نفس جامعيته الظاهرية، فمن الواضح أنه لا يمكن لجميع الناس استنتاج كل شيء من ظهر القرآن وفقًا لمبادئ الحوار وقواعده؛ لذلك سيكون جزء كبير من تلك المعارف باطنياً وسيفهمه بعض الأشخاص، وأيضاً إذا تم تخصيص (كل شيء) بقيود مثل: (كل ما يتعلق بالمبدأ والمعاد)، أو (القوانين الشرعية والأخلاقية)، أو (كل ما يتعلق بالهداية وسعادة الإنسان) ففي هذه الحالة أيضاً لا يمكن لجميع الناس استخدام هذه الأشياء من ظهر القرآن، وستكون حتماً باطنية، ومرة أخرى بعض الناس فقط يمكنهم استنتاج تلك المعارف^(٢).

وما يُستنبط من تركيب القرآن والروايات الصحيحة في هذا الصدد أن فهم كلِّ حقائق القرآن والمعرفة ببواطنه خاصة بأهل البيت (عليهم السلام)، وفي هذا الصدد هناك روايات صحيحة تُفيد بأن أهل البيت (عليهم السلام) مُكْرَسِينَ لفهم بواطن القرآن، فقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في هذا: ((عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ عِنْدَهُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ ظَاهِرِهِ وَ بَاطِنِهِ غَيْرَ الْأَوْصِيَاءِ))^(٣)، ومن جهة

(١) مقارنة للمدارس التفسيرية: ٢٢٠.

(٢) م.ن: ٢٢٠.

(٣) الكافي: ١/ ٢٢٩.

أخرى ردّاً على سؤال فضيل عن معنى ظهر القرآن وبطنه، بالإضافة إلى شرح هذا الأمر فإنه يُعربُ عن الفهم المطلق لظهر القرآن وبطنه للمعصومين عليهم السلام: ((عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ: مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَمَا فِيهِ حَرْفٌ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ وَمَطْلَعٌ، مَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ: لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ؟ قَالَ: ظَهْرٌ وَبَطْنٌ هُوَ تَأْوِيلُهَا، مِنْهُ مَا قَدْ مَضَى وَمِنْهُ مَا لَمْ يَجِيءْ، يَجْرِي كَمَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، كُلَّمَا جَاءَ تَأْوِيلٌ شَيْءٍ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الْأَمْوَاتِ كَمَا يَكُونُ عَلَى الْأَحْيَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، وَنَحْنُ نَعْلَمُهُ))^(١).

ووفقاً لهذه الروايات فإن العديد من معارف القرآن تظهر في بطنه ولا يعلم هذه التعاليم إلا أهل البيت عليهم السلام، وهم يشرحونها للناس.

المبحث الثاني: دراسة آراء المفكرين الإسلاميين في جامعية القرآن ونقدها

هناك أقوال مختلفة بين المفكرين منذ البداية حول حدود جامعية القرآن وكيفيةها، وإجمالاً يمكن التعبير عن ثلاث وجهات نظرٍ حول جامعية القرآن وجودته: الجامعية المطلقة، الجامعية في المسائل الإرشادية، الحد الأدنى من الجامعية:

١- الجامعية المطلقة للقرآن في جميع العلوم:

وهذه وجهة نظرٍ تدلّ على اشتمال القرآن بالإضافة إلى أمور الهداية والدين سائر الأمور وسائر العلوم، إذ يؤمنُ بعض المفكرين من السنة بالجامعية المطلقة، ويتبعون كلام ابن مسعود معتقدين أن العلم الأول والآخر مكنون في القرآن^(٢)، وقد أكد مؤلف كتاب (الاتقان في علوم القرآن) على هذا الرأي، وذكر الجامعية المطلقة للقرآن، وقال عنها: ((قد اشتمل كتابُ الله العزيز على كلِّ شيء، أمّا أنواع العلوم

(١) بحار الأنوار: ٢٣ / ١٩٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٨٢.



فليس منها باب ولا مسألة هي أصلٌ إلا وفي القرآن ما يدلُّ عليها^(١)، ويعتقد الغزالي إن أمثلة جامعيّة القرآن واسعة النطاق، ويعتبر أن جميع العلوم موجودة في القرآن بشكلٍ مطلقٍ، فيكتب في هذا الصدد: ((العلومُ كلّها داخلٌ في أفعالِ الله عزّ وجلّ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لانهاية لها))^(٢)، ويذهبُ صدرُ المتألّهين من مفكّري الشيعة إلى القولِ بجامعيّة القرآن بشكلٍ مطلقٍ، إذ قال: ((ما من علمٍ إلا وفي القرآن أصله وفرعه و مبدؤه ومنتهاه))^(٣)، كما أكّد بعضُ المفكّرين المعاصرين على الجامعيّة المطلقة للقرآن، وإدراجها جميع العلوم^(٤)، فأنصارُ هذا الرأي يعتبرون أن جميع العلوم موجودة في القرآن، وبالطبع هناك فرق بينهم في ماهيّة هذه العلوم.

النقد والتحليل:

رسالة القرآن هي إرشادُ البشر ورسم الخطط لتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، ومن ناحية أخرى فقد أشار القرآن الكريم إلى نقاط علميّة وتعاليم أخرى تتماشى مع الغرض الأساسي من القرآن وهو توجيه الطبيعة البشريّة وإيقاظها.

فلو كان الغرض من القرآن هو تغطية جميع العلوم وكانت رسالته الكشف عن أسرار هذه العلوم وكشفها للناس، من وجهة نظر رجال الدين والمفكّرين المسلمين، فقد أشار البعض إلى أن في مجتمعاتنا السردية قد وردت أحاديث كثيرة في فضل القرآن، ولكن لا يوجد في أيّ منها دليلٌ على أن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام فسّروا القرآن بطريقة علميّة، ممّا يجعل القرآن متوافق مع علوم

(١) الإتيان في علوم القرآن: ٢ / ١٦٤.

(٢) إحياء علوم الدين: ١ / ٣٨٤-٣٨٣.

(٣) مفاتيح الغيب، الشيرازي: ١٦٠.

(٤) الجواهر في تفسير القرآن: ١ / ٣، والقرآن الكريم والعلم الحديث: ١٢٦.



التجربة وقوانين الطبيعة^(١)، طبعاً لا ينبغي أن ننسى أن أهل البيت ﷺ تكلموا حسب أذهان الناس ولم يقولوا أشياء معقدة وغير مفهومة لأهل ذلك الوقت؛ لذلك يُحتمل أن أهل البيت ﷺ لم يذكروا هذا الأمر؛ لعدم وجود جمهورٍ علميٍّ في القضايا التجريبية والطبيعية، لكن يجب الفصل بين شيئين:

الأول: يجب تحديد مهمة القرآن، وهي هداية البشر، وإسعادهم في الدنيا والآخرة؛ بمعنى أن مهمة القرآن ليست كشف أسرار العلوم التجريبية والطبيعية.

الثاني: إن الشمول المطلق للقرآن في الأمور الدينية، وإدراجه في الأمور غير الدينية يجب أن يُعالج ويجب أن يكون موجّهاً للجمهور.

ولا شك في أن القرآن الكريم يحتوي على تعاليم لا يُحيطُ بها إلا أهل البيت ﷺ؛ عبارة أخرى: يحتوي القرآن على الظاهر والباطن، والباطن منه خاص بالمطهرين؛ لذلك إذا قبلنا الجامعية المطلقة لنطاق مهمة القرآن، يجب أن نعتبر هذه الجامعية ملكاً لأهله. وسيتّم شرح هذا الرأي وتحليله أدناه.

٢- جامعية القرآن في بيان الشؤون الإرشادية:

يرى بعض المفكرين الإسلاميين أن شمول جامعية القرآن مقصورة على مسائل الهداية، وفي رأي هذا الفريق بما أن القرآن كتاب الهداية، فلا بد من أن يكون شاملاً وجامعاً في هذه الأمور، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وآراء هذه المجموعة من المفكرين مختلفة ومتمايزة أيضاً، فيرى البعض شمولية القرآن في أمور الدين مطلقة، بمعنى أن

(١) التفسير العلمي للقرآن: ١ / ١٥٢.



جميع الأمور الدينية والإرشادات المذكورة في القرآن^(١)، ويؤمنُ بعضُ المفكرين الإسلاميين بالجامعية المطلقة للقرآن، لكنهم أضافوا إليها شرط شرح النبي ﷺ. وفي رأي هذا الفريق فإن القرآن شاملٌ وجامعٌ للدين، وهذا الشمول إما في نص القرآن، أو في كلام الرسول الكريم ﷺ وغيره. وفي هذا قال الشيخ الطوسي: ((أي: بياناً لكل أمرٍ مُشكَلٍ، والتبيان والبيان واحد، ومعنى العموم في قوله (لكل شيء) المراد به من أمور الدين: إما بالنص عليه أو الاحالة على ما يُوجب العلم من بيان النبي ﷺ، والحجج القائمين مقامه، أو إجماع الأمة، أو الاستدلال؛ لأن هذه الوجوه أصول الدين، وطريق موصلة إلى معرفته))^(٢).

النقد والتحليل:

إنَّ النظرَ إلى جامعِيَّة القرآن في الإرشاد والهداية نظرةً معتدلة في هذا المجال وتتناسب مع رسالة القرآن، وغايته، فإذا اعتبرنا جامعِيَّة القرآن خاصَّة بالمسائل الدينية والإرشادية، فإنَّ القرآن لا يزال غير شاملٍ؛ لأنَّ العديد من القواعد والقضايا الدينية والإرشادية الهامة لم يتم ذكرها في القرآن. وإذا كان تطبيقُ الجامعية حاضراً لسنة النبي ﷺ وأهل البيت (عليهم السلام) - كما قدَّم بعضُ المفسرين هذا الرأي - فإنَّ شمولية القرآن ليست مستقلة بل تعتمد على التقليد والسنة؛ بينما في الروايات والآية ٨٩ من سورة النحل تمت مناقشة جامعِيَّة القرآن بشكلٍ مستقل.

بمعنى آخر: هل القرآن جامعٌ مع السنة وغيرها، أم أنه جامعٌ بشكلٍ مستقل؟ فيقال إنَّ ما يمكن استنتاجه من الآيات والأحاديث هو أنَّ القرآن له جامعِيَّة مطلقة في مسائل الهداية، وذكر كلِّ ما يحتاجه الإنسان في مجال السعادة والكمال،

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٧ / ٢٥٣، وتفسير روان جاويد: ٣ / ١٨٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦ / ٤١٨.



ولكن لا يمكن لأي شخصٍ استخراج هذه المعارف، وإنما فقط المعصومون ﷺ الذين يُدركون تمامًا تعاليم الظاهر والباطن للقرآن الكريم؛ لذلك فإن ما يؤخذ على هذا الرأي هو مسألة استقلالية جامعية القرآن، بمعنى أن القرآن مستقلٌ دون الحاجة إلى مصدرٍ آخر، وسنة الرسول الكريم ﷺ وأهل البيت ﷺ مبنية أيضًا على القرآن. إذ يُقدّم القرآن الكريم نفسه على أنه تبيانٌ لكل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، على الأقل يمكن استنتاج من (كل شيء) المسائل الدينية والإرشادية. والسؤال المطروح: هل يوجد تفصيلٌ لقواعدٍ وتعاليم القرآن في القرآن نفسه، أم أن سنة الرسول الكريم ﷺ توضّح ذلك؟

وبمعنى آخر: هل مصدرُ السنة النبوية هو القرآن، أم شيء آخر؟

والمعنى العام للآية أن الله أنزل الكتاب وهو القرآن بكل تفاصيله، وتبينه على الرسول الكريم ﷺ، وبمعنى آخر: في القرآن كل الأمور والقضايا الدينية، ولكن هذه الأمور التي أنزلت على الرسول الكريم ﷺ لم تُكشف للجميع، وهذه القضايا والمسائل الدينية التي نزلت على الرسول الكريم ﷺ ليست من نوع الألفاظ والأقوال.

٣- الحد الأدنى من الجامعية:

وقد لجأ بعض المفكرين المعاصرين إلى هذا الرأي، واعتبروا جامعية القرآن مقصورة على حالات معينة، إلا أن هذه المجموعة تُميز بين جامعية القرآن، وكماله، ويعتقدون بكمال القرآن لا بجامعيته، فإن كمال الدين في نظر هذه المجموعة هو التفسير الكامل للشؤون الروحية والأخروية، والتنازل عن العلوم الإنسانية والتجريبية بما في ذلك طريقة الحكم للناس^(١).

(١) أسمن من الأيديولوجيا: ٤٨.



يكتب الدكتور سروش عن هذا: ((إِنَّ اللَّهَ أَوْلَا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يُرْسِلِ الدِّينَ لِلْعَمَلِ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَتَنْظِيمِ مَعِيشَتِنَا الْعَاجِزَةَ فِي هَذَا الْعَالَمِ، إِنَّ التَّعَالِيمَ الدِّينِيَّةَ مَوْجَّهَةٌ أَسَاسًا إِلَى الْآخِرَةِ، أَي: لَتَنْظِيمِ سُبُلِ الْعَيْشِ وَالسَّعَادَةِ فِي الْآخِرَةِ))^(١)، وقد مَالَ بَعْضُ الْمَفْكَرِينَ الْآخَرِينَ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ، وَاعْتَبَرُوا جَامِعِيَّةَ الْقُرْآنِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: جَامِعِيَّةَ الدِّينِ مَقْصُورَةٌ عَلَى الْآخِرَةِ، وَبِمَعْنَى أُخْرَى: يَعْتَبِرُونَ شُؤُونَ الْحُكُومَةِ وَالسِّيَاسَةِ، وَحَتَّى الْقَضَايَا الدِّنْيَوِيَّةَ الْآخَرَى مُنْفَصِلَةٌ عَنِ رِسَالَةِ الْقُرْآنِ^(٢).

النقد والتحليل:

إِنَّ وَجْهَةَ نَظَرِ الْحَدِّ الْأَدْنَى مِنْ جَامِعِيَّةِ الْقُرْآنِ، وَتَكْرِيسِهَا لِبُعْدٍ وَاحِدٍ وَحَصْرِهِ فِي الْأُمُورِ الْآخَرَوِيَّةِ يَتَعَارَضُ مَعَ الْأَدْلَةِ النَّقْلِيَّةِ، فَإِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَرَوَايَاتِ الْمَعْصُومِينَ (ع) فِي جَامِعِيَّةِ الْقُرْآنِ مُطْلَقَةٌ؛ فَهِيَ تُغَطِّي عَلَى الْأَقْلِ شُؤُونَ الدِّينِ وَالْعَالَمِ، وَرَبَطَهَا بِقَضِيَّةٍ مَعِينَةٍ يَتَطَلَّبُ حُجَّةَ قَاطِعَةٍ، بَيْنَمَا لَا دَلِيلَ قَاطِعٍ فِي هَذَا الصِّدَدِ، وَلَمْ يُشِرْ أَصْحَابُ هَذَا الرَّأْيِ إِلَى الْأَدْلَةِ الْقَاطِعَةِ وَالِدَامِغَةِ.

إِنَّ فَحْصَ مَحْتَوَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يُبَيِّنُ أَمْرًا هَامًّا وَهُوَ أَنَّ بَرَامِجَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَيْسَتْ مَكْرَسَةً لِلْآخِرَةِ، وَلَكِنْ هُنَاكَ بَرَامِجٌ خَاصَّةٌ بِالْحَيَاةِ الدِّنْيَوِيَّةِ بِكُلِّ أبعادها. وَيَقُولُ مَلَا صَدْرًا مُتَّقِدًا هَذَا الرَّأْيِ: ((فَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَرْحِ قَوَانِينِ الشَّرِيعَةِ وَضَوَابِطِ الْاِخْتِصَاصِ فِي آيَاتِ الْمَنَاقِحَاتِ وَ الْمَدَايِنَاتِ وَالْمَوَارِيثِ وَقِسْمَةِ الزَّكَاةِ وَالْغَنَائِمِ وَأَبْوَابِ الْعَتَقِ وَالْكِتَابَةِ وَالْاِسْتِرْقَاقِ وَالسَّبْيِ وَالْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَاتِ عَنِ أَسْبَابِ الْمَفَاسِدَةِ؛ كَقِتَالِ الْكُفَّارِ وَأَهْلِ الْبَغْيِ، وَالْحُدُودِ وَالْغَرَامَاتِ وَالْقِصَاصِ وَالذِّيَّاتِ وَالْكَفَّارَاتِ، أَمَّا الْقِصَاصُ فَدَفْعًا لِلْسَّعْيِ فِي إِهْلَاكِ الْأَنْفُسِ وَالْأَطْرَافِ وَأَمَّا

(١) التَّبَيُّنُ النَّظَرِيُّ لِلشَّرِيعَةِ وَتَطْوِيرُهَا: ١٦٣، وَالتَّوَسُّعُ فِي التَّجَرِبَةِ النَّبَوِيَّةِ: ١٠٩-١٠٧.

(٢) الْإِسْلَامُ وَأَصُولُ الْحُكْمِ: ١٥٩، وَالتَّفْسِيرُ الْحَدِيثُ: ٦/ ٩١.



الحدود؛ كحدِّ السرقة والزنا وغيرهما فدفعا لما يستهلك الأموال التي هي من أسباب المعاش، والأنساب التي هي طريق الحرث والنسل، وأما جهاد الكفار وأهل البغي فدفعا لما يفسد به اعتقاد أهل الحق إذ يتشوش بسبب مروق المارقين عن ضبط السياسة التي يتولّاها حارسُ السالكين وكافل المحققين نائبا عن رسول رب العالمين، واشتمال القرآن على الآيات الواردة في هذا الجنس مما لا يخفى عليك، وما يشتمل هذا القسم عليها يسمّى علم الحلال والحرام، وحدود الأحكام، وهذا العلم يتولّاه الفقهاء، وهو علم يعمُّ إليه الحاجة؛ لتعلقه بصلاح الدنيا أولا، ثم بواسطته بصلاح الآخرة^(١).

لذلك فإنّ دراسة أسلوب القرآن وسياقه، وفي تعبير أكثر شمولاً عن الإسلام حول الحياة الدنيوية والأخروية وعلاقتها ببعضهما البعض، والاهتمام بجميع جوانب الحياة البشرية في العالم التي تتعلّق بالسعادة والعتاء سيحدّد النقضان لهذا الرأي.

المبحث الثالث: مفهوم جامعية القرآن من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام
إنّ جامعية القرآن في أحاديث الإمام علي عليه السلام بمعناه المطلق، أي: الاستجابة لجميع الحاجات الإرشادية للإنسان حتى يوم القيامة، تقوم على أساسين هاميين، وغني عن القول أن إثبات الجامعية المطلقة للقرآن وتخصيصه للمعصومين عليه السلام لا يعني أن الآخرين لا يستفيدون من القرآن؛ إذ تؤكّد تعاليم القرآن والمعصومين عليه السلام على الحاجة إلى التأمل والفهم والتفقه في القرآن، وإلى ذلك أشار الإمام علي عليه السلام في مسألة تعليم القرآن وتفقهه: ((وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ

(١) مفاتيح الغيب، الشيرازي: ٥٧ / ١.



فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقُصَصِ))^(١)، ومعنى إسناد الفهم إلى المعصومين عليهم السلام هو فهم الظهر والبطن، وتأويل القرآن بمعناه الكامل.

فالقرآن كتاب شاملٌ وجامعيته مطلقة، بمعنى أن الحاجات الإرشادية للإنسان مُعَبَّرٌ عنها في هذا الكتاب الإلهي، لكن ليس باستطاعة كلِّ البشر استخلاص كلِّ الأمور الإرشادية و الدينية من القرآن، فضلاً عن أمورٍ أخرى لم يرد ذكرها شرحها الإمام عليه السلام، كما تشير آيات القرآن وغيرها من روايات المعصومين عليهم السلام إلى ذلك.

وبتدقيق الآيات والروايات في جامعية القرآن يتضح أن القرآن الكريم له استقلالية متصلة في الشمول المطلق في المسائل الإرشادية، ومن هذه الآيات: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، و﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، فإنها تذكر جيداً أن القرآن هو تبيانٌ وتفصيلٌ لكلِّ شيءٍ، وأن هذا التفسير للقرآن لا يقتصر على أيِّ قيدٍ، وهذا يعني أن جميع المعارف موجودة في القرآن، ولكن لا يمكن للجميع استخلاص هذه التعاليم، ولا يدرك هذا الأمر سوى المعصومين عليهم السلام.

الأساس الأول: الجامعية المطلقة للقرآن في مسائل الهداية

الجامعية المطلقة للقرآن تعني تلبية القرآن لجميع الاحتياجات الإرشادية للإنسان، إذ يوضح تحليل آيات القرآن وروايات المعصومين عليهم السلام أن القرآن كتابٌ

(١) نهج البلاغة، خطبة ١١٠.



جامعٌ في مسائل الهداية، بمعنى أنه لا يهتم في مجال هداية البشر إلا إذا نص عليه القرآن.

والنقطة المهمة هي أن القضايا الإرشادية ليست مجرد تعبير عن الأمور العبادية والطقوس، بل هي تعبير عن كل ما هو مؤثر في السعادة البشرية الدنيوية والأخروية؛ وهذه الطريقة فإن دائرة الأمثلة على جامعية القرآن في القضايا الإرشادية ترتبط بكل العوامل التي تؤثر على هداية الإنسان؛ لذلك فإن الرسالة الأساسية للقرآن هي الهداية، وفي هذا الصدد يجب أن تكون جامعةً وشاملةً، وأن هداية القرآن تشمل جميع جوانب حياة الإنسان؛ لذلك فإن القرآن الكريم شاملٌ في تناول الأمور الإرشادية ولكن تفصيل وإتمام الأمور المذكورة أعلاه والقضايا الإرشادية الأخرى في روايات المعصومين عليهم السلام، بمعنى أنه بجمعها مع القرآن يكتمل شمول القرآن في الهداية؛ لأن الكثير من تعاليم القرآن متضمنة في بطنه، ولا يمكن لأحد أن يستخرج هذه التعاليم إلا المعصومين عليهم السلام.

يؤكد الإمام علي عليه السلام على الجامعية المطلقة للقرآن في المسائل الإرشادية، كذلك قد أشار إلى القرآن وإدراجه في أخبار الغيب والسماء والأرض في مواقف مختلفة، وتم التعبير عن هذه الجامعية المطلقة وإدراج القرآن في المعرفة العميقة في الخطبة الثامنة عشرة من نهج البلاغة، فقال الإمام علي عليه السلام وهو يدين القضاة الذين يحكمون نيابة عنهم، ويختلفون فيما بينهم، أن الدين دين كامل والقرآن تبيان لكل شيء، هذا يعني أنه حتى في القرآن توجد معلومات عن حكمكم: ((أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَقَالَ فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ



يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَ إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ وَ لَا تُكْشِفُ الظُّلْمَاتُ إِلَّا بِهِ))^(١) قد أكد في هذه الرواية هذا الأمر المهم على أن الله لم ينزل دينًا ناقصًا يمكن استكماله بالاعتماد على أمورٍ أخرى مثل رأي الآخرين، بل إن كل ما هو مطلوب لهداية البشر إلى يوم القيامة مذكورٌ في هذا الكتاب السماوي الأخير.

وفي مكانٍ آخر يُعبّر عن الجامعيّة المطلقة للقرآن بطريقةٍ يكملُ الله الدين من خلال القرآن حيث يقول: ((فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، اءَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُمْ، وَ ارْتَمَنَ عَلَيْهِمْ اءَنفُسَهُمْ، اءَتَمَّ نُورُهُ، وَ اءَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ، وَ قَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ قَدَ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ اءِحْكَامِ اءَلْهُدَى بِهِ))^(٢)

وفي خطبةٍ أخرى ذكر حوالي اثنين وأربعين سمةً من سمات القرآن الكريم تدلُّ على عظمة هذا الكتاب السماوي الأخير، وسمو معانيه، وعمقٍ لا نهاية له: ((أَنْزَلَ عَلَيْهِ اءَلْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَ سِرَاجًا لَا يَجْبُو تَوْقُدُهُ وَ بَحْرًا لَا يَدْرِكُ قَعْرُهُ وَ مِنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَ شِعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ وَ فُرْقَانًا لَا يُحْمَدُ بَرِّهَانُهُ وَ تَبْيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَ شِفَاءً لَا تُحْسَى اءَسْقَامُهُ وَ عِزًّا لَا تُهْزَمُ اءَنْصَارُهُ وَ حَقًّا لَا تُحْذَلُ اءَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ اءَلْإِيمَانِ وَ بُحْبُوحَتُهُ وَ يَنَابِيعُ اءَلْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ وَ رِيَاضُ اءَلْعَدْلِ وَ غَدْرَانُهُ وَ اءَأْنَابِي اءَلْإِسْلَامِ وَ بُنْيَانُهُ وَ اءُودِيَةُ اءَلْحَقِّ وَ غِيْطَانُهُ وَ بَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ اءَلْمُسْتَنْزِفُونَ وَ عِيُونَ لَا يُنْضِبُهَا اءَلْمَاتِحُونَ...))^(٣)، ويقول في مكانٍ آخر: ((وَ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ اءَطْهَرِكُمْ نَاطِقٌ

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٨ .

(٢) م.ن: خطبة ١٨٢ .

(٣) م.ن: خطبة ١٩٨ .

لَا يَعْيًا لِسَانُهُ وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ))^(١)، وفي مكانٍ آخر يذكرُ في أمثلة القرآن الإرشادية، ومعناه الإرشادي الكامل: ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشَى وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى فَاسْتَشْفَوْهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَانِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَ التَّفَاقُ وَ الْغِيَّ وَ الضَّلَالُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ وَ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَدِّقٌ وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ وَ مَنْ حَمَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^(٢)، وفي هذا الجزء من الخطبة ذكر أشياء مهمة عن القرآن الكريم، منها إن المرء لن يحتاج إلى أي شيء آخر مع القرآن.

ومن المؤكّد أنّ معنى الحاجة والغنى ليس الحاجة الماديّة، بل الهداية الإلهية التي تتجلّى في القرآن، فلو لم يكن القرآن جامعاً في الهداية ولم يستطع أن يبيّن سبيل الهداية ولم يقدر الإنسان أن يُحقّق السعادة والكمال في الدنيا والآخرة بامتلاكه لما قاله الإمام عنه.

ويتابعُ في حديثه عن أهميّة القرآن وما يتناسب معه: ((أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرِّهِ وَ عَاقِبَةٍ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرِّثَةٍ الْقُرْآنَ فَكُونُوا مِنْ حَرِّثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَصْحَبُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ اتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْتَعِشُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ))^(٣)،

(١) نهج البلاغة: خطبه ١٣٣.

(٢) م.ن: خطبه ١٧٦.

(٣) م.ن.



وفي هذا البيان أيضاً تُقْبَلُ الأعمالُ التي تتوافق مع القرآن يومَ القيامة؛ لذلك من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام إنَّ القرآنَ هو كتابٌ شاملٌ، وجامعيته مطلقة؛ بمعنى أنَّ الحاجاتِ الإرشادية للإنسان مُعبَّرٌ عنها في هذا الكتاب الإلهي، لكن هل باستطاعة كلِّ البشرِ استخلاصَ كلِّ الأمورِ الإرشادية و الدينية من القرآن؟، كما تشير آياتُ القرآن وغيرها من رواياتِ المعصومين عليهم السلام إلى ذلك.

الأساس الثاني: الجامعية المطلقة للقرآن خاصة للمعصومين عليهم السلام

تم التأكيد في أحاديث الإمام علي عليه السلام على التأمل في القرآن واستفادة الجميع منه: ((تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَ تَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَ اسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَ أَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ))^(١)، لكنَّ الفهمَ المطلق للقرآن من ظهره وبطنه وتفسيره محجوزٌ للمعصومين عليهم السلام، وقد ورد ذكرُ هذه النقطة الهامة في نهج البلاغة عدَّة مرَّاتٍ، إذ يقول عليه السلام: ((ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْرِكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ))^(٢)، وفي هذا السرد فإنَّ الاستجوابَ المطلق للقرآن الذي يكشف ظهرَ القرآن وبطنه ويُعبِّرُ عن تعاليمه العميقة لم يُذكرَ تخصيصه لعامة الناس، لكنَّ أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد اعتبرَ أنَّ الفهمَ العميقَ للقرآن وتفسيره وتأويله خاصٌّ به؛ إذ يُشيرُ حرف (لن) إلى النفي الأبدى، بمعنى أنَّه حتى يومَ القيامة لا يُمكنُ لأحدٍ غير المعصوم عليه السلام أن يستجوبَ بشكلٍ مطلق ظهرَ القرآن وبطنه.

وجاء في خطبة يصف فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام وعلاقتهم بالقرآن: ((فهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق

(١) نهج البلاغة: خطبة ١١٠.

(٢) م.ن: خطبة ١٥٨.



رائدُ أهله))^(١)، وفي خطبةٍ أخرى يقول: ((أينَ الذينَ زعموا أنهم الراسخون في العلمِ دوننا؟! كذبًا وبغياً علينا، أن رفَعنا اللهَ و وضعَهُم، وأعطانا و حرَمَهُم، وأدخلنا و أخرجَهُم، بنا يُستعطى الهدى، و يُستجلى العمى، إن الأئمةَ من قُرَيش، غرسوا في هذا البطنِ من هاشم، لا تصلحُ على سواهم، و لا تصلحُ الوُلاةُ من غيرِهِم))^(٢)، إذ يؤكدُ كلامَ الإمامِ عليٍّ ﷺ في هذا الصددِ انسجامًا مع الأحاديث الأخرى على انحصارِ الراسخون للنبيِّ ﷺ وأهلِ البيتِ ﷺ، وعليه فإنَّ توسعَ حقلِ الراسخين إلى غيرِ المعصومين هو ادعاء لا أساسَ له؛ لأنَّ المقصودَ برسوخِ العلمِ؛ هو المعرفة الكاملة للمحكّماتِ والمتشابهاتِ، والإحاطةُ العلميّةُ بكلِّ أبعادها، وآفاقها، والطبقاتِ الظاهريّةِ والباطنيّةِ لمعارفِ القرآن، لا معرفة غير كاملة وقليلة من أجزاء القرآن^(٣)؛ لذلك ففي هذا المحورِ أيضًا فإنَّ أهلَ البيتِ ﷺ هم العالمون بظهِرِ القرآنِ وبطنهِ وينحصرُ الشمولُ المطلقُ للقرآنِ فيهم. وإنَّ جمهورَ الجامعيّةِ المطلقة للقرآنِ خاصّ بالمعصومين بناءً على أدلّةٍ موثقةٍ تُثبتُ من ناحيةِ الجامعيّةِ المطلقة للقرآنِ في مسائلِ الإرشاديّةِ، ومن ناحيةٍ أخرى تأخذُ بعينِ الاعتبارِ الجامعيّةِ المطلقة للانتماءِ لأهلِ البيتِ ﷺ.

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٥٣.

(٢) م.ن: خطبة ١٤٤.

(٣) موسوعة الإمام عليٍّ ﷺ: ١ / ١٩٣.



نتائج البحث

- ١- قد ذكّر مبدآن هامّان في نهج البلاغة حول جامعية القرآن الكريم، هما:
 - أ- القرآن الكريم كتابٌ شامل وجامعٌ، وقد استجاب لحاجات البشر الإرشادية، بمعنى أنّه لا يوجد أمر ديني أو إرشادي إلّا إذا ورد في القرآن الكريم.
 - ب- أشار الإمام عليّ (ع) في نهج البلاغة إلى بنية القرآن ومضمونه ومعارفه العميقة والسامية، ووفقاً لهذا المبدأ فإنّ الفهم المطلق للقرآن، ومعرفة ظهره وبطنه وتأويله وتفسيره خاصّ بأهل البيت (ع) فهم الذين يُمكنهم التعبير عن جميع أحكام ومعارف القرآن للناس حسب عدّة حجج، مثل: آيات القرآن، روايات المعصومين (ع)، بنية القرآن، والسيرة العلمية والعملية للمعصومين (ع).
- وقد تمّ إثبات هذين المبدئين لجامعية القرآن في نهج البلاغة.
- ٢- يُعبّر الإمام عليّ (ع) عن استجواب القرآن بمعناه الكامل خاصّة لنفسه.
- ٣- يُقدّم الإمام (ع) أهل البيت (ع) في مناصب مختلفة كراسخين في العلم، وأركان الدين، وأدلة الدين، وعلماء القرآن، ومرجعية الناس في الهداية، وخزّانة علم النبي (ص)، وممثل أحكام الشريعة، وحرّاس الدين.
- ٤- الجامعية المطلقة للقرآن خاصّة بالمعصومين (ع) الذين يدركون ظهر الآيات وبطونها، وتفسيرها، وتأويلها، ويستخرجون المعارف الدينية وغير الدينية من ظهر القرآن وبطنه.
- ٥- إنّ القول بجامعية القرآن خاصّة بالمعصومين (ع) لا يعني أنّ الآخرين لا يستفيدون من معارف القرآن، فهم يستفيدون من تعاليم القرآن حسب طاقتهم، وكذلك فإنّ البعض منهم يرجع إلى القرآن وأهل البيت (ع) معاً لمعرفة الإجابة على حاجاتهم الإرشادية في أمور الدين والدنيا والآخرة.



المصادر و المراجع

*القرآن الكريم.

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، بيروت، دارالمعرفة.
٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، بيروت، دار الجيل.
٣. الإسلام وأصول الحكم، علي عبد الرزاق، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤. أسمن من أيديولوجية، عبد الكريم سروش، طهران، منشورات صراط، ١٣٧٠ ش.
٥. إقبال الأعمال، ابن طاووس، طهران، دار الكتب الاسلامية، ١٣٦٧ ش.
٦. الأمالي، محمد بن بابويه الصدوق، بيروت، منشورات الأعلمي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠ هـ.
٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البضاوي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.
٨. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، بيروت، دار احياء التراث، ١٤٠٣ هـ.
٩. بحث في الجامعية المطلقة للقرآن، علي غضنفر، مجلة التفسير واللغة القرآنية السنة الخامسة، عدد ٢، ١٣٩٦.
١٠. بحث في مجال التوقع من القرآن، علي الشفيعي، موسوعة القرآن الكريم، ١٣٩٢ ش.
١١. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠١ م.
١٢. التنبّي النظري للشريعة وتطويرها، عبد الكريم سروش، طهران، منشورات صراط، ١٣٥٧ ش.



١٣. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، بيروت، دار احياء التراث العربي.
١٤. التحرير والتنوير، محمد بن طاهر بن عاشور، بيروت، مؤسسة التاريخ.
١٥. التحقيق في دلالات تبيان لكل شيء في جامعية القرآن، محمد إبراهيم روشن ضمير، مجلة التعاليم القرآنية، العدد ١٩، الربيع والصيف، ١٣٩٣ ش.
١٦. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، سيد حسن المصطفوي، طهران، مركز الكتاب للترجمة والنشر، ١٤٢٦ هـ.
١٧. تحليل الآيات المتعلقة بشمولية القرآن الكريم، أبو الفضل قاسم نوروزي، مجلة السراج المنير الفصلية، العدد ٢١، ١٣٩٤.
١٨. تفسير التسنيم، عبدالله الجوادى الأملى، قم، منشورات اسراء، ١٣٨٧ ش.
١٩. التفسير الحديث، محمد عزت دروزه، القاهرة، دارالكتب العربية، ١٣٨٣ هـ.
٢٠. تفسير الروح الخالد، محمد الثقفي الطهراني، طهران، منشورات برهان، ١٣٩٨ هـ.
٢١. التفسير العلمي للقرآن، ناصر رفيعي محمدي، طهران، منشورات نشر الثقافة، ١٣٧٩ هـ.
٢٢. تفسير الكوثر، يعقوب الجعفري، قم، منشورات هجرت.
٢٣. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، طهران، منشورات وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٣٦٨ ش.
٢٤. جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢ هـ.
٢٥. جامعية القرآن من وجهة نظر الإمام الخميني، فيض إله الأكبري دستك، المجلة الفصلية متين، العدد ٦٧، ١٣٩٤.



٢٦. جامعية القرآن، محمد علي الايازي، رشت، منشورات كتاب مبین، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠ ش.
٢٧. الجديد في تفسير القرآن المجيد، محمد بن حبيب الله السبزواري النجفي، بيروت، دار التعارف المطبوعات، ١٤٠٦ هـ.
٢٨. الجواهر في تفسير القرآن، الجوهرى الطنطاوى، النجف، مطبعة الطليعة، ١٣٧٦ هـ.
٢٩. دراسة جامعية القرآن في الموقف التفسيري لفخر الرازي والآلوسى، خديجة جشني ماشاء الله، مجلة الالهيات المقارن، العدد ٣، ١٣٨٩.
٣٠. دراسة في توثيق ودلالة أحاديث (راسخون في العلم)، روح الله اكبر نجاد، المجلة الفصلية للدراسات الإسلامية وعلوم القرآن والحديث، السنة الثالثة و الأربعون، ٨٧/٣، الخريف والشتاء ١٣٩٠.
٣١. دراسة في رؤية صدر المتألهين الشيرازي في شمولية القرآن، إبراهيم الجلاي، مجلة العقل والدين، العدد ١٧، ١٣٩٦.
٣٢. دراسة مقارنة للنظرية الشاملة للقرآن من منظر تفسير الميزان، فرزاد اسفندياري، مجلة التفسير المقارن، العدد ٢، ١٣٩٤.
٣٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، سيد محمود الآلوسى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
٣٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٥ هـ.
٣٥. سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور، الرياض، دار العصيمي، ١٤١٤ هـ.
٣٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، بيروت، منشورات دار الفكر.
٣٧. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي، القاهرة، مكتبة القاهرة.



٣٨. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ .
٣٩. فرائد السمطين، ابراهيم الجويني، قم، مجمع احياء الثقافة الاسلامية.
٤٠. قاموس قرآن، سيد علي أكبر القرشي، طهران، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧١ ش.
٤١. القرآن الكريم والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، بيروت، دار الكتب العربي، ١٣٩٣ هـ.
٤٢. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، طهران، دار الكتب الاسلامية، ١٣٦٢ ش.
٤٣. كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس، قم، منشورات الهادي، ١٤٠٥ هـ.
٤٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، احمد الثعلبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ.
٤٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ ق.
٤٦. كيفية جامعية القرآن في ضوء أقوال المفكرين والمفسرين المسلمين، حمزة حاجي مهريزي، المجلة الفصلية المطالعات القرآنية، العدد ١٠، ١٣٩١ .
٤٧. لسان العرب، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ.
٤٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، طهران، منشورات ناصر خسرو، ١٣٧٢ ش.
٤٩. المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیشابوری، بیروت، دار المعرفة.
٥٠. المعجم الجامع الحديث، احمد السياح، طهران، منشورات اسلام، ١٣٨٦ ش.



٥١. معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس، قم، دار الكتب العلمية.
٥٢. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.
٥٣. مفاتيح الغيب، صدر الدين الشيرازي، طهران، معهد الدراسات والبحوث الثقافية، ١٣٧٣.
٥٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، بيروت، منشورات دار القلم، ١٤١٢ هـ.
٥٥. مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي، احمد بن مردويه، قم، دار الحديث، ١٤٢٢ هـ.
٥٦. موسوعة الإمام علي عليه السلام، علي أكبر رشاد، طهران، معهد بحوث الثقافة والفكر الإسلامي، ١٣٨٠.
٥٧. نشر التجربة النبوية، عبد الكريم سروش، طهران، منشورات صراط، ١٣٧٩ ش.
٥٨. نظرة للمدارس التفسيرية، فتح الله النجار زادكان، قم، منشورات كلية أصول الدين، ١٣٨٧.
٥٩. نظير القرآن وأهل البيت عليهم السلام، عبدالله الجوادى الأملي، قم، منشورات اسراء، ١٣٩٢ ش.
٦٠. نقد المناهج الدلالية لكلمة (نحاس) في الآية ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، فضل الله غلام علي تبار، مجلة التعاليم القرآنية، العدد ١٨، الخريف والشتاء، ١٣٩٢.
٦١. نهج البلاغة، الشريف الرضي، قم، منشورات هجرت، ١٤١٤ هـ.

تأثير أمير المؤمنين عليه السلام في سياسة الحكم الرشيد والعلوم القانونية

أ.م.د إقبال عبد الله أمين

الملخص:

يعدّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من أبرز الشخصيات التي أرست قواعد الحكم العادل، ووضعت أسسًا متقدمة في الفكر السياسي والقانوني، وقد تجلّى تأثيره في ممارساته السياسيّة وخطبه ورسائله، وقد أرسى أمير المؤمنين عليه السلام نموذجًا فريدًا في الحكم الرشيد، تمحور حول العدل كأساس للحكم، إذ عدّ هذا المبدأ حجر الزاوية في استقرار الدولة وازدهارها، فقد أكّد على أنّ في العدل الاقتداء بسنة الله وثبات الدول ممّا يربط بين العدل واستمرارية الحكم .

وفي المجال القانوني كان أمير المؤمنين من أوائل من نظّر وطبّق استقلال القضاء، عن طريق التشديد على اختيار القضاة على وفق معايير صارمة من النزاهة والكفاءة ورفض أيّ تدخل في أحكامهم، وكان هذا التوجّه سبقًا تاريخيًا لمبدأ فصل السلطات الذي ظهر لاحقًا في الفكر الغربيّ . لذلك فإنّ فكر أمير المؤمنين ما يزال مرجعًا مهمًّا في بناء أنظمة الحكم العادل والقضاء المستقل؛ لذلك سنسلط الضوء على السياسة الحكيمّة التي اتّبعها أمير المؤمنين في إدارة الدولة من النواحي الماليّة والإدارية والقانونية والسياسية .

الكلمات المفتاحية: الحكم الرشيد، العدل، الميدان المالي والإداري، الميدان الحقوقي والسياسي .



Abstract:

Imam Ali ibn Abi Talib (peace be upon him) is one of the most prominent figures who established the foundations of just governance and laid advanced foundations in political and legal thought. His influence was evident in his political practices sermons and letters. The Commander of the Faithful (peace be upon him) established a unique model of good governance centered on justice as the basis of governance. This principle was considered the cornerstone of the state's stability and prosperity as he emphasized that justice entails following God's law and ensuring the stability of states which links justice to the continuity of rule. In the legal field the Commander of the Faithful was among the first to consider and implement judicial independence emphasizing the selection of judges according to strict standards of integrity and competence and rejecting any interference in their rulings. This approach was considered a historical precedent for the principle of separation of powers which later appeared in Western thought. Therefore the thought of the Commander of the Faithful is still considered an important reference in building just systems of government and independent judiciary. Therefore we will shed light on the wise policy that the Commander of the Faithful followed in managing the state from the financial administrative legal and political aspects.

Keywords: Good governance justice financial and administrative fields legal and political fields.



المقدمة:

امتنع الإمام علي عليه السلام من الاستجابة الفورية لضغط الجماهير والصحابة عليه بقبول بيعتهم له بالخلافة، فقد أراد أن يضعهم أمام اختبار يكشف به مدى استعدادهم لتحمل أسلوب الثورة في العمل لإزالة الانحراف الذي حصل في العهد السابقة، لئلا يروا فيما بعد أنه استغفلهم، واستغل اندفاعهم الثوري حين يكشفون صعوبة الشروط التي يجب أن يناضلوا الفساد الذي ثاروا عليه في ظلها. ولهذا أجابهم الإمام عليه السلام بقوله: ((دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت، واعلموا أنني إن أحببكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خير لكم مني أمير))^(١)، ولكن الناس أبوا عليه إلا أن يعتلي الحكم، فاستجاب لهم.

تسلم الإمام الحكم في مجتمع ورث الفساد، وكانت تنتظره مشاكل معقدة كثيرة على مختلف الأصعدة، فواجههم الإمام عليه السلام بسياسته الثورية الجديدة التي قرر أن يتبعها من أجل تحقيق الأهداف التي قبل الحكم لأجلها، ولم تكن هذه السياسة شيئاً مرتجلاً اصططنه لنفسه يوم وُي بالخلافة، وإنما كانت منهجاً مدروساً ومنتزعا من الواقع الذي كان يعاينه المجتمع الإسلامي آنذاك، ومعدّة للسير بهذا المجتمع إلى الأمام، ومهياً لتمنح هذا المجتمع المطامح التي كان يتطلع إليها.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث عن طريق الدور الذي جسده الإمام علي عليه السلام في تقديم رؤية

(١) بحار الانوار: ٣٢ / ٣٦ .



متقدّمة في إدارة الدولة تقوم على العدل والشفافية والمساءلة من خلال وضع خطة استراتيجية مدروسة؛ الغاية منها القضاء على الفساد الذي كان مستشرياً في جميع أرجاء البلاد، وتطوير البلاد على وفق سياسة منهجية مدروسة، ممّا أسهم في ترسيخ مبادئ العدالة والقضاء على الظلم والطغيان واستقلال القضاء وسيادة القانون وفق النزاهة والكفاءة . كلّ هذه الأمور دفعتنا لدراسة هذا الموضوع لغرض الاستفادة من السياسة المحنّكة التي اتّبعها الإمام .

إشكاليّة البحث :

تبرز مشكلة البحث من خلال دراسة السياسة التي اتّبعها الإمام علي (ع) في إدارة الدولة، ونجاحه في القضاء على حالات الفساد المستشرية في البلاد، وكيف أدار الدولة وجعلها دولة متقدّمة بعد القضاء على مظاهر الفساد؟ وكيف نستطيع الاستفادة من هذه السياسة في إدارة الدولة .

منهجية البحث :

لقد اتّبعنا في دراسة بحثنا المنهج الوصفيّ الاستقرائيّ التحليليّ، وذلك بدراسة السياسة المتّبعة من الإمام علي (ع) بشكل مستفيض وتحليلها وإبداء رأينا في كلّ ما يتطلّب ذلك والاستعانة برأي الفقهاء في الموضوع .

خطة الموضوع :

سوف يتمّ تقسيم البحث على مطلين وكالاتي :

المطلب الأوّل : سياسة أمير المؤمنين في الميدان الماليّ والإداريّ.

الفرع الأوّل : سياسة أمير المؤمنين في الميدان الماليّ

الفرع الثاني : سياسة أمير المؤمنين في الميدان الإداريّ



المطلب الثاني : سياسة أمير المؤمنين في الميدان الحقوقي والسياسي

الفرع الأول : سياسة أمير المؤمنين في الميدان الحقوقي

الفرع الثاني : سياسة أمير المؤمنين في الميدان السياسي

المطلب الأول: سياسة أمير المؤمنين في الميدان المالي والإداري

جسد الإمام ﷺ مفهوم التسوية في العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الإسلامية من دون تمييز، وقضى على شرعية التفاوت الطبقي بما له من ذيول اقتصادية ودينية، وألغى كل أشكال التمييز في توزيع الأموال على الناس، مؤكداً على أن التقوى والسابقة في الإسلام أمور لا تمنح أصحابها امتيازات في الدنيا، ومن كان له فضل في الإسلام لأسبقيته فالله يتولى جزاءه يوم القيامة، أما في هذه الدنيا فالناس سواسية في الحقوق والواجبات. ومن أجل تحديد سياسة أمير المؤمنين في الميدان المالي والإداري سوف يتم تقسيم هذا المطلب على فرعين وكالاتي :

الفرع الأول: سياسة أمير المؤمنين في الميدان المالي

إن السياسة المالية التي أتبعها الإمام علي ﷺ قد اتخذها موقفاً صارماً ومتشدداً، وقد ركز في سياسته المالية على نقطتين هامتين:

إحدهما: الثروات التي تكونت في الفترة السابقة لحكمه بأسباب غير مشروعة.

والثانية: أسلوب توزيع العطاء. ففيما يتعلق بالنقطة الأولى: قام ﷺ بمصادرة جميع ما تم توزيعه واقتطاعه قبل تويي حكمه، وما تم وهبه من الأموال العظيمة لطبقة الأرستقراطيين، إذ قال ﷺ: ((أيها الناس إنني رجل منكم، لي ما لكم وعلي ما عليكم، وإنني حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما أمر به، ألا وإن كل قطعة أقتطعها



عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحق لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوّج به النساء ومُلِّك به الإماء وفرّق في البلدان لرددته، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق^(١). وفيما يتعلّق بالنقطة الثانية: فقد تناولت سياسته الماليّة إلغاء مبدأ التفاضل في العطاء، وإعلان مبدأ المساواة، إذ ساوى في العطاء بين المعتقين والأحرار، والسابقين في الإسلام والمسلمين الجدد، ولم يفضّل أحداً على أحد. وبهذا الإجراء جسّد الإمام (ع) مفهوم التسوية في العطاء بين جميع الناس الذين يتمتّعون بحقّ المواطنة الإسلاميّة من دون تمييز، وقضى على شرعية التفاوت الطبقيّ بما له من ذيول اقتصادية ودينيّة، وألغى كلّ أشكال التمييز في توزيع الأموال على الناس مؤكّداً أنّ التقوى والسابقية في الإسلام أمور لا تمنح أصحابها امتيازات في الدنيا، ومن كان له فضل في الإسلام لأسبقيّته فالله يتولّى جزاءه يوم القيامة، أمّا في هذه الدنيا فالناس سواسية في الحقوق والواجبات.

وقد قال (ع) في إحدى الخطب الأولى التي استهلّ بها حكمه: ((ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (ص) يرى أنّ الفضل له على سواه لصحبته، فإنّ الفضل النيّر غداً عند الله، وثوابه وأجره على الله، وأيّما رجل استجاب لله وللرسول فصّدق ملّتنا ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يُقسّم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتّقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب؛ لم يجعل الله الدنيا للمتّقين أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خيرٌ للأبرار، وإذا كان غداً إنشاء الله فاغدوا علينا؛ فإنّ عندنا مالاً نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحدٌ منكم؛ عربيّ ولا

(١) روائع نهج البلاغة: ٩٥.



عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إلا حضر، إذا كان مسلماً حرّاً))^(١).
 فلما كان من الغد، غدا وغدا الناس لقبض المال، فقال لعبيد الله ابن أبي رافع كاتبه: ((ابدأ بالمهاجرين فنأدهم، وأعط كل رجل مَن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك؛ ومن حضر من الناس كلهم؛ الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك))^(٢)، فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين، هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم؛ فقال عليه السلام: ((نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير))^(٣)، ولم يفضل أحداً على أحد، وتخلّف عن هذا القسم يومئذٍ طلحة والزبير، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، ورجال من قریش وغيرها.

الفرع الثاني: سياسة أمير المؤمنين في الميدان الإداري

بأمر الإمام عليه السلام سياسته الإدارية بعمليين:

أولاً: عزل الولاة السابقين على الأمصار: هؤلاء الولاة الذين كانوا من الأسباب الهامة في الثورة؛ لظلمهم وبغيهم وعدم درايتهم بالسياسة وأصول الحكم. وقد قال الإمام عليه السلام في شأنهم: ((ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا مال الله دولا، وعباده خوفاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، فإنّ منهم الذي قد شرب فيكم الحرام، وجلّد حدّاً في الإسلام. وإنّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ))^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ٣٦/٧.

(٢) منتخب موسوعة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٣٥٢.

(٣) الاحتجاج، الطبرسي: ١٠١/١.

(٤) نهج البلاغة: ١٢٠/٣.



فقد سبق لعثمان أن قَرَّبَ أشخاصًا كان الرسول ﷺ قد طردهم أو أقصاهم، لقد ردَّ عمه الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده الرسول ﷺ وأصبح يسمَّى طريد رسول الله، وأوى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان النبي ﷺ قد أهدر دمه وولاه عثمان مصر، كما ولَّى عبد الله بن عامر البصرة فأحدث فيها من الأحداث ما جعل المؤمنين ينقمون عليه وعلى عثمان.

ثانيًا: إسناد ولاية الامصار إلى رجال من أهل الدين والعفة والحزم، ممن تتوافر في شخصيتهم المواصفات التي تحدث عنها علي (ع) في قوله: ((إنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته (شهوته) ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف (الظالم) للدول (المال) فيتخذ قومًا دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع (حدود الله) ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة))^(١)، فولَّى على البصرة عثمان بن حنيف، وعلى الشام سهل بن حنيف، وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة، وثبت أبا موسى الأشعري على الكوفة، وهذه هي الأمصار الكبرى في دولة الخلافة آنذاك.

وبقدر ما كانت هذه السياسات مصدر فرح للطبقة المستضعفة الفقيرة الرازحة تحت أثقال من الظلم كانت أيضًا صفة لقريش ولغرورها وخيلائها واستعلائها على الناس، فمن أين لها بعد اليوم أن تحوز الأموال العظيمة من دون أن تنفج شفتان لتقول لها: من أين لك هذا؟ وكيف لها بعد اليوم أن تستعلي وتستبد، وتفرض على الناس في ظل الإسلام سلطانها عليهم في الجاهلية؟

ولعل قادة الطبقة الثرية وزعماءها فكروا في أن يساوموا عليًا على بذل طاعتهم

(١) الدرّ النظيم في مناقب الأئمة (ع): ٣٢٩ .



له على أن يُغضي عمّا سلف منهم، ويأخذهم باللين والهوادة فيما يستقبلون، فأرسلوا إليه الوليد بن عقبة ابن أبي معيط، ف جاء إليه وقال: ((يا أبا الحسن، إنك قد وترتنا جميعاً، ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال أيام عثمان، وأن تقتل قتلته، وإننا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام، فقال ﷺ: أمّا ما ذكرت من وتري إياكم فالحق وتركم، وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حقّ الله عنكم ولا عن غيركم))^(١).

وقد كلّمه كثيرون ومنهم المغيرة بن شعبة بشأن الولاة السابقين، فأشار عليه بأن يثبت هؤلاء الولاة على أعمالهم، ولكنّه أبى عليه ذلك، وعزلهم بمن فيهم معاوية، وكلّمه طلحة والزبير بشأن ولاية الكوفة والبصرة فردّهما ردّاً رقيقاً. ولمّا أيقن هؤلاء ومعهم الطبقة الثريّة أنّهم لن يفلحوا عن طريق المساومة والتهديد لجئوا إلى السعي لنقض البيعة، وقد جاء من أخبر عليّ ﷺ بأنّهم يدعون الناس إلى رفض البيعة مدفوعين إلى ذلك بالامتيازات الاقتصادية والاجتماعية التي فقدوها. فخطب الناس، وكأنّه أراد بذلك أن يكشف عناصر الفتنة الجديدة، ويخرج بالمسألة من حدود الهمس والعمل في الظلام إلى الصعيد العام، ويسلّط عليها وعلى زعمائها النور ويفضح أهدافهم، ويطلع الأمّة على المناورة التي تريد أن تحوّل نتائج الثورة إلى مغانم شخصيّة، وتعيد الأوضاع القديمة كما كانت، فلا تحصل الأمّة من ثورتها إلّا على تبديل الوجوه.

وقد أكّد في هذه الخطبة عزمه على مواصلة تطبيق سياسة المنهج الذي بدأ به، فقال ﷺ: ((فأمّا هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أثره وقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون؛ وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ٣٩.



وعهد نبينا بين أظهرنا، فمن لم يرضَ به فليتولَّ كيف شاء))^(١).

ولكنَّ الأرسقراطية الجديدة لم تقف مكتوفة اليدين إزاء سياسة علي (ع) الشرعية هذه، فقامت بحركة التمرد الأولى في البصرة (حرب الجمل) بقيادة طلحة والزبير تحت ستار الثأر لعثمان، وما هي في واقعها إلا تدبير دبره من لم يماش الحكم الجديد أهواءهم من بني أمية وغيرهم من المنتفعين بالعهد السابق، وقد كان القائمون بهذه الحركة يريدون أن يعطفوا أزمة الحكم إلى جانبهم بعد أن يسوا من مساعدة الإمام (ع) لهم على ما يبتغون، ولكنَّ الإمام (ع) قضى على الحركة في مهدها، وفرَّ من بقي من أنصارها إلى الشام، إذ قامت حكومة برئاسة معاوية بن أبي سفيان، انضوت إليها جميع العناصر المنتفعة بالعهد السابق، التي رأت في الحكم الجديد خطراً عليها وعلى امتيازاتها الطبقية، وبينما كانت حكومة الإمام تسير على نهج إسلامي خالص، أي إنها كانت تحقِّق للأمة أقصى قدر مستطاع في ظروفها السياسية والاقتصادية والعسكرية من الرفاهية والعدالة والأمن كان معاوية يسير على نهج آخر في الحكم يقوم على شراء الضمائر بالمال، وتفضيل طائفة بحرمان طائفة أخرى، وتعطيل السبل وتعكير الأمن^(٢)، ولم يكن معاوية ليبالي في أن ينزل بداعي الضرائب من الزراع والتجار أفدح الظلم في سبيل أن يحصل منهم على مبلغ من المال يغدِّي به أطماع حفنة من رؤساء القبائل العربية يؤلّفون جهازه العسكري المتأهّب دائماً لقمع أيّ حركة تحرّرية تقوم بها جماعة من الناس.

وقد كان من الطبيعي أن تقوم حركة تمرد أخرى وراء الواجهة نفسها بزعامة معاوية، فكانت صفين، وكان التحكيم ثم النهروان، ثم قُتل (ع) بثمرة من ثمرات

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٣٤٢ .

(٢) ينظر: الإمام علي ومشكلة نظام الحكم: ٢٩٢ .



التحكيم بعد أن غرس في عقول الناس وقلوبهم المبادئ الإسلامية في الحكم وسياسة الجماعات^(١).

أبرز خصائص حكومة الإمام علي عليه السلام

ليس علي بن أبي طالب بالشخصية التاريخية فحسب، إنما هو أمير المؤمنين، أي إنه بالنسبة لنا الأسوة والقدوة والنموذج، نموذج للحكومة التي ينبغي على حكامها وقادتها أن يقتدوا بسلوكه ومنهجه، وعلى الإسلاميين أن يتخذوا سلوك علي بن أبي طالب ومنهجه قدوة وأنموذجاً لهم.

والآن إذا أردنا أن نقف على المحطات البارزة واللامعة في حياة مولى المتقين وأن نتعرف على شخصيته وحكومته، أظن أنه علينا أن ندرس نقطتين أساسيتين وحساستين، وأنصوّر أنّ شخصية أمير المؤمنين عليه السلام بعنوان أنه الحاكم وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله تدخل في صلب هذه النقاط، طبعاً لن نتعرض في هذا البحث إلى شخصية علي عليه السلام المعنوية والعرفانية، تلك الشخصية التي كانت دائماً مرتبطة بالفيض والطف الدائم لله سبحانه، بل ستتحدث عن علي عليه السلام كحاكم إسلامي حكم الأمة الإسلامية لفترة من الزمن.

النقطة الأولى: البارز في حياة أمير المؤمنين كحاكم هو التزامه وتعبده الكامل بما جاء به الإسلام وما ورد في شريعته، فأمر المؤمنين الذي تربى في كنف الإسلام وفي الوقت الذي كان الرسول يتولى الحكومة ويتحمل الأذى والمصاعب في سبيل الإسلام، كان علي عليه السلام الشاب المقاتل المقدم الذي لم يجلس في بيته ويتنظر وقوع الحوادث، بل كان حاضرًا في كل المواجهات والتحديات، فلقد سخر كل إمكاناته

(١) ينظر: مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة: ١٢٣.



وكمالاته الإنسانيّة في خدمة الإسلام^(١)، إذ شارك في كلّ الحروب والغزوات التي جرت في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، باستثناء حرب واحدة لم يشارك فيها بناءً على طلب الرسول، فقد طلب منه البقاء في المدينة، فقدّم حياته للإسلام وكان حاضرًا دائمًا ليضحّي بروحه دفاعًا عن الإسلام.

وفي ذلك اليوم الذي اجتمع فيه المسلمون على شخص غير علي (ع) ليسلموه الإمرة والخلافة، اتّبع جمع الناس مجموعة صغيرة انسلخت لتباعد غير علي (ع)، وعلي الذي كان يرى ويعلم بأنّ الخلافة من حقّه وهو اللائق بها، وكان يستطيع إن أراد أن يواجه أولئك ويقوم بدعوة الناس وتحريضهم، لكنّه (ع) لم يقم بذلك وضحّى لمصلحة الإسلام. وكذلك فعل بعد وفاة الخليفة الثاني، إذ قيل له نبايعك ولكنّه (ع) رفض ذلك، فهذا مخالف لما يؤمن به ويتعارض مع تكليفه والتزامه، وأدى هذا الرفض به إلى أن يتأخّر باستلام الخلافة ٢١ عامًا أخرى، وطوال فترة حياته التي سبقت تسلّمه الخلافة كان دائمًا يجاهد ويتحرّك في سبيل خدمة الإسلام والشريعة، لذا فمن الطبيعيّ أن يعمل على تطبيق الأحكام الإسلاميّة حين تسلّمه للخلافة، وعلى تحكيم الثوابت الإسلاميّة، وهذه هي الخصوصيّة الأولى للأمر (ع)^(٢).

النقطة الثانية: في شخصيّة أمير المؤمنين (ع) والتي ترتبط بكونه حاكمًا إسلاميًا، فعليّ الحاكم لم يكن مستعدًّا على الإطلاق أن يهادن ويُصالح الأشخاص الذين لم يكونوا يتحرّكون في ضمن خطّه ومسيرته، أي الذين لم يتحرّكوا في خطّ الإسلام وفي سبيل الله، وحياء عليّ (ع) تُشير إلى ذلك، فعليّ (ع) تلميذ النبي (صلى الله عليه وآله)، لم يكن مستعدًّا للمسايرة كالنبي (صلى الله عليه وآله) نفسه، الذي كان يتحرّك في سبيل تحقيق الأهداف المقدّسة، وحياء النبي (صلى الله عليه وآله)

(١) ينظر: مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة: ١٣١ .

(٢) ينظر: الإمامة والسياسة: ٣٨ .



كلّها شهادة على رفض المهادنة والأهواء والأنانيات، ولو كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مستعداً أن يُهادن لكان استطاع أن يجدّ من نفوذ القادة والشخصيّات المعادية له والبارزة في وسط الناس والتي تتمتع بقدر من الاحترام لديهم، وأن يُجرس السنة الذين انتقدوه، ولو كان أيضاً مستعداً أن يُخفّف من مواجهته لأعداء الإسلام والحكومة الإسلامية فمن المؤكّد لم تكن لتواجهه كلّ هذه المشاكل والمصاعب^(١).

وهنا كان امتياز الإمام علي (عليه السلام) الحاكم، من غيره من الحكام، فأولئك كانوا مستعدّين أن يتحالفوا مع أيّ طرف ضدّ عدّوهم، فنرى معاوية وعمرو بن العاص المتنافسين والمتخالفين مع بعضهما، يقفان جنباً إلى جنب لمواجهة علي (عليه السلام)، وكذلك إذا نظرنا إلى طلحة والزبير من جهة وإلى معاوية من جهة أخرى، فلقد كانوا متعادين، لكنّهم كانوا مستعدّين أن يتحدوا وأن يقفوا جنباً إلى جنب لمحاربة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بينما نجد عليّاً رفض أن يتحالف مع طلحة والزبير ضدّ معاوية، فبالنسبة له هذا التحالف مخالف للنهج الإسلاميّ، معاوية عدو ومخالف وبنفس الدليل فطلحة والزبير أعداء لا يمكن مسيرتهم والتحالف معهم، وهذه أيضاً من خصوصيّات الإمام علي (عليه السلام)^(٢).

(١) ينظر: تاريخ الفكر العربيّ إلى أيام ابن خلدون: ٢٤٢ .

(٢) ينظر: الحكومة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ١٢٤ .



المطلب الثاني: سياسة أمير المؤمنين عليه السلام في الميدان الحقوقي والسياسي

إن من يقرأ عن حكومة الإمام علي عليه السلام قراءة موضوعية يرى فيها من التطور والتحديث ما هو موجود في الدول الحديثة التي جاءت عبر تراكم خبرات بشرية على مدى مئات أو آلاف السنين. وإن السياسة التي تبناها الإمام عليه السلام في دولته في الجوانب القانونية والسياسية كانت ذات آليات متطورة تبعاً للمنهج الإسلامي وتصوّراته، ولما يمتلك من خبرة دينية وعسكرية واجتماعية وسياسية جعلته مؤهلاً لأن يكون صاحب منهج متميز في إدارة شؤون الدولة على الأصعدة جميعها وبالأخص الميدان الحقوقي والسياسي، ومن أجل معرفة هذه السياسة الحكيمة في تلك المجالات سوف يتم تقسيم المطلب على فرعين وكالاتي :

الفرع الأول: سياسة أمير المؤمنين عليه السلام في الميدان الحقوقي

كان للإمام علي عليه السلام دور بارز في مجال الحقوق، إذ نادى بأن المسلمين سواء في الحقوق والواجبات في الإسلام، وقد كانت هناك فروق حقوقية جاهلية قضى عليها الإسلام، وأعيدت في عهد لاحق، فقريش ذات الماضي العريق في السيادة على القبائل العربية عادت في العهد السابق إلى إيمانها بتلك الفروق، فغدا أناس ليس لهم ماضٍ مشرف بالنسبة إلى الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله يتعالون على أعظم المسلمين جهاداً وسابقة وبلاء لمجرد أنهم قريشيون، هذه الفروق المعنوية الجاهلية قضى عليها الإمام، فقال عليه السلام : ((الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه))^(١)، وقال عليه السلام في خطاب آخر: ((أيها الناس، أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم من الظالم بخزامتته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً))^(٢).

(١) نفحات الولاية: ٢ / ٢٤٧ .

(٢) خطب الإمام علي عليه السلام، صبحي الصالح: ١٣٦ .



الفرع الثاني: سياسة أمير المؤمنين عليه السلام في الميدان السياسي

إن الرؤية السياسية التي تبناها الإمام عليه السلام في دولته كانت ذات آليات متطورة تبعاً للمنهج الإسلامي وتصوّراته، ولما يمتلك من خبرة دينية وعسكرية واجتماعية جعلته مؤهلاً لأن يكون صاحب منهج متميز في إدارة شؤون الدولة عسكرياً واجتماعياً، لذا ((يرى أمير المؤمنين أن بقاء القيادة السياسية الأولى للدولة في العاصمة وعدم خروجها للحرب أصلح، فبقاؤها لإدارة شؤون الجنود والعسكر في الولايات وإدارة بيت المال واقتصاديات الدولة وبسط العدل والقضاء والعمل لاستقرار الدولة والمجتمع وتقدمهما، بينما تذهب القيادات العسكرية لمحاربة العدو وقتاله))^(١).

لذا ربما عورض على هذه السياسة من قبل مجتمعه الذي يرى أنه لا بد من الخروج معهم لتعزيز موقفهم الميداني في الحرب، لكنه كان يردّهم ويوبّخهم عن رفضهم لسياسته التي يراها الأصلح في تطوّر مجتمعهم خصوصاً والدولة عموماً، فيقول: ((ما بالكم لا سُدّتم لرشد ولا هُديتم لقصْد، أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج وإنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى اتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ وإتّما أنا قطب الرّحا تدور عليّ وأنا بمكاني... وهذا لعمر الله الرّأي السوء))^(٢).

وإنّ رئيس الدولة لا بدّ أن يُقيم في العاصمة؛ لأنّه يمثّل هرم النضوج السياسي الذي إذا ما تعرّضت الدولة لحادث لا بدّ أن يجد حلاً سياسياً سريعاً للخروج منه،

(١) الاستراتيجية العسكرية عند الإمام علي عليه السلام: ١١٢ .

(٢) نهج البلاغة: ١١٨ .



وهذا ما هو عليه الآن الدول المتقدمة والحديثة في أن الرئيس يعدّ الموظف الأعلى وتناط به مسؤولية الإدارة العامّة للدولة. ويلخص أحد الكتاب أهمّ الركائز الأساسية لسياسة الدولة الإسلامية عند الإمام علي (ع) (١):

أولاً: إدارة كلّ شؤون الدولة.

ثانياً: منع الاضطراب السياسي للدولة في حالة الهزيمة، وانتقال السلطة عند موت رئيس الدولة.

ثالثاً: منع التمرد والعصيان والانقضاخ على الدولة وحفظها على ذلك،

هذا ونجد أن الإمام كان موضع استشارة الخلفاء في الدولة الإسلامية، إذ استعان عمر بن الخطاب إبان خلافته على المسلمين برؤية الإمام السياسية حينما أراد قتال الفرس، فقال الإمام له: ((فكن قطباً واستدر الرحا بالعرب واصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهمّ إليك ممّا بين يديك)) (٢)، وكذلك مشاورة عمر بن الخطاب له في الخروج إلى غزو الروم فيقول: ((إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتكذب لا يكن للمسلمين كهف دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث لهم رجلاً محرباً، واخفر معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رداءً للناس ومثابة للمسلمين)) (٣).

وهذا يدلّ على أن نظرة الإمام للدولة كانت تتحرّك على وفق معطيات سياسية

(١) ينظر: الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين: ٥٧ .

(٢) نهج البلاغة: ٢٩ .

(٣) الشورى في الشريعة الإسلامية: ١٢٤ .



دوليّة رشحته أن يكون قائداً للدولة رغم كثرة المعارضين على سياسته ومنهجه ورغم عدم وعي القاعدة الجماهيرية بالمشروع السياسي الذي رسمه الإمام للدولة الإسلامية الكبرى، إذ إنّ الإمام علي عليه السلام كان من الممكن أن يُمارس الأوتوقراطية أو الحكم الواحد ضدّ الشعب كما مارسه بعده الحكّام والملوك ضدّ شعوبهم؛ حتّى ينسبط له الحكم والإدارة بصورة أكثر، لكنّه كان يرى أنّ الحكم لا بدّ أن ينطلق من رؤية إنسانيّة بحته أساسها العدل وأن لا يتجاوز الثوابت الإسلاميّة للحاكم مهما كانت العقبات السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، فكان من اللازم أن تحصل إخفاقات سياسيّة أو عسكريّة نتيجة عدم نضوج الوعي الجماهيري^(١).

ولذلك نرى أنّ الإمام أعلن عن ذلك بصراحة بعد اتهامه بأنّه عديم الخبرة بالحرب قائلاً: ((وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتّى لقد قالت قريش أنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع))^(٢).

وهكذا نرى الإمام في أكثر من موقف أن رؤيته السياسيّة تنطلق من معرفة سياسيّة تجعل رأيه لا يجانب الصواب، وأنّ آفاقه المعرفيّة جعلته قادراً على استيعاب مجمل القضايا التي كانت تمسّ الدولة على المستوى الخارجي والداخلي، كما نرى ذلك في قضية غزواته وحروبه في صفين والبصرة والنهروان، وكيف أنّه وصلت بشائر الانتصار عندما اقترب القتال إلى رواق معاوية، ولكنّ الدهاء السياسيّ لمعاوية ورفع المصاحف جعل من المقاتلين ينقسمون فيما بينهم ويوقفون القتال ويؤثرون

(١) ينظر: الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة: ٢٣١ .

(٢) البيان والتبيين: ١ / ٣٧ .



على قرار الإمام (ع) ومثل هذه الوقائع والهزائم كثير مما يؤكد قصور القاعدة الجماهيرية وعدم النضوج الفكري السياسي.

كما أنّ قضية السلام لم تكن غائبة عن حكومة الإمام علي (ع)، بل كانت حاضرة في كلماته وخطبه وممارسته في الحكم نظراً لما يمثل السلام من أهمية عالمية في الإسلام السياسي وتأثيره على الشعوب وتقدمها، فشغلت باله وهمته في تحقيق هذا المشروع ضمن متطلبات الدولة وأهدافها، فالإمام لم يكن يرى من الحرب إلا وسيلة لتحقيق هذا المشروع لتسود قيم الإنسانيّة والعدل في المجتمع الإسلامي، وليحقق أكبر قدر ممكن من عزّة الأمة الإسلامية وكرامتها، فاستخدم لغة الحوار السياسي الذي يخلق جوّاً من الودّ والرحمة ممّا يذيب حواجز الخلافات والتشنّجات^(١)، فعالج قضية التحكيم بين الدولة الإسلاميّة ومعاوية على أساس الرضا بميثاق السلام الذي عقده، بالرغم من عدم قناعته الشخصيّة بالتحكيم، لكنّه أدرك أنّ التحكيم وثيقة سياسية صدرت من القائد الأعلى للدولة مفادها الوفاء لهم بعدم قتالهم وتأجيل ذلك إلى إشعار آخر، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

فلم يخالف القانون الذي يؤمن به وينطلق به في رؤيته السياسية، ولأنّ تداعيات الأحداث السياسية والاجتماعية ومدى تأثيرهما على سيولوجيا المجتمع جعلت من الإمام يتعامل مع الأحداث بواقعية مع ما يمتلكه من صعوبات حقيقية تجاه مجتمعه الذي كان يراهن على فشله وعدم قدرته على استيعاب مشروعه الذي أنفق عليه الغالي والنفيس، ويلخص بعض الباحثين في هذا الصدد أهم الآراء التي تدور

(١) ينظر: علي ومناوؤه: ٧٨.



حول السلام عند الإمام عليه السلام استنادًا إلى الوثيقة التي بعثها إلى مالك الاشر^(١):
 أوّلاً: الموافقة على السلام والصلح وعدم رفضه بشرط أن يكون فيه رضا الله سبحانه وتعالى فهذا الشرط الرئيسيّ.

ثانياً: أهمية قبول السلام والصلح تزداد بالمنافع التي يوفّرها هذا السلام من راحة للجيش والجنود والارتياح النفسيّ والاطمئنان للحاكم واستقرار الوضع الأمنيّ للبلد.

ثالثاً: الحذر الشديد من العدوّ بعد الصلح.

رابعاً: الوفاء بالمعاهدات وبنود السلام وعدم نكثها.

خامساً: عدم نكث ومكر وخذاع وخيانة العدو وإنّ احترام المعاهدات والمواثيق والعمل بها مشترك بين كلّ الناس ولا يختصّ بها المسلمون.

سادساً: يجب أن تكون المعاهدات ومعاهدات السلام صريحة وواضحة ودقيقة وإحكام بنود الصلح حتّى لا تؤوّل، والألفاظ يجب أن تكون معيّنة ومقطوع ما تعنيه.

سابعاً: عدم تأويل بنود وألفاظ الصلح والمعاهدات بالتأويلات الخفيّة لصالحك من جانبك.

ثامناً: عدم فسخ العقد والمعاهدة بغير حقّ بسبب أزمات الدولة.

الخاتمة:

ليس الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالشخصية التاريخية فحسب، إنّما هو أمير المؤمنين، أي إنّّه بالنسبة لنا الأسوة والقدوة والنموذج، نموذج للحكومة التي ينبغي

(١) ينظر: الإمام علي ومشكلة نظام الحكم: ١٢٢.



على حكامها وقادتها أن يقتدوا بسلوكه ومنهجه، وعلى الإسلاميين أن يتخذوا سلوك علي بن أبي طالب قدوة وأنموذجاً لهم، ويمكن تلخيص أهم النقاط التي برزت في سياسته بالآتي :

١. كانت حكومة الإمام تسير على نهج إسلامي خالص، أي إنها كانت تحقق للأمة أقصى قدر مستطاع في ظروفها السياسية والاقتصادية والعسكرية من الرفاهية والعدالة والأمن.

٢. جسّد الإمام (ع) مفهوم التسوية في العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الإسلامية من دون تمييز، وقضى على شرعية التفاوت الطبقي بما له من ذيول اقتصادية ودينية، وألغى كل أشكال التمييز في توزيع الأموال على الناس، مؤكداً على أن التقوى والسابقة في الإسلام أمور لا تمنح أصحابها امتيازات في الدنيا، ومن كان له فضل في الإسلام لأسبقيته فالله يتولّى جزاءه يوم القيامة، أمّا في هذه الدنيا فالناس سواسية في الحقوق والواجبات.

٣. السياسة المالية والإدارية التي اتبعتها الإمام علي (ع) كانت مصدر فرح للطبقة المستضعفة الفقيرة تحت أثقال من الظلم، وكانت أيضاً صفة لقريش ولغرورها وخيلائها واستعلائها على الناس، وكيف لها بعد اليوم أن تستعلي وتستبد، وتفرض على الناس في ظلّ الإسلام سلطانها عليهم في الجاهلية.

٤. نادى (ع) بأنّ المسلمين سواء في الحقوق والواجبات في الإسلام، وقد كانت هناك فروق حقوقية جاهلية قضى عليها الإسلام وأعيدت في عهد لاحق، فقريش ذات الماضي العريق في السيادة على القبائل العربية عادت في العهد السابق إلى إيمانها بتلك الفروق، فغداً أناس ليس لهم ماضٍ مشرف بالنسبة إلى الإسلام ونبية (صلى الله عليه وآله) يتعالون على أعظم المسلمين جهاداً وسابقة وبلاء لمجرد أنّهم قريشيون، هذه



الفروق المعنوية الجاهلية قضى عليها الإمام بحكمته وسياسته .

٥. كانت للإمام علي (ع) رؤية سياسية تنطلق من معرفة سياسية تجعل رأيه لا يجانب الصواب، وأن آفاقه المعرفية جعلته قادرًا على استيعاب مجمل القضايا التي كانت تمسّ الدولة على المستوى الخارجي والداخليّ.

المصادر

١. الاحتجاج، الشيخ أحمد بن علي الطبرسي، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠٢م.
٢. الاستراتيجية العسكرية عند الإمام علي (ع)، محمد البستاني، قم، ط ١، ١٩٩٢م.
٣. الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، دار الأندلس، ٢٠٠٨م.
٤. الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، د. محمد طي، مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، قم، ط ٣، ٢٠٠٥م.
٥. الإمامة والسياسة، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوريّ، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
٦. بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٦٩٥م.
٧. البيان والتبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).
٨. تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٨م .
٩. الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ١٩٩٣.
١٠. الحكومة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، الشيخ محمد جواد مغنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.
١١. خطب الإمام علي (ع)، صبحي الصالح، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م.



١٢. الدرّ النظيم في مناقب الأئمة (عليهم السلام)، جمال الدين يوسف بن حاتم الشاميّ، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، (د.ت).
١٣. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، الشيخ محمّد مهدي بن علي النراقيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٩٩٥م.
١٤. روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ١، ١٩٦٠م.
١٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٩٠٥م.
١٦. الشورى في الشريعة الإسلاميّة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.
١٧. عليّ ومناوؤه، د. نوري جعفر، مطبوعات النجاح، القاهرة، (د.ت).
١٨. مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، د. عبد الحميد متويّ، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ٤، ٢٠٠٨م.
١٩. منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) مركز الأبحاث العقائدية، دار مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم، (د.ت).
٢٠. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، الشيخ محمّد الريشهري، دار الحديث، قم، ٢٠٠٠م.
٢١. نفحات الولاية، آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، مدرسة الإمام علي (ع)، قم، (د.ت).
٢٢. نهج البلاغة، الشريف الرضي، مؤسّسة آية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعيّ، قم، (د.ت).

الأبعاد القرآنية الأخلاقية والإيقاعية

في حكم الإمام عليؑ

أ. م. د. تومان غازي حسين فتات الخفاجي

الملخص:

لا شك أن القيم الأخلاقية الإيجابية (الفضائل) هي أهم الأبعاد القرآنية التي من أجلها أرسل الأنبياء ﷺ؛ لأنها تُميّز الإنسان من الحيوان، إذ تعصمه من السلوك الحيواني الغريزي السهل، وتفتح بين يديه الخيارات السلوكية الصعبة، نحو الزهد في الدنيا وبذل المال لمن يستحقه والإحسان إلى المسيء إلى غير ذلك، وإذا تطلّع الاختيار الأخلاقي لرضا الله تعالى أولاً، فإنه يُحقّق له السعادة الدنيوية والأخروية، وهي أعظم قيمة ينشدها الإنسان الخير؛ لأن القيمة انتقلت من المجال المادي في الاقتصاد الكلاسيكي، وأصبحت تدلّ على لحظة مثالية نلحظها في شيء ما، بحيث تمضي إلى ما وراء إدراكنا التجريبي للوقائع. ويدرس علم الأخلاق الفضائل لكي نتبناها في سلوكنا، لنحافظ على كرامتنا، التي كرّمنا الله تعالى من دون مخلوقاته الأخرى.

والأخلاق نفسها إذا كانت سلبية (رذائل) فإنها تحطّ من قدر الإنسان إلى مستوى دون الحيوان؛ لأنّ الحيوان مُجبر على السلوك الغريزي، في حين يكون الإنسان مخيراً بين اتباع السلوك الخير أو الشرير، ولو اختار الشرّ بمحض إرادته، نحو: البخل، والجبن، والكذب، والعدوان، والغدر، والفسق إلى غير ذلك من رذائل، فإنه يُصبح دون الحيوان. ويدرس علم الأخلاق الرذائل لكي نتجنّبها وننفر منها.



وتُصَاغُ الْحِكْمُ شِعْرًا وَنَثْرًا، وَالْأَفْضَلُ أَنْ تُصَاغَ عَلَى مَنَوَالِ النَّثْرِ الْفَنِيِّ لِلتَّخْلُصِ مِنْ تَكْلُفِ الْوِزْنِ الشَّعْرِيِّ، لَكِنَّهَا تَحْتَفِظُ بِالْإِيْقَاعِ السَّجْعِيِّ الْعَاطِلِ، أَيِ غَيْرِ الْمُحَلِّي بِنِغْمِ الْفَوَاصِلِ؛ لِذَلِكَ يَتَقَدَّمُ الْمَضْمُونُ عَلَى الشَّكْلِ، لِيَخَاطَبَ الْحَكِيمُ الْعَقْلَ قَبْلَ الْعَاطِفَةِ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ، أَوْ السَّجْعِ الْمَحَلِّي بِنِغْمِ الْفَوَاصِلِ، لِمَخَاطَبَةِ الْعَقْلِ وَالْعَاطِفَةِ مَعًا، حَتَّى يَتَأَمَّلَ الْمُتَلَقِّي الْقِيَمَ الْجَمَالِيَّةَ فِيهَا فَيَنْعَكِسُ أَثْرُ التَّوَازَنِ وَالْإِنْسِجَامِ فِي الْحِكْمَةِ عَلَى النَّفْسِ، وَهَكَذَا صِيغَتْ حِكْمُ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْأَوَّلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)، إِذْ ضُمَّتِ الْحِكْمُ الَّتِي تَعَزَّزُ الْفَضَائِلَ جَمَالَ الْمَضْمُونِ وَجَمَالَ الشَّكْلِ، أَمَّا الَّتِي انْتَقَدَتِ الرِّذَائِلَ، فَيَأْتِيهَا تَقَدُّمُ جَمَالَ الشَّكْلِ مُتَعَارِضًا مَعَ الْمَضْمُونِ، بِمَا يُسَمَّى بِ(جَمَالَ الْقَبْحِ).

الكلمات المفتاحية: الأبعاد القرآنية، الأخلاق، حِكْمُ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع).

Abstract:

Undoubtedly, positive moral values (virtues) are the most significant Quranic dimensions for which the Prophets (PBUT) were sent. These virtues distinguish humans from animals by restraining instinctive behavior and offering challenging behavioral choices—such as asceticism, financial sacrifice for the deserving, and returning evil with kindness. When moral choices aim primarily for God's pleasure, they achieve both worldly and otherworldly happiness, the ultimate value for any virtuous person. The concept of "value" has evolved from the material realm of classical economics to signify an ideal moment perceived in things, transcending our empirical perception of facts. Ethics studies virtues so we may adopt them to preserve the dignity bestowed upon us by God.



Conversely, negative ethics (vices) degrade human status to a level below animals. While animals are bound by instinct, humans have the free will to choose between good and evil. Choosing vices—such as stinginess, cowardice, lying, aggression, treachery, or immorality—renders a person inferior to animals. Ethics studies these vices to encourage their avoidance and rejection.

Wisdom (Hikmah) is formulated in both poetry and prose, yet it is often best expressed through artistic prose to avoid the constraints of poetic meter. Such prose maintains a subtle rhythmic cadence (Saj'), prioritizing substance over form to address the intellect before the emotions. However, when rhythmic prose is used, it addresses both intellect and emotion simultaneously, allowing the recipient to contemplate aesthetic values, where balance and harmony reflect upon the soul. This is how the wisdom of Imam Ali (PBUH) was formulated; his sayings promoting virtues combine beauty of content with beauty of form, while those criticizing vices present a beauty of form that contrasts with the repulsive content, a concept known as the "Aesthetics of Deformity" (Jamal al-Qubh).

Keywords: Quranic Dimensions, Ethics, Wisdom of Imam Ali (PBUH).



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد.

فإن أهمية هذا الموضوع تعود إلى مفهوم القيم التي تميز الإنسان من الحيوان؛ لأن القيمة في مفهومها الحديث لحظة مثالية تتجاوز الجانب المادي نلاحظها في شيء ما، بحيث تمضي إلى وراء إدراكنا التجريبي للوقائع.

ولما كانت ملكات الإدراك البشري ثلاثاً هي: (العقل، والقلب، والحس)، فإنها تُدرك ثلاث قيم عليا عندما تعمل معاً وتتراسل فيما بينها، لكن في النهاية تتخصص كل ملكة إدراكية بإدراك قيمة من ثلاث، وأولها: قيمة الحق، ويُدركها العقل، ويدرسها علم المنطق، وثانيتها: قيمة الخير، ويُدركها القلب، ويدرسها علم الأخلاق، وثالثتها: قيمة الجمال، وتُدركها الحواس، عن طريق ملاحظة التوازن والانسجام في الأثر الجميل، حتى لو كان موضوعه قبيحاً؛ لذلك يدرس علم الجمال جمال الجميل وجمال القبيح أيضاً، وما يُحافظ على تلك القيم متماسكة إلا الدين، الذي يوجه القيم طلباً لرضا الله تعالى، وهو ما يكشف عن أهميته الدين في حياة المجتمعات والأفراد.

وصاغ الإمام علي (ع) حكمه التي تُعزز القيم الأخلاقية الإيجابية، بشكل جميل يطابق مضمونها الأخلاقي الخير، وإذا استوعبنا فيها قيم: الحق المبين، والخير الكثير، وجمال التعبير، أشرقت في نفوسنا أنوار الإمامة، التي تطهرنا من نوازع الشر، وتهدينا إلى سبيل الرشاد، عندما نعيش تجربة التوازن النفسي والانسجام المنعكس في نفوسنا من توازن تلك الحكم الجليلة وانسجامها الجمالي.

في حين صاغ الإمام (ع) حكمه التي تنقد الرذائل بأسلوب جميل أيضاً، ولكنه



يتعارض مع مضمونها القبيح، وهو ما عبّرنا عنه بجمال القبح، إذ يعمل جمال الشكل على زيادة تأملنا في صور الشرّ، فيزداد نفورنا منه، وكأننا اكتشفنا خداع مظهره الجميل، كالمرأة الكافرة الجميلة المنظر.

مشكلة البحث:

تكمن في سؤالين رئيسين، أولهما: هل أنّ حكم الإمام عليؑ تحدّث بلغة الكليّات النابعة من معرفته العميقة بأخلاق القرآن الكريم؟، التي يحقّق تطبيقها السعادة الأبدية، وابتعدت عن لغة المنافع الدنيوية الجزئية؟.

وثانيهما: هل كانت صياغة حكم الإمام عليؑ مؤثّرة في مخاطبة العقل قبل العاطفة أو مخاطبة الاثنين معاً؛ لأنّ العقل يسكن طويلاً عندما يتأمل حقائق التمثيل الصادق للطبيعة الإنسانية، أمّا العاطفة فتُسرّ بجمال الشكل الذي لا يستمرّ طويلاً؟. والجواب ب(نعم) يمثل الفرضية المقترحة لحلّ هذه المشكلة التي سنشتها في أثناء البحث.

الغاية من البحث:

أولاً: إثبات أنّ القيم الأخلاقية المتضمّنة في حكم الإمام عليؑ، كانت تصبو إلى تحقيق الخير الأسمى ونشره بين الناس، والخير الأسمى هو اسم الله تعالى في علم الأخلاق، وعليه يكون أهل البيتؑ - وأولهم أمير المؤمنينؑ - هم خلفاء الله الحقيقيين في الأرض، إذ كانت رسالتهم امتداداً لرسالة النبي ﷺ في الزمان والمكان. ولا بدّ أن يكون كلام خلفاء الله جميلاً وجليلاً؛ لهذا صاغ الإمامؑ حكمه بأسلوب جميل مؤثّر يعمل على توازن النفس وانسجامها المنعكس من التعبير المتوازن والمنسجم جماليّاً في الحكم التي تُعزّز الفضائل، أمّا التي قيلت لتنفير النفس من الرذائل، فجاء أسلوبها مُعبّراً عن مفارقة (جمال القبح)، الذي يتعارض فيه



جمال الشكل الفني مع مضمونه، حتى يخوض المتلقّي تجربة هذه المفارقة ليعرف الشرّ جيّدًا؛ لأنّ من لا يعرف الشرّ فهو خليق أن يقع فيه.

ثانيًا: الكشف عن الأبعاد القرآنية في حكم الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ لأنّه الإمام المعصوم الأوّل، الذي ورث من ابن عمّه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أخلاق القرآن الكريم وطبقها تطبيقًا مثاليًا، فهو إذن وارث علم الكتاب، ووارث حكم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقد حافظ على هذا الإرث حيًّا وزاد عليه، وكرّر بعضه؛ ليثبت صلاحيته لكلّ زمان ومكان.

ثالثًا: محاولة الإسهام في إضافة معرفة جديدة قدر المُستطاع في هذا المجال الأخلاقي الحيويّ الذي يشكّل مضمون الدّين، المُعزّز للشعائر والطقوس، وذلك يكشف عن أهمّ وظائف الدّين وهي المحافظة على القيم الثلاث العليا: الحقّ والخير والجمال.

أمّا المنهج المُتبّع في هذا البحث فهو المنهج التحليلي، والمنهج الجمالي الذي يُعيد تركيب ما حلّله المنهج الأوّل؛ لأنّ الجمال لا يُدرك عن طريق وصفه بمواد بنائه الأوّلية؛ لذلك ينبغي إعادة تركيب علاقاته التي تشكّل الصورة، فضلًا عن استعمال المنهج المقارن الذي يكشف عن أبعاد حكم الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) القرآنية.

الدراسات السابقة:

لم أعر على دراسة أكاديمية تعمّقت فيه، إذ كانت المصادر القديمة والمراجع الحديثة الخاصة بحياة الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، إمّا أن تسرد حكم الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سردًا من دون تحليل جمالي، أو أنّها تشرح بعض المفردات الغامضة الواردة فيها، أو تحلّلها تحليلًا بسيطًا، من دون الإشارة إلى جمال إيقاعها السجعي المنضبط بوحدّة العدّ (الكلمة)، وذلك هو إيقاع النثر الفني، الذي يتجنّب الوزن حتّى لا يتقدّم الشكل على المضمون، فيُصبح شعرًا، إذ يخاطب شكل الشعر العاطفة قبل العقل، وما يُراد من النثر الفني هو



مخاطبة العقل أوّلاً، أو العقل والعاطفة معاً، فتُصبح رياضيات الشكل الحرّة باباً للدخول إلى رحابة المضمون.

أمّا هيكلية البحث فاقترضت طبيعته أن يُقسّم على تمهيد تسبقه مقدّمة يليها مبحثان ينتهيان بخاتمة ذكرت فيها أهمّ النتائج، تليها قائمة بأسماء مصادر البحث ومراجعته. وقد أصّلت في التمهيد مفهوم الحكمة، والأخلاق ومقاييسها، ومفهوم الإيقاع السجعي وأنماطه. وأمّا المبحثان فخصّصت أوّلهما لدراسة القيم الأخلاقيّة والإيقاعيّة في حكم الإمام عليّ عليه السلام التي تُعزّز الفضائل، وثانيهما: لدراسة القيم الأخلاقيّة والإيقاعيّة في حكم الإمام عليّ عليه السلام التي تنقد الرذائل.

التمهيد:

أوّلاً: مفهوم الحكمة:

الحكمة لغةً مُشتقة من (الحكمة) بثلاث فتحات وكلتاها ترجع إلى أصل واحد، وهو: ((المنع، وأوّل ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسُميت حكمة الدابة؛ لأنّها تمنعها [من الأذى]، يُقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويُقال: حكمت السفينة وأحكمتها، إذا أخذت على يديه))^(١).

أمّا الحكمة في اصطلاح الفلاسفة فلها عدّة معانٍ:

- ١- أُطلق لفظ الحكمة عند اليونان على إحدى الفضائل الأصليّة، وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة، ثم أُطلق بعد ذلك على العلم مع العمل...
- ٢- الحكمة أيضاً: حالة يُوصف بها الحكيم، وهي القوّة العقلية متوسطة بين الجربرة والبلاهة (الجربرة: الخبث والخداع)، أو حالة تُوصف بها الأفعال

(١) مقاييس اللغة: ٩١/٢.



والأقوال، أو منفعة تترتب على الفعل من غير أن تكون باعثة عليه.

٣- والحكمة أيضًا: هي الكلام الذي يقلُّ لفظه ويحلُّ معناه، والجمع (حَكَم) كالأمثال وجوامع الكلم^(١).

والحكمة بوصفها علمًا تبحث في: ((حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي، والحكمة أيضًا: هي حياة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هذه القوة، والبلادة التي هي تفریطها))^(٢).

ثانيًا: مفهوم الأخلاق ومقاييسها:

١- مفهوم الأخلاق: الأخلاق لغة هي جمع: (الخُلُق) و((الخُلُق بالضمِّ وبضمّتين: السجّية، والطبع، والمروءة، والدين...، والخِلقة بالكسر: الفِطرة))^(٣). أمّا الأخلاق اصطلاحًا فهي: ((ملكة تصدر بها الأفعال من النفس من غير تقدُّم رويّة وفكر وتكلف... فغير الرّاسخ من صفات النفس لا يكون خُلُقًا، كغضب الحكيم، وكذلك الراسخ الذي تصدر عنه الأفعال بعُسْرٍ وتأمّل، كالبخيل إذا حاول الكرم))^(٤).

والأخلاق لفظة لها معنيان متضادّان؛ لذلك تُقسّم على قسمين^(٥).

أوّلهما: الأفعال الصادرة عن الإرادة الخيّرة، التي تدلّ على الأدب؛ لأنّ

(١) المعجم الفلسفي: ١/ ٤٩٢-٤٩٣.

(٢) التعريفات: ٧٤.

(٣) القاموس المحيط: ٣٩١.

(٤) المعجم الفلسفي: ١/ ٤٩.

(٥) م. ن: ١/ ٤٩.



الأدب لا يُطلق إلّا على المحمود من الأخلاق، فإذا قلت: أدب القاضي، أردت به ما ينبغي للقاضي أن يفعله. وقد ألفتُ كُتُبَ عربية في هذا المجال، منها كتاب (الأدب الكبير، والأدب الصغير) لابن المقفع (ت ١٤٢هـ)، و(أدب الدنيا والدين) للماوردي (ت ٤٥٠هـ) وغيرهما.

وثانيهما: الأفعال الصادرة عن الإرادة الشريرة، نحو البخل، والجبن، والتملُّق، والكذب إلى غير ذلك، التي تحطّ من قدر الإنسان إلى مستوى دون الحيوان؛ لأنّ سلوك الحيوان مدفوع بالغرائز، وليس لديه خيار أخلاقي غيره، خلافاً للإنسان المُخيَّر بين أفعال الغريزة وأفعال السمو الأخلاقي.

أمّا العلم الذي يدرس الأخلاق فيُسمّى بـ(علم الأخلاق)، أو علم السلوك، أو تهذيب الأخلاق، أو فلسفة الأخلاق، أو الحكمة العملية، وهو الذي يسعى إلى معرفة الفضائل وكيفية اقتنائها؛ لتزكو النّفس بها، فضلاً عن معرفة (ما ينبغي على الإنسان فعله) لبلوغ السعادة؛ لذلك تكلم الفلاسفة عن أبعاد الأخلاق النّفسية والاجتماعية ومنها: طبيعة الوجدان، والضمير، وطبيعة الخير والعدل، والواجب، والمحبة^(١). ويدرس أيضاً الرذائل لمعرفة حتى ننزه النّفس عنها.

ويمثّل الضمير البعد النفسي للأخلاق؛ لأننا نشعر به وكأنّه صوت ينبعث من أعماق صدورنا يأمرنا بأعمال الخير، وينهانا عن أفعال الشرّ من دون رجاءٍ مكافأةٍ أو خشية عقوبة، مثال ذلك نرى الفقير البائس الذي يجد مالاً وهو أشدّ ما يكون حاجةً إليه، ولم يكن رآه أحدٌ إلّا ربّه، ثمّ هو يتعفّف ويؤدّيه إلى صاحبه بدافع من ضميره^(٢).

(١) ينظر: كتاب الأخلاق: ٩.

(٢) ينظر: م. ن: ١٥.



وهذه الصورة المثالية للضمير عندما نطبّقها على أرض الواقع، فإنّها تُقسّم الناس على فئتين، أو لاهما: فئة تطبّق أعمال الخير، وثانيتها: تطبّق أعمال الشرّ، وهما مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

٢- مقياس الأخلاق:

أ- الله مقياس الأخلاق: (الله) عند الفلاسفة المسلمين وغيرهم من المؤمنين بوجوده، هو المقياس المُطلق للخير، ما يجعل المستوى الأخلاقي خارج طبيعة العقل البشري، ودليلهم على ذلك هو أنّ الخيريّة مردها إلى الله تعالى؛ لذلك قالوا: ((إنّ مقياس الأخلاقيّة لا يقوم في طبيعة الأفعال، بل في إرادة الله))^(١)، بدليل نفي الله الظلم عن نفسه، بقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١].

ب- كمال العقل البشري مقياس الأخلاق:

قال الماوردي: ((اعلم أنّ لكلّ فضيلة أَسًا، ولكلّ أدبٍ ينبوعًا، وأُسّ الفضائل هو العقل، الذي جعله الله سبحانه للدين أصلاً، وللدنيا عمادًا، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مُدبّرةً بأحكامه، وألّف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم، وجعل تعبدهم به قسمين، قسمًا: وجب بالعقل، فأكدّه الشرع، وقسمًا: جاز في العقل، فأوجبه الشرع، وكان العقل عليها عيارًا))^(٢).

ويقابل العقل الهوى أو إطلاق العنان للغرائز؛ لذلك تعبّر الثقافة الإسلامية عن الموقفين المتضادّين للسلوك الأخلاقي في باب: (فضل العقل وذمّ الهوى)^(٣)،

(١) أسس الفلسفة: ٣٥٧-٣٥٨.

(٢) أدب الدنيا والدين: ٤١.

(٣) ينظر: م. ن: ٤١.



إذ روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن لكل شيء دُعامة، ودُعامةُ عمل المرء عقله، فبقدر عقله تكون عبادته لربه، أما سمعتم إخبار الله تعالى عما قال الفاجر؟: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠])^(١).

ثالثاً: مفهوم الإيقاع السجعي وأنماطه:

١- مفهوم الإيقاع السجعي: الإيقاع السجعي هو إيقاع النثر الفني، الذي يمكن تعريفه بأنه تكرار للمزدوج المتضاد: (كلمة/ أو معنى + وقفة صمت قصيرة/ أو لا معنى)، فهو يضم (المعنى + اللا معنى)، أو: (التصويت + لا تصويت)، أو (سواد الكتابة + فجوة بياض). وأقله تكراران^(٢).

والإيقاع السجعي إيقاع معنى؛ لأن وحدات عدّه هي الكلمة وما يلحقها من زوائد صرفية سابقة وداخلية ولاحقة بجذر الكلمة المعجمية المجرد؛ لذلك تُعدّ: (ق) كلمة، بصيغة فعل الأمر من (وقى)، و﴿فستكفيهم﴾ [البقرة: ١٣٧] كلمة في ميزان الإيقاع السجعي للنثر الفني.

ويستمر تدفق هذا المزدوج المعنوي المتضاد في النثر الفني أفقياً حتى يتوقف عند عوامل بنائية دلالية ونحوية وصوتية بوقفة صمت كبيرة تُسمى بـ(الفواصل) التي تنظم القرائن عمودياً كما ينتظم الشعر عمودياً بالقوافي. و(القرينة) تقابل شطر البيت الشعري المُسجّع، أو المقفَى الشطرين، أو المُشطرَّ أشطرّاً داخلية في الشعر المُرصّع، وهو أن يكون حشو البيت مسجوعاً، وأصله من قولهم: رصعتُ العِقدَ، إذا فصّلتُهُ^(٣).

(١) بغية الباحث: ٨٤.

(٢) ينظر: علم عروض النثر الفني من القرآن الكريم: ١٢٨.

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين: ٣٤٥.



أما نغم فواصل القرائن في النثر الفني فهي إما محلاة بنغم كالقافية، ويُسمى الإيقاع حينئذٍ بـ(إيقاع السجع الحالي)، وقد تكون غير محلاة بنغم، ويُسمى حينئذٍ بـ(السجع العاطل)، وهو أسلوب ((أكثر الكتاب في زمن القاضي الفاضل (ت ٥٦٩هـ) وهلمَّ جرّاً إلى زماننا))^(١).

وبيّن أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) أهميّة تأخّر الشكل الفني للخطابة عن مضمونها باستعمال إيقاع النثر بدلا من وزن الشعر، بقوله: ((فأما شكل القول فينبغي أن لا يكون ذا وزن، ولا بدون إيقاع، فإنّه إن كان ذا وزن، فإنّه يفتقر إلى الإقناع؛ لأنّه يبدو مُتكلِّفاً، وفي نفس الوقت يصرف انتباه السامع، اذ يوجّهه إلى ترُقّب عودة سياق الوزن... وإذا كان بدون إيقاع، فإنّه يكون غير محدود لا يسرُّ ولا يمكن أن يُعرف، وكلّ الأشياء محدودة بالعدد، والعدد الخاص بشكل القول هو الإيقاع، والأوزان [البحور] أقسام من الإيقاع؛ ولهذا ينبغي أن يكون النثر ذا إيقاع، لا ذا وزن، وإلا لكان شعراً، كذلك ينبغي ألاّ يُلتزم هذا الإيقاع التزاماً دقيقاً، بل إلى حدّ ما فقط))^(٢).

أمّا الأثر الجمالي الذي يتركه إيقاع السجع في نفوسنا فيأتي من العلاقة بين الشيء الجميل والعقل الذي يُدرّكه، وإضافة الجمال إلى الشيء معناه أن دوافع في نفوسنا أضحت في حال توازن وانسجام عاطفيين، عندما تتأمّل توازن الشيء الجميل وانسجامه^(٣).

٢- أنماط الإيقاع السجعي ومعانيها^(٤): يقسّم إيقاع السجع على قسمين:

(١) صبح الأعشى: ٢/ ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) الخطابة: ١١١-١١٢.

(٣) ينظر: أسس الفلسفة: ٣٩٠-٣٩١.

(٤) ينظر: أسلوبية إيقاع القرآن الكريم: ٧٣١-٧٣٦.



أ- إيقاع النمط: ويتألف من ثلاثة أنماط:

أولها: النمط المتوازن: وهو النمط الذي اقتصر على دراسته البلاغة العربية حتى اليوم؛ لتأثرها بوزن الشعر الصارم المتساوي التفعيلات في أشطر القصيدة الواحدة. ومثاله قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٦] إيقاع الآيتين الأوليين هو (٢-٢)، وهو محلي الفاصلة بالعين، أما إيقاع الآيتين الأخيرين فهو: (٢-٢) أيضًا، ولكنه غير محلي بنغم الفاصلة، ولكنه محلي بأدنى نغم وهو تساوي الوزن الصرفي: (مفعولة)، وهذا يعني أن إيقاع السجع موجود حتى مع عدم وجود نغم الفاصلة؛ لذلك يكون إيقاع الآيات الأربع متوازنًا بالتساوي: (٢-٢-٢-٢)، مع ورود تلوين نغمي في الفواصل للتخلص من ملل تكرار إيقاع النغم أربع مرات مطابقًا لوحدات العد المتكررة أربع مرات.

وينبغي الالتفات إلى ما يُسمى بـ(العبارة الافتتاحية) التي لا تُحسب ضمن العدد الإيقاعي، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]، إذ تُعدّ (قُلْ أَعُوذُ) عبارة افتتاحية، وقد أُختزلت قبل الآية الأولى؛ لأن أصل الكلام: (قل أعوذ برب الناس * قل أعوذ بملك الناس * قل أعوذ بإله الناس)، فأختزلت كما يُختزل العدد (٢) قبل المتوالية العددية: (٢، ٤، ٦) بالآتي: $2 \times (1, 2, 3)$ ^(١).

كذلك جاءت الحكمة الآتية على النمط المتوازن بالتساوي، وقبلها عبارة افتتاحية، وبيانه إيقاعها في الجدول الآتي:

(١) ينظر: سيميائية إيقاع القرآن الكريم وفواصله: ٧٥-٧٦.



ت	القرينة	إيقاعها	النغم
-	الصدیقُ مَنْ	عبارة افتتاحية	xxx
.١	لم يتَّعْظْ عنكَ بخالف	٤	بخالف
.٢	ولم يعاملَكَ معاملةَ الحالف	٤	الحالف

قال ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) واصفاً إيقاع هذه الحكمة، وقد أخرج العبارة الافتتاحية من العدِّ الإيقاعي: ((فالأولى والثانية ههنا أربع لفظات أربع لفظات؛ لأنَّ الأولى: (لم يتَّعْظْ عنكَ بخالف)، والثانية (ولم يعاملَكَ مُعاملةَ حالف))^(١).

ويُعبَّرُ الإيقاع الموزون عن معنى الثوابت القانونية والنظام المُستقر غير الانفعالي الذي يوازن بين خطاب العقل والعاطفة، ويكسر النمط عند الانتقال من موضوع إلى آخر، أو الانتقال من موقف إلى آخر في الموضوع الواحد، عن طريق تغيير تساوي وحدات عدِّ النمط الموزون قلةً أو زيادةً.

ثانيها: النمط الإيقاعي الصاعد: وهو الذي يتزايد فيه عدد كلمات القرائن باطراد، نحو قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ* مَا الْقَارِعَةُ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ* يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ*﴾ [القارعة: ١-٤]. نلاحظ إيقاع الآيات الكريمة صاعداً وهو: (١-٢-٤-٥).

وهذا النمط لا يستمرُّ صاعداً إلى الأبد بل يُكسر نازلاً، أو متوازناً، وربما عمل على تنزيل إيقاع الآية التي قبله بفصل عبارة افتتاحية منها، إذ جاءت الآية التالية: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ*﴾ [القارعة: ٥] بإيقاع (٤) كاسرة النمط الصاعد بالنقصان، الذي يُنقص الآية السابقة لها بكلمة وهي كلمة: (يوم) ليُصبح إيقاع الآية

(١) المثل السائر: ١/ ٢٣٤.



الرابعة والخامسة إيقاعاً متساوياً: (٤-٤)؛ لأن كلمة (يوم) تعدّ عبارة افتتاحية لما يليها من قرائن، فهي مُكررة في أصل الكلام وتقديره: (يومٌ يكون الناسُ كالفراش المبتوث، ويوم تكون الجبال كالعهن المنفوش)، وقد أُختزلت كلمة (يوم) قبل الآيتين كما يُختزل العامل المشترك في الحساب.

ويُعبرُ هذا النمط الصاعد عن المواقف الدرامية التي تتصاعد فيها الأحداث مولدة أثراً نفسياً يُشعر بارتقاء الأزمة التي تتطلّب حلاً سريعاً. ولو حولنا الإيقاع الصاعد إلى خطّ هندسيّ لندرکه بصرياً، فإنّه يُوحى بالحركة والانتقال وعدم الاستقرار الذي يحتاج إلى دُعامة تسنده^(١).

ثالثها: النمط الإيقاعي النازل: وهو خلاف النمط الإيقاعي الصاعد، ويُعبرُ عن مواقف تخصيص العام، أو تلخيص الأحداث الدرامية، وبيان تخصيص العام قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً* فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴿[البينة: ١-٣].

فإيقاع الآيات الكريّمات الثلاث هو: (١٢-٦-٣)؛ لأن الآية الأولى قد أوضحت موقف الكفّار من الفريقين: أهل الكتاب وعبدة الأصنام بأنهم كانوا يقولون قبل البعثة النبويّة: ((لا ننفكُ ممّا نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يُبعث النبيّ الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل... فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه))^(٢)؛ لذلك جاءت الآية الأولى أشبه بفصل المسرحيّة الأوّل الذي يكون بطيئاً بسبب تقديم الشخصيات وتعريف مواقفها للمتلقي والتنويه إلى الموضوع بطريقة غير مباشرة، ثمّ بينت الآية الثانية من هو المقصود بـ(البينة)، فقالت: ﴿رَسُولٌ

(١) ينظر: محاضرات المرحلة الثالثة، مادة أسس التصميم: ٤.

(٢) الكشاف: ٤/٧٨٨.



مَنْ اللَّهُ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿١﴾، ثُمَّ بَيَّنَّتِ الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ قِيَمَةَ مَا مَكْتُوبٌ فِي الصُّحُفِ الْمُطَهَّرَةِ بِإِجَازٍ شَدِيدٍ: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ ﴿٢﴾، فَحَصَلَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَحْصِيصُ الْعَامِ.

ب- إيقاع كسر النمط: ويُسمَّى أيضًا بـ(إيقاع اللا توقُّع)، ويُعبَّرُ عن المعاني الانفعالية ويُحاطَبُ عاطفة المتلقِّي لتتنبَّه إلى وجود أمر غير منطقي أو غير قانوني بالقياس إلى القرائن الموزونة بنمط التساوي. ولَمَّا كَانَ النثر الفني حُرًّا نَسْبِيًّا بِحَسَبِ مَا قَرَّرَهُ أَرِسْطُو سَابِقًا، فَإِنَّ النَّمْطَ يُكْسَرُ مُوَافَقًا لِتَغْيِيرِ الْمَوْضُوعِ أَوْ تَغْيِيرِ الْمَوْقِفِ إِذَا كَانَ الْمَوْضُوعُ وَاحِدًا فِي النُّصُوصِ الْبَلِيغَةِ أَوْ الْمُعْجِزَةِ.

وتحتاج معظم حالات كسر النمط إلى عبارة افتتاحية لا تُحسب كلماتها ضمن إيقاع القرائن؛ لِأَنَّهَا تَعْبَّرُ عَنِ ((الانتقال من فكرة إلى أخرى، أو الانتقال من موضوع إلى آخر، وهي بمنزلة المطع الجديد الذي يؤدي إلى بداية وحدة سجعية جديدة بصورة آليّة))^(١).

(١) علم عروض النثر الفني من القرآن الكريم: ١٢٢.



المبحث الأول: الأبعاد القرآنية الأخلاقية والإيقاعية في حكم الإمام عليؑ التي تُعزز الفضائل الحكمة الأولى:

قال الإمام عليؑ: ((مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعًا: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ القَبُولَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الاستِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ المَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ))^(١).

تصوّر هذه الحكمة الجليلة العلاقة التبادلية بين الخالق المُعطي والمخلوق الآخذ، فالخالق أعطى وسائل الرحمة الواسعة للمخلوق، وهي أربع عطايا: (الدُّعاء، والتوبة، والاستغفار، والشُّكر) ليتغلب على ضعفه، وما عليه إلا أن يستثمرها لإصلاح نفسه ودينه.

هذه العطايا الإلهية من المُمكنات، ولكنها تكتسب قيمة الحق في محيط المُعتقد^(٢)؛ لذلك يمكن أن تُقدّم النصوص القرآنية البراهين القطعية على صدق تلك القضايا، وهو ما فعله الإمامؑ بقوله الذي يوضح الأبعاد القرآنية البرهانية لحكمته الجليلة: ((وتصديق ذلك في كتاب الله، قال الله عز وجل في الدعاء: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال في الاستغفار: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وقال في الشُّكر: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال في التوبة: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧])^(٣).

(١) نهج البلاغة: ٧٠٨.

(٢) ينظر: في سبيل منطوق للمعنى: ١٧٧ وما بعدها.

(٣) نهج البلاغة: ٤٠٨-٧٠٩.



والملاحظ أن شكل الحجاج البرهاني السابق - وإن كان مُحدِّدًا بوحدات العدّ وهي الكلمات-، إلا أنه لا يتقيّد بنمط إيقاعي مُعيّن؛ لأنّ الحجاج البرهاني يخاطب العقل من دون العاطفة، والعقل يبحث عن القيم المنطقيّة للمعنى، والغرض هو إقناع المتلقّي باستعمال حقائق الوحي الإلهي، بخلاف إيقاع الحكمة الجليلة الذي جاء موقعًا بالنمط المتوازن بالتساوي في جميع القرائن، لمخاطبة العقل قبل العاطفة ليُطيل التأمّل في جمال الشكل المُنظّم بوحدات العدّ، وبيان ذلك في الجدول الآتي:

ت	القرينة	عدد الكلمات	النغم
١.	مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا	٦	أربعًا
٢.	مَنْ أُعْطِيَ الدَّعَاءَ لَمْ يُحْرَمَ الإِجَابَةَ	٦	الإجابة
٣.	وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمَ الْقَبُولَ	٦	القبول
٤.	وَمَنْ أُعْطِيَ الاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمَ الْمَغْفِرَةَ	٦	المغفرة
٥.	وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمَ الزِّيَادَةَ	٦	الزيادة

يُشكّل إيقاع هذه الحكمة الجليلة نمطًا متوازنًا بالتساوي: (٦-٦-٦-٦-٦)، ويظهر في الرسم البياني على شكل خطّ مستقيم، يوحى بالامتداد اللانهائي الذي يولّد إحساسًا بالاستقرار والثبات^(١)، ويُستعمل لصياغة القوانين الكلية التي تحكم السلوك البشري المنضبط بشروط الوحي في إطار الحقّ المُعتقد، ولاسيما أنّ نغم فواصل قرائن هذه الحكمة جاء عاطلا لتعزيز قيمة المضمون، الذي لم يُشر إيقاعه العاطل الفواصل إلى الأشياء فحسب، وإنّما جعل الحكمة تشير إلى نفسها أيضًا؛ لذلك أصبحت مثيرة لحبّ الاطلاع والإعجاب بشكلها ومضمونها الأخلاقي، وهو ما يُطيل التأمّل فيها كما يتأمّل المرء حجرا كريما لا يُقدّر بثمن^(٢).

(١) ينظر: المدخل في علم الجمال: ٣٣.

(٢) ينظر: بحث في علم الجمال: ٢٨٦.

الحكمة الثانية:

قال الإمام عليؑ: ((اللَّهُ لَعَنَ عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَا ضِيءٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ... وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا، وَسَمِيئُهَا غَثًّا، فِي مَوْقِفِ صَنْكَ الْمَقَامِ، وَأُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ عِظَامٍ، وَنَارٌ شَدِيدٌ كَلْبُهَا، عَالٍ لَجِبُهَا، سَاطِعٌ لَهَبُهَا... حَامِيَةٌ قُدُورُهَا، فَظِيعةٌ أُمُورُهَا. ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَرُحِزُوا عَنِ النَّارِ، وَأَطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارُ))^(١).

تُفَرِّدُ بداية هذه الحكمة من عاقبة الكفر، أما نهايتها فترغب النفس في التقوى، وهي التي تهمننا؛ لأنهما من جنس التي تعزز هذه الفضيلة الدينية، وقد فصل الإمامؑ بين رذيلة الكفران وفضيلة الإيمان بالآية القرآنية التي فسرها عن طريق بيان أحوال المتقين بعد صدور الحكم الإلهي بحقهم وقيام ملائكة الرحمة بتنفيذه. وقد قسم الإمامؑ حكمته الجليلة بحق المتقين على قسمين، وصاغها بإيقاع سجعي يظهر تفصيله في الجدول الآتي:

المقطع	القرينة	القرينة	عدد الكلمات	النغم
		قد	عبارة افتتاحية	
الأول	١.	أَمِنَ الْعَذَابُ	٢	العذاب
	٢.	وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ	٢	العتاب
الثاني	١.	وَرُحِزُوا عَنِ النَّارِ	٣	النار
	٢.	وَأَطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ	٣	الدار
	٣.	وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارُ	٣	القرار



(قد) عبارة افتتاحية لا تُحسب ضمن إيقاع قريتي القسم الأول؛ لأنها مُكررة وقد أُختزلت في البداية، بدليل أن أصل الكلام: (قد أَمِنَ الْعَذَابُ)، (وقد انْقَطَعَ الْعِتَابُ)، (وقد وَرَّحِزُوا عَنِ النَّارِ)... الخ، وأُخرجت (قد) كعامل مشترك، لغرض توليد إيقاع سجعِي متوازن بالتساوي: (٢-٢)، ثم يُكسر بإيقاع صاعد متوازن أيضاً في قرائن القسم الثاني الثلاث: (٣-٣-٣)، ليعبرَ قسماً هذه الحكمة الجليلة عن قانون موقف العدل الإلهي، أو قدريته التي تُتخذ فيها قرارات أخلاقية صادقة أبداً^(١).

وكلا القسمين يؤلّف خطأً مستقيماً، لكنَّ خطَّ القسم الثاني أطول؛ لأنّه يمثّل علاقة العطاء والأخذ، عطاء الله تعالى وهو: الزحزحة عن النار، وعطاء الاطمئنان بالدار، أمّا الأخذ فيظهر في رضوان المثوى والقرار. والخطَّ المستقيم يُوحى بدوام الاستقرار والثبات^(٢)، وهو يُعزّز دلالة هذا المقطع المعجمية، عن طريق عمل مستويات بنائية عدّة باتجاه واحد لتكوين الأشكال الفنية القويّة^(٣).

وجاءت قرائن القسمين منغمّة الفواصل، القسم الأوّل منغم بروي الباء، أمّا روي قرائن القسم الثاني فهو حرف (راء)، وكلّ الفواصل يسبقها حرف التأسيس (الألف)^(٤) لزيادة لذة النغم، لغرض مخاطبة العقل والعاطفة معاً، وكأنَّ الحكمة تقول لنا: بادروا إلى تجربة التقوى التي تروّض النفس وتربّيها على أفضل السلوكيات قبل أن تفكروا فيها.

ونحن عندما نتحدّث عن الشكل الرياضي لإيقاع السجع، فإننا لا نعني فصله

(١) ينظر: الموسوعة الفلسفية: ٥١١.

(٢) ينظر: المدخل إلى علم الجمال: ٣٣.

(٣) ينظر: بنية اللغة الشعرية: ٧٠.

(٤) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية: ٢٤٦.



عن الفكرة أو المضمون؛ لأنّ الشكل الإيقاعي المُجرّد وحده لا يُنتج شيئاً فنياً من دون المضمون؛ لذلك وُصفا بأنّهما كالجسد والروح، اللذين يُؤلّفان كلاً لا يتجزأ، ولا قيمة لأحدهما من دون الآخر^(١).

الحكمة الثالثة:

قال الإمام عليّ عليه السلام وقد رجع من صفين، فأشرف على القبور بظاهر الكوفة: ((يا أهل الديارِ الموحّشة، والمحالّ المُقفرّة، والقُبورِ المُظلمة. يا أهل التّربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحّدة، يا أهل الوحّشة، أنتم لنا فرطٌ سابق، ونحن لكم تبعٌ لاحق. أمّا الدُّورُ فقد سُكنت، وأمّا الأزواجُ فقد نُكحت، وأمّا الأموالُ فقد قُسمت. هذا خبرٌ ما عندنا، فما خبرٌ ما عندكم؟ ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أمّا لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خيرَ الزادِ التّقوى))^(٢).

الفرطُ على الماءِ كالرائدِ في الكلاء^(٣). وفي الحديث: ((أنا فرطكم على الحوض))^(٤)، بمعنى سابقكم إليه لأصلح لكم أمور الاستقاء، كذلك الموتى المخاطبون في كلام الإمام عليه السلام سابقون لإصلاح أمور اللاحقين وهم المتكلم عليه السلام وأصحابه، عن طريق تدبّر الأحياء لتركات الأموات الماديّة: (الدُّور، والنساء، والأموال)؛ لذلك تُختتم هذه الحوارية^(٥) التي تتصارع فيها القيم الدنيويّة الماديّة غير

(١) ينظر: بحث في علم الجمال: ٣٠١.

(٢) نهج البلاغة: ٧٥٠-٧٠٦.

(٣) ينظر: أساس البلاغة: ٤٧٠، مادة (فرط).

(٤) صحيح مسلم، حديث (٢٢٨٩).

(٥) ينظر: يقوم الحوار على (تقوية أو إضعاف أو كشف التعاطف بين الشخصيات، ويقوم بتوزيع وجهات النظر بالانتقال من موضوعية الراوي إلى الذاتية الشخصية، من المعرفة إلى الشعور. وهذا يخلق الاحتكاك بين اصوات الشخصيات وبين الكلام). معجم مصطلحات نقد الرواية: ٨٢.



القابلة للادّخار للأخرة مع القيمة الكبرى القابلة للادّخار لحياة ما بعد الموت، وهي التي تُسمّى بـ(زاد التقوى)، الذي يمثل حلاً لعقدة الصراع. وأمّا البعد القرآني لهذه الحكمة الجليلة فيظهر في قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ): ((إِنَّ معناه: تزودوا من الأعمال الصالحة، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ من الأعمال الصالحة، وذكر ذلك في أثناء أفعال الحج؛ لأنّه أحقّ شيء بالاستكثار من أعمال البرّ فيه، (واتقوا) فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه)^(١).
أمّا القيم الجماليّة في الإيقاع السجعي فتظهر جليّة في تقسيم الإمام (ع) لهذه الحكمة الجليلة على ستة أقسام، تظهر تفصيلاتها في الجدول الآتي:

المقطع	القرينة	القرينة	عدد الكلمات	النغم
الأوّل	-	يَا أَهْلَ	عبارة افتتاحية	××
	١.	الدِّيَارِ الْمُوَحِّشَةِ	٢	المُوحِشَةِ
	٢.	وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ	٢	المُقْفِرَةِ
الثاني	٣.	وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ	٢	المُظْلِمَةِ
	١.	يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ	٣	الْغُرْبَةِ
	٢.	يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ	٣	الْوَحْدَةِ
الثالث	٣.	يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ	٣	الْوَحْشَةِ
	١.	أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ	٤	سابق
	٢.	وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لِأَحَقِّ	٤	لاحق



المقطع	القرينة	القرينة	عدد الكلمات	النغم
الرابع	١.	أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سَكِنَتْ	٤	سُكِنَتْ
	٢.	وَأَمَّا الأزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ	٤	نُكِحَتْ
	٣.	وَأَمَّا الأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ	٤	قُسِمَتْ
الخامس	١.	هَذَا خَبْرٌ مَا عِنْدَنَا	٤	عندنا
	٢.	فَمَا خَبْرٌ مَا عِنْدَكُمْ؟	٤	عنكم
السادس	١.	أَمَّا لَوْ أذِنَ لَهُمْ فِي الكَلَامِ لِأَخْبِرُوكُمْ	٧	أخبروكم
	٢.	أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى	٤	التقوى

نلاحظ أن عبارة (يا أهل...) عبارة افتتاحية لا تُحسب ضمن وحدات العدّ الإيقاعية في قرائن القسم الأول للحكمة؛ لأنها أُخرجت خارج قوس كما يُخرج العامل المشترك من المتوالية العددية^(١)، وهذا يعني أن أصل الكلام في القسم الأول من الحكمة هو: (يا أهل الديار الموحشة)، و(يا أهل المحال المفقرة)، و(يا أهل القبور المظلمة).

ويفيد إخراج العبارة الافتتاحية المشتركة في إنشاء إيقاع ثنائي متوازن للقسم الأول: (٢-٢-٢)؛ ليحقق مع إيقاع قرائن القسم الثاني والثالث إيقاعاً صاعداً: إلى: (٣-٣-٣)، و(٤-٤)؛ للتعبير عن المواقف الدرامية المتصاعدة الأحداث مولدة أثراً نفسياً يُشعر بتصاعد أزمة الصراع، والخط البياني الهندسي الصاعد لإيقاع الأقسام الثلاثة يُوحى بالحركة والانتقال باتجاه عدم الاستقرار؛ لذلك يحتاج إلى

(١) ينظر: سيميائية إيقاع القرآن الكريم وفواصله: ٧٥-٧٦.



دعامة تسنده، والدعامة هي حكمة الآية الكريمة المقتبسة في القسم السادس^(١).
ثم جاء القسم الرابع والخامس متوازنًا بالتساوي مع إيقاع القسم الثالث:
(٤-٤)، و(٤-٤-٤)، و(٤-٤) مشكلاً خطأً مستقيماً يُوحى بالامتداد اللانهايي الذي يوُلِّد إحساسًا بالاستقرار والثبات^(٢) للمُضِي السريع إلى خاتمة الحكمة الذي يرتقي إيقاعاً بسرعة كبيرة إلى: (٧) وحدات عدّ كاسرة للنمط المتوازن الإيقاع بالتساوي، وذلك بقوله (ع): (أَمَّا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لِأَخْبَرُواكُمْ)، ثم ينكسر هذا الصعود المفاجئ فينزل إلى (٤) وحدات عدّ في القرينة الأخيرة، ما يوُلِّد خطأً هندسياً متعرجاً يعبر عن ذروة الانفعال في الصراع، ثم حصل تلخيص للموقف الدرامي كله وإيجازه باقتباس آية كريمة مقولة على لسان حال الموتى، وقد تبدلت فيها (إن) المؤكدة ب(أن) التوكيدية المصدرية المفتوحة الهمزة التي تفيد التوكيد وتعلق ما بعدها بما قبلها^(٣)، ليُصبح تقدير الكلام: (لأخبروكم بخير الزاد التقوى / أو هو التقوى).

وقد حقّق الإيقاع الدرامي إحساساً بالجمال يخاطب العقل والعاطفة معاً، إذ لا يمكن الفصل بين الإحساس المنطقي والجمالي؛ لأنّ الإحساس بالجمال وتلقّي المعرفة الجمالية أمران مرتبطان بالإنسان، والإنسان مخلوق مميّز بالمنطق العقلي والعاطفة^(٤).

إنّ استنطاق الموتى يشبه حُلماً يكشف عن الوجوه الشاحبة في الظلام، التي لا حول لها ولا قوّة، لكنّ التعبير الإنساني الواعي عنها رسم لنا لوحة اتّخذت شكلاً

(١) ينظر: محاضرات المرحلة الثالثة، مادة أسس التصميم: ٤.

(٢) ينظر: المدخل في علم الجمال: ٣٣.

(٣) ينظر: ظاهرة التوكيد في النحو العربي: ١٢٠-١٢١.

(٤) ينظر: علم الجمال: ٧.



فنيًا يُظهر ضوءًا ساطعًا جديدًا يفتح عالم الأرواح بين أيدينا لتُدرك الحقائق الإنسانية المصيرية إدراكًا جماليًا، يرمي إلى الإمتاع والإقناع^(١).

الحكمة الرابعة:

قال الإمام عليؑ: ((المصيبة واحدة، وإن جزعت صارت اثنتين))^(٢).

يظهر البعد القرآني الأخلاقي لهذه الحكمة الجلييلة في ثواب الصبر على المصائب، الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بَشِيءٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وأصل الصبر هو الحبس^(٣)، أي: ((حبس النفس لمصادفة المكروه، وصبر الرجل: حبس نفسه عن إظهار الجزع، والجزع: إظهار ما يلحق المصاب من الممض والغم))^(٤)، بمعنى أن الصبر والجزع من الأضداد؛ لذلك إذا كان الأول يُعدّ من الفضائل، فإن الثاني يُعدّ من الرذائل؛ لأنه يُعبّر عن احتجاج الإنسان على قضاء الله تعالى وقدره، الذي هو من أهمّ شعب الإيمان، قال رسول الله ﷺ: ((لا يُؤمنُ عبدٌ حتّى يُؤمنَ بالقدرِ خيرِه وشرِّه، حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطاه لم يكن ليصيبه))^(٥).

ومعنى: (لا يُؤمن) أي: لا يكتمل إيمانه، ثم بين النبي ﷺ خسارة الجازع

(١) ينظر: بحث في علم الجمال: ٤٥-٤٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦٢، حكمة (٥٦٢٣).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١/٤٥٣.

(٤) الفروق اللغوية: ٢٢٧.

(٥) سنن الترمذي، حديث (٢١٤٤)، ومختصر الأحكام، مستخرج الطوسي على جامع الترمذي: ٧/٩٧.



العظيمة، عن طريق تفصيل خسارة الأجر، وهي خسارة: صلوات الله عليه، وخسارة رحمته، فضلاً عن خسارة الهدى؛ لأنَّ المصائب ضرب من الامتحان الإلهي للعباد، فإذا نجحوا فيه بالصبر عليها فازوا فوزاً كبيراً، وإذا جزعوا خسروا خسراً عظيماً.

وبيّن أئمة أهل البيت عليهم السلام مراتب الجزع أو أنواعه، إذ بيّن الإمام علي عليه السلام أوّل مظاهر سلوك الجزع بقوله: ((مَنْ ضَرَبَ عَلَى فِخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ فَقَدْ أَحْبَطَ أَجْرَهُ))^(١). وقال أيضاً: ((يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فِخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ))^(٢).

جعل الإمام عليه السلام الصبر رحمة إلهية، بدليل الفعل: (ينزل) كناية عن مصدره السماوي، ليُصبح الإنسان مُحَيَّرًا بين سلوك رذيلة الجزع وفضيلة الصبر على المصائب، في حين بيّن الإمام الباقر عليه السلام أشدَّ أنواع الجزع بقوله: ((أشدُّ الجزع الصراخ بالويل والعيول، ولطم الوجه والصدر، وجرُّ الشعر، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر، وأخذ في غير طريقه))^(٣).

أمّا جماليّة إيقاع حكمة الإمام عليه السلام هذه فتكمن في مجيئها على وفق إيقاع السجع المتوازن بالتساوي العاطل: (٢ - ٢)، دلالة على أن كمال ربح الصابر يساوي كمال خسارة الجازع. والجدول الآتي يوضح هذا الإيقاع:

(١) غرر الحِكْم ودرر الكلم: ٢٦٢.

(٢) نهج البلاغة: ٧٠٩.

(٣) بحار الأنوار: ٤٢ / ٨٣، وميزان الحكمة: ٣٨١ / ١.



ت	القرينة	عدد الكلمات	النغم
-	المُصيبةُ	عبارة افتتاحية	××
.١	للصابر واحدة	٢	واحدة
.٢	وللجازع اثنتان	٢	اثنتان

والعبارة الافتتاحية لا تُحسب ضمن إيقاع القرينتين؛ لأنَّ أصل الكلام هو: (المصيبة للصابر واحدة، والمصيبة للجازع اثنتان)، وأختزلت لتحقيق التوازن العددي في شكل الحكمة، الذي يرمي إلى نقل تجربة الإمام ﷺ إلى المُتلقين لإثراء تجربة الصبر وإثارة المشاعر المُعبِّرة عن الثوابت القانونية لفن صناعة الحِكم^(١)، التي أعطت شكلاً جديداً للمفجوع بالمصيبة، حتَّى دعت كائنات إلى الوجود ما كان لها أن تُوجد من دون مُوجدها ﷺ، المتَّصف بكمال إحساسه الجمالي والأخلاقي^(٢).

المبحث الثاني: الأبعاد القرآنية في حكم الإمام ﷺ التي تنتقد الرذائل الحكمة الأولى:

قال الإمام عليؑ: ((إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَأَبْنُوا لِلْحَرَابِ))^(٣).

الملك مخلوق عاقل خيّر محض، ولا يرتقي إلى خيريته إلا الأنبياء والأئمة المعصومين ومن تابعهم من المُتقين ومن اهتدى بهديهم. ووظيفة هؤلاء الأخلاقية وعظ الناس بالمواعظ الحسنة ليتهدوا إلى الصراط المستقيم، وقد استعان الإمام ﷺ بهذا المَلَك بدلا من نفسه ليُجرّد موعظته من المصالح الشخصية التي قد يُلحِقها بعض المتلقين بالإنسان الصالح الداعي إلى الزهد في الدنيا والتطّلع إلى الآخرة.

(١) ينظر: المدخل إلى فن الجمال: ١٢.

(٢) ينظر: بحث في علم الجمال: ٢١.

(٣) نهج البلاغة: ٧٠٨.



ولهذه المواعظ الثلاث أبعاداً قرآنية تظهر في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤].

المآب المرجع، وحسن المآب عند الله تعالى يكشف عن قبح مآب متاع الحياة الدنيا، الذي فسره القرطبي بأنه: «ما يُتَمَتَّعُ بِهِ ثُمَّ يَذْهَبُ وَلَا يَبْقَى... ومعنى الآية تقليل من الدنيا وتحقيرها والترغيب في حُسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة»^(١).

وتناولت حكمة الإمام ثلاث مواعظ مصوغة بإيقاع يكشف عن جمال القبح، وهو الذي يتعارض شكله الجميل مع مضمونه القبيح، نحو وصف عنتره للذباب^(٢)، وتظهر هذه الصياغة في الجدول الآتي:

ت	القرينة	عدد الكلمات	النغم
	إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ	عبارة افتتاحية	××
١.	لِدُوا لِلْمَوْتِ	٣	للموت
٢.	وَاجْعُوا لِلْفَنَاءِ	٣	للفناء
٣.	وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ	٣	للخراب

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢ / ٤٧٠.

(٢) قال عنتره:

فَتَرَى الذُّبَابَ يُعَنَّي وَحُدَّهُ هَزَجًا كِفْعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرْتِمِ
غَرْدًا يَسُنُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمُكِبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

ديوان عنتره: ١٩٧-١٩٨. ومعنى البيت الثاني: أنه شبه الذباب حين وقع في هذه الروضة، فحكَّ إحدى ذراعيه بالأخرى برجل مقطوع الكفَّين يوري زنادا، فهو يمدُّه بين ذراعيه إذ لم يكن له كفَّان يمسكه بينهما، فقال ابن قتيبة: ((ذلك مما سبق إليه ولم ينازعه فيه أحد)). الشعر والشعراء: ١ / ٢٥٩.



نلاحظ توازن قرائن الحكمة الجليلة بإيقاع متوازن بالتساوي: (٣-٣-٣)، الذي يكون خطأً مستقيماً يُوحى باستقرار الحياة الماديّة وثباتها من دون تدبّر عواقبها، ويعني توازن القرائن الثلاث أنّ مفاصد البناء المادي الشخصي، وحبّ جمع الأموال، والتشبث بالحياة من دون التفكير في الموت يساوي بعضها بعضاً بالتمام والكمال، وكأتمها ميزان يكشف عن جمال القبح عن طريق إطالة التأمل فيه لتنفّر النفس من مضامين تلك القرائن المتعارضة مع شكلها الفنّي، ما يؤديّ إلى الميل إلى أضعافها، التي تتخلّص بالتطهير من القيم الدنيويّة الماديّة الشخصيّة للبناء والمال والحياة وتُدرك قيمها المثاليّة؛ لأنّ القيمة مفهوم انتقل في الفلسفة الحديثة من الإشارة إلى الجانب الماديّ في الاقتصاد الكلاسيكي، وصارت تدلّ: ((على لحظة مثاليّة نلاحظها في شيء ما، بحيث تمضي إلى ما وراء إدراكنا التجريبي للوقائع))^(١).

وتُدرك القيم المثاليّة عن طريق (القلب)، الذي أثبت الطب الحديث أنّ له حُجّاً سُمّي بـ(مخ القلب الصغير)^(٢)، الذي قد يَعْمَى، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ومعنى عَمِيَ القلب: عدم إدراكها القيم العليّة: الحقّ والخير والجمال، قال الرازي (ت ٦٠٦ هـ): ((يُقَالُ: ما أعماه! إنّما يُراد به ما أعمى قلبه!؛ لأنّ ذلك يُنسب إليه الكثير الضلال، ولا يُقال في عَمَى العيون))^(٣).

(١) الفلسفة الألمانية الحديثة: ٦٥.

(٢) أثبت علم الطب الحديث عام ١٩٩١م أنّ للقلب جهازاً عصبيّاً أطلق عليه: (مخ القلب الصغير)، ويتألّف من مجموعة مُعقّدة من الخلايا العصبية التي قُدّرت بـ (٤٠,٠٠٠) خلية، موجودة أعلى الأذنين الأيمن، وهي مستقلة عن الدماغ على الرغم من تواصلها معه كيميائياً وكهرومغناطيسياً وفيزيائياً عن طريق ضغط الدم، وهي التي تُبقي القلب حيّاً بعد فصله عن الجسد مدّة أربع ساعات. ينظر: أسرار القلب بين القرآن والعلم: ٣٩.

(٣) مختار الصحاح: ٤٥٦.



والذي يُوحِّد القيم العليا هو الخير الأسمى، وهو الاسم الأخلاقي لله تعالى،
 ويفيد إدراكه تطهير القلوب من أي رجس كيلا تفسد فطرتها السليمة؛ لذلك تطمئن
 القلوب المتبصرة لذكر الله وحده، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾
 [الرعد: ٢٨].

وهذه الأشياء المُحبِّبة للنفس الأثارة بالسوء والضارة بالدِّين موجودة في
 الطبيعة، لكنّها خضعت في الحكمة الجليلة للتنظيم الشكلي الذي جعلها موضوعاً
 جمالياً مُنظماً بقوانين النسبة والتناسب، والتناسق والتناغم، وإظهار الجديد والبحث
 عن مضمون إنساني يطول تأمله لتنفّر النفس منه فتفرّ إلى أضداده^(١).

الحكمة الثانية:

قال الإمام عليّ (ع): ((غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيْمَانٌ))^(٢).

تشير اللغة إلى أنّ (الغَيْرَةَ) سلوك خيّر ونافع اجتماعياً، قال ابن
 فارس (ت ٣٩٥هـ): ((الغين والياء والراء: أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على
 صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين، فالأوّل: الغَيْرَةُ، وهي الميرة
 بها صلاح العيال، يُقال: غرّت أهلي غيرةً وغياراً- أي: مرّتهم. ومن هذا الباب الغَيْرَةُ:
 غَيْرَةُ الرجلِ على أهله، تقول: غرّت على أهلي غيرةً...))^(٣).

والذي يبدو أنّ اللغة توسّعت الدلالة؛ لذلك جعلت من الغَيْرَةُ عموماً سلوكاً
 نفسياً خيراً سواء صدر من الرجل تجاه المرأة أم من المرأة تجاه الرجل، فهو من باب
 حرص كلا الزوجين على الآخر من أن يقع في إغواء الشهوات غير المشروعة في

(١) ينظر: علم الجمال: ٢٢٤.

(٢) نهج البلاغة: ٧٠٤.

(٣) مقاييس اللغة: ٤/٤٠٤.



قوانين المجتمع وقوانين الدّين، لكنّ التشريع الإسلاميّ يُصنّف الغيرة بحسب جنس الإنسان، وهو ما ورد في حكمة الإمام عليّ عليه السلام؛ لأنّ الله تعالى أباح للرجل الزواج بأكثر من امرأة في وقت واحد، وحرّم زواج المرأة بأكثر من رجل في وقت واحد؛ للحفاظ على طهارة المرأة المسلمة، وحفظ نسب أولادها لأبائهم الحقيقيين، الذين يتكفلون بمعيشتهم وتربيتهم وترك الإرث لهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، فهذه الآية الكريمة تكشف عن سلوك نفسيّ واجتماعيّ يتفق مع حلّ مشكلات مجتمع النساء في العالم، إذ تشير الاحصاءات إلى ((أنّ موت الرجال أكثر من النساء بسبب الحوادث والحروب التي يتعرّض لها الرجال أكثر من النساء ممّا يترتّب عليه بقاء نسبة الإناث أكثر من نسبة الرجال... [فضلا عن] أنّ نسبة مواليد الإناث أكثر من الذكور، ممّا يُضعف من المشكلة، حتّى يُعلم أنّه ليس من علاج إلا بالتعدّد))^(١).

ويشير النصّ السابق إلى وجود فائض عالمي في عدد النساء، وقد وضع الله تعالى له حالاً يصلح لكلّ زمان ومكان، وذلك يظهر في الآية الكريمة السابقة، وإذا اقتصر كلّ رجل على الزواج بواحدة سيبقى هذا الفائض إمّا عوانس، وإمّا يسقطن في الرذيلة، ويُنجبن أولادًا غير شرعيّين ضائعين لا يعرفون آباءهم.

وهو ما أشار إليه المصوّر الفرنسي الشهير (دينيه) -الذي ترك المسيحية وأسلم-، وفهم التشريعات الإسلاميّة الحقّة فوجّه خطاباً إلى الأوربيّين، يُبيّن فيه غلط التشريع الكنسي الذي يُحرّم تعدّد الزوجات، مقابل التشريع الإسلامي الذي وصفه بأنّه الملائم لطبيعة المجتمع البشري، يقول الكاتب: ((إنّ نظريّة التوحيد في

(١) فضل تعدد الزوجات: ٣٣.



الزوجة - وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهراً-، تنطوي تحتها سيئات مُتعدّدة ظهرت على الأخصّ في ثلاث نتائج واقعيّة شديدة الخطر جسيمة البلاء، تلك هي: الدّعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيّين...^(١).

ومع وجود هذا التشريع في ديننا إلّا أنّ الزوجة الأولى ترفض بشدّة زواج زوجها عليها، وهي بهذا السلوك الشرير تكون قد رفضت شريعة الله ورسوله ﷺ ووصي نبيّه ﷺ، وعلى هذا الأساس وصف غيرها بأنّها كفر، أي: كفر بالشريعة التي وُضعت لحلّ مشكلة مجتمع النساء، فتكون الغيرة نزعة أنانيّة فرديّة وسلوكاً غير محمود.

وقد لخصت الحكمة الجليلة هذه المعاني الكثيرة المهمّة بعبارة موجزة، موزونة إيقاعياً؛ لغرض مخاطبة العقل والعاطفة معاً، لتُطيل المرأة التأمّل فيها وتقنع بفضيلة هذا التشريع، عندما تكتشف شرّ سلوكها، الذي يظهر جمال إيقاعه في الجدول الآتي:

ت	القرينة	عدد الكلمات	النغم
١.	غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ	٣	كفر
٢.	وْغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ	٣	إيمان

يظهر إيقاع الحكمة السجعي موزوناً: (٣-٣) وهو ما يؤلّف خطأ بيانياً مستقيماً، يُوحى بالثبات والاستقرار، يصلح لصياغة القوانين التي تنظّم الحياة النفسيّة والاجتماعيّة، ويكون المعنى أنّ شرّ غيرة المرأة يساوي بالتمام والكمال خيريّة غيرة الرجل؛ لتوليد الإمتاع والإقناع، عن طريق تراسل المُدرّكات فيما بينها؛ لتثبت وجود أساس عقلي في الشيء الفني الجميل، يكمن في انتظام وحدات عدّة

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام: ٣٢.



التي تُحدّد الشكل، فضلاً عن وجود أساس قلبي يكمن في اللذة الفنية التي يُثيرها تلاحم الشكل الجميل مع مضمونه القبيح^(١).

الحكمة الثالثة:

قال الإمام عليؑ: ((عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَ فِي اللَّهِ، وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللَّهِ. وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ، وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَ. وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَى، وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى))^(٢).

تتحدّث هذه الحكمة الجلييلة عن استدلال ملكات الإدراك الثلاث: (العقل، والقلب، والحس) على ثلاث قضايا تمثّل العقائد الأساسية للإنسان، أوّلاها: الاستدلال على وجود الله عن طريق ملاحظة العلامات العجيبة في خلق السماوات والأرض وما بينهما من مخلوقات عجيبة تدلّ على وجود الخالق العظيم، وثانيها: قضية نسيان الإنسان الموت وهو يلحظ الموت بحواسّه كلّ حين، وثالثها: إنكار بعث الأحياء يوم القيامة الأهون، وهو يرى النشأة الأولى الأصعب.

ولهذه القضايا أبعاد قرآنية، إذ يظهر بعد القضية الأولى في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٧-٨]، قال القرطبي: ((نبّه على عظمته وقدرته وأنهم لو رأوا بقلوبهم ونظروا ببصائرهم لعلموا أنّه الذي يستحق أن يُعبّد؛ إذ هو القادر على كلّ شيء))^(٣).

وأما البعد القرآني في القضية الثانية، فيأتي من الفهم المغلوط لإخفاء الله تعالى

(١) ينظر: علم الجمال: ٣.

(٢) نهج البلاغة: ٧٠٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٢٨٧.



لوقت الموت، وهذا الإخفاء رحمة بنا من قلق التفكير فيه قبل حلوله بغتة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكِ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]، ف(الآيات) تعني العلامات الطبيعية العجيبة التي ((تستحضر وتستثير الإدراك بوجود الله))^(١)، قال الآلوسي: ((والتنوين في (آيات) للتكثير والتعظيم، أي: إن فيما ذكر آيات كثيرة عظيمة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته سبحانه - ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في كيفية تعلق الأنفس بالأبدان وتوفيها عنها تارة بالكليّة عند الموت، وإمساكها باقية لا تفتى بفنائها إلى أن يُعيد الله تعالى الخلق، وما يعترها من السعادة والشقاوة، وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم، وإرسالها حيناً بعد حينٍ إلى انقضاء آجالها))^(٢).

فغياب الوعي عند النوم يُحاكي الموت المؤقت، وتحاكي اليقظة البعث اليومي، أما الموت الدائم فيلحظه الآخرون في غيرهم، عن طريق المشاهدات اليومية التي لا تقتضي أن ينسى الإنسان الموت الدائم، بسبب عدم الإفصاح عن تحديد وقته، وبهذا يكون ناسي الموت مُثيراً للعجب؛ لأنّ الناسي لا يُفكر في عمل الصالحات ولا يتجنّب الأعمال الشريرة، حتّى يحضره الموت، ولا تنفعه حينئذٍ توبة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء: ١٨].

وأما الاستدلال على بعث الموتى فهو استدلال عقليّ، ويُعرف من التأمل في عملية الخلق من التراب أو الطين، ومن ثمّ التكاثر بالتناسل، وهي أصعب من بعث

(١) فلسفة الدين: ٥٧.

(٢) روح المعاني: ٤/٣٦٠.



المخلوقات من الموت، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، كما تكون عملية إعادة طائفة عاطلة إلى الخدمة فإنها أسهل من عملية صنعها بدءاً.

كل هذه الاستدلالات اليقينية، إذا أنكرها المؤمن فإنها تثير العجب؛ لأن المؤمن مُلزم أن يؤمن بكل ما جاء في كتابه، ومن المعيب أن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض كما فعلت اليهود، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، أو أن يؤمن المؤمن بلسانه ويُنكر بقلبه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

وقد صاغ الإمام عليؑ هذه الاستدلالات المنطقية التحليلية بأسلوب موجز ذي إيقاع سجع متوازن القرائن بالتساوي، وقد قسم حكمته على ثلاثة مقاطع، وكل مقطع ضمّ قرينتين متوازنتين، وهو ما يتّضح في الجدول الآتي:

المقطع	القرينة	القرينة	عدد الكلمات	النغم
		وعجبتُ	عبارة افتتاحية	××
الأول	١.	لِمَنْ شَكَ فِي اللَّهِ	٤	وجود الله
	٢.	وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللَّهِ	٤	خلق الله
		وعجبتُ	عبارة افتتاحية	××
الثاني	١.	لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ	٣	الموت
	٢.	وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَى	٣	الموتى
		وعجبتُ	عبارة افتتاحية	××
الثالث	١.	لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشَأَ الْآخِرَى	٤	الأخرى
	٢.	وَهُوَ يَرَى النَّشَأَ الْأُولَى	٤	الأولى



نلاحظ أن قرائن الأقسام الثلاثة متوازنة: (٤-٤)، و(٣-٣)، و(٤-٤)، مؤلفة في كل قسم خطأ مستقيمًا يُوحى بالاستقرار والثابت، وكأنه قانون ينفر النفس من السلوكيات الشريرة، عن طريق إطالة التأمل بجمال القبح للفرار إلى ضده.

ومعنى التوازن في القسم الأول هو أن رؤية خلق الله توازن بالتمام والكمال الدليل على وجود الله، وفي القسم الثاني أن الموت المؤقت بالنوم والموت الدائم يوازن بالتمام والكمال الدليل القاطع على تذكر الموت ليستعدّ المؤمن له بعمل الصالحات، وفي القسم الثالث أن رؤية نشأة الحياة من التراب والطين، ثم نسخ الكائن الحي لنفسه بكائن مماثل له، توازن بالتمام والكمال الدليل على وجود الحياة الأخرى.

وقد جاء القسم الثاني من الحكمة الجليلة كاسراً نمط التساوي الأول: (٤-٤)، بالنزول: (٣-٣)، ثم العودة إلى النمط الأول: (٤-٤)، لغرض التلوين بالأنماط المتساوية للتخلص من رتابة الإيقاع الذي جاءت قرائنه مُنغمة الفواصل بالجناس الاشتقاقي الدلالي: (وجود الله، خلق الله)، و(الموت، الموتى)، والجناس الصرفي في: (الأخرى، الأولى) لمخاطبة العقل والعاطفة كهت، ليُطيل المتلقي التأمل في جمال قبح فساد المعتقدات الأساسية ليفرّ منها إلى اضدادها.

وقد استمد الإمام عليه السلام مقدماته من طبيعة السلوكيات القبيحة، وجعلها مُعجمًا للبناء الفني، باستعمال أسلوب التعجب الناتج عن مشاهدة سلوك الأهواء الشديد الغرابة، فاستدعى ملكتي العقل والحس؛ لأن العاطفة لا تكفي للحكم الجمالي، فهي بحاجة إلى الإدراك العقلي والحسي الجمالي والاستدلالي، اللذين يُميزان الإنسان من الحيوان، عن طريق تمييزه الجميل من القبيح^(١).

(١) ينظر: علم الجمال: ٤.



الحكمة الرابعة:

قال الإمام عليّ عليه السلام: ((النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا))^(١).

هذه الحكمة قصيرة ولكنها تشير إلى موضوعات لا تُحصى؛ لأنّ خبرها (أعداء) موصوف بموضوعات مفتوحة: (ما جهلوا)، وأخطر أنواع الجهل هو الجهل بالعقائد الأساسية، التي إذا جهلتها الناس تفكك المجتمع وأصبح طوائف متناحرة يُكفّر بعضها بعضًا، وتُسمّى العقائد الأساسية بـ(أصول الدين)، وهي: (التوحيد، والعدل الإلهي، والمعاد، والنبوة، والإمامة).

فأمّا الجهل بالتوحيد فيؤدّي إلى الشرك، الذي هو أعظم أنواع الظلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وأمّا الجهل بالعدل الإلهي والمعاد فيؤدّي إلى التشكيك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وهي عقيدة اليهود الفاسدة، التي تشير إليها أقدم أسفار التوراة بأنّ كلّ شيء ينتهي عند الموت، ثمّ تذهب نفوس البشر والبهائم معاً إلى (الشيول)، وهو مكان موجود أسفل الأرض^(٢)؛ لذلك يُصبح الكلب الحيّ خيرًا من الأسد الميت، وهو ما ورد في سفر الجامعة المنسوب إلى سليمان بن داود، الذي يقول: ((الكلب الحيّ خيرٌ من الأسد الميت؛ لأنّ الأحياء يعلمون أنّهم سيموتون، أمّا الموتى فلا يعلمون شيئًا، وليس لهم من جزاء بعد إذ قد نسي ذكرهم))^(٣)، وعندما أخبر النبي أشعياً حزقيًا الملك التقي بقرب وفاته جزع جزعًا شديدًا وبكى وتضرّع للربّ أن يطيل

(١) نهج البلاغة: ٧١٧.

(٢) ينظر: تاريخ جهنم: ٤٢.

(٣) التوراة، سفر الجامعة، الفصل التاسع: ٤-٥.



عمره، فكلّمه الربّ قائلاً: ((وصارَ كلامُ الربِّ إلى أشعيا قائلاً: اذهبْ وقلْ لحزقيّا: هكذا قالَ الربُّ إله داودَ أبيك، إنّي قد سمعتُ صلاتكَ ورأيتُ دموعك، ها أنا ذا أزيدُ على أيّامكَ خمسَ عشرة سنة))^(١).

ويرجع الباحث فراس السواح هذا الجهل إلى تحريف التوراة، بقوله: ((وهكذا فجزاء الصلاح ليس في الدار الآخرة، بل على هذه الأرض وفي هذه الحياة. والربُّ يمدُّ يده في عمر الصالح ويُزهقُ روح الطالح، تماماً كما هو الأمر في الفكر الديني البابلي))^(٢).
ويؤدّي الجهل بالنبوّة إلى ارتكاب أبشع الجرائم الأخلاقيّة من المنظور الديني والإنساني عن طريق تكذيب رسالاتهم وقتلهم وتهجيرهم من ديارهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

ويؤدّي الجهل بالإمامة -التي هي منصب إلهي-، إلى ترك هذا الفرض الواجب على المسلمين عند كلا الفريقين من الشيعة والسنة، قال أبو حيان الأندلسي: ((الذي عليه أصحاب الحديث والسنة أنّ نصب الإمام فرض، خلافاً لفرقة من الخوارج، وهم أصحاب نجدة الحروري^(٣)، زعموا أنّ الإمامة ليست بفرض، وإنّما

(١) نبوءة أشعيا، الفصل ٣٨: ٤-٥.

(٢) مغامرة العقل الأولى: ٢٩٨.

(٣) نجدة بن عامر الحروري الحنفي (٣٦-٦٩هـ): من بني حنيفة من بكر بن وائل، رأس الفرقة النجدية، تُسببت إليه من الحرورية، المنسوبة إلى حرور موضع على ميلين من الكوفة، وهو من كبار اصحاب الثورات في عصر صدر الإسلام، استولى على الإمامة عام ٦٦هـ أيام عبد الله بن الزبير في جماعة كبيرة، وأتى البحرين واستقرّ بها، وتسمّى بد(أمير المؤمنين)، قتله أصحابه. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠/٥، والأعلام: ١٠/٨.

على الناس إقامة كتاب الله وسنة رسوله، ولا يحتاجون إلى إمام، ولفرقة من الأباضية^(١) زعمت أن ذلك تطوُّع^(٢).

والمعروف تاريخياً أنّ الخوارج الحرورية، طبّقوا الكتاب والسنة أغرب تطبيق شهدته التاريخ، حين رفع جيش معاوية المصاحف على الرماح وطلبوا تحكيم القرآن بدلاً من تحكيم الرجال، فأوقفوا معركة (صفين) التي كادت أن تُحسم لصالحهم بتهديد قائدهم الإمام عليّ عليه السلام بالقتل، وحين انكشفت خيوط هذه المهزلة، اعترفوا بالكفر، وزعموا أنّهم تابوا، وطلبوا أمير المؤمنين عليه السلام الاعتراف بالكفر والتوبة^(٣)، واستثناف القتال، فأبى الإمام عليه السلام كيلا يخالف ما تعاهد عليه الفريقان، فاغتالوه قربة لله تعالى! في رمضان وهو ساجد يصليّ الفجر^(٤).

ومن هنا يُعرف الفرق الشاسع بين ضلالة المؤمن الجاهل، وهداية المؤمن العالم المعصوم، الذي يبصر بنور الله تعالى، إذ تُعرّف العصمة عند أهل البيت عليهم السلام بأنّها: (نور إلهي)، فهي تمثّل حالاً يهبه الله تعالى لأصحاب المقامات الرفيعة، أو هي ضربٌ من الفراسة التي تجعل المرء مُستبصراً بنور الله تعالى، وهو ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام (١٤٨ - ٢٠٣هـ) بوضوح عندما سأله رجلٌ في مجلس المأمون عن صحّة الإمامة، قال عليه السلام: ((بالنص والدليل. قال له: فدلالة الإمام فيم هي؟ قال: في

(١) الأباضية: أصحاب عبد الله بن إياض (ت ٨٦هـ)، الذي نشأ زمان معاوية بن أبي سفيان، وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان، وهم فرقة كبيرة مازالت حتى اليوم يعيشون على تقاليد عريقة، منهم في الجزائر في بلدة وادي ميزاب، لهم مجلس يُسمّى: (مجلس العزّابة) يعنون به الذين انقطعوا للعلم وعزبوا عن الدنيا، وهم في المشرق العربي أكثر أهل المملكة العُمانية، ولهم فيها السيادة. ينظر: الملل والنحل: ١٥٦-١٥٧، والأعلام: ٦٢/٤.

(٢) البحر المحيط: ١/٥٤٤.

(٣) ينظر: وقعة صفين: ٥١٤.

(٤) ينظر: البداية والنهاية: ٧/٣٦٢.



العِلْمَ واستجابة الدعوة، قال: فما وجه إخباركم بما يكون؟ قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس؟ قال: أما بلغك قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وما من مؤمن إلا وله فِرَاسَةٌ ينظر بنور الله؟) ^(١)، قال: بلى، قال: وما من مؤمن إلا وله فِرَاسَةٌ ينظر بنور الله على قدر إيمانه، ومبلغ استبصاره وعلمه، وقد جمع الله للأئمة منّا ما فرّقه في جميع المؤمنين، قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الفجر: ٧٥] ^(٢).

وكان لبعض هذه الفرق الإسلامية الجاهلة جذور قديمة، ولاسيما (القدرية) التي ترى أنّ مصدر الخير والشرّ معاً هو الله تعالى، وكأثمّ يؤمنون بوجود إرادتين متضادتين في الذات الإلهية، وهذا يُحاكي عقيدة المجوس؛ لذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((القدرية مجوس هذه الأمة)) ^(٣).

والذي حمل هذه الفرقة على تبني هذا التصوّر القبيح هو وجود الشرّ الناتج عن أسباب طبيعية، نحو الأوبئة، والزلازل، والعواصف، والحرائق والصواعق وغيرها ممّا تراها العقول الضالّة أنّها تحدّد لإرادة الله الكامل المحبّة والقادر على كلّ شيء.

وهذه المشكلة حلّتها عقول أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بسهولة، بسبب وراثتهم لعلم الكتاب وعلم الأنبياء، الذي علّمهم أنّ الخير من الله تعالى، أمّا الشرّ فهو من الشيطان، ولم يمنع الله وقوع الشرّ؛ لغرض ابتلاء العباد به، ليكسبوا الثواب من حسن التعامل معه بالصبر. وهو ما توصلت إليه فلسفة الدين المعاصرة، قال جون هيك (١٩٢٢-٢٠١٢م): ((الشرّ هو ما يتعارض مع الإرادة الإلهية)) ^(٤).

(١) سنن الترمذي: ٧٧٠، حديث (٣١٢٧).

(٢) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١/٢١٦.

(٣) سنن أبي داود: ٤/٢٢٢، حديث (٤٦٩١)، والمعجم الأوسط: ٦/٦٤، حديث (٢٤٩٤)، والممل والنحل: ٥٦.

(٤) فلسفة الدين: ٦١.

أمّا جمال إيقاع هذه الحكمة الجليلة، فجاء من إيقاعها ذي النمط الصاعد الذي يتّضح في الجدول الآتي:

ت	القرينة	عدد الكلمات	النغم
١.	الناسُ	١	الناسُ
٢.	أعداءُ ما جهلوا	٣	جهلوا

نلاحظ صعود هذا الإيقاع: (١-٣) من كلمة واحدة تمثّل مبتدأ- الجملة، إلى ثلاث كلمات تمثّل خبر الجملة، ويُعبّر هذا الصعود عن تصعيد الموقف الدرامي في أحداث الشرّ، حدث الأعداء المُخصّص بـ(ما) الاسم الموصول، الذي يتكوّن من اسم مبهم تعرّفه الصلة (جهلوا) الواصفة للاسم بأفعاله، وجاء نغم السجع عاطلاً، لغرض مخاطبة العقل قبل العاطفة، حتّى يتأمّل المتلقّي بجمال قبح الجهل، ليفرّ إلى ضده وهو العلم، قال الإمام عليّ عليه السلام: ((العلم نقطة كثّرها الجاهلون))^(١)، وكأنّه يُريد بالعلم معرفة العقائد الأساسيّة التي تُعرف بالفطرة قبل فسادها.

الخاتمة:

توصّل البحث إلى جملة من النتائج لعلّ أهمّها ما يأتي:

١- استعمل أهل البيت عليهم السلام، ولاسيّما الإمام عليّ عليه السلام لغة الكليّات التي لا تتعرّض لمصالح العاجلة، بل لما ينفع في العاقبة، وهي اللغة النابعة من المعرفة العميقة بالله تعالى؛ لذلك صاغوا حكمهم التي تعزّز الفضائل باللغة التي ترغّب النفس فيما يُحقّق الخير الأسمى، وصاغوا حكمهم التي تنقد الرذائل بلغة تُنفّر النفس ممّا هو دنيوي زائل، ويصبّ في تحقيق الشرّ الأسمى.

٢- توصّل البحث إلى أنّ كمال عقول أهل البيت عليهم السلام، ولاسيّما الإمام

(١) مستدرک نهج البلاغة: ١٦٣.



عليّ (ع) أدّى إلى إدراك القيم العليا: الحق والخير والجمال بوضوح تام، وحافظوا عليها حينما تخلّقوا بأخلاق القرآن، ولما كان أصل الدّين هو الأخلاق، أدّى الدين وظيفة توحيد القيم العليا، عن طريق قلوبهم المتبصّرة الممتلئة بحبّ الله تعالى، مقابل عمى قلوب معظم الناس، التي أحبّت غير الله تعالى معه، نحو حبّ المال والجاه والأولاد والرؤساء، وهو ما ينزل في القلب بمنزلة الصنم، وهناك قلوب أنكرت حتّى وجود الله تعالى.

٣- جمعت حكم الإمام عليّ (ع) ذات القيم الأخلاقية الإيجابية بين جمال الباطن، أي: المضمون الأخلاقي، وجمال الظاهر الناشئ من إيقاعها السجعي، إذ جاء بعضها موزوناً بتساوي عدد كلمات القرائن، ويُسْتعمل هذا النمط للتعبير عن القانون الأخلاقي ونظامه الثابت المستقر، الذي يخاطب العقل قبل العاطفة، ولاسيّما إذا جاءت فواصل القرائن عاطلة، غير مُحلّاة بالنغم الصوتي، وهو الغالب في صناعة الحكم، وقد تتحلّى بالنغم الذي يوازن بين الشكل والمضمون لمخاطبة العقل والعاطفة معاً، وكلّ ذلك جاء على وفق مقتضى حال المخاطب ببلاغة تُحقّق الإمتاع والإقناع في وقتٍ واحد.

وقد جاءت حكم الإمام (ع) مصوغة على منوال النمط الصاعد في عدد كلمات القرائن، للتعبير عن الانفعال ذي التصعيد الدرامي، الذي يُشكّل خطأ صاعداً يُوحى بقلق السقوط، وكأنّه يحتاج إلى دعامة تسنده، أو على النمط النازل الذي يُعبّر عن تلخيص المواقف حتّى نتفاعل معها فيخفّ توتر التصعيد، أو للتعبير عن إيجاز المُفصّل لتحقيق بلاغة الإيجاز ليوافق الحكمة التي تقول: (خير الكلام ما قلّ ودلّ)، التي تساعد على حفظ الحكمة في الذاكرة البعيدة.

٤- يجمع نقد حكم الإمام (ع) للقيم الأخلاقية السلبية تعارضاً بين قبح



المضمون وجمال الصياغة التي جاءت على وفق الأنماط السابقة: الموزون والصاعد والنازل، ثم كسرهما بإيقاع اللا توقع، ولكلّ أسلوب غرض مختلف، لكنّه يصبّ في تطهير النفس من نوازع الشرّ، حين يطول تأمل المتلقّي بتوازن جمال القبح، وكأنّه يمدح الحواس؛ لأنّه جمال يتعارض مع مضمونه، وهو ما يُنتج معنى المفارقة التي تُبنى على مقدّمات تبدو منطقيّة، ولكنها تؤديّ إلى تناقض في البيان. وقد جاءت فواصل نقد الرذائل في حكم الإمام (عليه السلام) غير المُحلّاة بنغم صوتي أيضًا - في الأعمّ الأغلب-؛ لغرض مخاطبة العقل قبل العاطفة، ومنها خلاف ذلك لمخاطبة العقل والعاطفة معا لمراعاة مقتضى الحال.

٥- توصلّ البحث إلى أنّ لحكم الإمام (عليه السلام) أبعادًا قرآنيّة ونبويّة، وهذا أمر بديهيّ مفروغ منه، لكنّ إعادة إنتاج مضمون الحكمة نفسها بأساليب جديدة يؤديّ إلى النظر إليها بعيون جديدة تُغني الذاكرة وترسّخ ثبوت الحقائق فيها، وكأنّها شجرة امتدّت لها جذور عدّة في الأرض، وكأنّها أيضًا إرث له سحره الذي يلزمنا بالمحافظة عليه، حتّى لا نتركه من دون وارث، من دون أن نتنكّر لأنفسنا ولهويّتنا.



المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

١. أدب والدُّنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٣٦٤-٤٥٠هـ)، بعناية: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٢. أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
٣. أسرار القلب بين القرآن والعلم، الحسن عبد الحي الحسن، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٦م.
٤. أسس الفلسفة، د. توفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٥٨م.
٥. أسلوبية إيقاع القرآن الكريم، الهندسة الجمالية ومعانيها التداولية، د. تومان غازي الخفاجي، بحث منشور في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، العدد (٦٥)، السنة (١٦)، (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).
٦. أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، (١٣٤٧هـ/١٩٢٩م).
٧. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠٠٢م.
٨. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، (د.ت).
٩. بحث في علم الجمال، جان برتلمي، ترجمة: أنور عبد العزيز، دار النهضة، القاهرة، مصر، ١٩٧٠م.

١٠. البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تح: د. أحمد أبو محلم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
١١. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تح: حسن أحمد صالح البكري، الناشر: الجامعة الإسلامية، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
١٢. بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٨٦م.
١٣. تاريخ جهنم، جورج مينوا، ترجمة: انطوان الهاشم، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
١٤. التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦هـ)، تقديم: د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
١٥. التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب (ت ٧٣٩هـ)، ضبطه وشرحه: الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي، ط ٢، (١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م).
١٦. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تح: سالم البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).
١٧. الخطابة، أرسطو، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.
١٨. ديوان عنتر بن شداد، تقديم وشرح وتعليق: د. محمد حمود، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
١٩. روح المعاني، أبو الفضل محمد الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، تح: محمد



- أحمد أمين، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٢٠. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٢١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى السلمي الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٢٢. سير أعلام النبلاء، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
٢٣. الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تح: د. عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٩هـ/١٩٩٧م).
٢٤. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي بن عبد الله القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية بمصر، (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م).
٢٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).
٢٦. ظاهرة التوكيد في النحو العربي، متولي علي متولي الأشرم، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، ٢٠٠٤م.
٢٧. علم الجمال، د. سائد سلوم، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، ٢٠٢٠م.
٢٨. علم عروض النثر من القرآن الكريم، د. توماس غازي الخفاجي، دار نيبور

- للطباعة والنشر، الديوانية، العراق، ٢٠١٥ م.
٢٩. عيون أخبار الرضاؑ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تح: حسين الأعلمي، من دون مكان، (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
٣٠. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد محمد تميمي الأمدي، مكتبة الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية، تح: المصطفى الدرايتي، مركز البحث والتخصص للعلوم الإسلامية، قم المقدسة، (د.ت).
٣١. الفروق في اللغة، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
٣٢. فضل تعدد الزوجات، أبو عبد الرحمن، مكتبة، دار الكتاب والسنة، باكستان، دار المنار، الخرج، ط ١، (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
٣٣. الفلسفة الألمانية الحديثة، روديجر بوبنر، ترجمة: فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧ م.
٣٤. فلسفة الدين، جون هيك، ترجمة: طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، ٢٠١٠ م.
٣٥. فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط ٥، ١٩٧٧ م.
٣٦. في سبيل منطق للمعنى، روبر مارتن، ترجمة وتقديم: الطيب البكوش وزميله، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٦ م.
٣٧. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٢، (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
٣٨. كتاب الأخلاق، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، ٢٠١١ م.



٣٩. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تح: محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
٤٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، حققها على نسخة خطية: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).
٤١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٨هـ)، قدّمه وحقّقه وعلّق عليه: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، ط ١، (٣٨٠هـ / ١٩٦٠م).
٤٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تح: لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
٤٣. محاضرات المرحلة الثالثة، لمادة أسس التصميم، قسم التربية الفنية، كلية التربية الأساسية - الجامعة المستنصرية، د. إخلاص عبد القاهر طاهر، الفصل الأوّل، للعام الدراسي (٢٠٢٢-٢٠٢٣م).
٤٤. مختصر الأحكام، مستخرج الطوسي على جامع الترمذي، الحسن بن علي بن نصر الطوسي (ت ٣١٢هـ)، تح: أنيس بن أحمد الأندلسي، دار المؤيد للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
٤٥. المدخل في علم الجمال، هديل بسام مبدي محمد، عمّان، الأردن، ١٩٩٣م.
٤٦. مستدرک نهج البلاغة، جمع الهادي كاشف الغطاء، منشورات مكتبة الأندلس، (د.ت).

٤٧. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تح: محمود الطحان، ط ١، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
٤٨. المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، مطبعة سليمان زاده، قم، ط ١، ١٣٨٥هـ.
٤٩. معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م.
٥٠. مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة: سوريا وبلاد الرافدين، فراس السواح، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٢م.
٥١. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
٥٢. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، صححه وعلّق عليه: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
٥٣. الموسوعة الفلسفية، وضع: لجنة من العلماء والاكاديميين السوفياتيين، بإشراف: م. روزنتال، وي. يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط ٥، ١٩٨٥م.
٥٤. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مركز النشر: مكتب الإعلام الإسلامي، (١٣٦٢هـ.ش / ١٤٠٣هـ).
٥٥. نهج البلاغة، تح: الشيخ فارس الحسون، منضد على ملف word.
٥٦. وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، مصر، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٣٨٢هـ.

الاستراتيجيات القرآنية في خطب الحرب والجهاد للإمام

علي عليه السلام قراءة استشرافية

أ.م.د. رحيق صالح فنجان

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

تناول هذه الورقة البحثية موضوع (الاستراتيجيات القرآنية في خطب الحرب والجهاد للإمام علي عليه السلام)، وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل الاستراتيجيات القرآنية الواردة في خطب الإمام علي عليه السلام، في خطب الحرب والجهاد على وفق قراءة استشرافية توضح رغبته عليه السلام في تطوّر النتائج المستقبلية للمعارك والحروب التي يخوضها جيش المسلمين، واقتراح أساليب حربية نفسية وسلوكية بدءاً من القائد ومن ثمّ الجنود، نابعة من فكره العظيم النابع من تأثره عليه السلام بالقرآن الكريم والتنظيم الإلهي في كلّ مجالات الحياة، ولعلّ أهمّها المجال العسكري لما يترتب عليه من مهمة حفظ النظام، ومهمة انتشار الإسلام ليس مكانياً فحسب وإنما فكرياً ودينياً وأخلاقياً، فضلاً على حفظ النظام الداخلي .

والدراسات الاستشرافية تعمل على تحديد اتجاه الحياة المستقبلية للمجتمع بتنظيمها في الحاضر عبر اتباع أفضل السلوكيات، واختيار أنسب الحلول، وإظهار إيجابياتها البعيدة المدى .



تعتمد الدراسات الاستشراfiية على مجموعة من المبادئ، سيتناول البحث ضمن محاوره بعضاً منها بما يتناسب ورودها في الخطب، وهي مبدأ الاستمرارية، ومبدأ التماثل، ومبدأ التراكم، ومبدأ استخلاص العبر من الماضي، ومبدأ التنبؤ . الكلمات المفتاحية: الاستراتيجيات القرآنية، الإمام علي (ع)، خطب الحرب والجهاد، قراءة استشراfiية .

Abstract:

This research paper addresses the topic of "Quranic Strategies in the War and Jihad Speeches of Imam Ali (PBUH)." The study aims to analyze the Quranic strategies embedded in Imam Ali's orations through a prospective reading (foresight analysis). This reading highlights his desire to shape the future outcomes of battles fought by the Muslim army and proposes psychological and behavioral warfare methods—starting from the leader and extending to the soldiers. These methods emanate from his profound thought, deeply influenced by the Holy Quran and divine organization in all aspects of life, most notably the military field, given its role in maintaining order and spreading Islam—not only geographically but also intellectually, religiously, and morally.

Prospective studies work on determining the future direction of society by organizing its present through the adoption of best behaviors, choosing the most appropriate solutions, and manifesting their long-term positive impacts. This research utilizes several principles of prospective studies as they appear in

the speeches, including: the principle of continuity, the principle of symmetry, the principle of accumulation, the principle of drawing lessons from the past, and the principle of forecasting.

Keywords: Quranic Strategies, Imam Ali (PBUH), War and Jihad Speeches, Prospective Reading.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الذين
 اتّبعوا خطاه إلى يوم الدين.

وبعد ..

فإنّه تسيطر على الإنسان فكرة التخطيط للمستقبل، ووضع البدائل المناسبة؛
 لتلافي الأخطاء الحاضرة والماضية والاعتبار منها، ويستلزم ذلك التخطيط
 استراتيجيات معيّنة؛ لذا ((يجب أن يكون الخطاب صادراً من سلطة لها أذن صاغية
 من قبل الجمهور على المستويات كلّها، يأتي الاستشراف ليوفّر للقائمين بعملية
 التخطيط جانباً مهماً من القاعدة المعرفية التي تتطلّب صياغة الاستراتيجيات ورسم
 الخطط))^(١)، وهذا ما نجده في الخطاب الاستشرافي للإمام عليؑ، وقدرته على
 تحليل الأحداث، ورسم الخطط المستقبلية في خطاب استشرافي دقيق مصادره
 القرآن الكريم، والفكر النبوي الشريف .

(١) دور استشراف المستقبل في التخطيط الناجح للمنظمة، دراسة تحليلية: ٦٤ .



قامت هذه الدراسة على محورين:

المحور الأول: الاستراتيجيات الحربية في خطب الإمام علي (ع) في ضوء مبادئ الاستشراق .

المحور الثاني: الاستراتيجيات القرآنية في التنظيم النفسي والجسدي في خطب الحرب للإمام علي (ع)، قراءة استشراfiة .

مهاده نظري:

يعدّ الاستشراق علمًا من العلوم الاجتماعية الدقيقة، ويراد به معرفة المستقبل على وفق أهداف مخطّطة، يتمّ بها استكشاف المستقبل والعمل على تحسينه على وفق قراءة عميقة للحاضر، تستنتجها الشخصية القارئة للأحداث^(١)؛ لذلك يتطلّب العلم بكلّ الأحداث الاجتماعية والسياسية والدينية من جميع جوانبها وفي مراحلها المختلفة الماضي والحاضر والمستقبل، ومعرفة القوانين السائدة في المجتمع، كما يتطلّب التنظيم والدقة في العمل^(٢) .

والاستشراق يمثل ((الرؤية العلمية للمستقبل، وصناعة الزمن القادم، وللزمن أبعاد تكمل بعضها بعضًا، أي وهي: زمن الماضي، والحاضر، والمستقبل، التي تمثل حركة التاريخ، انطلاقًا من الأبعاد الثلاثة للزمن يبدأ المستقبل، حيث تمثل البعدين (الماضي والحاضر)، أجزاء التاريخ المحسوس بالعمل على دراستها بعمق وفهم وإحاطة بجوانبه، فإنّ المستقبل هو الجزء غير المرئي))^(٣) .

ويمكننا الإشارة إلى أنّ الاستشراق يقوم على ثلاثة مفاهيم أساسية، هي

(١) ينظر: استشراق مستقبل التعليم: ٦ .

(٢) ينظر: الخطاب الاستشراقي عند السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب (ع): ١٠٩٤ .

(٣) المستقبلية الإسلامية لبناء غد أفضل: ٤٥ .

(التصوّر)، أي تكوين صورة كاملة للأحداث المستقبلية الناجم عن (التوقع المحسوب) بالاعتماد على معطيات الحاضر وإدراك أحداثه وما سيتبع عنها في المستقبل، ويتمّ بـ(النبؤ)، أي تكوين نتائج مستقبلية محتملة الحدوث، ومحاولة إيجاد البديل الأفضل^(١).

لقد حرص الإمام عليؑ، على تنظيم الجيش وتوجيهه، فقد عدّه أهمّ طبقة في المجتمع ((فالجنود هم حصون الرعيّة وزين الولاية وعزّ الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعيّة إلاّ بهم))^(٢).

ثمّ إنّه ﷺ حتّ على الجهاد في أكثر من موضع، لما يؤمّنه من مستقبل زاهر للإسلام والمسلمين، إذ يقول ﷺ: ((الجهاد عزّ الإسلام))^(٣)، فلم يكن هذا الإهتمام بالجيش والجهاد أمرًا عارضًا وفي ظرف مؤقّت؛ بل هو تأسيس لقاعدة صلبة يرتكز عليها المجتمع الإسلامي في الحاضر، ومن ثمّ بناء مستقبل أكثر قوّة وأمانًا وازدهارًا.

لذلك لا يمكن إنكار مهمة النبؤ بالمستقبل والاستعداد لمواجهة، ورسم الخطط التي توفر الامان النفسي والاستقرار الاجتماعي.

وبحكم نشأة الإمام عليؑ، وعلاقته بالقرآن الكريم واندماجه الفكري الكليّ به، فقد توشّحت خطبه بآيات وألفاظ وأفكار قرآنية؛ الأمر الذي منحها بعدًا دلاليًا فضلًا على أثر النصوص القرآنية في تثبيت الأفكار، وإثارة وعي المتلقّي وإدراكه، ومن ثمّ شدّة التأثير في المتلقّي وسلوكه. وسنأتي على محوري البحث بالتفصيل:

(١) ينظر: أساليب الدراسات المستقبلية: ١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ٩٠.

(٣) نهج البلاغة: ٢٥٢.



المحور الأول: الاستراتيجيات الحربية في خطب الإمام علي (ع) في ضوء مبادئ الاستشراف

يعدّ الإمام علي (ع) قائداً عسكرياً فذاً، يتمتع بقدره عالية على التخطيط الاستراتيجي في المعارك، وهذه الاستراتيجيات تمثل مزيجاً من الحكمة والتخطيط المدروس، فضلاً على الشجاعة الفائقة والجرأة القتالية التي تميّز بها .

كانت خطب الإمام علي (ع) الحربية الارتجالية حافزاً مهماً للجيش؛ ومحركاً لتنفيذ الخطط المستقبلية المقترنة بالنصر، وقد اعتمدت على أسلوب السيناريو الخارجي، الذي يقوم على ركائز عقلية متفق عليها، إذ تعمل على وصف العالم الخارجي، وما سيؤول إليه في المستقبل. وتعتمد الدراسة الاستشرافية على مجموعة من المبادئ سنأتي عليها بالتفصيل:

١- مبدأ الاستمرارية:

ويراد به توقع المستقبل الذي يُعدّ امتداداً للحاضر، ويعدّان استمرارية للماضي^(١)، فلا يمكن الوصول إلى المستقبل وتوقع نتائجه مالم تتوفر خاصية الارتباط بالحاضر والماضي .

ذكرنا في موضع سابق اعتماد الإمام علي (ع)، على استراتيجيات نفسية وسلوكية؛ لإثارة انفعالات المتلقي، إذ تعمل على ((تحديد مجموعة خطية من المفاهيم، هي المعبر عنها بالحاجات النفسية والدوافع والمعتقدات والمصالح وأسباب القلق والمخاوف والقيم والآراء والمواقف))^(٢) .

ونجد ذلك واضحاً في ذكر الإمام علي (ع) معنى قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ

(١) ينظر: الدراسات المستقبلية شغف العلم وإشكالات المنهج (مقال على الأترنت) .

(٢) الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية: ٥١ .



بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿التوبة: ٨١﴾، وقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، في خطبته الجهادية في ذم المتقاعسين عن مواجهة الغارات التي شنّها سفيان بن عوف الأزديّ على أطراف العراق بأمر من معاوية، يقول: ((ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وعلانية، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قطّ في عُقر دارهم إلا ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات ومثلت عليكم الأوطان، ... فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتّم هذه حمارة القيظ، أمهلنا يُسْبَخُ عَنَّا الحرّ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتّم هذه صبارة القرّ، أمهلنا ينسلخ عَنَّا البرد، ... فإذا أنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباه الرجال ولا رجال))^(١).

رأى الإمام عليؑ أنّ ما حدث مع المتقاعسين في عصره لم يختلف عن موقف المتقاعسين في عصر الرسول ﷺ، ومحاولة تأخير خروجهم للغزو في وقت آخر، ولن يتغيّر موقف هذه الفئة المتخاذلة في المستقبل، وينجم ذلك التقاعس من عدم الإيمان بالقضية والخوف من الموت؛ لذلك اشترط ﷺ إيمان المقاتلين بقضيّتهم التي يجاهدون في سبيلها، يقول: ((لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة: مستبصر في دين، أو غيران على حرمة، أو ممتعض من ذلّ))^(٢).

وهنا تتّضح نظرة الإمام عليّ المستقبلية المبنية على موقف المتقاعسين في الماضي وامتداده إلى الحاضر، فهي تفاعلات مستمرة عبر الزمن، والذي ستظهر في

(١) نهج البلاغة: ٦٠-٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨٨.



المستقبل بسبب سلوك هذه الفئة المتخاذلة، يقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ماغزي قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلوا،... ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام))^(١)، وهنا يحاول الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إثارتهم، وخلق دافع نفسي بالخوف والغيرة عندما أخبرهم بما هو آت من الأحداث عبر نظرتة الاستشراfiة نتيجة لتخاذلهم وتقاعسهم المستمر، ودفعهم إلى اتخاذ سلوك مغاير للحفاظ على أوطانهم ونسائهم؛ فكانت هذه الصورة كفيلا بأن تكون حافزاً نحو التغيير، وتوجيههم نحو السلوك الصحيح لتحقيق مستقبل أفضل .

٢- مبدأ التراكم:

وهو تراكم نفس الأحكام على نفس الوقائع، مع اختلاف الأشخاص لمدد تتفاوت تاريخياً^(٢) .

ونجد ذلك في موقف الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مع الخوارج، ويتضح ذلك في قوله: ((أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين))^(٣) .

يتجلى في النص السابق صدق إيمان الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وتمسكه بدين الله، وتفانيه في خدمة الرسالة الإسلامية والدفاع عنها، ويمثل أيضاً في قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اعترافاً بالضعف البشري وتطهيراً للنفس البشرية التي تبقى دائماً بحاجة إلى رحمة الله تعالى ورعايته الإلهية .

(١) نهج البلاغة: ٦٠ .

(٢) ينظر: الاقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية: ٥١ .

(٣) نهج البلاغة: ١٠٦ .

ويتجلى مبدأ التواضع التام في قوله (أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذا)، في براءته من الخوارج، فهو لا يجد في نفسه ما يكون موضع فخر أمام كل ما قام به من جهاد في سبيل الله وتمسك بالإيمان الصادق. وكلامه هذا يتضمن بُعداً تربوياً وتبنيهاً للجنود بأن الكمال لا يتحقق إلا بالتسليم الكامل لله تعالى إيماناً وتصديقاً. وموقف الإمام عليؑ لا يختلف عن موقف الرسول الكريم ﷺ الذي تمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي مُهَيَّبْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]، وتتجلى استراتيجية الخطاب المتمثلة بالآية الشريفة، في موقفين:

الأول: مشابهة موقف (الرفض التام) مع موقف الرسول ﷺ، عندما تبرأ من الكفار بأمر الخالق عز وجل، وعدم الرضوخ لأفكارهم وأهوائهم.

الثاني: تأكيد على مشروعية الجهاد للإمام عليؑ الذي لم يختلف عن تأكيد طهارة الرسالة المحمدية الشريفة في موقف الرسول الكريم ﷺ، ورفض التنازل أو المساومة في كلا الموقفين.

الثالث: إن خطابه ﷺ موجه إلى المسلمين على اختلاف الزمان والمكان، وفيه دعوة صريحة بالثبات على الإيمان، وطاعة الله ورسوله، وعدم اتباع الهوى وطاعة الكفرة. وتعمل هذه الاستراتيجية على تثبيت معاني الإسلام والحفاظ على وحدة الإسلام من التفرقة، وتحذير من خطر الخوارج وفتنتهم وتطرفهم.

الرابع: يضع الإمام عليؑ، نفسه ومن اتبعه أمام خيارين، الضلال أو الهداية، ليميز المؤمنين الصادقين المهتدين.



٣- مبدأ التنبؤ بالمستقبل:

ويتمّ التنبؤ من نقطة الحاضر، ثم تتفاوت عبر الزمن بقدر التفاوت في تنظيم المدخلات، إذ يتمّ التنبؤ بحكم ما يتوافر من معطيات . ولعلّ ما يمثل هذا المبدأ في خطب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، اختياره الدقيق للآيات التي تناسب المقام، ففي خطابه لأصحابه في واقعة صفين قال: ((واعلموا أنّكم بعين الله، ومع ابن رسول الله، فعاودوا الكرّ واستحيوا من الفرّ، فإنّه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب،... حتّى ينجلي لكم عمود الحقّ، وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم))^(١)، في النصّ اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] .

يتجلّى في هذه الخطبة البعد الاستشراقي للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذ جعل النصر مقررًا بالإيمان الكامل بالقضيّة المدافع عنها، وهذا يتطلّب وعياً وإدراكاً وإيماناً، إلى جانب القوّة والقدرة على المواجهة، بل هي الدافع الأساسي لها، فيشملهم الحفظ الإلهي والمراقبة الإلهية؛ ليحمل خطابه دلالة التفاؤل بانتصار الحقّ في النهاية. وتتجلّى الاستراتيجية النفسية في قوله: (أنكم بعين الله، ومع ابن رسول الله)، بما تبعته من طمأنينة إلهية في نفوس المقاتلين والتأكد من نيل النصر، وإظهار الحقّ بولايته وخلافته لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد حذر عَلَيْهِ السَّلَامُ من تبعات التحكيم بعد واقعة صفين، التي ستؤدّي إلى الفتنة وتمزيق وحدة المسلمين في المستقبل، في حال تفوّق عدوّهم في العدد والعدّة؛ لذلك جنح إلى السلم كما فعل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المشركين في الماضي، والله معهم ولن يخبط أعمالهم .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٨ / ٥ .

ومن الشواهد الأخرى خطبة الإمام عليّ ﷺ بعد واقعة النهروان، التي ختمها بقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨]، بعد أن تعرّض للوم بسبب قبوله التحكيم، بعد أن شارف على النصر، فأشار ﷺ في خطبته إلى بعض الملاحم التي ستحدث في المستقبل، قال: ((إذا كثرت فيهما الأخلاط، واستولت الأنباط، دنا خراب العراق، ذاك إذا بُنيت مدينة ذات أثل وأنهار، فإذا غلت الأسعار...، أبشر بنصر قريب من ربّ رحيم، ألا فويل للمتكبرين عند حصاد الحاصدين، وقتل الفاسقين))^(١)، في نصّ الإمام عليّ ﷺ استشراف بأمور مهمّة وهي^(٢):

الأول: تحذير عميق وأكد الوقوع بما تنبأ به بما ستؤول إليه أوضاع المسلمين من فساد، وتدهور أخلاقيّ، واختلاط الديانات والأعمال الصالحة بالفاصلة، فتصبح الدولة ذات أساس فاسد هشّ .

الثاني: سيشهد العالم الإسلاميّ بعد كلّ هذه المؤشّرات السلبية بزوغ فجر جديد، يُنقذ به الله تعالى المؤمنين الصابرين، فحملت خاتمة الخطبة دلالة الفرج على يد الإمام الحجّة ﷺ لتكون نهاية لكلّ هذا الهرج والمرج في المستقبل .

الثالث: حدّر ﷺ من سوء عاقبة المعاندين الذين سيحصدهم المهديّ بسيفه لتعلو كلمة الحقّ والإسلام من جديد .

٤ - استخلاص العبرة من الماضي:

اتّسمت خطب الإمام عليّ ﷺ باحتوائها على دروس عظيمة، ومنها الاعتبار من الماضي، ومن تلك الخطب خطب الحثّ على الجهاد، مثل قوله ﷺ: ((أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/ ١٣٤ .

(٢) يُنظر: تأويل الآيات: ٥١١/٢ . . .



الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ وَأَطْفَتْوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ؟ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ وَهَزَمُوا الْأُلُوفَ بِالْأُلُوفِ وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّوْا الْمَدَائِنَ. مَا صَرَ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفَكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصَفِينٍ إِلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنَقَ، قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوْقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ. أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَأَيْنَ نَظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ وَأَبْرَدَ بِرْءُ وَسِيهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ... أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَتَدَبَّرُوا الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوْا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ. ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ، أَلَا وَإِنِّي مُعَسِكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَّاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ. (١)

تبدو واضحة فكرة النصّ العلويّ الشريف التي استقى فكرتها من نصوص قرآنية عدّة، منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وفي هذه النصوص عبر عظيمة بيّنها ضمناً الخطاب العلويّ كانت بمثابة دعوة للإفادة من تجارب السابقين.

المحور الثاني: الاستراتيجيات القرآنية في التنظيم النفسي والجسدي في خطب الحرب للإمام عليّ (ع)، قراءة استشرافية

لم يتوقف خطاب الإمام عليّ (ع) في الحثّ على الجهاد، وتأجيج همم المقاتلين



فحسب؛ بل حرص على تهيأتهم نفسياً وفكرياً وجسدياً للقتال؛ لما لذلك من علاقة بالتخطيط المستقبلي وتحقيق النصر، ونلمس ذلك في قوله: ((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعَرُوا الْخَشْيَةَ وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ... وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنَ اللَّهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَنْجِيَكُمْ عَمُودَ الْحَقِّ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرَّكُمْ أَعْمَالَكُمْ))^(١).

تضمّنت الخطبة توجيهاً من الإمام عليّ إلى المسلمين على فنون القتال التي يجب أن يتحلّى بها المقاتل المسلم، ولنقل تضمّنت (عدّة المجاهد)، وهي روحية وعقائدية، أكثر من كونها عدّة مادية:

أولاً: (الثبات والصمود) على طريق الحقّ والدفاع عنه .

ثانياً: (خشية الله تعالى وطاعته) ويراد به الخوف والورع من الله تعالى وليس من الأعداء، وهي أهمّ الصفات التي يجب التحلّي بها .

ثالثاً: (الشعور بالسكينة)، وتحمل هذه السمة دلالة الشعور بالاستقرار النفسي في أصعب الظروف، وهي دلالة على عمق الإيمان لدى جنود المسلمين، وشدة التركيز في القتال .

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، ففي الآيتين الكريمتين اقترنت السكينة بالإيمان والنصر؛ وقد أوردها الإمامؑ تشجيعاً للمسلمين على الثبات في طريق الجهاد، والاطمئنان ببلوغ النصر

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٨/٥ .



وتحقيق الأهداف بإذن الله تعالى .

رابعاً: (تحمل المسؤولية)، ففي عبارة (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنَ اللَّهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ) يشير الإمام علي عليه السلام إلى العناية الإلهية التي أحاطهم الله تعالى بها، وهو اقتباس قرآني في غاية الروعة والدقة، قصد منه تقوية عزيمة المجاهدين بما يحمله من دلالات معنوية عميقة، وهي عناية حبا الله تعالى بها أنبيائه، وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [المؤمنون: ٤٨]، وتلك العناية الإلهية تمنحهم الثقة العالية وتجعلهم في موضع تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

خامساً: (شرعية القيادة والثقة بها)، فقوله (مع ابن عم رسول الله) يحمل دلالة على قوة القيادة التي يقاثلون تحت إمرتها وجمادتها بالثقة، وأن صلة القرابة بينه وبين رسول الله تمنحهم إيماناً بشرعية ما يقاثل في سبيله، وفيها إشارة إلى حقه في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد حمل النص السابق أبعاداً دلالية عميقة، كفيلة بث روح الطمأنينة، والثبات على طريق الحق، والجهاد في سبيل الله .

وفي خطبة له عليه السلام يحث المسلمين على قتال الخوارج، قال: ((أيها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة إلى الله عز وجل، ودرك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكعون في غمرة الضلال، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً))^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٤/٢ .



لقد تضمنت الخطبة استراتيجيات تعكس رؤية الإمام عليؑ الشاملة، فقد أشار الإمام عليؑ في خطبته إلى مضامين تربوية وسياسية ودينية وعسكرية . ففي ذكر صفات الأعداء محاولة للتحفيز على القتال، وبيان السبب الرئيس (التقرب إلى الله تعالى) في قتال أعداء الإسلام والأمة؛ لأنّ الجهاد في الإسلام ليس مجرد قتال جسدي، بل يشمل جميع أوجه الحياة التي تهدف إلى نشر العدالة والدفاع عن الحق .

وأشار أيضاً إلى العدة المادية والمعنوية التي يجب أن يتحلّى بها المقاتل، وهي: القوة الجسدية، والعدة الحربية، والتوكّل على الله تعالى والإيمان بقضيته، فالنصر لن يتحقّق إلّا بتوفيق الله تعالى والتسليم له .

ولعلّ استحضار هذه الآية الشريفة لاستشارة المجاهدين؛ لما تُضيفه هذه الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، من انفعالات نفسية وروحية تتعلق بالجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدعوة الإسلامية، وإخلاص نية القتال لله تعالى وليس لدوافع شخصية، ومن ثمّ تحقيق الأهداف المنشودة في النصر على الأعداء وارتفاع راية الحق، و في موضع آخر يشير إلى أهمية وحدة المجاهدين، يقول ﷺ: ((فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الدارع وأخروا الحاسر))^(١)، وهي إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، فقد جعل الله تعالى الوحدة في جيش المسلمين شرطاً أساسياً من شروط رضا الله تعالى وتأييده ونصرهم، إذ لا تكون هناك ثغرة أو ضعف يمنح

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٧/٥ .



الأعداء فرصة التسلُّل بين المسلمين فيجعلهم عرضة للانكسار .

نلاحظ ممَّا سبق أنَّ الإمام عليَّ (ع) أكَّد على أمور مهمَّة عدَّة:

الاستعداد الماديّ: القوَّة التي يجب أن يتحلَّى بها المقاتلون، والعدَّة الحربيَّة المتمثِّلة بالسلاح والخيال .

الاستعداد المعنويّ: معرفة العدو، التوكل على الله، الوحدة بين صفوف المسلمين . حرص الإمام عليَّ (ع) عبر تلك التوجيهات على درء الفتن الداخليَّة والحثُّ على التلاحم بين أبناء المجتمع من أجل حماية استقرار الأُمَّة .

الاستعداد للتعاون والتكامل: فالقوَّة تكمن في الوحدة وعدم التشتت والتفرُّق. التأكيد على الانضباط والعدالة: فالتماسك في صفوف المسلمين يتطلَّب انضباطاً من كلِّ فرد في الجماعة، والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد دون تمييز .

إمكانية تطبيق هذه الاستراتيجيات في النزاعات المعاصرة:

قد تتبادر إلى الأذهان فكرة حول إمكانية تطبيق هذه الاستراتيجيات في النزاعات المعاصرة، وفي الحقيقة أنَّ ذلك يتطلَّب شروطاً مهمَّة:

١- يتطلَّب من القادة أن يتَّسموا بالفهم العميق لقيم العدل والرحمة والإيمان.
٢- يجب أن تكون الحرب خاضعة لمبادئ أخلاقية عميقة، وإيماناً راسخاً بالقضية التي يشترط بأن تكون قضية حقيقية وعادلة لمصلحة الشعوب ومجتمعاتها، لا من أجل تحقيق مصالح شخصية .

٣- يتطلَّب ذلك نشر الوعي السياسي بين أبناء المجتمع ومشاركتهم في صنع القرارات ووضع الخطط المستقبلية .

إذا ما نظرنا إلى عالمنا المعاصر وجدناه يفتقر إلى معظم هذه الشروط إن لم



يكن كلها، فضلاً عن التحوّلات السريعة في مجرى الأحداث السياسيّة المعاصرة، فهي تجعل من المهمّة الاستشرافية ليست بالأمر السهل ومن الصعب التنبؤ بها، فضلاً عن أنّ الاستراتيجيات القرآنية هي أمرٌ مخصوص بالدول المسلمة .

الخاتمة:

بعد انتهاء البحث ندرج فيما يلي أهمّ النتائج التي توصلنا إليها:

١- من طريق ما تمّ عرضه من استراتيجيات حربيّة نجد أنّ الإمام عليٍّ ﷺ كان قائداً استثنائياً اتّسم بالذكاء الحربيّ المتقن، ركّز في توجيهاته على التنظيم وتحقيق التوازن النفسيّ والفكريّ للجيش .

٢- لقد وظّف الإمام عليٍّ ﷺ آيات القرآن الكريم في تنظيم استراتيجيات الحرب وفنون القتال؛ لتحقيق النصر والتقدّم في مجال القتال، وتهيئة المجاهدين نفسياً وجسدياً وزرع روح الثقة والإيمان بالقضية التي يدافعون عنها .

٣- اختار الإمام عليٍّ ﷺ في خطبه الحربيّة الآيات القرآنية بدقّة؛ ليُظهر المفاهيم الأساسيّة لفنون القتال، عقائدياً ونفسياً وجسدياً؛ ولتحقيق الغايات المنشودة وتنفيذ الخطط المستقبلية في تحقيق النصر والعدالة في المجتمع الإسلاميّ .

٤- تتجلّى الاستشرافية في خطب الإمام عليٍّ ﷺ الحربيّة بالتخطيط، والاستعداد العقائديّ والنفسيّ والجسديّ قبل خوض المعركة؛ ليكون قتالاً منظّماً. يُحقّق النتائج المرجوة في الحفاظ على الدين ودرء الفتنة وخدمة المجتمع وحمائته، من دون أن تتحوّل ساحة القتال إلى فوضى .

٥- لقد جعل الإمام عليٍّ ﷺ من آيات الجهاد دستوراً لحلّ النزاعات. والقضاء على الكراهية والبغض، والتقيّد بأوامر الله تعالى، ونشر الوعي الجهاديّ بين صفوف الجيش الإسلاميّ .



٦- إن معرفة الإمام علي (ع) بالأحداث الجارية في عصره وقدرته على التحليل، منحتة القدرة على استشراف الأحداث الآتية، فحرص على إشراك المسلمين في تحقيق الرؤى المستقبلية، وكان القرآن الكريم استراتيجية مناسبة وفعالة في استشارة المستمع لتحقيق الرؤى المستقبلية، وإسهامه في بناء المجتمع بصورة إيجابية.

٧- نجح الإمام علي (ع) بفضل هذه الاستراتيجيات من الصمود في جميع المعارك التي خاضها، و نجح في الحفاظ على وحدة جيشه من التفكك الداخلي .

٨- تمكن الإمام علي (ع) بفضل رؤيته العميقة من فهم الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية، ومن ثم استشراف الأحداث المستقبلية في مجالات عدة، وترك للمسلمين تحذيرات من عصره حتى يومنا هذا .

المصادر :

القرآن الكريم .

- ١- أساليب الدراسة المستقبلية، عامر طارق، دار اليازوري، عمان، ٢٠٠٨م.
- ٢- استشراف مستقبل التعليم في المدينة المنورة تطبيق السلاسل الزمنية، بيومي كمال حسني، ٢٥/٩/٢٠١١ .
<http://www.mohyessin.com/doc/research/load/down/com.mohyessin.www/doc/research1.doc>
- ٣- الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية، د. عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٥م .
- ٤- الخطاب الاستشرافي عند السيدة زينب بنت علي بن أبي طالبؑ، حيدر كرم الله قاسم، حنان رحيم الركابي، مجلة جامعة دهوك، مج ٢٦، ع ١، (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، ٢٢٣م.
- ٥- الدراسات المستقبلية شغف العلم وإشكالات المنهج، محمد فالح الجهني.
<http://www.almaref.org/news/org.action?php.news/org.almaref.www/id&show=action?id=٤٣٠٩>
- ٦- دور استشراف المستقبل في التخطيط الناجح للمنظمة دراسة تحليلية، أمينة فالح، جامعة تبسة، ٢٠١٩م.
<https://www.academia.edu/40657828>
- ٧- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٥٩م.
- ٨- شرح نهج البلاغة، محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠م .
- ٩- المستقبلية الإسلامية لبناء غد أفضل، دار روافد، بيروت، ٢٠١٧م.

الموجّهات التفسيرية عند الإمام عليؑ

أ.م. د. رياض عبد الرحيم حسين
جامعة البصرة / كلية التربية

الملخص:

بدأ علم التفسير منذ صدر الإسلام، وكان مصدره الوحي الإلهي الذي عرّف الرسول ﷺ كمفسّر للقرآن، وقد فسّر الرسول ﷺ القرآن على وفق ما يحتاجه أهل زمانه، وبعد رحيله ﷺ تصدّى أمير المؤمنينؑ لتوضيح الآيات القرآنية وفقاً لقواعد حملتها الآيات القرآنية في طياتها.

وقد تصدّىؑ لتفصيل ما أُجمل في القرآن، وبيان ما أُبهم منه إمّا بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في جُلّ تشريعاته من فرائض وسنن وأحكام وآداب... وهكذا، فكلُّ ما جاء في الشريعة من فروع أحكام العبادات والسنن والفرائض، وأحكام المعاملات، والأنظمة والسياسات، كل ذلك تفصيل لما أُجمل في القرآن الكريم من تشريع وتكليف.

وبناءً على ذلك جاء هذا البحث ليبيّن الموجّهات التي اعتمدها أمير المؤمنينؑ في بيانه وتفسيره للآيات المباركة؛ ليعتمدها المفسّرون في تفسيرهم للنصّ القرآني، متعرّضين لبعض تلك الموجّهات كنماذج فعلية، وهي الموجّهات الظاهرية في النصّ القرآني، والموجّهات القرآنية، والروائية، واللغوية.

الكلمات المفتاحية: التفسير القرآني، الموجّهات، أمير المؤمنينؑ.



Abstract:

The science of Exegesis (Tafsir) began at the dawn of Islam, originating from divine revelation, which established the Prophet (PBUH) as the primary interpreter of the Quran. The Prophet interpreted the Quran according to the needs of his contemporaries. Following his departure, Amir al-Mu'minin (Imam Ali, PBUH) undertook the task of clarifying Quranic verses based on the intrinsic rules contained within the text itself.

Imam Ali (PBUH) dedicated himself to detailing what was concise (al-Mujmal) and clarifying what was ambiguous (al-Mubham) in the Quran. This was achieved either through his noble hadiths and biography or through the detailed elaborations found in his legal enactments, encompassing religious obligations (Fara'id), prophetic traditions (Sunan), rulings, and ethics. Consequently, all branches of Sharia—including acts of worship, transactions, administrative systems, and policies—serve as detailed elaborations of the broad legislative and obligatory frameworks established in the Holy Quran.

Accordingly, this research aims to highlight the orientations (Al-Muwajjahat) adopted by Amir al-Mu'minin in his interpretation of the blessed verses, providing a framework for contemporary exegetes. The study examines specific models of these orientations, namely: apparent textual orientations, Quranic orientations, narrative orientations, and linguistic orientations.

Keywords: Quranic Exegesis (Tafsir), Orientations, Amir al-Mu'minin (PBUH).



مقدمة:

تميّز تفسير الإمام عليّ عليه السلام للقرآن الكريم عن غيره؛ كونه العالم بالمقاصد الإلهية، والعالم بالمراد الحقيقي ودلالاته، وهو العالم بظاهره وباطنه، كونه من أهل البيت عليه السلام الذين نزل القرآن في بيوتهم، وهو الوصي للنبي الخاتم صلوات الله عليه، كيف لا؟ وهو القائل: ((علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، يفتح لي من كلّ باب ألف باب))، وهو القائل: ((سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل))^(١)، وقال عليه السلام: ((والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً))^(٢)، وكما روى عبد الله ابن مسعود، قال: ((إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإنّ علي بن أبي طالب عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن))^(٣).

وقد تعرّض أمير المؤمنين عليه السلام في بيانه وتفسيره لمجموعة من الآيات القرآنية إلى مجموعة من المناهج التفسيرية، ومن جوانب عدّة، فتراه مرّة يفسّر القرآن بالقرآن، وأخرى يفسّره على ضوء ما أخذه من النبي صلى الله عليه وآله وهو المنهج الروائي، وأخرى يفسّره على ضوء المباني العقلية والفكرية، وأخرى من خلال الإشارات العلمية والرمزية للقرآن الكريم.

وما تقدّمه في بحثنا هذا هو طبيعة المناهج التفسيرية التي تستقى من تفسيره عليه السلام للآيات القرآنية المباركة، وفي مبحثين؛ جاء الأول في بيان مصطلحات البحث، وفصل المبحث الثاني في الموجّهات التفسيرية التي اعتمدها الإمام عليّ عليه السلام في بيانه لمعاني القرآن الكريم.

(١) تفسير العياشي: ٢ / ٢٨٣.

(٢) تفسير القمي: ١ / ٢.

(٣) م.ن.



المبحث الأول: الموجّهات التفسيرية

المطلب الأول: الموجّهات وأنواعها

لموجّهات النصّ أهميّة محوريّة في معالجة المعنى، وتسمّى أيضًا بـ(المضامين الجمليّة) وتعني رأي الفاعل، كقوله (ع): ((وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَحْفَ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُوا عَلَى فَيْالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا))^(١)، فَيْالَةَ الرَّأْيِ - بالفتح - : ضعفه. وأفاءها عليه: أرجعها إليه.

كما عرفها سعيد الغانمي بالقول: ((نوايا النصّ الداخلي، حيث ننظر منها إلى العالم الخارجي، كما عبّر عنها الناقد ناظم عودة الذي يرى أن القراءة النقدية الصحيحة لأي منجز، لا بدّ أن تتمّ دون الارتكاز على الموجّهات الوجدانية المسبقة. ومثل هذا التشخيص النقدي يدلّ على قوّة تأثيرها ومن خلال هذه الانطباعات نحاول الاطلاع على بعض المنهجيات الحديثة؛ لعرض فاعلية نهج البلاغة الذي باستطاعته أن يتفاعل مع جميع الرؤى النقدية المستحدثة، وهذا بطبيعته يدلّ على حيوية هذا المنجز الحي... فبمتابعة تلك الموجّهات سنجدها بين ما هو تصرّحي كقوله (ع): ((فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاضِدُّوا عَنْ سَمِّ الشَّرِّ تَقْصِدُوا الْفَرَأِضَ أَدُّوْهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدُّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ))^(٢)، صدف: أعرض. السمّ: الجهة. تقصدوا: تستقيموا))^(٣)، ووجه استفهامي، وآخر أمري، كقوله (ع): ((وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعِظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ))^(٤).

(١) ميزان الحكمة: ١ / ١٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩ / ٢٨٨.

(٣) الكنز والتأويل: ١٧٥.

(٤) ميزان الحكمة: ٣ / ٢٥٦.



ولمعرفة مفهوم الموجّه، فهو يعد مصدر (المنطق الموجّه) الذي هو فرع من فروع علم المنطق وبشكل مبسّط معناه: كيفية عمل المنجز الابداعي.

وكذلك فإنّ بعض النقاد يرى: أنّ تلك الموجّهات نسخ من النهج التعبيري... وأي فعل تأثيري حسب مفهوم (غيوم) يهدف إلى التأثير المباشر على المخاطب. وقد صنّف النقاد هذه الموجّهات على افتراض وجود فكرة ضمنية، تتكوّن من الجملة التوكيدية، كقوله ﷺ: ((وَإِنِّي مِنْ صَلَاةِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلِّي بَصِيرَةٌ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينِ مِنْ رَبِّي))^(١)، والجملة الأمرية، كقوله ﷺ: ((وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ))^(٢) مع وجود موجّهات أخرى تطرح فكرة صريحة احتمالية، كقوله ﷺ: ((وَلَا تَتَأَقَلُّوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقْرُوا بِالْخَسْفِ وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ وَيَكُونَ نَصِيبِكُمُ الْأَحْسَ وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرِقُّ وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنْمَ عَنْهُ))^(٣)، قر: سكن. أي: تقوموا بالخسف أي: الضيم. وتبوءوا: أي: تعودوا بالذلّ. الأرق - بفتح فكسر - أي: الساهر. وصاحب الحرب لا ينام، والذي ينام لا يُنام عنه^(٤).

وموجّهات تقويمية تعبيرية، كقوله ﷺ: ((سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ))^(٥)، ((السياسة: حفظ الشيء بما يحوطه من غيره. سياسة الرعية: حفظ نظامها بقوة الرأي، والأخذ بالحدود. والصدقة تستحفظ الشفقة، والشفقة: تستزيد الإيمان وتذكر الله.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٣٥.

(٢) م. ن: ٧ / ٢٤٦.

(٣) م. ن: ٣ / ٢٧١.

(٤) م. ن.

(٥) نهج البلاغة: الحكمة ١٤٣.



والزكاة أداء حق الله من المال. وأداء الحق: حصن النعمة))^(١).

وانقسم حول مفهوم الموجه رأي الألسنيين (العاملين في حقل الألسنية الحديثة) الذين يرون في الموجه تعددية المعنى، والمناطق (أهل المنطق) الذين لا يرون في الموجه إلا أحادي معنوي عام. ثم يرونه يسري عبر التقابلية، كقوله عليه السلام: ((صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قَلَّةِ الْحَسَدِ))^(٢). وعبر التضاد كقوله عليه السلام: ((مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْجَيْلُ))^(٣).

والموجه المختلط: الذي يكون فيه الموجه مضمراً: ((حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ وَكَأَنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ))^(٤).
ثمة ملحوظة مهمة حيث نجد أن مفهوم الموجه، ما زال تجريبياً؛ ولذلك تصعب علينا الاحاطة بجميع التنظيرات، فلجأنا إلى تبسيط مفاهيمه، وتناول ما نحتاج إليه.

المطلب الثاني: التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير لغة:

يعود المعنى اللغوي للتفسير إلى الكشف، والإبانة، والإيضاح، وإظهار المعنى^(٥)، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٤ / ٣٥.

(٢) البحار: ٧٠ / ٢٥٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٠ / ٥.

(٤) م. ن: ٧ / ٢٥١.

(٥) العين: ٧ / ٢٤٧، حرف السين، الثلاثي الصحيح، باب السين والراء والفاء، مادة (فسر)، وتهذيب اللغة: ١٢ / ٢٨٣، أبواب السين والراء، ومقاييس اللغة: ٤ / ٥٠٤، كتاب الفاء، باب الفاء والسين وما يثلثهما، مادة (فسر)، ولسان العرب: ٥ / ٥٥، فصل الفاء مادة (فسر).



تفسيرًا ﴿[الفرقان: ٣٣]﴾، قال الأزهري: ((الفَسْرُ: كَشْفُ الْمَغْطَى))^(١)، وقال ابن فارس: ((الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلّ على بيان شيءٍ وإيضاحه، ومن ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشيءَ وفَسَرْتُهُ. والفَسْرُ والتَّفْسِيرَةُ: نظر الطبيب إلى الماء، وحكمه فيه))^(٢).

التفسير اصطلاحًا:

التفسير هو ((بمعنى كشف القناع، فلا يشمل الأخذ بظاهر اللفظ؛ لأنّه غير مستور ليكشف عنه القناع))^(٣)، وقد تعرّض السيد الصدر إلى هذا الظهور فقسمه ((إلى ظهور بسيط، وظهور معقّد، أي: الظهور المتكوّن نتيجة لظهورات متفاعلة، باعتبار أنّ ذكر المعنى الظاهر قد يكون في بعض الحالات تفسيرًا أيضًا، وإظهارًا لأمر خفي في أحيانٍ أخرى))^(٤)، إلّا أنّ الزركشي ((عمل على تعميم اصطلاح التفسير ليشمل كشف معاني القرآن الكريم، وبيان المراد منه، أي: يتناول اللفظ المعقّد وغيره، والمعنى الظاهر وغيره))^(٥).

اذن هذا ما تناوله العلماء من تعريف للتفسير على مستوى الاصطلاح، لكن مع اختلاف آرائهم في بعض الموارد، نستطيع أن نقف على أبعاد مشتركة فيما بينها، فتكون الخلاصة أنّ التفسير: هو الكشف والبيان، على مستوى ظاهر اللفظ وباطنه. أمّا ما نريد الوقوف عنده في هذا البحث فهو بيان تلك الأبعاد التفسيرية على مستوياتها المتعدّدة، وما انتهجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تفسيره للنصّ

(١) تهذيب اللغة: ١٢ / ٢٨٣، أبواب السين والراء، مادة (فسر).

(٢) مقاييس اللغة: ٤ / ٥٠٤، كتاب الفاء، باب الفاء والسين وما يثلثهما، مادة (فسر)

(٣) البيان في تفسير القرآن: ٢٦٨.

(٤) علوم القرآن، الحكيم: ٢١٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٤٩.



القرآني، إذ طرق أبوابًا مختلفة، وانتهج مناهج عدّة في بيانه وإيضاحه لهذا النصّ المبارك، فهو خير من بيّنه وأوضحه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

المبحث الثاني: الموجّهات التفسيرية عند أمير المؤمنين عليه السلام

تعدّدت الموجّهات التفسيرية في فهمنا للنصّ القرآني، وتنوّعت بتنوّع الوسائل والوسائط التي يتّبعها المفسّر للنصّ القرآني، كون القرآن الكريم له ظاهر وباطن، ولباطنه باطن إلى سبعين بطن، على ما صرّحت به الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، كما أنّ هنالك مجموعة من الآيات القرآنية ما يُعبّر عنها بالآيات المتشابهة التي لا بدّ من تأويلها حتّى نقف على بيان الصحيح في تفسيرها وإعطائها المعاني القريبة من المراد الواقعي لله تعالى، وكذلك الأبعاد ذات الطابع العقلي أو ما يُعبّر عنه بالمنهج العقلي في التفسير، حيث يتدخّل العقل في تفسيرها وبيانها، بما تحمله من مضامين فكرية وأهداف عقلية، وكذلك على المستوى الروائي، وطبيعة استعمال الرواية في فهم النصّ المبارك؛ لذلك سنقف على نماذج من التفسير القرآني المتعلقة بهذه الموجّهات لنستخلص من فكر الإمام علي عليه السلام منهجًا، يفهم من خلاله النصّ القرآني.

المطلب الأوّل: الإمام علي عليه السلام والبعد الظاهري للنصّ القرآني

من الأسئلة الرئيسة في دراسة النصّ القرآني، والتي يركّز إليها في فهمه، سؤال حول مراتب خطابه ومستوياته، وهو يدرس من هذه الجهة: هل القرآن الكريم في خطابه على مستوى الظاهر ومراتبه المعنوية واحد؟ أم إنّهُ ذو مراتب مختلفة، ويقبل أوجهًا عدّة، وذو أبعاد متفاوتة؟

ولا شكّ في أنّ كفيّة الجواب عن هذا السؤال تستدعي فهمًا لطبيعة الظواهر وحيّيتها، تبعًا لما ورد في فكر أمير المؤمنين عليه السلام ذلك باعتبار أنّ الظاهرية المعنوية



والبعد الظاهري الواحد للقرآن الكريم، تجعل من كافة الآيات ذات بعد واحد ومرتبة واحدة من المعنى ولغة واحدة، ويجعل هذا الاتجاه المعني مرتكز في المستوى الظاهر للنصّ، ويرى أنّ التعبّد في التفسير اللغوي واللفظي هو الطريق الأوحّد للوقوف على معاني النصّ القرآني.

يعد هذا البعد من الأبعاد التاريخية التي عمل بها مجموعة كبيرة من الصحابة ومن تبعهم بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حينما تركت مجموعة من المسلمين المرجعية المعصومة والمتمثلة بالسنة والعترة الطاهرة، واتخذت من ظواهر الكتاب مرجعاً لها في الدين، حسب شعار حسبنا كتاب الله، وهو ما كان واضحاً في الروايات الواصلة إلينا حول قضية تدويب الأحاديث المكتوبة عن النبي صلى الله عليه وآله ومن ثمّ أضاف اتباع هذه المدرسة السنة إلى الكتاب، وجعلوا من التفسير اللفظي لظواهر تلك النصوص منهجاً في المعرفة الدينية لهم، حيث التقيّد في الظواهر القرآنية وعدم الجواز لتأويله والغوص في أعماقه^(١)، وهو ما عمل به أتباع النظرية الظاهرية، أو ما يسمّى اليوم بالسلفية.

يقول الشهرستاني: ((اعلم أنّ جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزليّة من العلم...، ولا يفرّقون بين صفات الذات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوفاً واحداً، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤوّلون ذلك))^(٢)، ((أمّا مشبهة الحشوية فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنّه حكى عن مضر أحمد الهجيمي أنّهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وأنّ

(١) منطق الخطاب القرآني: ٤٠٦.

(٢) الملل والنحل: ١/ ٩٢-٩٣.



المسلمين المخلصين يعانقونه))^(١)، وإذا ما راجعنا التفسير الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام لوجدناه فعلاً قد تمسك بالظواهر القرآنية في بيانه لمجموعة من الآيات منها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، قال عليه السلام: ((لم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يولد فيكون في العزّ مشاركاً))^(٢). أحد، أي: لا بتأويل^(٣) فيتمسك عليه السلام بظاهر اللفظ.

من هنا نجد ((أن الظاهرية استفادوا من هذه الأبعاد في اعتقادهم أن النصّ القرآني ذو بعدٍ واحد، وأن نطاقه المعنوي منحصر في ظاهر الكتاب والسنة، ولذا لم يعتقدوا بحقيقة وراء ظاهر النصّ، وكانوا يعتقدون التجاوز عن هذه الظواهر خطأً واشتباهاً، فألغوا بذلك كلّ تأويل ومجاز في تفسير القرآن الكريم^(٤)؛ لذلك نجد أن أهل الحديث ومنهم اتباع أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) وبعده مالك بن أنس (٢٧٩هـ)، وبعدهما داود الظاهري (٢٨٠)، وابنه أبو بكر الظاهري والكرامية والأشاعرة والماتريديّة وابن تيميّة السلفيين الجدد، لا يعتقدون بالمجاز ويرونه كذباً يعارض حقايق القرآن، ويوجب الالتباس فيه بسبب عدم وضوح المعنى المراد وأمثال ذلك من المشكلات))^(٥).

وكمثال آخر على البعد الظاهري في التعامل مع البيان والتفسير القرآني ما ذكره العلامة المجلسي، سألو أمير المؤمنين عليه السلام عن لفظ الوحي في كتاب الله تعالى فقال: ((منه وحي النبوة، ومنه وحي الإلهام، ومنه وحي الإشارة، ومنه وحي أمر، ومنه

(١) الممل والنحل: ١ / ١٠٥.

(٢) الكافي: ١ / ١٤١.

(٣) تحف العقول: ٦٣.

(٤) ينظر، الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ٢٥٥، والدر المنثور: ١ / ١٨٦.

(٥) المعتمد في أصول الفقه: ١ / ٢٥.



وحي كذب، ومنه وحي تقدير، ومنه وحي الرسالة، فأما تفسير وحي النبوة والرسالة، فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [النساء: ١٦٣]، وأما وحي الإلهام، فقوله عزّ وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، ومثله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فِإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧]، وأما وحي الإشارة، فقوله عزّ وجل: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، أي: أشار إليهم؛ لقوله تعالى: ﴿الَّا تَكَلَّمِ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وأما وحي التقدير فقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]، وأما وحي الأمر فقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١]، وأما وحي الكذب فقوله عزّ وجل: ﴿شَیَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وأما وحي الخبر فقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣] (١).

وهذا تمسك بظاهر اللفظ وهو بعدُ تفسيري لم يجحد عنه عليه السلام، بل هو ما استفيد من تفسيره لمفردة الوحي وبيانه للآيات التي وردت بها هذه الكلمة.

تجنب التفسير الظاهري:

أما على مستوى الابتعاد عن التفسير الظاهري للقرآن الكريم، وبيان فيما وراء اللفظ سواء كان ضمن الأبعاد التفسيرية على مستوى البعد التأويلي أو البعد الروائي، أو الإشارات العلمية والرمزية التي جاءت في القرآن الكريم، نجد أن



الإمام عليّ (ع) في بعض الأحيان يرفع يده عن الظواهر القرآنية إذا كانت مخالفة لضرورة عقائدية أو عقلية، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، قال (ع): ((يعني: استوى تدبيره وعلا أمره))^(١).

وهذا بعد تفسير يقف عنده أمير المؤمنين (ع) وقال أيضًا: ((قال ابن أبي جمرة: عن عليّ (ع) أنه قال: لو شئت أن أوقر سبعين بعيرًا من تفسير أم القرآن لفعلت، وبيان ذلك: أنه إذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يحتاج تبين معنى الحمد، وما يتعلق به الاسم الجليل الذي هو الله وما يليق به من التنزيه، ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفية، على جميع أنواعه وأعداده، وهي ألف عالم أربعمئة في البر، وستمئة في البحر، فيحتاج إلى بيان ذلك كله، فإذا قال ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين، وما يليق بهما من الجلال، وما معناهما، ثم يحتاج إلى بيان جميع الأسماء والصفات، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأحوال، وكيفية مستقرّة.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته والعبادة وكيفية، وصفتها وأدائها على جميع أنواعها والعابد في صفته والاستعانة وأدائها، وكيفية، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، إلى آخر السورة، يحتاج إلى بيان الهداية ما هي، والصراط المستقيم وأضداده وتبيين المغضوب عليهم، والضالين وصفاتهم، وما يتعلق بهذا النوع وتبيين المرضي عنهم وصفاتهم وطريقتهم، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله الإمام عليّ (ع) من هذا القبيل))^(٢).

(١) الاحتجاج: ١/ ٣٧٣.

(٢) الاتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٨٦.



رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١٢]، قال: ((إن أحدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار، فأیما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليدن منه فإن الرحم إذا مسّتها الرحم استقرت، وإيها متعلّقة بالعرش ينتقضه انتقاض الحديد فينادي: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني، وذلك قول الله في كتابه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١) وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]، قال: ((الربائب عليكم حرام مع الأمّهات اللاتي قد دخلتم بهنّ، هنّ في الحجور وغير الحجور سواء...))^(٢).

ونجد تفسيراً فقهياً للرسول الكريم صلّى الله عليه وآله لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، يرويه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذ يقول: ((سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الجبائر تكون على الكسير، كيف يتوضأ صاحبها، وكيف يغتسل إذا أجنب؟ قال: يجزيه المسّ بالماء عليها في الجنابة والوضوء، قلت: فإن كان في برد يخاف على نفسه إذا أفرغ الماء على جسده، فقرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٣).

ويفسّر الله المقصود من أولي الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فيقول: ((الذين قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في آخر خطبته يوم قبضه الله عزّ وجلّ إليه: إنّي قد تركت فيكم أمرين لن

(١) تفسير العياشي: ١/٢١٧.

(٢) الاستبصار: ٣/١٥٦.

(٣) تفسير العياشي: ١/٢٣٦.



تَضَلُّوا بَعْدِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ أَتَهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ - وَجَمَعَ بَيْنَ مَسْبَحَتَيْهِ - وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ - وَجَمَعَ بَيْنَ الْمَسْبُوحَةِ وَالْوَسْطَى - فَتَسْبِقُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا، لَا تَزَلُّوا وَلَا تَضَلُّوا، وَلَا تَقْدَمُوهُمْ فَتَضَلُّوا))^(١).

وَيُسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، فَيَجِيبُ بِحُكْمِ فَهَيْئَةٍ بِقَوْلِهِ (ع): ((وَالرَّجُلُ عِنْدَهُ امْرَأَتَانِ فَتَكُونُ إِحْدَاهُمَا قَدْ عَجَزَتْ أَوْ تَكُونُ دَمِيمَةً فَيُرِيدُ فِرَاقَهَا فَتَصَالِحُهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَهَا لَيْلَةٌ وَعِنْدَ الْأُخْرَى لَيْالِي وَلَا يَفَارِقُهَا، فَمَا طَابَتْ بِهِ نَفْسُهَا فَلَا بَأْسَ بِهِ، فَإِنْ رَجَعَتْ سَوَى بَيْنَهُمَا))^(٢).

وَفَسَّرَ تَكْلِيمَ اللَّهِ لِمُوسَى (ع) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]، بِقَوْلِهِ (ع): ((كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا بِلَا جَوَارِحٍ وَأَدْوَاتٍ وَشَفَةِ وَلَا لَهَوَاتٍ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الصِّفَاتِ))^(٣).

فَالْوُقُوفُ عَلَى الظَّوَاهِرِ الْقُرْآنِيَّةِ يُغْلِقُ الْبَابَ أَمَامَ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّأْوِيلِ، وَيَجْعَلُ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مُتَعَارِضَةً الْمَفَاهِيمِ فِيهَا، وَعَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ فِي آيَاتِ التَّشْبِيهِ، خَاصَّةً وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ صَرَّحَ أَنَّ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ، ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءً

(١) الكافي: ٤١٥/٢.

(٢) الدر المنثور: ٢٣٣/٢.

(٣) التفسير الصافي: ٥٢٢/١.



الْفِتْنَةَ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧]، وهذا على مستوى الظاهر والباطن أو التأويل للقرآن الكريم، طبعاً لا نريد أن نقف عند العملية النقدية لهذه النظرية حتى لا يطول بنا الكلام في هذا البحث.

المطلب الثاني: الموجّهات القرآنية (القرآن بالقرآن)

من الموجّهات التي تستفاد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وتفسيره لبعض آيات النصّ المبارك هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو من الموجّهات التي تفيدنا كثيراً في فهمنا للنصّ القرآني، أي: توضيح آيات القرآن بواسطة آيات أخرى وبيان مقصودها، فتكون آيات القرآن بمثابة المصدر لتفسير آيات أخرى. كما يُعتبر تفسير القرآن بالقرآن من أقدم طرق التفسير، حيث يرجع استخدامه إلى زمن النبيّ ﷺ، وقد استخدمه الأئمة عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين، وقد حظي هذا البعد التفسيري باهتمام واسع خاصة عند المفسرين في القرن الأخير، حيث اتخذ بعضهم منهجاً رئيسياً.

ومن أهمّ المؤيدين لهذا النوع من الموجّهات، في تفسير القرآن، هم: العلامة الطباطبائي، وآية الله معرفة، والأستاذ عميد الزنجاني، وغيرهم. كما أنّ لهذه الطريقة من التفسير كتب كثيرة، منها: الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، وتفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد أمين بن محمد مختار.

وما يؤيد ذلك هو ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((كتاب الله، تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله))^(١).

(١) الدر المثور: ٥ / ٣٢٥.



((عن أبي معمر السعداني: أن رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، فقال: يا أمير المؤمنين، إني شككت في كتاب الله المنزل، قال له علي (ع): شككتك أمك، وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟ قال: لأنني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً، فكيف لا أشك فيه! فقال علي بن أبي طالب (ع): إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً، ولا يكذب بعضه بعضاً ولكنك لم تُرَزَقَ عقلاً تنتفع به))^(١).

استدلّ الباحثون والمتخصّصون في تفسير القرآن وعلومه على لزوم هذا المنهج في التفسير بالقرآن والسنة والسيرة^(٢):

الأدلة القرآنية:

استدلّ العلامة الطباطبائي بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، إذ قال: ((وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه))^(٣)، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، قال العلامة الطباطبائي: كيف يكون القرآن هدى وبينّة وفرقاناً ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون إليه ولا يكفيهم في احتياجهم إليه أشدّ الاحتياج))^(٤)، ومن قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٣]، بين العلامة الطباطبائي أن القرآن يمكن فهمه من قبل الأفراد العاديين، وكذلك فإن القرآن يُفسّر بعضه بعضاً.

أمّا في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ

(١) بحار الانوار: ٩٠ / ١٢٧.

(٢) المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ٤٤-٤٨.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١ / ١٤.

(٤) م. ن: ١ / ١٤.



الْكِتَابِ وَأُخِرُ مُتَشَابِهَاتٍ ﴿ [آل عمران: ٧] فقد قَسَّمت هذه الآية آيات القرآن الكريم إلى آيات محكمات وآيات متشابهات، وحيث لا يتضح معنى الآيات المتشابهات إلا بالرجوع للمحكمات فتعتبر هذه الطريقة هي أحد أنواع تفسير القرآن بالقرآن.

أمّا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨-١٩]، أي: بيان الآيات قد يكون بواسطة الآيات، أو عن طريق النبي صلى الله عليه وآله.

وكذلك فإن الاستفادة من بعض الآيات القرآنية كقرائن لفهم وتفسير آيات أخرى، قاعدة عقلائية؛ وذلك بمراعاة القرائن الموجودة في أيّ كتاب يُراد فهمه، من قبيل النظر إلى الكلام بصورة كلية عند ذكر مطالب مُطلقة وعامة، وفي مكان آخر مُقيّدة وخاصة^(١).

أدلة المخالفين:

ذهب بعض المفسرين إلى عدم جواز العمل بهذا النوع من الموجّهات التفسيرية كونه يؤدي إلى مجموعة من المحاذير، واستدلوا لذلك بعدة أدلة منها:

١- أحاديث ضرب القرآن، ومنها: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر))^(٢)، وقد تناول المفسرون والباحثون هذه الروايات في مناقشتها سنداً ودلالة، إذ ذهب العلامة الطباطبائي إلى ((أن الروايات تأتي قبال تصديق بعض القرآن بعضاً، أي: الخلط بين الآيات من قبيل أخذ المُحكم متشابهاً والمتشابهة مُحكماً))^(٣)، وذهب الفيض الكاشاني إلى ((أن المقصود بـ(ضرب

(١) المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ٤٧-٤٨.

(٢) الكافي: ٢ / ٦٣٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٣ / ٨٥.



القرآن) قد يكون تأويل المتشابهات على أساس هوى النفس))^(١) وكذلك ذهب العلامة المجلسي إلى ((إنَّ المعنى من ضرب القرآن هو المعنى الظاهر بتقدير الاستخفاف وارتكاب التجوُّز في الكفر))^(٢).

٢- عدم حجّية ظواهر القرآن عند الأخباريين، حيث أنكروا بعض الأخباريين حجّية ظواهر القرآن عندما يستدلّ بها المفسّر، وصرّحوا بعدم الاحتجاج بهذه الظواهر دون الأخذ بنظر الاعتبار بروايات المعصومين (عليهم السلام)، وأدلتهم: إنَّ فهم القرآن يختصّ بأهله، فهم المخاطبون به. وأنَّ القرآن يحتوي على مضامين عالية لا يفهمها إلاّ الراسخون بالعلم. واشتمال القرآن على آيات متشابهة يؤدّي إلى المنع من اتّباع ظواهر الكتاب.

وقد نوقشت هذه الأدلّة من قبل الموافقين لهذا المنهج في التفسير، وقالوا: إنَّ المقصود من المتشابهات هو الآيات المجمّلة وليس ظواهر القرآن، كما لا يوجد تعارض بين وجود مضامين صعبة وعالية في فهم القرآن وبين الرجوع إلى الظواهر الواضحة والاستدلال بها. كذلك يكون الأخذ بالظواهر في تفسير القرآن بعد مراجعة المخصّصات والمقيّدات والروايات الأخرى فيرتفع المانع من الأخذ بالظواهر.

ومن تطبيقات تفسير القرآن بالقرآن:

((عن يونس بن الحسن أنّ عمر أتى بامرأة قد ولدت لستّة أشهر، فهمّ برجمها. فقال له أمير المؤمنين (ع) إِنَّ خَاصَمَتَكَ بِكِتَابِ اللَّهِ خَصَمَتُكَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وَيَقُولُ جَلَّ قَائِلًا: ﴿وَالْوَالِدَاتُ

(١) الوافي: ٥ / ٢٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣٩ / ٨٩.



يُرِضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ ﴿البقرة: ٢٣٣﴾، فَإِذَا تَمَّمَتِ الْمَرْأَةُ الرِّضَاعَةَ سِتِّينَ وَكَانَ حَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثِينَ شَهْرًا، كَانَ الْحَمْلُ مِنْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ. وَلَمَّا سَمِعَ عَمْرُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام خَلَّى سَبِيلَ الْمَرْأَةِ، وَثَبَّتَ الْحُكْمَ بِذَلِكَ، فَعَمِلَ بِهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ أَخَذَ عَنِ عَلِيٍّ عليه السلام إِلَى يَوْمِنَا هَذَا^(١).

المطلب الثالث: الموجّهات الروائية

من الموجّهات التي وقف عندها أمير المؤمنين عليه السلام في بيانه لكلام الله تعالى هي الموجّهات الروائية، وهي من أقدم الموجّهات التفسيرية، وأكثرها شيوعاً. وهو أحد أقسام (التفسير بالمأثور أو التفسير النقلي)، وللتفسير الروائي مكانة خاصة بين المناهج التفسيرية، وكان دائماً محطّ اهتمام المفسّرين.

وقد اتّخذ في بعض الأحيان اتّجاهاً متطرّفاً حيث إنّ بعض المفسّرين لم يرتضِ إلاّ هذا المنهج في التفسير ورفض بقية المناهج. وفي الواقع إنّ هناك اتجاهات مخالفة لهذه الطريقة المتطرّفة ومُعتدلة في استخدام هذا المنهج^(٢)، ومن هنا سنقف عند بعض الأمور الخاصة بالموجّهات الروائية على مستوى التعريف، والآراء الواردة حولها، ولو بصورة اجمالية.

معنى الموجّهات الروائية:

الرواية في الأصل تعني (النقل والحمل)، ورواية الحديث بمعنى: نقل الحديث وتحمله. والمقصود من التفسير الروائي هو تفسير القرآن بالسنة والتي تعني: قول المعصوم عليه السلام وفعله وتقريره، أي: إنّهُ قد يصدر عن المعصوم كلامٌ في تفسير آية، وقد يقوم بعملٍ (كالصلاة) فيكون تفسيراً للآيات المتعلقة بالصلاة، وقد

(١) الإرشاد: ٣٣.

(٢) التفسير والمفسرون: ٢ / ٢١.



يكون تقريراً من المعصوم (ع)، وذلك فيما إذا صدر عن شخص كلام أو عمل عملاً طبقاً لبعض الآيات في حضور الإمام (ع) وأقره على ذلك، أي: إن المعصوم (ع) يؤيد هذا الكلام أو الفعل بسكوته عنه.

والحاصل: إن المقصود من منهج التفسير الروائي هنا هو استفادة المفسر من سنة النبي (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته (عليهم السلام)، التي تشمل قولهم وفعلهم وتقريرهم؛ لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها.

ملاحظة: رغم أنه يمكن الاستفادة من روايات الصحابة والتابعين في تفسير القرآن في موارد خاصة، وأن الكثير من أقوالهم في التفسير تُعتبر نافعةً ومفيدةً لكن هناك اختلاف بين علماء المسلمين في حجية سننهم ومساحة اعتبار رواياتهم.

وفي بيان أهمية هذا التحقيق يجب القول: إن الدور الهام الذي لا يمكن إنكاره لكلمات أئمة الدين من جهة، والعلماء المقربين من ثقافة عصر النزول من جهة أخرى، في الفهم الصحيح للقرآن ومعرفة تفاصيل تعاليمه، يستوجب الاهتمام به ورعاية منزلته وأن نحمل آفات التيار الروائي على محمل الجد.

جذور وخلفيات الموجّهات الروائية:

يمكن القول بأن الاتجاه التفسيري الغالب في القرنين الأوّل والثاني الهجريين كان هو الاتجاه الروائي. وهناك أسبابٌ من قبيل: المعرفة القريبة باللغة والعرف اللغوي للقرآن، والبساطة الفكرية والذهنية البحتة في مجال التفكير الكلامي والفقهية والأدبي؛ بسبب عدم تبلور العلوم الرسمية المرتبطة بها، والمزاج العملي، وتجنب الدخول في الأبحاث والمجادلات النظرية والانتزاعية، هي التي أدت إلى تبلور رؤية محدودة تجاه علم التفسير، وأن يتجه هذا العلم بشكلٍ رئيسٍ إلى دوائر يتوقف فيها الفهم على البيان النبوي أولاً، وثانياً: يلعب دوراً مؤثراً في الحياة العملية للمؤمنين.



وقد ألفت هذه الرؤية في القرون اللاحقة بظلالها على المنهج الفكري للكثير من المفسّرين والمحقّقين في العلوم القرآنية، ومن خلال ذهابهم إلى الفصل بين (التفسير) و(التأويل) خصّصوا التفسير بدائرة المعاني والعلوم التوقيفية المرتبطة بالقرآن الكريم، من قبيل: أسباب النزول، والمراد القطعي والتفصيلي لله سبحانه وتعالى، بينما اعتبروا التأويل ناظرًا إلى مجال المعاني والعلوم الاستنباطية والاجتهادية، من قبيل: الاستظهار اللغوي والدلالي على أساس القواعد العقلية والمنطقية^(١).

ومن الزاوية التاريخية يمكن دراسة التيار التفسيري في هذه المرحلة ضمن اتّجاهين رئيسين، هما:

الاتّجاه الأوّل: الذي يعدّ أجنبيًا عن التيار الروائي، تابع التفسير بوصفه علمًا مستقلًا، واعتبر الحديث في هذا السياق مجرد واحد من مصادر التفسير، حيث يتم الاستناد إليه في المجالات المفهومية الخاصة. إنّ هذا الاتّجاه - طبقًا لتقرير ابن عطية - يشمل الطيف الغالب من السلف^(٢).

ويمكن العثور على هذا الاتّجاه في المدرسة التفسيرية لدى أهل البيت عليه السلام التي هي بالإضافة إلى المعارف الخاصة باعتقاد الشيعة^(٣) تولى أهمية خاصة للمصادر والأدوات المتعارفة في التفسير الاجتهادي أيضًا^(٤). وبطبيعة الحال فإنّ المرتبة العلمية لهؤلاء العظام في هذه الرؤية قد خلقت مقامًا متميزًا من سائر جمهور المفسّرين.

(١) ينظر: تأويلات أهل السنّة: ١ / ١.

(٢) المحرر الوجيز: ١ / ٣٠.

(٣) الكافي: ١ / ١٧٣ و ٢٢١ و ٢٢٣.

(٤) التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب: ١ / ٤٢٩ - ٤٧٦، ٤٨٦ - ٥٦٦.



الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الذي يرى في التفسير مجرد إطار لعلم الحديث والرواية فقط، ويرى باب النظر والاجتهاد في دائرة معاني القرآن الكريم مغلقاً. وفي هذا التوجه نجد الاتجاهين السلبي والإيجابي جديرين بالطرح والاهتمام؛ إذ مهّد الطريق بشكلٍ جادٍّ أمام تبلور التيار الروائي في التفسير.

الاتجاه السلبي في الموجهات الروائية:

هناك من أحجم عن هذا النوع من الموجهات، وأثرها في فهم النصّ القرآني، مدّعي قلة الباع العلمي في هذا المجال، أو عدم الاهتمام بالحصول على الأدوات اللغوية والمعرفية في التفسير^(١)، أو الورع والخشية من الوقوع في مغبة التفسير بالرأي^(٢)، أو الابتلاء بالتأويل غير المناسب للمتشابهات^(٣). وقد انعكس هذا الاتجاه بنحو ما في الكلام الشهير لأبي بكر بن أبي قحافة في الجواب عن سؤالٍ تفسيري بشأن معنى مفردة ال(أب) في الآية ٣١ من سورة عبس، وهو سؤال يتعلّق بدائرة المعاني العامّة، والتي يمكن فهمها من القرآن الكريم^(٤). ورؤي عن عمر بن الخطاب أنّه عندما عجز عن فهم معنى ال(أب) صعد على المنبر، واعتبر البحث والسؤال عن أمثال هذه الأمور من التكلّف، وأمر نفسه والآخرين بعدم تكلّف البحث عنها^(٥). ورؤي عنه في أيام خلافته أنّه ((نهى عبد الله بن صبيغ عن السؤال في القرآن، وضربه على ذلك بعراجين النخل وجريده، حتّى ترك ظهره دبّرة، ثمّ نفاه وأمر بعدم

(١) ينظر: جامع بيان العلم وفضله: ٢ / ٢٨٠.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١ / ٢٩، وفضائل القرآن: ٣٧٥.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١ / ٦٥٠.

(٤) ينظر: جامع بيان العلم وفضله: ٢ / ١١١.

(٥) ينظر: الدرّ المشثور: ٦ / ٣١٧.



مجالسته))^(١). ورُوي هذا الاتجاه عن بعض التابعين، من أمثال: سعيد بن المسيّب، وعامر الشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير^(٢)، وكذلك عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأبي وائل شقيق بن سلمة.

ومع ذلك نشاهد في بعض الموارد أنّه يتمّ الاستناد صراحةً في المواطن القابلة للاجتهاد إلى النقل والرواية، ومن ذلك على سبيل المثال: ما نقله ابن عاشور عن سفيان بن عيينة، ((في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، هِيَ تَسْلِيَةٌ لِلْمَظْلُومِ وَتَهْدِيدٌ لِلظَّالِمِ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ قَالَ هَذَا؟ فَغَضِبَ وَقَالَ: إِنَّمَا قَالَهُ مَنْ عِلْمُهُ (يُرِيدُ نَفْسَهُ))^(٣)؛ ولذلك نجد من العلماء من توقّف في قبول هذا النمط من الموجّهات، كونه يجد فيه مجموعة من المحاذير والاشكاليات الدالّة على قبوله في مجال التفسير القرآني على وجه الخصوص.

الاتجاه الإيجابي في الموجّهات الروائية:

إنّ هذا الاتجاه ناظرٌ إلى أسلوب أولئك الذين قاموا -على الرغم من ضيق الأفق في أسلوب التفسير الروائي، من خلال توسعة رقعة الروايات، بالمساعدة على توسيع آثارهم التفسيرية.

إنّ هذا الاتجاه الذي بدأ بشكلٍ رئيس من عصر التابعين فما بعد كان من جهةٍ متأثراً بعدة عوامل، من قبيل: تقديس الصحابة والنظرة التعبدية لأرائهم، الأمر الذي أدّى إلى طرحها لاحقاً ضمن البحث الكلامي بشأن عدالة الصحابة^(٤)؛ ومن

(١) الإتيان في علوم القرآن: ١ / ١٦٤٤.

(٢) ينظر: البيان: ١ / ٤٤.

(٣) مقدمة تفسير الثعالبي: ١ / ٨٤.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٧ / ٨٤.



جهةٍ أخرى أَفْضَتْ أُمُورٌ كَارِثِيَةٌ مِنْ قَبِيلٍ: مَنَعَ تَدْوِينَ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ إِلَى نَهَايَةِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ إِلَى خَلْقِ فِرَاقٍ كَبِيرٍ فِي وَاحِدٍ مِنْ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ الدِّيْنِيَّةِ، وَاقْتَرَنَ نَقْلَ الْحَدِيثِ وَتَدْوِينَهُ - بِمَا فِي ذَلِكَ الْأَحَادِيثِ التَّفْسِيرِيَّةِ - بِشَيْءٍ مِنَ التَّسَامُحِ وَعَدَمِ التَّدْقِيقِ، الْأَمْرُ الَّذِي سَمَحَ بِتَسَلُّلِ الْأَخْبَارِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَخْتَلَفَةِ، وَبَعْضِ الْأَحَادِيثِ غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ - الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ - إِلَى الْمَوْلَفَاتِ التَّفْسِيرِيَّةِ أَيْضًا^(١). وَإِنَّ مَوْلَفَاتِ التَّفْسِيرِ الرَّوَائِيِّ فِي الْقَرْنَيْنِ الثَّانِيِ وَالثَّلَاثِ الْهَجْرِيَّيْنِ، وَالتِّي تَنْسَبُ إِلَى أَمْثَالِ: يَزِيدِ بْنِ هَارُونَ السَّلْمِيِّ (١١٧هـ)، وَشُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ (١٦٠هـ)، وَوَكَيْعِ بْنِ جِرَاحٍ (١٩٧هـ)، وَسَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ (١٩٨هـ)، وَعَبْدَ الرَّزَاقِ بْنِ هَمَّامٍ (٢١١هـ)، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ (٢٣٨هـ)، يُمْكِنُ تَحْلِيلُهَا ضَمْنَ هَذَا التِّيَّارِ.

أَمَّا عَلَى مَسْتَوَى الْإِتْجَاهِ الرَّوَائِيِّ لَدَى أَصْحَابِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْإِعْتِقَادِ الْخَاصِّ بِمَنْزِلَتِهِمْ أَنَّهُ بَدَلًا مِنْ تَوْسِيعَةِ دَائِرَةِ الْأَحَادِيثِ إِلَى أَخْبَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَوْسِيعِ الْمَلَكَاتِ الرَّوَائِيَّةِ كَانَ الْمَحْوَرُ الْأَصْلِيُّ يَدُورُ حَوْلَ مَحْوَرِ رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْفُسَهُمْ، وَالتِّي كَانَ يُنْظَرُ إِلَيْهَا بِوَصْفِهَا امْتِدَادًا لِكَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ فَإِنَّ تَحْدِيثَاتِ نَقْلِ الْحَدِيثِ التِّي وَاجَهَهَا الْآخَرُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ لَمْ يَكُنْ لَهَا حَضُورٌ جَادٌّ فِي هَذِهِ الدَّائِرَةِ؛ فَإِنَّ أُمَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ مَنْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ وَعَمَلُوا عَلَى بَيَانِ مَعَانِيهِ وَتَأْوِيلِهِ، ((وَأَوْلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ أَنَّهُ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى تَرْتِيبِ النُّزُولِ، وَإِنَّ لَهُ كِتَابًا أَمَلَى فِيهِ سِتِّينَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ عُلُومِ الْقُرْآنِ، وَذَكَرَ لِكُلِّ نَوْعٍ مِثَالًا يَخْصُهُ وَإِنَّهُ الْأَصْلَ لِكُلِّ مَنْ كَتَبَ فِي أَنْوَاعِ عُلُومِ الْقُرْآنِ. حَيْثُ ذَكَرَ السِّيُوطِيُّ إِنَّهُ أَكْثَرَ مِنْ رُؤْيِي عَنِهِ فِي التَّفْسِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَّمَ مِنْ الْقُرْآنِ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ،

(١) تقييد العلم: ١٠٨، وجامع بيان العلم وفضله: ١ / ٨٨.



ورواية العكبري: ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبيّ الله من عليّ بن أبي طالب، وإنّ المفسّرين كلّهم على قوله في تفسير أوّل الذاريات قتل سنة ٤٠. ومنهم أبي بن كعب الأنصاري عدّه السيوطي في الاتقان من جملة العشرة الذين اشتهروا بالتفسير من الصحابة من الطبقة الأولى من المفسّرين المار إليهم الإشارة في البحث الثامن وذكرنا دلائل تشيعه في بابهِ مات سنة ٣٠. وعبد الله بن عباس أوّل من أملى في تفسير القرآن وينقل عنه جميع المفسّرين وعدّه السيوطي في الاتقان من الطبقة الأولى من المفسّرين طبقة الصحابة من جملة العشرة الذين اشتهروا بالتفسير منهم المتقدّم إليهم الإشارة وقال: إنّ اعلم الناس بالتفسير بعد الصحابة من التابعين أهل مكّة؛ لأنّهم أصحاب ابن عباس، ومن التابعين ومن بعدهم ميثم بن يحيى التمار خطيب الشيعة بالكوفة ومتكلّمهم تابعي روى الكشي في رجاله أنّه قال لابن عباس: سلني ما شئت من تفسير القرآن فإنّي قرأت تنزيله على أمير المؤمنين وعلمني تأويله، فقال: يا جارية الدواة والقرطاس الحديث استشهد ٦٠هـ. وسعيد بن جبير تابعي له كتاب في تفسير القرآن ينقل عنه المفسّرون وذكر تفسيره السيوطي في الاتقان وحكى عن قتادة أنّه كان أعلم التابعين بالتفسير. وذكر تفسيره أيضاً ابن النديم في الفهرست عند ذكر الكتب المصنّفة في التفسير ولم يذكر تفسيراً لأحد قبله نصّ على تشيعه العلامة في الخلاصة، والكشي في رجاله، وقال: ما كان سبب قتل الحجاج إيّاه إلاّ ذلك، (استشهد ٩٤هـ) (١).

من هنا نجد أنّ من الموجّهات التي أخذها المفسّرون عن أمير المؤمنين عليه السلام الموجّه الروائي؛ لما له من أثر بالغ في معرفة المقاصد القرآنية، مع تنوع مستوياتها الظاهرية والباطنية.

(١) أعيان الشيعة: ١ / ٢٥.



المطلب الرابع: الموجّهات اللغويّة

اختار الله سبحانه نبيّه الخاتم محمّد بن عبد الله ﷺ عربيّاً، وكان من السنن أن يكون كتابه بلسان قومه، جريّاً على سنّة الله في إرسال الرسل ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، ومنه اكتسبت اللغة العربيّة أهمّيّتها، ومكانتها بين لغات العالم؛ لذا كانت اللغة أحد الموجّهات التي اعتمدت في فهم النص القرآني المبارك.

تعريف اللغة:

اللغة ((حسب اشتقاقها اللغوي من (لغوّ)، واللغة: اللسان، وحدّها: أمّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وقال الجوهري: أصلها لغّي أو لغوّ، والهاء عوض، زاد أبو البقاء: ومصدره اللغو، وهو الطرح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يرمي به، وحذفت الواو تخفيفاً))^(١).

فهي إذاً: ((الكلام الخاصّ بكلّ شعب أو جماعة، كاللغة العربيّة، أو الإنكليزيّة، كما أمّها أحد أسرار الوجود البشري؛ كونها إحدى قدرات العقل البشري؛ لإيجاد التواصل ونقل الأفكار، وما التكلّم والتحدّث سوى مظهر لهذه القدرة))^(٢).

اللغة في القرآن الكريم:

لم ترد لفظة اللغة في القرآن، ولكن عبّر عنها باللسان، وهو في الأصل وسيلة التكلّم والتعبير، وملاحظة استعمالات القرآن لهذه المفردة، تفيد أنّها استعملت في الموارد الآتية:

(١) تاج العروس: ١٠ / ١٥٤.

(٢) زبان وتفكر باطني: ١١٢.



أولاً: الجارحة التي في الفم والتي تساعد بعضها اللطيفة على التكلم وتناول الطعام وتحريكه داخل الفم قال تعالى: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٩].

ثانياً: بمعنى اللغة الخاصة التي يمتلكها كل شعب أو جماعة^(١)، يقول ابن منظور: ((وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، أي: بلغة قومه))^(٢).

ثالثاً: البيان والفصاحة، قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]، وعليه أيضاً الآيتان التاليتان ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧]، فإنه لم يكن في لسان موسى أي نوع من الانعقاد^(٣).

تعريف الموجّهات اللغوية في التفسير:

اهتم هذا القسم من الموجّهات بالجانب اللغوي في تفسير القرآن، و((تمحّض لاشتقاق المفردات وجذورها، وشكل الألفاظ وأصولها، فجاء مزيجاً من اللغة والنحو والحجّة والصرف والقراءات، وكان مضمّاره في الكشف والابانة، استعمالات العرب وشواهد آياتهم، وعلى أساس تطوّر اللغة العربية في مراحلها التاريخية))^(٤).

فهو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب. أمّا الشقّ الأوّل من التعريف، وهو بيان معاني القرآن: فإنه عامّ يشمل كلّ مصادر البيان في التفسير؛ كالقرآن، والسنة، وأسباب النزول، وغيرها. وأمّا الشقّ الثاني منه، وهو بما ورد في لغة العرب:

(١) المفردات في غريب القرآن: ٧٤٠.

(٢) لسان العرب: ١٣ / ٣٨٦.

(٣) ينظر: تفسير الأمثال: ٩ / ٥٤٧.

(٤) الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ٦٧.



فإنه قيد واصف لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن، وهو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب. وبهذا النوع من البيان يخرج ما عده من أنواع البيان؛ كالبيان الكائن بأسباب النزول وقصص الآيات، أو غيرها مما ليس طريق معرفته اللغة. كما يخرج بهذا القيد ما كان طريق بيانه بغير لغة العرب، كمن يفسر بمدلولات لا تعرف عند العرب؛ كالمصطلحات الحادثة. والمراد بما ورد في لغة العرب: ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن.

وقد أشار إلى هذا الشاطبي (ت: ٧٩٠)، فقال: ((فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب، وإنه عربي، وإنه لا عجمة فيه، فيعني أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، وظاهر ويراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره...))^(١)، ومن الطبيعي أن من يفسر القرآن حسب اللغة لا بد أن يكون من أهل اللغة وله باع كبير بعلومها، ولا أتصور أن أحداً يجروء على التشكيك في إمام الإمام علي (ع) باللغة العربية، بل وبلغه القرآن فهو واضح علم اللغة ومعلم قواعدها لأبي الأسود الدؤلي.

وقد كانت له (ع) مواضع فسّر بها القرآن وفق المعنى اللغوي ومن ذلك، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]، قال (ع): ((السحاب غربال الماء))^(٢).

(١) الموافقات: ٢/ ٦٥.

(٢) تفسير البغوي: ٣/ ١٠.



وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، قال عليه السلام: ((العدل الإنصاف، والإحسان التفضّل))^(١).

أذاً هذه ثلاثة نماذج من الموجّهات التفسيرية التي أخذت عن أمير المؤمنين عليه السلام من خلال تفسيره لمجموعة من الآيات القرآنية المباركة، وهذا لا يعني أنه لا توجد موجّهات أخرى، بل هناك الموجّهات السياقية، والمفهومية، والرمزية، والإشارية، كلّها أخذت عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيها نماذج تطبيقية من التفسير القرآني، لكن خشية الإطالة جعلتنا نتوقّف عند تبين هذه النماذج الثلاثة فقط.

(١) تفسير البغوي: ٣ / ١٠.



الخاتمة:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، ومنها:

١. تصدّى أمير المؤمنين (ع) لتوضيح الآيات القرآنية وفقاً لقواعد حملتها الآيات القرآنية في طياتها.
٢. تعرّض أمير المؤمنين (ع) في بيانه وتفسيره لمجموعة من الآيات القرآنية إلى مجموعة من المناهج التفسيرية، ومن جوانب عدّة، فتراه مرّة يفسّر القرآن بالقرآن، وأخرى يفسّره على ضوء ما أخذه من النبي (صلى الله عليه وآله) وهو المنهج الروائي، وأخرى يفسّره على ضوء المباني العقلية والفكرية، وأخرى من خلال الإشارات العلمية والرمزية للقرآن الكريم.
٣. يُقصد بالموجّهات القرآنية توضيح آيات القرآن بواسطة آيات أخرى وبيان مقصودها، فتكون آيات القرآن بمثابة المصدر لتفسير آياتٍ أخرى، وقد استدللّ الباحثون المتخصّصون في تفسير القرآن وعلومه على لزوم هذا المنهج في التفسير بالقرآن والسنة والسيرة.
٤. تُعدّ الموجّهات الروائية من أقدم الموجّهات التفسيرية، وأكثرها شيوعاً. وهو أحد أقسام (التفسير بالمأثور أو التفسير النقلي).
٥. يُراد من الموجّهات اللغوية في تفسير القرآن هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥م.
٢. الاستبصار، محمد بن الحسن الطوسي، جامعة المدرسين، قم، إيران، ط١، ١٩٩١م.
٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة المجلسي، منشورات جامعة المدرسين، إيران، قم، ١٩٩٧م.
٤. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف، مطبوعات الأعلمي، ط١، بيروت.
٥. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار الفكر، لبنان.
٦. البيان في تفسير القرآن، الخوئي، دار الثقلين، للطباعة والنشر، قم.
٧. تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، مؤسسة الريان ناشرون، بيروت، ط١.
٨. التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور، الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت.
٩. تحف العقول، ابن شعبة الحراني، مطبوعات الأعلمي، بيروت، ١٩٩٦م.
١٠. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، منشورات الحضارة، بيروت.
١١. تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمي، دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ.
١٢. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، أونداناش للطباعة النشر، إيران، قم.
١٣. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد، ١٤١٨هـ.
١٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، منشورات دار الكتاب، بيروت.



١٥. الرجال، ابن المطهر الحلي، مكتبة الرضي، ١٤٠٢ هـ.
١٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الحديث، القاهرة، مصر.
١٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١٨. علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، إيران، قم.
١٩. قاموس الرجال، التستري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠ هـ.
٢٠. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الأضواء، إيران، قم، ١.
٢١. الكنز والتأويل، سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية، دمشق، سوريا، ٢٠٠٦ م.
٢٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٢٣. المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧ م.
٢٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الأندلسي، الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، بيروت، لبنان.
٢٥. الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني، منشورات جامعة المدرسين، قم، إيران.
٢٦. منطق الخطاب القرآني، محمود باقر سعدي، مركز الحضارة، لبنان، بيروت.
٢٧. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، منشورات مكتب الاعلام الإسلامي، قم.
٢٨. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، جامعة المدرسين للحوزة العلمية، قم، إيران.
٢٩. وفيات الأعيان وأنباء آخر الزمان، أحمد بن محمد بن خلّكان، الأعلمي للمطبوعات، لبنان.

أثر القيم الدينية في النشاط الاقتصادي

نموذج القيم الإسلامية عند الإمام عليؑ

أ.م.د عدنان حسن موسى سلمان العبيدي

أ.م.د حسين علي ريس المشهداني

الملخص:

هذه محاولة بحثية لتلمس بعض الخطط العريضة بين القيم الإسلامية عند الإمام عليؑ نتلمس من خلالها أهم خصائص منهج الإمام علي الاقتصادي من خلال استنطاق الفكر الاقتصادي الإسلامي بما حوته النصوص الشريفة في القرآن، ويهدف البحث إلى إلقاء الضوء على قابلية السياسات الاقتصادية التي جاء بها الإسلام، وتقديم البديل النظري والعملي للمذاهب الاقتصادية عبر التاريخ التي جرّبت حظها العاثر في عدم تقديمها الحلول الناجحة لقيام اقتصاد يسوده التعامل الإنساني والأخلاقي دون الوقوع في الأزمات المالية والاقتصادية الأخرى، من خلال المنهج الاقتصادي للإمام علي الذي لا يتواجد في الفلسفات الاقتصادية الأخرى، خاصة إذا ما علمنا أنّ عمارة الأرض واستخلافها من أوجب الواجبات التي أقرها الإسلام، والتي عمل وأكد عليها الإمام عليؑ.

الكلمات المفتاحية: الفكر الاقتصادي، الإمام عليؑ، الاقتصاد الإسلامي،

الأخلاق الاقتصادية، الاستخلاف.

Abstract:

This research endeavor seeks to trace the broad outlines of Islamic values according to Imam Ali (PBUH), through which we identify the key characteristics of his economic methodology. By interrogating Islamic economic thought as presented in the noble Quranic texts, the study aims to shed light on the viability of the economic policies introduced by Islam. It presents both a theoretical and practical alternative to historical economic doctrines that failed to provide successful solutions for establishing an economy dominated by humanitarian and ethical interactions without succumbing to financial and economic crises.

The research highlights Imam Ali's economic approach, which possesses unique dimensions absent in other economic philosophies. This is particularly significant given that the cultivation of the earth (imarat al-ard) and vicegerency (Istikhlaf) are among the most paramount duties established by Islam—principles that Imam Ali (may God be pleased with him and honor him) consistently enacted and emphasized.

Keywords: Economic Thought, Imam Ali (PBUH), Islamic Economics, Economic Ethics, Vicegerency.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلام والسلام على خير خلق الله أجمعين محمد عليه وعلى آله الطيبين الأطهار خير خلق الله أجمعين، وبعدُ فإنَّ هناك تأثيراً مباشراً للاقتصاد على حياة الأفراد والجماعات والدول، فكلّما تحسّن اقتصاد الفرد أو الجماعة أو الدولة تحسّنت ظروف الحياة عامّة، وحصل المواطنون على حقوقهم الاقتصاديّة وحقوقهم وحرّيّاتهم الأخرى، وعاش الناس حياة آمنة ومستقرّة، وهذا واضح في الدول التي تملك اقتصاداً قوياً ومستقرّاً، حيث يعيش سكّانها حياة مرفّهة إلى حدّ ما، ويحصلون على حقوقهم كاملة، ويقصدها الناس من كلّ حدب وصوب بغية العيش فيها، والحصول على تلك الحقوق، ولاسيما الحقوق الاقتصاديّة.

وكلّما ضعف اقتصاد الفرد أو الجماعة أو الدولة تدهورت الحياة عامّة، وانتُهكت حقوق المواطنين الاقتصاديّة وحقوقهم وحرّيّاتهم الأخرى، وعاش الناس حياة الفقر والجوع والخوف، وهذا واضح في الدول التي تملك اقتصاداً هشّاً، حيث يعيش سكّانها فقراء إلى حدّ ما، ولا يكادون يحصلون على حقوقهم الاقتصاديّة وحرّيّاتهم، وهم يتطلّعون إلى هجرتها كلّما سنحت لهم فرص المغادرة، إذ إنّ الوضع الاقتصاديّ الضعيف يؤدّي إلى البطالة، والبطالة تؤدّي إلى الفساد الأخلاقيّ، والفساد الأخلاقيّ يؤدّي إلى السرقة والقتل والاختلاس، وزيادة نشوء الميليشيات المسلّحة، والعصابات، وشبكات التخريب وغيرها، فماذا نعني بالحقوق الاقتصاديّة من منظور حقوق الإنسان؟ وما تأثيرها على الإنسان إن فقدت في المجتمع، أو تمتّع بها بعض الناس دون الآخرين؟ وما هو واجب الدولة (الحكومة) إزاء توفير الحقوق الاقتصاديّة لمواطنيها؟



تاريخياً نريد أن نستحضر منهج الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في رعاية الشؤون الاقتصادية لمواطني الدولة الإسلامية يومذاك.

وتكمن أهمية البحث في السياسة التي انتهجها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد كانت ثورة على الواقع الذي فرض على الأمة، إذ إن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ورث نظاماً مالياً مختلفاً جعله يبادر إلى اتخاذ جملة من الإصلاحات الضرورية التي كان لا بد منها لإعادة الاقتصاد الإسلامي إلى طريقه الصحيح.

فكان لا بد من تغيير أدوات السلطة التنفيذية ليتمكن من تطبيق سياسته الإصلاحية؛ فبادر إلى عزل ولاية الخليفة عثمان واستبدلهم بمن هو أحق وأجدر منهم بالولاية، وقام أيضاً بمصادرة الأموال التي أقطعها الخليفة عثمان لأتباعه من بيت المسلمين، فضلاً عن ذلك فإنه عاد بسياسته العطاء إلى زمن الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعني المساواة في العطاء بين المسلمين العرب منهم والموالي.

عرضت في هذا البحث المتواضع موضوعات عدّة منها: التعريف بالسياسة الاقتصادية والمالية ثم سياسة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المجال مثل استرجاع الأموال، والمساواة في العطاء، ونظرته إلى الزكاة، والتفاته إلى التجارة والصناعة وإعطائهما ما يستحقان من الاهتمام والرعاية، والتطرّق في هذه الدراسة المتواضعة إلى تجربة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المجال، والكلّ يعرف أنّ هذه التجربة كانت إحدى التجارب الفدّة في الحكم الإسلامي، وقد سجّل التاريخ السياسي معالم هذه التجربة وإن لم تصلنا صورتها التاريخية كاملة بسبب الظروف السياسية في ذلك الوقت والتي عملت تلك الظروف على طمس معالمها، إذ بين التاريخ بأن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قد وضع نظريات علمية تفسّر وتوضّح النشاط الاقتصادي تفسيراً مبيناً على أسس قيمية أخلاقية مستمدة من العقيدة الدينية، فالإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعالج مشاكل الأمة وقضايا



الدولة بموقف عمليّ نظريّ في آن واحد، فمن زاوية كان يوجّه أنظار الولاة وكلّ المعنيين إلى المشكلة ذاتها ثمّ بيّن الطرق ويضع الحلول المناسبة لها .

المطلب الأوّل: أثر الإمام عليّ عليه السلام في الاقتصاد الإسلاميّ وسياسته الاقتصادية

لقد امتاز النشاط الاقتصاديّ في عهد الإمام عليّ عليه السلام رغم قصر الفترة وكثرة الحروب التي لم تدعه من إكمال مشروع المجتمع الإسلاميّ المثالي، بتدعيم الأسس الاقتصادية للدولة القائمة على مبدأ الإصلاح والعدالة والأمانة والضمان الاجتماعيّ ورفع الكفاءة الاقتصادية وتحقيق التنمية المستدامة، لقد ساق الإمام عليّ عليه السلام آدم سميت في نظريّته عن قيمة العمل، وكيّنز في الدور المعياريّ للدولة، ومالتوس في نظريّة السكان، وقدم أفكارا عن التكافل والضمان الاجتماعيّ ونظام السوق والإنتاج والتوزيع والاستهلاك والتبادل الاقتصاديّ الكليّ والماليّة العامّة والنقود والعمل، ممّا يجعله مؤسس علم الاقتصاد الأخلاقيّ الذي تحكمه القيم الإسلاميّة .

إنّ التاريخ لا يستطيع أن ينكر وجود فقير واحد في عهد الإمام عليّ عليه السلام، إذن لماذا انعدم الفقر في عهد الإمام عليّ عليه السلام؟ هل للقيم الإسلامية دور مباشر وفعل على النشاط الاقتصاديّ ومن ثمّ يكون عاملاً أساسياً في تنمية المجتمع ونهضته الإنسانيّة؟ إننا بحاجة إلى دراسة سياسة الإمام عليّ عليه السلام الاقتصادية .

عرّفت السياسة الاقتصادية بأنّها: ((الاجراءات العلمية التي تتخذها الدولة للتأثير في النشاط الاقتصاديّ))^(١)، وعرفها باحث آخر بما ينسجم والسياسة والساسة الشرعية الاقتصادية والشرعيّة بقوله: ((بأنّها السعي بوسائل اقتصادية مباحة لتحقيق واقع هو أقرب إلى أهداف المجتمع، والسياسات الاقتصادية تتضمّن

(١) النظام الجبائي الإسلاميّ دراسة قانونيّة (بحث): ٧٤ .



دراسة أفضل السبل التي يمكن أن تتبناها السلطات العامة للوصول إلى هدف معين ومعالجة البطالة وارتفاع الأسعار^(١).

وتستخدم السياسة الاقتصادية في إطار البحث عن تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية المرغوبة في المجتمع، وتقسم السياسات الاقتصادية على نوعين: السياسة المالية التي تهتم بالجوانب المالية، كالإنفاق والضرائب، وتقوم بتنفيذها السلطة المالية، أما السياسة النقدية التي تهتم بالمتغيرات النقدية وتأثير ذلك في مختلف الجوانب الاقتصادية في المجتمع، يقوم بتنفيذها عادة البنك المركزي لأنه يمتلك القدرة على التحكم في كمية النقود المعروضة^(٢).

ولم يكن للسياسة النقدية بحسب هذا التعريف أثر في الحياة الاقتصادية في زمن الإمام علي (ع) فلم تكن الدولة الإسلامية هي التي تضرب النقود كي تتحكم في كمية ونوعية ما يسك منها، كما أنه لم يكن الجهاز المالي للدولة قد وصل مرحلة التكامل بحيث يستطيع التأثير في كمية النقود المتداولة في الأسواق، اللهم إلا ما عُرف عن الإسلام بحرصه على ضرورة البذل والعطاء وعدم كنز الأموال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

كانت مصادر السياسة الاقتصادية عند الإمام علي (ع) تعنى بالسعي بوسائل متاحة لتحقيق واقع أقرب إلى أهداف المجتمع، وبما أن النظام الاقتصادي في الإسلام ينبثق من القرآن والسنة، فإن سياسة الإمام علي (ع) الاقتصادية تكون قائمة

(١) السياسة المالية والتخطيط في الاقتصاد الإسلامي: ٢١.

(٢) ينظر: أساسيات علم الاقتصاد الجزائري: ٣٥٥.

على فكرة تسيير الأعمال بالأحكام الشرعية، أو جعل الأحكام الاقتصادية حسب ما تتطلبه أحكام الشرع، لأن الإسلام ينطوي بوصفه نظاماً شاملاً للحياة على تنظيمات قاعدية للحياة في جميع جوانبها الاقتصادية والسياسية وغيرها، وله سياسته الاقتصادية الخاصة به والتي تتفق والإطار العام لنظامه الاقتصادي^(١).

السياسة المالية

تعدّد التعريفات للسياسة المالية، فمنها: ((أتمها مجموعة الإجراءات التي ينصبّ على دراسة النشاط المالي للدولة ومنها: أتمها مجموعة الإجراءات التي تتخذها الدولة بشأن اختيار الحاجات العامة، وتحديد الموارد اللازمة لإشباعها))^(٢). وعُرفت أيضاً: بأتمها ((القرارات والاجراءات التي تتخذها الدولة الإسلامية في إيراداتها، ونفقاتها بهدف تحقيق المقاصد الشرعية))^(٣).

أما السياسة المالية في الدولة في الإسلام فتعرف بأتمها: ((مجموعة الأصول والمبادئ العامة المستمدة من النصوص الإسلامية (القرآن السنة والإجماع) التي تحكم وتنظم النشاط المالي العام للدولة الإسلامية، وما ينطوي إليه المجتهدون من علماء الأمة من أنظمة وحلول تطبيقاً لهذه الأصول والمبادئ بما يتلاءم وكلّ عصر وبيئته))^(٤). بعد أن تعرّفنا على تعريف السياسة المالية في الاقتصاد الوضعي، وتعريفها في الاقتصاد الإسلامي، وهو مدخلا لمعرفة سياسة الإمام عليؑ عندما تولى حكم الدولة الإسلامية.

(١) السياسة المالية في عهد الإمام عليؑ: ٣٣.

(٢) م. ن: ٣٣.

(٣) م. ن: ٦٣.

(٤) م. ن: ٦٧٠.



تعدّ السياسة الماليّة للإمام عليّ (ع) ثورة على الواقع الذي كانت تعيشه الأمّة الإسلاميّة حينذاك، إذ كانت الأثرة والقرابة عاملاً فعّالاً في السياسة الماليّة المتبّعة في حينها، فقد سيطرت فئة قليلة من الأفراد على المقدرات الماليّة العامّة للدولة الإسلاميّة.

نعم كان المسلمون لهم عطاؤهم من بيت المال إلا أنّ هذا العطاء لم يكن متساوياً فيما بينهم، فقد كانت ضوابط غير منسجمة والحياة الإسلاميّة التي أرادها الله في قوله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ورسوله ﷺ في الحديث ((المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم))^(١).

وضعت هذه الفئة السبق في الإسلام والقرابة والحاجة وغيرها من الأمور مقياساً في تحديد مقدار العطاء ممّا زاد في ثراء شرائح اجتماعية على حساب شرائح أخرى، واستمرّ هذا الوضع في عهد الخليفة عثمان فضلاً عن ذلك - عين أقاربه من غير المؤهلين في المناصب الرفيعة، فكان أن استغلّوا هذه المناصب للمنافع الشخصية ممّا أدّى إلى ثرائهم.

استرجاع الأموال العامّة

بدأ الإمام (ع) باسترجاع الأموال العامّة، وهي الأموال التي منحها الخليفة عثمان بن عفان لبني أمية من دون وجه حقّ، فأرجعها أمير المؤمنين (ع) لبيت مال المسلمين، وكانت هذه أولى خطوات الإصلاح وأولى الخطوات التي أثارت عليه المتنفّذين.

(١) سنن أبي داود: ٤/٣٧٩.

لقد عزم الإمام عليؑ على أن يدك ما ارتفع في العهد السابق من حصون الاحتكار، واستغلال النفوذ ونهب الأرزاق وسائر ما شيده الأثرياء، فأعلن عن سياسته بقوله: ((ألا أن كلّ قطعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء ولو وجدته وقد تزوّج به النساء وفرّق في البلدان لردّته إلى حاله، فإنّ العدل سعة ومن ضاق عنه الحقّ فالجور عليه أضيّق))^(١).

((كانت إعادة الأموال العامّة لبيت مال المسلمين أولى الخطوات الإصلاحية التي اتخذها الإمام عليؑ في بواكير خلافته مُعلنًا عدم السماح لأيّ أحد استغلال المال العام مطالبًا أصحاب الثروات غير المشروعة بالأراضي الخصبة والخيول المسوّمة التي جاءتهم بطرق غير شرعية فردّها إلى بيت المال))^(٢).

وعلق جرادق على تلك الخطوة بقوله ((قد يعدل بعض الولاة واصحاب السلطان فلا يثيرون على غير جهد ولا يبذرون مال المظاهر الاجتماعية التي افرزها العهد السابق، فبدا بعزل ولاة الخليفة عثمان ومصادرة الأموال والقطائع التي اعطيت إلى ولاته واعادها إلى بيت المال)).

المساواة في العطاء

كان الرسول الكريم ﷺ يوزّع ما يأتيه من أموال على المسلمين بالسوية لا فرق بين عربيّ وأعجميّ، ولم يعط لأحد أكثر من غيره كونه من النخبة أو من البواسل في الحرب. وعندما جاء أبو بكر الصديق إلى سدّة الحكم لم يغيّر في نظام العطاء واستمرّ على حاله، أمّا في زمن عمر بن الخطاب فقد كثر المال، واتّسعت الدولة، فاجتهد فيه

(١) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٢/ ١٨٥، وينظر: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ١٦٤.

(٢) الفكر الإبداعي في تراث الإمام علي نهج البلاغة أنودجا (أطروحة): ٩٢.



عمر براهيه فرأى أنّه لا يصحّ أن يكون المسلمون سواسية كأسنان المشط من هاجر منهم قبل الفتح وآمن، لذا وضع عدّة شروط، أو صنّف الناس إلى درجات منها القراية من الرسول (صلى الله عليه وآله) والسبق في الإسلام كأهل بدر، والحاجة، ولم يكن لهذه الخطوة في بدايتها أثر اقتصادي واضح، ولم يؤخذ برأي المعارضين من الرجال الذين يفكّرون بمستقبل الأمّة ويتمتّعون بنظرة مستقبلية تدرك عواقب الأمور، فلما استمرّ العطاء بهذه الصيغة واتّسعت موارد الدولة بدأت الفوارق الماليّة التي انقلبت إلى فوارق اجتماعية، تظهر بين أفراد المجتمع الإسلامي الذي بنى على الأخوة والتعاضد والتراحم، وعندما أحسّ عمر بخطر خطوته هذه وأثرها السلبيّ في المجتمع قرّر أن يتراجع عنها، لكنّ القدر لم يمهله كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر^(١).

ومن هنا كان قرار الإمام علي (ع) العدول عن تمييز الناس في العطاء والعودة إلى نظام المساواة قراراً من أخطر قراراته الثوريّة؛ لأنّه كان يعني انقلاباً اجتماعياً بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة من دلالات، كما كان ردّ فعل الأغنياء وفي مقدّمتهم ملاء قريش وأبناءؤهم ضدّ عليّ وقراره هذا بداية الثورة المضادّة لحكمه^(٢).

الزكاة

لقد أوضحنا فيما سلف فلسفة أمير المؤمنين عليّ (ع) في النفقات، وأعني العطاء، وكيف ساوى بين المسلمين عربهم ومواليهم لا فرق بين واحد وآخر، ولم تقتصر هذه الفلسفة على العطاء بل امتدّت إلى جانب آخر من أموال المسلمين، وهو النفقات التي خصّ الله تعالى بها اليتامى والمساكين وأبناء السبيل، وأعني بها الزكاة. كانت لأمر المؤمنين فلسفة خاصّة في الزكاة، فهو لم ينظر إليها مورداً مالياً

(١) ينظر: كتاب الأموال: ٢٧٧.

(٢) علي بنظرة عصرية جديدة: ٢٩.



أوجده الله تعالى لفقراء المسلمين فحسب، بل نظر إليها بوصفها مجالا تعبديا، يجري فيها التقرب إلى الله تعالى، وحاول الرجوع بها إلى مصدرها الأصلي المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وأخرجها من النظرة المالية الضيقة التي سارت بالزكاة إلى منحى خطير، جعلتها واجبا ماليا ملزما للأفراد المكلفين بدفعها، وأدى ذلك إلى استعمال القوة في بعض الأحيان .

إن الهدف من فرض الزكاة لم يكن إجبار المكلفين على دفعها، بقدر ما كان إيجاد أواصر جديدة داخل المجتمع الإسلامي، تتمثل بالتآزر والتكاتف والشعور الإنساني والاجتماعي بالفقراء والمساكين، ولم يكن دفع الزكاة في شريعة الإسلام بلا عائد أو مقابل معنوي حتى تستعمل القوة لاستخراجها من جيوب المكلفين بدفعها، بل إن الله تعالى عندما أمر رسوله الكريم ﷺ بأخذ الصدقة من أموال المسلمين أوجب على المسلمين مقابل ذلك طهارة أموالهم، أي زيادة البركة والنماء فيها، كما أمر رسوله ﷺ بالصلاة عليهم والدعاء لهم، وأن صلاته ﷺ سكن لهم، أي تحقيق الطمأنينة في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وهذه من الأمور المعنوية التي كان الفرد المسلم آنذاك يعتز بها، وكان يسارع إلى إخراج زكاة أمواله؛ لما تحقق له من فوائد معنوية ومادية.

وهذا في الحقيقة هو الذي دفع الكثير من المسلمين إلى الامتناع عن إعطاء الزكاة، وليس إخراج الزكاة، وإنما إعطاء الزكاة إلى من تولى السلطة بعد رسول الله ﷺ؛ فإنهم فقدوا فيه جزءا مهما من التشريع الإلهي، وهو الصلاة والسكن المتحقق لهم بدعاء رسول الله ﷺ، وصلاته عليهم، لذا لم تجد السلطة الجديدة بعدما عجزت عن تحقيق هذه الامتيازات المعنوية والمادية للمؤمنين لم تجد بُداً من



استخدام القوّة لاستخراج الزكاة من جيوب المكلفين بدفعها، حتّى مال أبو بكر حين منعه الصدقة إلى قتالي المانعين .

والحقّ أنّهم كانوا يؤدّون الزكاة، أي إنّ المسلمين كانوا يؤدّون الزكاة بطيب نفس، وصفاء سريرة، وامثالاً لأمر الله، ولم يشهد التاريخ أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعمل القوّة مع المسلمين لجباية الزكاة، ولم ينقل لنا التاريخ أنّ حرباً قد نشبت من أجل الزكاة. فحاول أمير المؤمنين العودة بالإسلام إلى مصدره الأصيل، وإلى البدايات الأولى التي أرسى أسسها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعدما طرأت عليه الكثير التغيرات، والتي أصبحت سنّة تُقاس بسنّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد أن مرّت عليها سنوات، واعتاد عليها الناس، فحاول أمير المؤمنين الرجوع بهذا التشريع المهم إلى مصدره الإلهيّ القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة .



المبحث الثاني: الحقوق الاقتصادية في عهد الإمام عليؑ

يصنف المختصون في مجال حقوق الإنسان الحقوق إلى ثلاث فئات من حيث ظهورها، وهي، الفئة الأولى: الحقوق المدنية والسياسية، ومن هذه الحقوق الحق في الحياة والحرية والأمن، وعدم التعرض للتعذيب، والتحرر من العبودية، والمشاركة السياسية، وحرية الرأي والتعبير والتفكير والضمير والدين، وحرية الاشتراك في الجمعيات والتجمع، وحرية التنقل والإقامة، واللجوء، وحق الملكية، وحق المشاركة في إدارة الشؤون العامة وغيرها.

والفئة الثانية هي: الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن هذه الحقوق: العمل، والتعليم، والمستوى اللائق للمعيشة، والمأكل، والمأوى، والرعاية الصحية وغيرها. والفئة الثالثة هي: الحقوق البيئية والتنموية، ومن هذه الحقوق الحق في السلام، والحق في التنمية، والحق في البيئة النظيفة، والحق في الهدوء، والحق في الإغاثة عند الكوارث الكبرى وغيرها.

يهدف العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (١٩٦٦) إلى حماية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها التحرر من التمييز، والحق في المساواة بين الرجل والمرأة، والحق في العمل، وحرية اختيار العمل والقبول به، والحق في ظروف عمل عادلة ومؤاتية، والحق في تكوين نقابات عمالية، والحق في الإضراب، والحق في الضمان الاجتماعي، وحق الأمهات في الحصول على حماية خاصة قبل الولادة وبعدها، وتحرر الأطفال من الاستغلال الاجتماعي والاقتصادي، والحق في مستوى معيشي لائق، والتحرر من الجوع، والحق في الصحة، والحق في التعليم، وحرية الأهل في اختيار تعليم لأطفالهم، والحق في المشاركة في الحياة الثقافية، والحق في التمتع بفوائد العلوم، وحق



المؤلفين في المصالح المعنوية والمادية المترتبة على أعمالهم، وحرية البحث العلمي والنشاط الإبداعي^(١).

والحقوق الاقتصادية التي هي جزء من فئة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية: مجموعة الحقوق المتصلة بالنشاط الاقتصادي، بكل جوانبه ومجالاته الفردية والجماعية لبلوغ الحياة الكريمة، لما ينتج عن هذا النشاط من ثروات مادية. ومن أمثلة الحقوق الاقتصادية: الحق في العمل، ويتفرع عن هذا الحق (الحق في الأجر، والحق في تكوين النقابات، وحق الإضراب، والحق في الحماية والأمن من الأمراض المهنية، وحق الضمان الاجتماعي، والحق في الراحة) وحق الملكية، ويتفرع عن هذا الحق (الحق في الرهن والإيجار، والبيع والشراء، والحق في الإرث وكل ما يتعلق بحرية النشاط الاقتصادي).

لا يتطلب العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من الحكومة القيام على الفور بإطعام وإكساء وإسكان مواطنيها، ولكنه يطالبها باتخاذ خطوات نحو الأعمال الكاملة لتلك الحقوق وتفادي أي تدابير من شأنها الانتقاص من تلك الحقوق وحظر التمييز فيما يتعلق بتلك الحقوق، وعليه يمكن القول إن الالتزامات الواقعة على الدول فيما يتعلق بالحقوق والحريات الاقتصادية والاجتماعية هي التزامات إيجابية، بما يعنيه ذلك من ضرورة بذل الدول لجهود معينة حتى تكفل للمواطنين فرص عمل مناسبة، فضلا عن توفير المسكن والغذاء والكساء والتعليم والرعاية الصحية المناسبة إلى غير ذلك من المتطلبات اللازمة للحياة الكريمة واللائقة لمواطنيها، وهو ما يفيد بأن للأفراد الحق في مطالبة السلطات الحاكمة بأن تقدم لهم يد العون والمساعدة، وأن توفر

(١) ينظر: الفكر الإبداعي في تراث الإمام علي نهج البلاغة أنموذجا : ٩٢ .



لهم كل ما هم بحاجة إليه لكي يعيشوا حياة لائقة وكريمة.

كان للإسلام في عهد الإمام عليؑ تجربة ناجحة في تثبيت الحقوق والحريات عامة، والحقوق الاقتصادية خاصة، سواء في الحد من الفقر، أو إيجاد فرص العمل، أو توفير الضمان الاجتماعي الحكومي، أو إصلاح المهن والحرف الصناعية وتطويرها يومذاك، في هذا المقال نتحدث عن ثلاثة حقوق اقتصادية كان قد تعامل معها الإمام عليؑ بمتهى العدالة والإنصاف، مما يوفر بيئة اجتماعية آمنة ومستقرة لمواطني الدولة الإسلامية آنذاك، وهذه الحقوق هي حقّ المواطنين في خزينة الدولة، وحقّ المواطنين في توفير فرص عمل لائقة، وحقّ المواطنين في الحصول على الضمان الاجتماعي^(١).

١- حقّ المواطنين في خزينة الدولة:

للدولة ميزانية مالية، تشبه إلى حدّ معيّن ميزانية الأسرة، فالأسرة لها مدخولات تأتي في الغالب من العمل أو من المشروعات الخاصة، وتنفقها في تلبية حاجاتها الأساسية مثل: السكن، الغذاء، علاج الأطفال، الوقود، وغيرها، والدولة كذلك لها مدخولات تأتي من مواردها الطبيعية، ومن الرسوم والضرائب والمشروعات والخدمات وغيرها، وتنفقها في موارد اجتماعية واقتصادية ضرورية لا يمكن لمواطنيها أن يقوموا بها كالترية والتعليم (مثل أجور المعلمين) والصحة (المشاركة في تمويل السلة الصحية)^(٢)، وعلى الأمن، وعلى الاستثمار وإقامة البنى التحتية، تطوير الشوارع، وبناء المؤسسات التعليمية، الاستثمار في الموانئ، ومنشآت محلية المياه وأخرى، إلا أنّ أكثرية الحكومات لا تلتزم بما عليها من نفقات إزاء مواطنيها،

(١) الفكر الابداعي في تراث الإمام علي على نهج البلاغة انموذجا : ٩٢ .

(٢) السلة الصحية توفير متطلبات المواطنين ما يحتاجونه من مستلزمات صحية ضرورية للحياة.



وتفضل بعض المواطنين على آخرين بطرق قانونية وغير قانونية، وتصرف الأموال هنا وهناك دون النظر إلى الطبقات الفقيرة والمستحقة، وهذا هو ديدن الحكومات كلها حتى الوقت الحاضر، سواء كانت إسلامية أم غير إسلامية.

ولكن نهج علي (ع) كان مختلفا تماما؛ فهو في الوقت الذي كان يأمر عمّاله وولاته أن يحتاطوا في صرف المال العام - حتى في كتابة التقارير التي يرسلونها إليه - فكان يدعوهم إلى عدم تعريض رأس القلم حتى لا يزيد صرف الحبر، وإلى مقاربة السطور كي لا يزيد صرف الجلود، وإلى عدم تطويل الكلام بالفضول، فقد ورد عنه (ع) ((أدقوا أقلامكم، وقاربوا بين سطورك، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإياكم والإكثار؛ فإن أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار))^(١) وكان (ع) ينهى عن الجود والكرم بالأموال العامة، فكان يقول ((جود الولاية بفيء المسلمين جور وختر، أي غدر))^(٢).

فقد كان الإمام علي (ع)، يوزع أموال بيت مال المسلمين على المسلمين كافة، إذ أعلن إلغاء التمايز الطبقي بكل أسبابه، وعهد إلى التسوية بين الناس في العطاء، فالناس عنده سواسية كأسنان المشط، وانقطعت آمال الطبقة الغنية التي لم تنظر للعالم إلا في منظار مادّي، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ((ألا لا يقولنّ رجال منكم غداً قد غمّرتهم الدنيا، فاتخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عارا وشنارا، إذا ما منعهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينتقمون ذلك ويستكفرون، ويقولون: حرمانا ابن أبي طالب حقوقنا!))^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٤١/ ١٠٥ .

(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب : ٢١٠/ ٤ .

(٣) م . ن : ٤/ ١٠٦ .

وقد ورد أنه علم بتصرف أحد ولاته بمال المسلمين بغير حق فأرسل إليه وقال: ((فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد؟ أو ما تخاف نقاش الحساب؟... كيف تُسيغ شرابا وطعاما، وأنت تعلم أنك تأكل حراما، وتشرب حراما... فاتق الله وأردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فإنك إن لم تفعل، ثم أمكنني الله منك، لأُعدرنَّ إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار))^(١).

٢- حق المواطنين في توفير فرص العمل اللائقة:

يعدّ الحق في العمل من أهمّ الحقوق الاقتصادية والاجتماعية؛ فهو من الحقوق الاقتصادية؛ لأنه يؤمن الفرد ماديا واقتصاديا ويوفّر له متطلبات معيشته، وهو من الحقوق الاجتماعية لارتباطه الوثيق بالمجتمع، ولأنّ رقيّ المجتمع وتطوّره ونهوضه موقوف على ممارسة هذا الحقّ، والحقّ في العمل يكفل عدم استبعاد أي فرد من الحياة الاقتصادية، وتشير الدساتير والقوانين الوطنية والدولية إلى حقّ المواطن في الحصول على فرصة عمل، إذ تكفل المادة (٢٣) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لكلّ شخص ((حقّ في العمل، وفي حرية اختيار عمله، وفي شروط عمل عادلة ومرضية، وفي الحماية من البطالة))^(٢).

يُعدّ العمل من الناحية الدينية معيارا لمبدأ الثواب والعقاب، ويُعدّ من الناحية الاجتماعية عنصرا رئيسا لاحترام الشخص ومقبوليّته لدى الناس، ومن الناحية الاقتصادية يضع العمل الشعوب التي تعمل في قمة الرفاهية، ويحقّق لها السلم الأهليّ، والأمن الاجتماعيّ، ويضع حدّا للفساد الأخلاقيّ، ويسهم في تثبيت العزّة والكرامة والسيادة لأيّ شعب من الشعوب، وينعكس كلّ على حياة الفرد العادي إيجابا^(٣).

(١) نهج البلاغة، بشرح ابن أبي الحديد: ١٦٨/١٦.

(٢) الفكر الابداعي في تراث الإمام علي على نهج البلاغة أنموذجا: ٩٣.

(٣) ينظر: م. ن: ٩٧.



لذلك نلاحظ أن الإسلام وضع إطاراً خاصاً للعمل ونظامه، ونجد ذلك في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، فمفردة العمل في الأحاديث الشريفة والآيات القرآنية تأتي مع مفردات أخرى، مثلاً العمل مع الإيمان، العمل مع التقوى، العمل مع العلم، العمل الصالح، كذلك العمل والآخرة، والعمل والأجل (الموت)، العمل والرزق الحلال أو الحرام، العمل والجهاد، العمل والشكر، العمل والتوكل، وهناك مفردات أخرى. فالعمل هو من متطلبات أو ضرورة من ضرورات الإسلام، إذ يحدد العمل شخصية الإنسان من خلال ((الأطر والمبادئ التي يعمل بها، والوسائل التي ينتهجها في عمله، والغايات التي يتجه نحوها))^(١)، هذه الجوانب الأربعة نعرف من خلالها هوية العمل، ومدى هدفية هذا العمل.

عن الإمام علي عليه السلام: ((فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح بالقصد فيما تجمع وما ترعى به رعيتك))^(٢)، والذخيرة هو الخزين الذي يُجمع في الدنيا وصولاً إلى الآخرة، فالإنسان الذي تكون أعماله في الإطار الصالح والصلاح والورع واليقين، فهو بالنتيجة يختزن لنفسه في الدنيا أيضاً، وكذلك يختزن بشكل أكبر وأعظم للآخرة، لذا يقول الإمام (فليكن أحبّ الذخائر إليك)، ثم إنّه وصف العمل بأنّه رأس المنافع؛ لأنّ العمل يحرك عجلة الحياة، وعليه فله الأولوية القصوى في سياساته الاقتصادية والاجتماعية، وصولاً إلى مجتمع مزدهر، يعيش حالة الرفاهية^(٣).

٣- حقّ المواطنين في الضمان الاجتماعي الحكومي:

يتوجّب على الدولة التي تحترم حقوق مواطنيها أن تلتزم بتوفير الضمان الماليّ

(١) الفكر الابداعي في تراث الإمام علي على نهج البلاغة أنموذجا : ٨٩ .

(٢) نهج البلاغة : ٨٣ / ٣ .

(٣) ينظر: السياسة المالية في عهد الإمام علي عليه السلام : ٣٣ .



لكل مواطن غير قادر على العمل مثل المعاقين أو ذوي الحاجات الخاصة، أو لكل مواطن كان قادراً على العمل، ولكن لم يعد كذلك بسبب العمر أو الضعف أو العوق، أو لكل مواطن قادر على العمل ولكن لا توجد له فرصة عمل لائق.

وكان الإمام علي قد التفت إلى موضوع توفير الضمان المالي في حادثة تاريخية معروفة، فقد روي أنه كان يمشي يوماً على سلك الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس فوجه الإمام سؤالاً إلى من حوله قائلاً: ما هذا؟ فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ، ولم يقدر على العمل، وليس له مال يعيش به، فيكتنف الناس، فقال الإمام بغضب: استعملتموه على شبابه حتى كبر تركتموه؟ فجعل الإمام لذلك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً يعيش به^(١).

وذهب الإمام إلى أن القيام بحق الضمان الاجتماعي من واجبات الحاكم الأساسية، إذ يقول في عهده للأشتر محدداً أهم واجباته: ((حقاً على الوالي ألا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به، وأن يزيد ما قسم الله له من نعمة دنواً من عباده وعطفاً على إخوانه))^(٢)، ويجعل الإمام من تعزيز حق الضمان الاجتماعي أحد محاور حركته السياسية إذ يقول ﷺ: ((اللهم إنك تعلم أنني لم أرد الإمرة ولا علو الملك والرئاسة وإنما أردت القيام بحدودك والأداء لشرعك))^(٣). وقد كان بعد وصوله إلى سدة الحكم، أميناً لما دعا إليه من ضرورة صيانة حق الضمان الاجتماعي.

(١) السياسة المالية في عهد الإمام عليؑ : ٣٣ .

(٢) نهج البلاغة : ٧٣ / ٣ .

(٣) موسوعة الإمام علي بن أبي طالبؑ : ١١ / ٢٤٥ .



الخاتمة

كانت سياسة الإمام علي (ع) الاقتصادية والمالية تنبع من القرآن الكريم والسنة النبوية، ووفقاً لتطور ظروف العصر في خلافته. وكان محور كل السياسات الاقتصادية والمالية التي انتهجها الإمام علي (ع) هو الإنسان، الفرد المسلم والحفاظ على كارمته وحقوقه المادية والمعنوية، فكانت أولى الخطوات استرجاع ما ضيّع من حقوق المسلمين من أموال، فأعلن على الملأ استرجاعها لبيت المال.

ثم جاءت الخطوة التالية المكتملة للأولى وهي المساواة بين المسلمين في العطاء، فلا فضل لأحد على أحد، فالمال مال الله والناس عباد الله، فيقسم بين هؤلاء العباد بالسوية فكانت خطوة ثورية أجمت عليه المتفعمين والوصوليين، وقد كان مُدركاً لما يقوم به من خطوات اصلاحية ويدرك أيضاً مواقف المعارضة منها. وكانت للإمام علي (ع) بصمته الواضحة في تنمية التجارة والصناعة، ففي عهده للأشتر رأينا اهتمامه العظيم بهذين القطّاعين اللذين لا قوام لطبقات المجتمع الأخرى إلا بهما.

لقد كان نهج الإمام علي (ع) وفي مختلف المجالات ثورة جذرية لتغيير الواقع الفاسد والعودة إلى نهج الإسلام القويم وتخليص العباد من الجور والحييف عليهم عندما تصدّى للحكم من ليس له باهل.

المصادر

١. أساسيات علم الاقتصاد الجزائري، محمد طاقة وآخرون، دار إثراء، عمّان، ٢٠٠٨م.
٢. الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، تح: حسن حميد السنيد، طه أرن، مطبعة ليل، ١٤٢٦هـ.
٣. الأموال، القاسم بن سلام، دار الفكر، بيروت، ط ١، (د.ت).
٤. بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، قم المقدسة، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
٥. السياسة الاقتصادية والتخطيط في الاقتصاد الإسلامي، محمد أنس الزرقا، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمّان، ١٩٩٠م.
٦. السياسة المالية في عهد الإمام عليؑ، رضا صاحب أبو محمد، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي، النجف الأشرف، ٢٠٠٦م.
٧. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ)، ضبط: محمد عبد العزيز، دار الكتب الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٥م.
٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار اللبنانية للنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.
٩. في أصول النظام ال
١٠. موسوعة الإمام علي بن أبي طالبؑ في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
١١. النظام الجبائي الإسلامي دراسة قانونية وفنية، جمال الهواري، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية.

الرقابة الاقتصادية وضمان سعي الإنسان رؤية في فكر الإمام

علي عليه السلام

أ.م. د. علاء حسن مردان اللامي
كلية الإمام الكاظم / البصرة

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى قراءة فكر أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطبق العدالة القرآنية في الرقابة الاقتصادية، ويضمن سعي الإنسان بناءً على إمكانياته وسعيه في تحقيق المكاسب والحقوق الشرعية من دون أن يكون هناك غبن للحقوق، فطالما عمل الإنسان فهذا ما أَرادَه وشرَّعه القرآن الكريم، فهي ضمن منهج الإمام أمير المؤمنين في الرقابة الاقتصادية وحث الناس على السعي لتحقيق مكسب العيش الكريم، والهدف خلق بيئة مناسبة يسودها الاكتفاء لتحقيق الصلاح على مستوى حياة الإنسان؛ لتتشكل القاعدة الأساس لقيام الدولة، وهذا السعي يأتي من الإرادة الحقيقية التي تأخذ بالجدّ وتنهى عن الكسل واستغلال جهود الآخرين، لهذا فإن ما تركه الإمام علي عليه السلام في التراث الإسلامي من وصايا وأحاديث ومواقف تشكل نموذج رغبته في توجيه الإنسان نحو السعي الحثيث لكمال مشروع توزيع الحقوق الاقتصادية، ومنع تحجيمها أو تجمُّعها عند طرف وحرمان أطراف شتى، وهذا الأمر طبَّقه الإمام وهو قائد للدولة الإسلامية وعمل بموجبه، إذ راقب حياته الاقتصادية قبل غيره، فكان شديدًا في سعيه، لا يعطي إلا بالاستحقاق، ولا يستغل منصبه



الإداريَّ ليستولي على مقدرات الناس، بل وُجِدَ لرفع ثقل الحياة عن كاهل الجميع؛ لهذا جاءت هذه المحاولة في قراءة الأثر الاقتصادي والرقابي عند أمير المؤمنين، مع تحقيق الضمان الاجتماعي للجميع، من دون حرمان أو تقنين منهج ما يُخالف القرآن الكريم في توزيع الثروة بين الناس في أيام حكومته، وسوف يقسّم البحث على محاور، في المحور الأوّل: نقف عند مصطلح الرقابة الاقتصادية من حيث المعنى والمفهوم، وموقف حاكم الدولة من تطبيق منهج الشريعة في الإنفاق، وفي المحور الثاني: السعي والفقر في رؤية أمير المؤمنين (ع)، بينما كان المحور الثالث: الضمان الاجتماعي في رؤية أمير المؤمنين الاقتصادية. ومن الله عزّ وجلّ التوفيق.

الكلمات المفتاحية: الرقابة الاقتصادية، العدالة القرآنية، الضمان الاجتماعي، توزيع الثروة، أمير المؤمنين.

Abstract:

This research seeks to explore the thought of Amir al-Mu'minin (PBUH) in applying Quranic justice within economic oversight. It examines his approach to ensuring that human endeavor—based on individual potential and the pursuit of legitimate gains—occurs without the infringement of rights. As long as a person works, they fulfill a Quranic mandate, which Imam Ali integrated into his methodology of economic monitoring while urging people to strive for a decent living. The ultimate goal was to create an environment of sufficiency (Iktifa') to achieve prosperity, forming the bedrock of the state. This pursuit stems from a true will that embraces diligence and forbids laziness or the exploitation of others' efforts.

The legacy of Imam Ali (PBUH)—including his commandments, hadiths, and stances—constitutes a model for guiding humanity toward a complete project of equitable distribution



of economic rights, preventing the concentration of wealth in the hands of a few. As the leader of the Islamic state, the Imam applied these principles first to his own economic life, practicing strict self-oversight. He granted only what was deserved and never exploited his administrative position to seize people's resources; rather, he sought to alleviate the burdens of life for everyone. This study analyzes his economic and supervisory impact in achieving social security for all, without deprivation or following any path contrary to the Quranic method of wealth distribution.

The research is divided into three main axes:

The first axis examines the term "economic oversight" (meaning and concept) and the ruler's stance on applying Sharia methodology in spending.

The second axis explores "endeavor and poverty" from the Imam's perspective.

The third axis addresses "social security" in the economic vision of Amir al-Mu'minin.

Keywords: Economic Oversight, Quranic Justice, Social Security, Wealth Distribution, Amir al-Mu'minin.



المقدمة

من المواضيع التي لها دور كبير في استقرار الأوضاع الداخليّة للدولة الإسلاميّة الواقع الاقتصاديّ، إذ له أثر مباشر في حياة الناس، فكلّما تيسرت الأمور أدّت إلى نوع من الرخاء والسعادة، وبعكس ذلك يؤديّ الواقع إلى تشنّج النفوس وتتبعثر الأفكار، وتتفاقم المشكلات، والتاريخ يشهد على أنّ اختلاف الناس بشأن توزيع الثروات أدّى إلى خروج الأمور عن السيطرة، وقتل العديد من الشخصيّات وحكّام الدولة الإسلاميّة؛ بسبب سوء التدبير الاقتصاديّ، كما هو الحال بشأن حكم عثمان بن عفان، إذ قُتل بسبب تحبّطه في توزيع الأموال، فأعطى بني أميّة وحرم باقي المسلمين، وهكذا أصبح أمر الأموال يؤثّر كثيرًا في مجريات الأمور والحوادث في العصرين الأمويّ والعباسيّ، إذ لم يعتنوا بالمنظومة الاقتصاديّة للدولة الإسلاميّة، فأنهكوا الفلاحين وخربوا كثيرًا من الأراضي الزراعيّة، ومثل تلك المشاكل تؤثّر بصورة مباشرة في تغيير نمط الاستيطان في المدن والقرى، وتكون هناك هجرات تترك الأراضي وتبحث عن موطن آخر يوفرّ لهم مقومات الحياة.

بينما كانت حكومة أمير المؤمنين (ع)، وانطلاقًا من الآية القرآنيّة المباركة: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، تتّضح فيها بعض معالم السياسيّة الاقتصاديّة على وفق قراءة تراث الإمام عليّ وهو يُطبّق العدالة القرآنيّة في الرقابة الاقتصاديّة، ويضمن سعي الإنسان بناءً على إمكانيّاته وسعيه في تحقيق المكاسب والحقوق الشرعيّة، من دون أن يكون هناك غبن للحقوق، فمنهج الإمام أمير المؤمنين في الرقابة الاقتصاديّة مبنيّ على تهيئة البيئة المناسبة التي تحثّ الناس على السعي لتحقيق مكسب العيش الكريم؛ لتتشكّل القاعدة الأساس لقيام الدولة، وتطوّر الحضارات، وهذا السعي يأتي من الإرادة الحقيقيّة التي تأخذ بالجدّ وتنهى



عن الكسل واستغلال جهود الآخرين، لهذا فإن ما تركه الإمام عليؑ في التراث الإسلامي من وصايا وأحاديث ومواقف تشكل نموذجاً مهماً في توجيه الإنسان نحو السعي الحثيث لكمال مشروع توزيع الحقوق الاقتصادية ومنع تحجيمها أو تجمّعها عند طرف وحرمان أطراف شتى، وهذا الأمر طبّقه الإمام وهو قائد للدولة الإسلامية وعمل بموجبه، إذ راقب حياته الاقتصادية قبل غيره، فكان شديداً في سعيه، لا يُعطي إلا بالاستحقاق، ولا يستغل منصبه الإداري ليستولي على مقدرات الناس، بل وُجد لرفع ثقل الحياة عن كاهل الجميع.

فالبحث محاولة في قراءة الأثر الاقتصادي والرقابي عند أمير المؤمنين، مع تحقيق الضمان الاجتماعي للجميع من دون حرمان أو تقنين منهج ما يخالف القرآن الكريم في توزيع الثروة بين الناس في أيام حكومته، وسوف يقسم البحث على ثلاثة محاور، المحور الأول: نقف عند مصطلح الرقابة الاقتصادية من حيث المعنى والمفهوم، وموقف حاكم الدولة من تطبيق منهج الشريعة في الإنفاق، وفي المحور الثاني: السعي والفقر رؤية في كلام أمير المؤمنينؑ، أما المحور الثالث: الإصلاح الاقتصادي في رؤية أمير المؤمنين.

المحور الأول: الرقابة الاقتصادية من حيث المعنى والمفهوم، وموقف حاكم الدولة من تطبيق منهج الشريعة في الإنفاق:

لا شك أن للرقابة دوراً مهماً وفعالاً في توجيه الموارد الاقتصادية على وفق حاجتها الأساسية من دون تبذير أو تقتير، فهي وُجدت لخدمة بني البشر بالدرجة الأولى، ولها منهج مهم في تقسيم الحاجات بين الأفراد بالتساوي وحسب المجهود، بمعنى أنه كلما زاد مجهود الفرد أنتج أكثر من غيره، وهكذا تستمر العملية الاقتصادية، كما أنّها - الرقابة الاقتصادية - تؤدّي مفادها في تنظيم أهم جانب يحتاجه الإنسان ويسهم في استقرار حياته،



ولهذا فالمطلب مهمّ في تتبّع الجانب الاقتصاديّ من أجل خلق بيئة متناسقة يرحّب بها الجميع؛ لأنّها تحترم جميع الحقوق والواجبات، ومن هنا ترتفع قيمة الرقابة الاقتصادية إذا كانت تسير على وفق برنامج مخطّط له، ويسهم في تحقيق الأهداف التي تسعى البشريّة للوصول إليها، وهي ضمان الحصول على حياة حرّة كريمة مبنية على العطاء، وغرس الإرادة الكريمة في تحقيق الرفاهية والعيش الكريم.

ولأهميّة الرقابة ودورها في تحقيق المنفعة العامّة جاء التأكيد عليها في كتاب الله (عزّ وجلّ)، إذ ورد ذكر كلمة الرقيب في مواضع عدّة في الآيات الكريمة، كقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، فهذا التأكيد يعطي أهميّة كبيرة لموضوع الرقابة، إذ من طريقها تتحقّق الرؤية الشموليّة في تطبيق العدالة واستيعاب منهجها بين الجميع، فالرقابة حاضرة على الكلمة قبل الفعل، وعليه فإنّ الجميع ملزم بمراقبة سلوكه في المعاملة الاجتماعيّة، وصيانة حقوق الجميع سواء الأفراد أم الشعوب والدول، فالمعادلة الحقيقية للرقابة توحى للجميع بأن يتبعوا منهج مراقبة الأقوال والأفعال؛ حتّى تتيح خلق بيئة عادلة يكون الجميع متكافئين فيها من أجل تجاوز مرحلة حرمان بعض الناس، ولا سيما في ظلّ حكومة الدول وقهر الشعوب الضعيفة، فالحكمة



تقتضي أن تكون الرقابة متوافقة مع إرادة الله (عز وجل)، فمن سلك ذلك المنهج حقق العدل وابتعد عن الظلم والجور في التوزيع الاقتصادي العادل.

الرقابة الاقتصادية والمالية في الفكر الإسلامي لها أساسها في التطبيق العملي وليس النظري فحسب، وهذا ما هو ظاهر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، كما ورد عن رسول الله ﷺ: ((من بعثناه على عمل فغفل شيئاً، فأنه يأتي به يوم القيامة يحمله على عنقه، فاتقوا الله أن يأتي أحدكم يوم القيامة على عنقه بغير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تثنغو))^(١). وفي نقل آخر: ((ما بال عامل نستعمله على بعض العمل من أعمالنا فيجى فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي؟ أفلا جلس في بيت أبيه أو في بيت أمه، فينظر هل يهدى له شيء أو لا، والذي نفس محمد بيده، لا يأتي أحد منكم منها بشيء إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بغيره رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر))^(٢).

يبدو أن الاجتهاد الفردي في الرقابة الاقتصادية كان حاضراً من أيام الصحابة، إذ -وحسب الحديث النبوي المار ذكره- يتضح أن هناك بعض العمال الذين خالفوا الشريعة الإسلامية في توزيع الأموال وتقسيم الحقوق بين المسلمين، ومن ثم حدث ما هو خارج ضوابط السنة النبوية، إذ منحوا أنفسهم مستغلين نفوذهم الإداري ومناصبهم التي أوكلت إليهم، وهذا ما جعلهم يقعون في الخطأ، ليتحقق دور الخيانة وثلم الأمانة، وحينها تنشأ المشاكل وتتوسع دائرة التهم، لتأخذ منحى التسويغ عما حصل، فتتسع دائرة الأخطاء وتفقد المصدقية قيمتها بين الناس.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢١٢/٤.

(٢) السنن الكبرى: ١٥٨/٤، وينظر: صحيح ابن حبان: ٣٧٣/١٠.



إن الإمام علي (ع) قد اعتمد في منهجه الرقابي على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فجاء بمشروع رقابي صارم لا يرضى تخطيه أو الميل عنه في عمل الولاية وسياستهم مع عامة الناس، من أجل ضمان سعي الجميع من دون تجاوز الحقوق، ومن ثمّ تتحقّق البيئة المثاليّة المبنية على عدم تجاوز الآخر ومحاسبة النفس قبل غيرها، ومتابعة التطبيق الفعليّ من دون مؤثرات عاطفيّة أو مكاسب مبنية على الوعود والمخططات التي تنال من حقوق الناس، لذلك يقول أمير المؤمنين: ((ما جاع فقيرٌ إلا بما متّع به غني))^(١)، ففي كلامه (ع) تتحدّد الحقيقة التي تجسّد حالة الفقر والغنى كظاهرة اجتماعيّة بشأن توزيع الأرباح وتكديس الثروات عند بعض الناس، وحرمان الآخرين من الحصول عليها، أو على جزء يسير من تلك الأموال التي يتمتّع بها الأغنياء، والفقر والحرمان لا ينبعان من الطبيعة نفسها، وإنما هما نتيجة سوء التوزيع والانحراف عن العلاقات الشرعيّة التي يجب أن تربط الأغنياء بالفقراء^(٢)، فالدقّة واضحة في كلام أمير المؤمنين (ع)، وما من مشكلة اقتصادية إلا كان منشؤها من الابتعاد عن الوجه الشرعيّ في توزيع الثروات، ومن أجل التصحيح يحتاج المسؤول إلى مراقبة الطبقات الاجتماعية ومستوى التفاوت الطبقيّ في توزيع الثروات، فكلّما زادت طبقة الأغنياء يؤدّي الحال إلى زيادة الفقراء المحرومين من تلك الأموال.

ومن طريق توجيهات الإمام علي (ع) تتضح مساعيه في الرقابة الاقتصادية لضمان توزيع الحقوق بشكل عادل أو أكثر توازناً في المجتمع الإسلاميّ، يقول أمير المؤمنين: ((فمن استطاع منكم أن يلقي الله تعالى، وهو نقيّ الرّاحة من دماء

(١) معارج نهج البلاغة: ٣٨٨.

(٢) ينظر: اقتصادنا: ٣٢٨.



المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم، فليفعل))^(١)، فهذه الرؤية تعطي مفهوماً دقيقاً لمنهج رقابي متكامل، ويمكن ملاحظة ما جاء في سياق كلام أمير المؤمنينؑ على وفق الآتي:

١- إن مفهوم الرقابة الاقتصادية لا يحتاج إلى شدة أو رصد الحالات المخالفة وحملها على التصحيح، إنما هي تنطلق من مراقبة الإنسان لأفعاله، فمتى ما وجد نفسه يرغب في لقاء الله تعالى فهذا يعني الاستعداد التام لتحقيق الحق واتباعه والتغلب على الأنانية في رصد حالات الحرمان وعدم السعي في تغييرها لأفضل الأحوال وعلى وفق الإمكان.

٢- النقاء في المعاملة الاقتصادية من أجل خلق بيئة يسودها الفعل الحسن في التعامل الفردي أو الجماعي مبتعداً عن مبدأ الكسب الفاحش المبني على دماء الناس وأموالها، فليس من الصواب استغلال شخص في مجهود ما ويخس حقه فيما قدّم وزاد في ثروة أصحاب رؤوس الأموال.

٣- على الإنسان أن يكون واضحاً في أفعاله، بعيداً عن التهمة أو الشك في الآخرين، فليس من الصواب سيادة ثقافة التراشق بالكلام وكيل التهم بين الجميع، بل ينبغي أن يكون واضحاً في تعامله قدر المستطاع؛ حتى لا يكون في موقف التهمة والذكر غير المحمود بين الناس، وهذا يؤكد على أن العمل الصريح المبني على أصوله الشرعية يُنجي صاحبه في الجانب التطبيقي من الحياة.

فمفهوم الرقابة الاقتصادية تنطلق مع مبدأ الالتزام بالشريعة الإسلامية بصدق وتكون هي المراقب الحقيقي للعامل في مجاله؛ حتى لا يقع في الخطأ أو يقصر في تأدية الوظيفة الملقاة على عاتقه، وبهذا فالرقابة لا تحتاج إلى أكثر من توجيه للإنسان

(١) نهج البلاغة: ٩٤/٢.



وتذكيره بمفهوم الحقيقة الشرعية ومراقبة الأفعال في معادلة الحق والباطل، من دون تجاوز فيما بينهما، فأدنى خطوة في تطبيق مبدأ العمل قد يتحقق الباطل من دون شعور أو قصد، وهذا يخلق بيئة منحرفة عن الأنصاف، ومنها يُلوِّث الإنسان بتجاوزه على الحقوق والدماء والأموال، ومنها يعتاد على الأخطاء المتكررة، فيصعب عليه العدل، فيزداد قصوره في تأدية وظيفته الموكَّل بها، وهذا ما أكَّده أمير المؤمنين (ع) في بعض كُتبه لعمَّاله، إذ جاء في أحدها: ((كيف تسيغ شرابًا وطعامًا، وأنت تعلم أنك تأكل حرامًا، وتشرب حرامًا...))^(١).

ولضمان الحق في سعي الإنسان ينبغي أن يراقب ما يُحصِّله أو يجمعه من أموال، وينفقها في حقها، وهو بذلك يُسهم في تحقيق الرفاهية الاجتماعية والتوازن الاقتصادي، إذ لو قُدِّر له أن يستولي على حقِّ غيره فسوف يُشجِّع على الحرمان وزيادة الانقسام الاجتماعي؛ بسبب سوء الإدارة وتوزيع الحقوق، فهناك من يسلب حقَّ الناس بداعي المنصب أو من ذوي السلطة الحاكمة، فتزداد الشبهة في ذهن المجتمع ولا سيما المحرومين، ليسود نوع من الاختلاف الفكري المساعد على الاختلاف، ففي تأكيد أمير المؤمنين (ع) للقاضي شريح بن الحارث^(٢)، جاء فيه: ((فانظر يا شريح، لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك))^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦٧/١٦.

(٢) شريح بن الحارث: هو شريح بن الحارث بن قيس الكندي، أبو أمية الكوفي، أصله من اليمن، وهو ممن أسلم في حياة النبي (ص) ولم يره، وانتقل من اليمن زمن أبي بكر، حدَّث عن: عمر، والإمام علي - عليه السلام - وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن أبي بكر. حدَّث عنه: قيس بن أبي حازم، وإبراهيم النخعي، والشعبي، وآخرون، وقد ولي قضاء الكوفة زمن عمر وعثمان وعلي - عليه السلام - ومعاوية، ويقال: إنَّه استعفى في أيام الحجاج قبل موته بسنة فأعفاه. اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق (ع): ٣٩٦/١.

(٣) نهج البلاغة: ٤/٣.



فالمسألة التي استخدمها الإمامؑ مع شريح القاضي توحى للواقع الحقيقي وراء تكدس الثروات عند بعضهم، وبطرق غير مشروعة، على الرغم من أنه يمتلك المال لشراء بيت لكنه يستعين بالآخرين لقضاء حوائجه، بمعنى أنه سيكون هناك نمو عالٍ في نسبة الدخل لدى العمّال، وهذه الحالة ستؤثر على البيئة الاقتصادية من حيث ارتفاع أسعار الدور، وزيادة حالة الفقر، إذ لا يتمكن الذين يعيشون في خطّ الفقر أو دونه من توفير البيوت السكنية، وعندها ستولد مشاكل أكثر تأثيراً على المجتمع، كمشكلة الزواج، والسكن، والعمل بصورة عامّة، إذاً فعملية واحدة مبنية على الأموال التي هي ليست من حقّ الإنسان حال الاستيلاء عليها سوف يوجّهها على وفق رغبته، فتؤثر كثيراً على الواقع الاقتصاديّ، فشريح القاضي أراد تحسين حالته الاقتصادية لكنه اعتمد على أموال الآخرين، وهذا يضرّ بمصلحتهم كثيراً، وحسب قول أمير المؤمنينؑ: ((إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متّع به غني))^(١).

ويبدو من هذا أنّ المعادلة طبيعياً والمنافسة كاملة وعادلة، فكلّ شخص سيأخذ حقه الطبيعيّ، ولكن إذا كان هناك من يحتكر، فهل يمكن أن نصل إلى حقنا الطبيعيّ في المنافسة الاقتصادية؟ الجواب كلا، إذ سوف يكون مبدأ صاحب الأموال والثراء هو الكاسب في النهاية ويحرم البقية، وهم ربّما عمّة الناس، وهذا ما أراده أمير المؤمنينؑ في مراقبته لقاضيه، حاول أن يدلّه على الحقّ الصحيح في المنافسة الاقتصادية بما يملك لا بما لدى الناس؛ لأنّ بمثل حالته سيكون محتكراً حارماً الآخرين من المنافسة في الحصول على ما يرغبون به وعلى وفق إمكانيّاتهم المتواضعة.

(١) نهج البلاغة: ٧٨/٤.



المحور الثاني: السَّعْيُ والفقر رؤية في كلام أمير المؤمنين (ع).

السَّعْيُ ((الكَسْبُ، وكلُّ عملٍ من خيرٍ أو شرٍّ فهو سَعْيٌ، وقيل: وسَعَى لهم وعليهم، عَمِلَ لهم وكَسَبَ))^(١)، فسعي الإنسان يخلق الفرص نحو التكامل في الحياة، فمن طريقه يتمكن كلُّ شخص من توفير الحياة الحرّة الكريمة، وهذا ما أرادَه الإمام علي (ع)، إذ طالما اتَّبَع منهج الحثِّ من أجل السعي في طلب الرزق، وتوفير فرص العمل، فيقول: ((اطلبوا الرزق فإنَّه مضمونٌ لطالبه))^(٢)، وأفضل من مثل السعي هو أمير المؤمنين (ع)، فلم يكن يكتفي بعطاءه في الدولة الإسلاميَّة، بل كان يسعى للعمل من أجل أن يكون له الأثر في المجتمع الإسلامي، فروي أن أمير المؤمنين (ع) يضرب بالمرِّ - أي المسحاة - ويستخرج الأرضين، وأنَّه أعتق ألف مملوك من كدِّ يده^(٣). وقيل كان (ع) يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتَّى مُجِلَّت يده^(٤)، فلم يكن من عمله الشاق هذا حريصًا على جمع المال لذاته، فالإمام علي (ع) لا تغرّه بيضاء ولا صفراء، بل كان يطلب الرزق الحلال من حلّه وينفقه في محلّه^(٥)، فهذا بصدق هو السعي الجادِّ في تذليل الصعاب وخلق البيئة المتوافقة لذلك الزمن من حيث العمل ومتطلِّبات الحياة.

ويبدو أن سعي الإمام (ع) فيه تأكيد على قيمة العمل وما يقدمه المرء من جهود تعود بالنفع عليه وعلى أبناء مجتمعه، وهذا يعطي تصوّرًا عن طبيعة المجتمع إذا كان منتجًا على وفق الأثر الذي يتركه كلُّ فرد وما يعكسه من عمل يُسهّم من

(١) لسان العرب: ٣٨٥/١٤.

(٢) الإرشاد: ٣٠٣/١.

(٣) ينظر: الكافي: ٧٤/٢.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٢/١.

(٥) دور العقيدة في بناء الإنسان: ٧٣.



طريقه في خلق بيئة متوازنة من حيث فرص العمل التي ترد بالنع العام على الجميع فيقل معها مستوى الفقر، ثم إذا كان حاكم الدولة يعمل بيده من أجل توفير حاجياته من المأكل والملبس، فهو في الحقيقة يؤسس لقاعدة التآسي واقتفاء أثره في العمل، وهو مشروع إنتاجي، إذ ليس بمقدور الفرد الهروب من العمل أو اختراع الذرائع لظما يرى ويسمع بأن حاكم الدولة يكدح في العمل.

وروي أن أمير المؤمنينؑ قال لابنه الإمام الحسنؑ: ((لا تلم إنساناً يطلب قوته، فمن عديم قوته كثرت خطاياها، يا بُني، الفقير حقير لا يُسمع كلامه، ولا يُعرف مقامه، لو كان الفقير صادقاً يسمونه كاذباً، ولو كان زاهداً يسمونه جاهلاً، يا بُني، من ابتلي بالفقر فقد ابتلي بأربع خصال: الضعف في يقينه، والنقصان في عقله، والرقّة في دينه، وقلة الحياء في وجهه، فنعود بالله من الفقر))^(١). والملاحظ في قول أمير المؤمنينؑ الآتي:

١- الالتفات إلى الفقراء ومعرفة مدى حاجتهم التي أصبحت كالثقل الملازم، لا يستطيعون تركه أو الخلاص منه، فمثل هؤلاء تصدر عنهم كثير من الأخطاء تبعاً لواقعهم المعاشي الذي يلقي بثقله على كاهل الإنسان وتفكيره، ممّا يجعله كثير الأخطاء بعيداً عن الصواب.

٢- إن تقييم المجتمع للفقير محلّ جدل واختلاف، إذ يستحقه المجتمع نسبة لعوزة فلا يُسمع كلامه، ولا يُقدّم في المجتمع فيضيع مقامه، وهذا يشكل انتكاسة كبيرة بالنسبة للفقراء الذين لا يجدون من يُقدّرهم حقّ قدرهم، بل يُجرمون من أمور كثيرة، وهذا بحدّ ذاته يؤثّر سلباً على العلاقات الاجتماعية، ويُسهّم إلى حدّ كبير في خلق فجوة كبيرة بين الفقراء والأغنياء، ويُقسّم المجتمع ويسلب منه روح

(١) بحار الأنوار: ٤٧/٦٩.



التعاون والمحبة، لهذا جاء تركيز أمير المؤمنين (ع) على الفقراء من أجل تدارك ما يمكن تداركه لتخليص الفقراء من هيمنة الأفكار المنحرفة عن الشريعة الإسلامية.

٣- للفقير آثار وخيمة على المجتمع الإنساني، إذ تسلب الفرد طريقة التفكير الإيجابية، وتجعله بعيداً عن الطبيعة الإنسانية، وهذا يكشف مدى تأثير الفقر على الإنسان وسلوكه، حتى يفتقد معها رؤيته للحياة وسبب وجوده فيها، فيقل دينه، بمعنى أن الإنسان لا يراقب أفعاله إنما هممه كيفية الحصول على الأموال بغض النظر عن الطريقة، وهذا يُعطي انطباعاً سيئاً للفقراء في مواصلة حياتهم، إذ كثير منهم يفتقد للحياء جرأ فقره.

٤- المهم في هذه الوصية أن على الحاكم أن لا يلوم الفقير ويجعله محلّ اتهام، إذ ينبغي أولاً توفير البيئة المناسبة للفقراء وتحديد حاجياتهم من أجل توفيرها، وإصلاحهم تبعاً، إذ لو تُرك الفقير على حالته من دون عناية فستكون النتائج وخيمة يصعب إصلاحها فيما بعد، لهذا فليس لوم الفقير على أفعاله هو إصلاح لشأنه، بل على العكس تماماً، ففي كلام أمير المؤمنين (ع) توجيه واضح للاهتمام بالفقراء وجعلهم محلّ عناية الدولة والحكام، إذ من واجباتهم معرفة نسبة الفقراء، وما يحتاجونه، وكيف يقيمهم المجتمع على وفق النظرة المادية، ومن ثمّ التشخيص للمشكلة يُوَدِّي للبحث عن إصلاحها أو الخروج بحلول للقضاء عليها، أو التقليل من انتشارها وسط المجتمع الإنساني، لهذا كان أمير المؤمنين (ع) يبحث عن الفقراء والمحرومين في جميع الأمصار الإسلامية؛ لتشخيص حالتهم وبعدها تخليصهم من الفقر، فيروى عنه أنه قال: ((ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طَمَع له في القرص، ولا عهد له بالشُّبَع))^(١).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٨٦/١٦.



فمتابعة شأن رعايا الدولة بنظر حاكم الدولة الإسلامية أمر غاية في الأهمية، فمتى ما استطاع من معرفة الفقراء والمحتاجين في دولته مكنه الأمر من تقديم العون، والبحث عن مخرج لضيق الحياة الاقتصادية على وفق المستطاع، وهذا يعني تقديم المعونة الاجتماعية، وإصلاح حال الفقراء والمحرومين، يقول الإمام عليؑ: ((وإن سألوا معونة على إصلاح ما يقدرون عليه بأموالهم فافهم مؤنته، فإن في عاقبة كفايتك إياهم صلاحاً))^(١)، فالوصية تؤكد على تصدّي الحكومة لإصلاح البنية التحتية، بتخفيف الضرائب، أو صرفها على الفقراء الذين يحتاجونها لمواصلة نشاطاتهم الإنتاجية، بمعنى أنه لو لم يحصلوا على العون من النظام الحاكم، فهذا يؤدي إلى افتقارهم وعوزهم المتراكم المؤدّي إلى بيئة تفتقر إلى المقومات الناهضة بتحسين الأحوال الاقتصادية للمجتمع أو فئة معيّنة.

في فكر أمير المؤمنينؑ تتضح الصورة الواقعية لحالة الفقراء، إذ كان يهتم لهم كثيراً، ولم يجعلهم بمعزل عن الحياة أو الأثر الذي يرفع من شأنهم، فهو أعطاهم أملاً كبيرة من حيث الوجود والتفكير، ومقامهم محفوظ في دين الله (عزّ وجلّ)، حتّى يروى أنّه قال: ((الفقر مخزون عند الله بمنزلة الشهادة، يؤتاه الله من يشاء))^(٢). ويروى أنّ رسول الله ﷺ قال لأمر المؤمنين: ((يا علي، إن الله جعل الفقر أمانة عند خلقه، فمن ستره كان كالصائم القائم، ومن أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله، أما أنّه ما قتله بسيف ولا رمح، ولكن بما أنكروا من قلبه))^(٣). فصورة الفقر مستحسنة في الفكر الإسلامي من حيث الصبر عليه والجهاد في تحمّله في سبيل استمرار الحياة بعيداً عن الضعف والخضوع لأصحاب الأموال والشهرة، فالحكمة

(١) تحف العقول عن آل الرسول: ١٣٨، وبحار الأنوار: ٧٤ / ٢٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٩ / ٤٨؛ و ميزان الحكمة: ٣ / ٢٤٤٢.

(٣) معارج اليقين في أصول الدين: ٣٠٥.



تقتضي مجاهدة النفس وعدم اليأس إمام المغريات والحسابات الماديّة، والمجتمع فيه واقع متغيّر من حين لآخر، فليس من الحكمة إظهار حالة الفقر في المجتمع لاستعطاف الناس، فهذا خطأ كبير قد يقضي على كرامة الكثير ممن لا يجيد التفكير جيداً، فوصيّة الرسول (صلى الله عليه وآله) توحى بأن الرجل لطالما تسترّ على حالته كان كريماً عزيزاً في قومه، وبعكس ذلك فيكون من الخاسرين دنيوياً.

المحور الثالث: الإصلاح الاقتصاديّ في رؤية أمير المؤمنين (ع).

من المواضيع المهمة التي لها أثر كبير في إصلاح شأن المجتمع، زيادة الزراعة والاهتمام بها نحو الأفضل، وخلق بيئة مناسبة إلى حدّ كبير بالنسبة للفلاحين، إذ كلّما وجدوا ضالّتهم في الزراعة أقبلوا عليها بكلّ جهد من أجل الاستمرار في استغلال الأرض إلى أكبر قدر يتمكّنون، وهذا يعتمد على الاستراتيجية التي تُقبل عليها الحكومة بشأن الزراعة واستثمار الطاقات الفلاحيّة للأرض، وحتى يستمرّ الإصلاح الاقتصاديّ إلى أفضل النتائج، فهذا يترتّب على الرؤية المتبّعة في تدليل معوّقات زيادة الإنتاج وترغيب الفلاح في استثمار الأرض، لهذا يعتمد الإصلاح على طريقة التفكير الحكوميّ وبرنامجهما في تأهيل الأراضي الزراعيّة وتشجيع أصحابها على استغلالها أفضل استغلال، والشيء الطبيعيّ والمؤكّد أنّه كلّما زادت استفادة أصحاب الأرض في منتوجاتهم الزراعيّة تمسّكوا بالأرض.

ومن طريق النصوص التي وثّقت رؤية أمير المؤمنين (ع) في إصلاح الأراضي الزراعيّة وتشجيع الفلاحين على الاستمرار في زراعة الأرض وعدم هجرها أو التوقّف عن استغلالها، مجموعة من الإجراءات المتبّعة التي تؤكّد على حرصه (ع) على زيادة استغلال الأرض وإيجاد الحلول للمعوّقات التي تقف حائلاً في بعض الأحيان أمام الملاكين لها، ففي وصيّته لمالك الاشر، قال: ((وليكن نظرك في



عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علةً أو انقطاع شرب أو بالة - أي مطر قبل الأرض - أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم، بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المئونة عنهم، فإنه ذخريعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك))^(١).

فالتركيز الحاضر في الوصية يؤكد على أهمية الاهتمام بملاك الأراضي، والنظر بشأن حاجاتهم الأساسية لاستمرار استغلال الأرض بأفضل طريقة آنذاك، فليس همُّ السلطة الحاكمة هو الحصول على الضرائب وما فرض على الأراضي الزراعية من قيمة يدفعها الفلاح عن أرضه، وإنما المهم الاستمرار في استغلال تلك الأرض لتؤدي ما يُنتظر منها، وهذا التوجه فيه أمور مهمة يمكن ملاحظتها وكالاتي:

١- إن الدين الإسلامي جاء ليؤكد على نظام استغلال جهود الإنسان وتوجيهها نحو تحقيق أفضل النتائج المشتركة، فالإنسان يحتاج الأرض لينطلق منها في إتمام حوائجه، وفي المقابل تكون الأرض بحاجة إلى تلك الجهود لاستمرار عطاها، وهذه العلاقة المشتركة هي سرُّ نحو التكامل لحياة الإنسان.

٢- الإسلام جاء بمنهج متكامل من أجل ضمان سعي الإنسان، وله الحق في التمتع به من دون أن يكون هناك ما يؤرقه أو يسلبه الإمكانيات الإنتاجية، وهذا واضح في الوصية المار ذكرها، وعمارة الأرض أفضل من الضريبة المفروضة على مساحة الأرض والتي تلزم مستغليها بالدفع، سواء في زمن الوفرة أم القحط، وهذا لا يتناسب مع طبيعة التغيرات التي قد تحصل تبعاً للعوامل المؤثرة في الزراعة

(١) نهج البلاغة: ٩٧/٣، وينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٠/١٧.



والفلاح، لذلك فإن دراسة حاجة الأرض لأن تبقى في صلاحها ونتائجها أكبر من القيمة الضريبية المفروضة سنويًا.

٣- إن من يطالب بالخراج أو الضرائب المفروضة على الأرض والفلاح، ولا يهتم بصلاح حالهما فهو في الحقيقة يعمل على تخريب البلاد وجربها نحو انتكاسة ومشكلة اقتصادية يزداد معها الواقع السيء الذي تكون آثاره كبيرة في الاستقرار بصورة عامة.

٤- أمير المؤمنين (ع) يرى أن من مهامّ الوالي أو العامل المتخصّص بعمله التفكير الجيد في حلّ المشاكل العرضية التي تواجه المجتمع، وعليه أن يسرع في تذليل جميع المعوّقات ما أمكنه موقعه الإداري إلى حلول يتّسع معها الإصلاح من دون كسل أو تهاون، فكلّما كانت الحلول حاضرة أسهمت في نهاية الأزمات، واستمرار الرخاء والاستقرار النفسي والاقتصادي الذي يعود بالنفع على المجتمع.

٥- السلطة التي تمثّل الإسلام عليها أن تفكّر بمصلحة المواطن والعمل على استقرار البلدان، وليس همّها جمع الأموال وسلب الحقوق وتحقيق ما يناسب سياستها وعلى حساب رعاياها، فهذا اللون من التعامل غير المنصف يُجرب البلدان ويؤدّي إلى نشوء نوع من الهجرة وزيادة في خراب الأراضي بسبب تركها من دون استغلال، وهذا الأمر قد حصل زمن الدولة الأموية جرّاء ابتعادها عن التشريع الإسلاميّ، وعملت بهواها ورغبات حكّامها وعمّالهم النفعيين^(١).

٦- الصورة المميّزة الأخرى في الوصية هي الموقف الإيجابي لحاكم الدولة الإسلامية تجاه المجتمع بصورة عامة، إذ ليس هناك اهتمام لفئة دون سواها، بل الجميع على حدّ سواء، والمهمّ هو الحرص على المصلحة العامة وعدم تغييرها تحت

(١) ينظر: أنساب الأشراف: ١٣ / ٣٦٠.



مسميات التمجيد الشخصي والنفع الفتوي الذي ابتليت به الشعوب في مشارق الأرض ومغاربها؛ لهذا كان أمير المؤمنين قد امتاز بحرصه على تطبيق تعليمات الشريعة الإسلامية، ومحاربة الظلم ولا سيما ظلم الضعفاء^(١).

٧- يبدو من الوصية أن الأمور الاقتصادية المتبعة قبل حكم أمير المؤمنين قد اثقلت كاهل الناس، ولا سيما الفقراء من المزارعين، والخلل المشخص هو في الضريبة المفروضة على قيمة نتاج الأرض، وهذا يعني أن الإمام علي بن أبي طالبؑ له اطلاع واسع بتجارب الذين سبقوه، فحدّد الأخطاء التي وقعوا فيها، وبحث عن الحلول المناسبة التي بتطبيقها تنعم البلاد والعباد بالرخاء والطمأنينة.

أما بشأن سعي الإنسان وكيفية استغلال الأموال والاستفادة منها على وفق ما هو متوافق مع الشريعة الإسلامية، فجاء التأكيد على حفظ النفس وضبطها وتجنبها من ارتكاب الخطأ في توزيع الأموال، ولا سيما إذا كانت تلك الأموال لبيت مال المسلمين، أو هي حق العام يحرم بذلها لاعتبار أتمها أمانة لدى العاملين في إدارة الدولة، إذ لم يكن من حق أي إنسان العبث بأموال المسلمين أو استغلالها وتوزيعها لكسب ودّ الآخرين، فجاء عنهؑ وحسب ما ينسب إليه من قول: ((جود الولاية بفيء المسلمين جور وختر))^(٢)، فهذا القول يوضح الإشكالية الكبيرة في استغلال المال العام وهدره، فيعكس كيفية الغدر بالمسلمين وسرقة حقوقهم تحت مسميات يراها الوالي أو العامل إنما هي من حقه، وهذا أمر غاية في الأهمية، فالجميع ينبغي أن تعرف حقها من طريق سعيها لتطبيق الحقوق الشرعية والابتعاد عما يجعل الإنسان موضع الشبهة والتهمة في شريعة الله (عز وجل).

(١) يقولؑ: ((بئس الطعام الحرام، وظلم الضعيف أفحش الظلم)).

(٢) موسوعة الامام علي بن ابي طالبؑ في الكتاب والسنة والتاريخ: ٤ / ٣١، وختر: تعني الغدر.



وجاء في عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشر: ((حقاً على الوالي إلا يغيّره على رعيّته فضل ناله ولا طول خصّ به، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمة دنوّاً من عباده وعطفاً على إخوانه))^(١)، فالسلطة تسعى لضمان الحقوق، وتوفير ما عجز عنه الناس من الكسب الحلال، وليس بالضدّ من ذلك فواجب السلطة السعي في تذليل المعوّقات التي تنشأ فتكون ثقلاً على كاهل المجتمع الإنسانيّ، وهذا هو مشروع الإمام عليه السلام، وفي رؤية أمير المؤمنين عليه السلام تتشكّل ما يمكن تسميته بوثيقة حقّ الضمان، ولا سيما للطبقات الضعيفة في المجتمع، جاء في رواية تنقل قوله: ((الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً))^(٢).

فالدولة التي تعتمد في برنامجها السياسيّ على الدين الإسلاميّ عليها أن تُساند جميع أبنائها ورعاياها دون تمييز، فخلافاً ذلك يعدّ عبثاً وتضييعاً للحقوق التي أرادها الدين الإسلاميّ، والاهتمام ينطلق من الطبقات الضعيفة والفقيرة، ولا سيما أولئك أصحاب الأمراض المزمنة، إذ ينبغي الاهتمام بهم وتوفير ما يحتاجونه لضمان حقوقهم في ظلّ الإسلام، ويهتمّ الإمام عليه السلام إلى صنف آخر من المعوزين، الذين ينتظرون العطف والمساعدة من باقي الناس، فيأمر بمساعدتهم والعطف عليهم كحقّ من حقوقهم مكرمين محترمين، ((وتعهّد أهل اليتمّ وذوي الرقة في السنّ ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاية ثقيل والحقّ كلّه ثقيل))^(٣). فطالما كان الاهتمام قد شمل هذه الطبقات الضعيفة في المجتمع، جعلهم يشعرون بالانتماء للأرض والوطن، وهذا يجعلهم يزدادون تعلقاً ودفاعاً عن مكانهم الذي ينتمون إليه، بل سوف يزداد لديهم حسّ المسؤولية والوطنية، فلا

(١) نهج البلاغة: ٧٩/٣.

(٢) م.ن: ١٠٠/٣.

(٣) م.ن، ١٠١/٣؛ وينظر: النظام السياسي في الإسلام، ص ٢٦٨.

يكونون صيداً سهلاً لمن تسوّل له نفسه العبث ببلاد الإسلام والمسلمين.

الخاتمة

في الرقابة الاقتصادية يتحقّق العدل والإنصاف، ويقلّ الاستغلال والتلاعب بحقوق الناس، ولكن يحتاج إلى إرادة حقيقية تنبع من تعاليم الدين الإسلامي؛ لترتقي بالحياة الحرّة الكريمة، وتحافظ على استقلاليّة الإنسان فكراً وإرادة؛ ليكون بعيداً عن التملّق في تحقيق الحاجات أو المكاسب الدنيويّة، فكلّ من يعمل بحق وينصف الجميع فهو يُسهم بخلق مجتمع يسوده العدل والإنصاف، وهذا ما عمل عليه أمير المؤمنين طيلة بقائه كحاكم للدولة الإسلاميّة.

ما تركه الإمام عليؑ في التراث الإسلاميّ من وصايا وأحاديث ومواقف تشكّل نموذج رغبته في توجيه الإنسان نحو السعي الحثيث لكمال مشروع توزيع الحقوق الاقتصاديّة، ومنع تحجيمها أو تجمعها عند طرف وحرمان أطراف شتى، وهذا الأمر طبّقه الإمام وهو قائد للدولة الإسلاميّة وعمل بموجبه، إذراق حياته الاقتصاديّة قبل غيره، فكان شديد في سعيه، لا يعطي إلاّ بالاستحقاق، ولا يستغلّ منصبه الإداريّ ليستولي على مقدّرات الناس، بل وُجد لرفع ثقل الحياة عن كاهل الجميع.

أيضاً الرقابة الاقتصاديّة تُسهم في تطوير العلاقات الداخليّة، وتوفير بيئة منسجمة ينتهي فيها التحايل أو تمييز جماعة دون أخرى، وهذا بحدّ ذاته يُعطي صورة واضحة للحقوق والواجبات لجميع أبناء المجتمع الواحد، فيزداد التماسك الاجتماعيّ ويوفّر التعاون وتسود المحبّة، إذ لا شيء يؤثّر على تفكير الجميع طالما هم يشعرون بالإنصاف والاهتمام بسعي الإنسان وتوفير مستحقّات العيش الكريم، ولا سيما كبار السنّ وأصحاب الأمراض المزمنة، وأن تأخذ الدولة مسؤوليّتها في توفير ما عجز عنه أبناء المجتمع، ولا سيما الفقراء والمحتاجين.



قائمة المصادر الأولية والمراجع:

- ١- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد (ت ٤١٣هـ)، تح: مؤسّسة آل البيت (ع)، ط ٢، ١٩٩٣م.
- ٢- اقتصادانا، محمد باقر الصدر، تح: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط ٢، ١٤٢٥هـ.
- ٣- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تح: محمد حميد الله، مطابع دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٤- أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، تح: مؤسّسة دار الحديث الثقافية، دار الحديث، ط ٢.
- ٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تح: عبد الرحيم الربّاني، ط ٣، ١٩٨٣م.
- ٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تقديم: خليل الميس، تخريج: صدقي جميل العطار، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٧- دور العقيدة في بناء الإنسان، مركز الرسالة، مطبعة ستاره، قم، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٨- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- ٩- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٩٧٨م.
- ١٠- الصحيح، محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، ط ٢، ١٩٩٣م.



- ١١- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم، ١٩٨٤م.
- ١٢- معارج نهج البلاغة، علي بن زيد البيهقي، تح: محمد تقي دانش پزوه، مطبعة بهمن، قم، ط ١.
- ١٣- موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادقؑ، إشراف: جعفر السبحاني، مطبعة اعتماد، قم، ط ١، ١٩٩٧م.
- ١٤- النظام السياسي في الإسلام، باقر شريف القرشي (الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م).
- ١٥- نهج البلاغة، الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، تح: محمد عبده، مطبعة دار المعارف، بيروت، (د.ت).

الإمام علي عليه السلام مفسراً: الغيبيات أنموذجاً

أ.م.د. مها طالب عبد الله الجبوري

الملخص:

إنّ الإمام علي عليه السلام بوصفه مفسراً للقرآن الكريم له جوانب جوهرية متعدّدة مؤثرة في العالم الإسلاميّ وبجميع مذاهبه وفرقه؛ وذلك لقربه من مصدر الوحي؛ إذ إنّ الإمام كان ابن عمّ النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وصهره، وتلقّى عنه العلم والمعرفة مباشرة، فهو يمثل فهماً أصيلاً وموثوقاً لمعاني القرآن الكريم ومقاصده، فكان بحرّاً من العلم والمعرفة، فهو باب مدينة العلم، هذا العلم الواسع أهله لفهم دقائق القرآن الكريم وتفسيره بشكل شامل وعميق، ومن بينها آيات الغيبيات التي فسرها بأسلوب سهل وواضح ومؤثّر، وعدالته وتقواه جعلته أهلاً لأن يكون أميناً على تفسير هذه الآيات التي هي من صميم عقائد المؤمن، فعدالته منعه من التحيز في تفسيرها، وتقواه جعلته حريصاً على فهم مراد الله تعالى بدقّة وأمانة، ممّا جعل تأثيره في الأجيال اللاحقة تأثيراً كبيراً، إذ اعتمد عليه العديد من المفسرين والمؤلّفين والباحثين في القرون اللاحقة، واستفادوا من منهجه وأساليبه وتفسيره في بيان المراد من تلك الآيات (الغيبيات). فهو يمثل مرجعاً مهماً لفهمها، لما يميّز به من أصالة وموثوقية وشمولية وعمق، وهو يمثل أنموذجاً يُحتذى به في التفسير الرشيد الذي يجمع بين العلم والمعرفة والعدل والتقوى، وهذا ما تمّ بيانه في المقدّمة ومبحثين وخاتمة والله وليّ التوفيق.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، الغيبيات، التفسير القرآني.

ABSTRACT:

Imam Ali (peace be upon him) as an interpreter of the Holy Qur'an has several fundamental aspects that influence the Islamic world and all its sects and sects. This is due to its proximity to the source of revelation. As the Imam was the cousin and son-in-law of the Prophet Muhammad (may God's prayers and peace be upon him and his family) and he received knowledge and knowledge directly from him. It represents an authentic and reliable understanding of the meanings and purposes of the Holy Qur'an. It was a sea of science and knowledge as it was the gateway to the city of knowledge. This broad knowledge enables him to understand the subtleties of the Holy Qur'an and interpret it in a comprehensive and profound way. Among them are the verses of the unseen which he explained in an easy clear and influential manner. His justice and piety made him worthy of being faithful in interpreting these verses which are at the heart of the believer's beliefs. His justice prevented him from being biased in interpreting it and his piety made him keen to understand the meaning of God Almighty accurately and honestly. Which made its influence on subsequent generations great as many interpreters authors and researchers relied on it in subsequent centuries They benefited from his approach methods and interpretation in explaining the meaning of those (unseen) verses. It represents an important reference for understanding it due to its originality reliability comprehensiveness and depth. He represents a role model for rational interpretation that combines science knowledge justice and piety. This is what was explained through an introduction two sections and a conclusion. God is the Grantor of success.

Keywords: Imam Ali (PBUH), The Unseen (Al-Ghaybiyat), Quranic Interpretation (Exegesis).



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد النبيين، وعلى آله الهداة المهديين، وصحبه المنتجبين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.
وبعد ...

فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يُعدّ من أبرز الشخصيات الإسلامية التي كان لها دور محوريّ في تفسير القرآن الكريم، إذ كان عليه السلام من أوائل المسلمين ومن أقرب الناس إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله، ممّا أتاح له فرصة فريدة لفهم القرآن الكريم وتفسيره بعمق، وتميّزت تفسيرات الإمام علي عليه السلام بالشمولية والعمق، إذ لم يقتصر على تفسير الظاهر من النصوص القرآنيّة، بل غاص في أعماقها ليستخرج منها المعاني الباطنيّة والحكم الخفيّة، وتميّزت تفسيراته بالربط بين الآيات القرآنيّة المختلفة، وبين القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة، ممّا أعطى لتفسيراته تماسكاً ومنطقية، إذ ترك الإمام علي عليه السلام إرثاً غنياً في تفسير القرآن الكريم، تمثل في العديد من الروايات والخطب والرسائل التي تناولت مختلف جوانب القرآن الكريم، لذلك كان اختياري لهذا الموضوع (الإمام علي عليه السلام مفسراً: الغيبات أنموذجاً) لأسباب أذكر منها: إظهار أبرز الآيات التي فسرها الإمام عليه السلام في مجال الغيبات، بالاعتماد على مفسرين لهم المكانة القريبة من مهبط الوحي، وقد توفّرت في شخص الامام علي عليه السلام. والوقوف على تفسير تلك الآيات من خلال خطب الامام عليه السلام ورواياته ورسائله التي ذكرها المؤلّفون في أمات الكتب. وتحليل تفسير الإمام عليه السلام للغيبات واستخلاص الدروس والعبر، وبيان أثر تفسير الإمام عليه السلام في فهم العقيدة الإسلاميّة ونشرها وهداية الضالّ وكشف وإماطة الحجب عن طالب الحقيقة.

يتضمّن هذا البحث مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة، المقدمة تطرقت فيها إلى أسباب اختيار الموضوع. أمّا المبحث الأول: (مفهوم الغيبات وأهمّيّتها في التفسير)



ففيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: بحث فيه (الغيبات) لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع الغيبات.

المطلب الثالث: أهميّة تفسير الغيبات في فهم القرآن الكريم وتعلّقه بالعقيدة الإسلامية.

أمّا المبحث الثاني: (منهج الإمام علي (ع) في تفسير الغيبات) ففيه مطلبان:

المطلب الأوّل: خصائص المنهج التفسيري للإمام علي (ع).

المطلب الثاني: تفسير الإمام علي (ع) لأبرز آيات الغيبات.

ثمّ بيّنت في الخاتمة أهمّ النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

المبحث الأوّل: مفهوم الغيبات وأهميتها في التفسير

مدخل:

إنّ للغيبات في التفسير أنواعاً عدّة تشير إلى الأمور التي لا يمكن إدراكها بالحواس أو العقل المحدود، والتي تتعلّق بأمر الدين والعقيدة، وتساعد على فهم الدين الإسلاميّ بشكل شامل ومتكامل، وتزيد من خشية الإنسان من الله (عزّ وجلّ) ورجائه في رحمته.

المطلب الأوّل: تعريف الغيبات لغة واصطلاحاً.

الغيبات لغة: مصدرها الغيب: أي ((كلّ ما غاب عنك، وما اطمأنّ من

الأرض))^(١).

الغيبات اصطلاحاً: عرّفت بأنّها: ((الأمور السمعية، كالملائكة والجنّ

(١) القاموس المحيط: ١ / ١١٢، مادة (غيب)، وينظر: تاج العروس: ٢ / ٢٩٥، مادة (غيب).



والحشر والجنة والنار ونعيم القبر الذي هو في البرزخ حقيقة وكنفي كون الملائكة عليهم السلام ذكوراً أو إناثاً^(١)، وعرفت بأنها: أمور لا مسرح للعقل فيها؛ لأنه لا يستطيع أن يثبت إمكانها وجواز وقوعها، وأنه لا مجال للملاحظة والتجربة فيها، فلا محيص لإثباتها إذن من الرجوع إلى المنقولات والنصوص الدينية في ضوء معطيات المنهج النقلي^(٢). وعرفت أيضاً بأنها: ((القضايا التي لا تعالج فكرتها باستخدام التجارب المحسوسة في معامل الطبيعة (مختبرات الكيمياء)، وإنما تخضع للون آخر من البراهين يتفق مع طبيعتها الروحية، أو بمعنى آخر تعتمد في البرهنة عليها على التجربة الروحية))^(٣).

نخلص من ذلك كله أن هناك بعض الاختلافات البسيطة في تعريف الغيبات اصطلاحاً بين العلماء، ولكن المعنى العام هو: أمم الأمور التي لا يعلمها إلا الله تعالى، والخواص المنتخبون من قبله للاطلاع عليها والعلم بها.

المطلب الثاني: أنواع الغيبات

للغيبات أنواع عدة ذكرتها آية الكرسي في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهي مقسمة كالآتي:

١ - غيبات الحاضر (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ): تتضمن هذه الغيبات أموراً تحدث في عالم الغيب ولا يدركها الإنسان بحواسه، مثل عالم الملائكة والجن، وأحوال البرزخ.

٢ - غيبات الماضي (وَمَا خَلْفَهُمْ): تشمل هذه الغيبات أخبار الأمم السابقة وقصص الأنبياء والرسل وما جرى لهم من أحداث، مثل قصة نوح عليه السلام وقومه،

(١) صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ٤٥.

(٢) ينظر: أصول البحث: ٤٣.

(٣) نظرات في الكتب الخالدة: ٩٦.



وقصة فرعون وموسى (ع).

٣- غيبات الماضي والحاضر والمستقبل وهي تتعلّق بالله تعالى وصفاته وأفعاله (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ).

٤- غيبات المستقبل (بِمَا شَاءَ): وهي الأمور التي ستحدث في المستقبل ولا يعلمها إلا الله تعالى، مثل أحداث يوم القيامة وأهواله، والجنّة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب، وهو ما ذهب إليه أغلب المفسّرين^(١).

المطلب الثالث: أهميّة تفسير الغيبات في فهم القرآن الكريم وتعلّقه بالعقيدة الإسلاميّة.

إنّ لتفسير الغيبات أهميّة كبرى في فهم الآيات التي وردت فيها وتعزيز الإيمان بالله، فهو يعمّق فهم المسلم بعظمة الله وقدرته وعلمه المحيط بكلّ شيء، ممّا يقوّي الإيمان بالله ويثبت اليقين بوجوده ووحدانيّته^(٢)، وتزيد من خشية المؤمن بالله تعالى والحرص على طاعته واجتناب معاصيه، وتهذب النفس وتزكّيها، إذ إنّها تدعو المسلم إلى التأمل في سيرته وتصحيح مساره والعمل على تزكية نفسه وتهذيبها، والتصديق بها يقيناً لتودّي إلى الإيمان الذي مدح الله تعالى به المؤمنين إذ قال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، ومن ((هذا يتبيّن أنّ الإيمان بالغيب جزء من الإسلام، وأنّ من لا يؤمن به فليس بمسلم))^(٣). وهو بدوره سوف يقوم بترسيخ العقيدة الإسلاميّة الصحيحة القويّة التي لا تهتزّ أمام المفاهيم

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ٣/ ١٤، والبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٠٩، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/ ١٦٠، وزبدة التفاسير: ١/ ٤٠٣.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط: ١/ ٤٠٥.

(٣) التفسير الكاشف: ١/ ٤٤.



المختلفة عبر العصور، إذ إنّها تعدّ النقطة الفاصلة بين المؤمنين بالأديان السماوية، وبين منكري الخالق والوحي والقيامة والحساب والجنة والنار... إلخ. وبفهم تفسيرها فإنّ المؤمنين سوف يخرقون طوق العالم المادّي، ويحتازون جدرانها، وإنّهم بهذه الرؤية الواسعة سوف يرتبطون بعالم كبير لا متناه، بينما يصرّ معارضوهم على جعل الإنسان مثل سائر الحيوانات، محصوراً في موقعه من العالم المادّي. وهذه الرؤية المادّية تقمّصت في عصرنا صفات العلمية والتقدمية والتطورية!^(١)، فليس الغيب مجرد حالة خوف وتكهّن لمجهول مبهم وغامض ومخيف، بل هو غيب ظاهر ومكشوف لنا إلى حدّ أنّ الإمام علياً عليه السلام يقول: ((لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً))^(٢)، وعن أولياء الله المتّقين يقول عليه السلام: ((وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها معذبون))^(٣)، إنّ غيب لا خوف معه، بل يشعر الإنسان معه بالأمن والسلام والسكينة والراحة والسعادة، غيب ليس فيه قهر وخضوع عشوائي ظالم، بل هو استسلام على أساس الوضوح والرؤية، والإحساس في العقل، وفي الفطرة، والوجدان^(٤).

المبحث الثاني: منهج الإمام علي عليه السلام في تفسير الغيبيات

مدخل:

إنّ الأمور الغيبية (الماضية والحاضرة والمستقبلية) منها ما تناله حواسنا، ومنها ما لا تناله، التي لا تناله حواسنا الدنيوية ولا تدركها عقولنا كالأمر المتعلقة بالخالق، و بيوم القيامة، و وقت الساعة، و حشر الأموات، والجمع، والسؤال،

(١) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ١ / ٧٦.

(٢) الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٣٥.

(٣) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ١٦١ / ٢.

(٤) ينظر: تفسير سورة هل أتى: ١ / ٢٦٦.



...إلخ، أو كان ممّا هو خارج من سنخ الزمان وإدراك العقول كحقيقة صفات الله ﷻ وأفعاله تعالى، فتأويلها أيضًا نفس حقائقها الخارجية^(١)، والفرق بين هذا القسم، أعني الآيات المبيّنة لحال صفات الله تعالى وأفعاله وما يلحق بها من أحوال يوم القيامة ونحوها، وبين الأقسام الأخرى؛ هو أنّ الأقسام الأخرى يمكن حصول العلم بتأويلها بخلاف القسم الآخر، فإنّه لا يعلم حقيقة تأويله إلاّ الله تعالى، نعم يمكن أن يناله الراسخون في العلم بتعليم الله تعالى بعض النيل على قدر ما تسعه عقولهم، وأمّا حقيقة الأمر الذي هو حقّ التأويل فهو ممّا استأثر الله سبحانه بعلمه.

المطلب الأوّل: خصائص المنهج التفسيريّ للإمام عليّ (ع).

تميّز المنهج التفسيريّ للإمام عليّ (ع) بخصائص عدّة جعلته منهجًا فريدًا وعميقًا في فهم القرآن الكريم، ومن أبرز هذه الخصائص:

أولاً: الاعتماد على القرآن الكريم كمصدر أساسي: يعتمد الإمام عليّ (ع) بشكل أساسي على القرآن الكريم في تفسيره، مستعيناً بآيات أخرى لتفسير آية معينة، وموضحاً ارتباط الآيات ببعضها، ومن الأمثلة التفسيرية في ذلك ما ورد في حديث طويل للإمام عليّ (ع) يقول فيه وقد سأله رجل في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]، فقال: ((يعني البعث، فسّمّاه الله ﷻ لقاءه، وكذلك ذكر المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، يعني: يوقنون أنّهم يبعثون ويحشرون ويحاسبون ويجزون بالثواب والعقاب، فالظنّ ههنا اليقين خاصّة، وكذلك قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]، يعني: من كان يؤمن بأنّه مبعوث فإنّ وعد الله لآت من الثواب والعقاب، فاللقاء ههنا ليس

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣ / ٤٥ .



بالرؤية، واللقاء هو البعث، فافهم جميع ما في الكتاب من لقاءه فإنه يعني بذلك البعث، وكذلك قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، يعني: أنه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون^(١). وبذلك يكون قد أشار إلى تفسير جميع الآيات التي فيها كلمة اللقاء بمعنى البعث وفسرها من خلال الآيات القرآنية نفسها وربط بعضها ببعض.

ثانياً: الاعتماد على السنة النبوية: أعتد الإمام علي عليه السلام على السنة النبوية المطهرة في تفسيره، مستشهداً بأحاديث الرسول ﷺ لتوضيح معاني القرآن الكريم، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، استعان بالحديث النبوي الشريف لتوضيحها فقال: ((أنه لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] قال المؤمنون: يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت فأعادوا عليه مرتين، فقال: لا، ولو قال: نعم لوجبت، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(٢). إن هذا المثال وغيره الكثير في أمات الكتب توضح بوضوح أن الإمام علي عليه السلام كان يعتمد على السنة النبوية كمصدر أساسي في تفسيره للقرآن الكريم، وكان يرى أن السنة النبوية هي المفصل للقرآن والمبين له.

ثالثاً: الاهتمام بالسياق: أهتم الإمام علي بسياق الآيات، موضحاً سبب نزولها والظروف المحيطة بها، مما يساعد على فهم معناها بشكل أعمق، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الإمام علي عليه السلام في سياق آية الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ

(١) التوحيد، للصدوق: ٢٦٧.

(٢) بحار الأنوار: ٩٦ / ٢٢، باب (عقاب من مات ولم يحج حجة الاسلام...)، رقم الحديث (٨٤)، وينظر: مسند الإمام علي عليه السلام: ٤٦ / ٢، و تفسير أمير المؤمنين للقرآن الكريم: ١٤٨ / ٢.



يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴿﴾ [المجادلة: ٣]، إذ قال: ((وأما المظاهرة في كتاب الله، فإن العرب كانت إذا ظاهر رجل منهم من امرأته حرّمت عليه إلى آخر الأبد، فلما هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بالمدينة رجل من الأنصار يقال له: أوس بن الصامت، وكان أول رجل ظاهر في الإسلام وكان كبير السنّ به ضعف، فجرى بينه وبين امرأته كلام وكانت امرأته تسمى خولة بنت ثعلبة الأنصاري، فقال لها أوس: أنت عليّ كظهر أمي، ثمّ إنّه ندم على ما كان منه، وقال: ويحك إنّنا كنا في الجاهلية تحرّم علينا الأزواج في مثل هذا من قبل الإسلام، فلو أتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسألني عن ذلك، فجاءت المرأة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته، فقال لها: ما أظنك إلا وقد حرّمت عليه إلى آخر الأبد، فجزعت وبكت وقالت أشكو إلى الله فراق زوجي، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴿﴾ [المجادلة: ١]، إلى قوله: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ)، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قولي لأوس بن الصامت زوجك يعتق نسمة، فقالت: يا رسول الله وأنى له نسمة لا والله ما له خادم غيري، قال: فيصوم شهرين متتابعين، قالت: إنّه شيخ كبير لا يقدر على الصيام، قال: فمريه فليصدق على ستين مسكيناً، فقالت: وأنى له الصدقة؟ فوالله ما بين لابتيها أحوج منا، قال: فقولي له فليمض إلى أم المنذر فليأخذ منها شطر وسق تمر، فليصدق به على ستين مسكيناً))^(١).

من هذا المثل وغيره الكثير وضح لنا كيف كان الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يهتمّ بسياق الآيات القرآنيّة وسبب نزولها، وكيف كان يستخدم هذا السياق لفهم معاني الآيات بشكل أعمق وأدق.

(١) المعجم الكبير: ١١ / ٢١٢، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٦ / ١٢٨ و وسائل الشيعة (آل البيت): ٢٢ / ٣٠٦، رقم الحديث (٤).



رابعاً: التفسير بالمأثور: استخدم الإمام علي عليه السلام التفسير بالمأثور من أقوال الصحابة، ومن الأمثلة على ذلك: تفسير الآية: ﴿كَصَيَّبَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩]، إذ فسّر الإمام الصيب بحديث نقله عن ابن عباس (حبر الأمة) بأنّه: ((المطر))^(١).

هذا المثال يؤكّد لنا أنّ الإمام عليه السلام أينما يجد الصواب في الآراء التفسيرية من أقوال الصحابة فإنّه يشير إليه و يستخدمه في تفسيره للقرآن الكريم، وأنّه كان يعتمد على هذه الأقوال لإفهام معاني الآيات بشكل أعمق وأدق لمن احتاج الفهم، ويظهر أيضاً كيف كان الإمام علي عليه السلام حريصاً على نقل العلم والمعرفة من النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه إلى الأجيال اللاحقة. ويمكن أن تكون إشارة منه عليه السلام أنّ هؤلاء الأصحاب الذين نقل منهم هم أصحاب خلص، ثقة، يمكن اعتماد أقوالهم والوثوق بأرائهم.

خامساً: استخدم الإمام علي عليه السلام علمه الواسع وفهمه العميق للغة العربية لاستنباط المعاني من النصّ القرآني، ومثال ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧]، قال علي عليه السلام: ((والله إنّنا لنحن أهل الذكر، نحن أهل العلم، نحن معدن التأويل والتنزيل))^(٢)، مستندا إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله في تفسير كلمة (الذِّكْر) في الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، إذ قال لأنس بن مالك عن ذلك: ((أتدري من هم يا بن أم سليم؟ قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: نحن أهل البيت وشيعتنا))^(٣)، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الإمام علي عليه السلام كان يرى أنّ القرآن الكريم يحتمل أكثر من معنى، وأنّ بعض الآيات تحتاج إلى اجتهاد واستنباط لفهم معناها بشكل صحيح، ومع ذلك،

(١) جامع البيان: ١ / ٢١٥، وعمدة القاري: ٧ / ٥٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣ / ١٧٣ رقم الحديث (١).

(٣) م.ن: ٢٣ / ١٨٤ رقم الحديث (٤٨).



كان دائماً يحرص على أن يكون تفسيره مستنداً إلى الأدلة الشرعية والعقلية، وأن يتجنب التفسير الذي يخالف نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

سادساً: التفسير بالإشارة: يستخدم الإمام علي عليه السلام التفسير بالإشارة في بعض الأحيان، كاشفاً عن المعاني الباطنية والرموز في القرآن الكريم، ومثله هو تفسير الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، إذ يرى الإمام علي عليه السلام أن الآية تشير إليه بشكل خاص؛ فهو الذي أخرج زكاته وهو راعٍ في الصلاة وهو ما أكدت عليه الأحاديث والروايات، وتناقلتها كتب التفسير^(١)، وهذا التفسير يؤكد على مكانة الإمام علي عليه السلام الخاصة عند الله تعالى، وأنه هو الوليُّ الحقُّ للمؤمنين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إن ما ذكرناه يعدُّ أهمَّ الخصائص لتفسير الإمام علي عليه السلام فضلاً عن الخصائص الأخرى، كونه تفسيراً شاملاً شمل جميع جوانب الحياة، من العقيدة والأخلاق إلى الأحكام والتشريعات، مما يجعله مرجعاً شاملاً للمسلمين، وتميزه بالوضوح والبساطة، مما جعله سهل الفهم والاستيعاب لجميع الناس، وتلك البساطة لم تمنعه عن عمق المعاني وإيجازها في الوقت نفسه، والربط بين القرآن والواقع المعاش، موضعاً كيف يمكن تطبيق تعاليم القرآن في الحياة اليومية، وهذا مما جعله منهجاً فريداً وعميقاً، وساعد المسلمين على فهم القرآن الكريم وتطبيقه في حياتهم بشكل صحيح.

(١) ينظر: تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٤٦٣، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦ / ٣٨٩، وتفسير العياشي: ١ / ٣٢٧.



المطلب الثاني: تفسير الإمام علي عليه السلام لأبرز آيات الغيبات

أولاً: آيات غيبات الماضي والحاضر والمستقبل

تفسير آيات تتعلق بالله تعالى وصفاته وأفعاله: وهي الآيات التي تُعنى بإثبات وجود الله تعالى بالاعتماد على منطق الحق، بمعنى: مشاهدة الكون المادي، وما فيه من إبداع صنعة، وقصد خلق، وحكمة وتديير يشمل ويعم جميع الكائنات من أصغر مخلوق كالذرة إلى أعظم المجرات، إذ أشار الله ﷻ إلى هذا المنهج بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، والمراد بالحق هنا: وجود الله سبحانه. ((ومن استقرأ وتتبع تفسير أمير المؤمنين علي عليه السلام يحس أن كل كلمة من كلماته تنطلق به من حيث لا يشعر إلى الإيمان بالله، والالتزام بدينه وشريعته))^(١). وأذكر بعضاً من هذه الآيات على النحو الآتي: ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال عليه السلام: ((الكرسي محيط بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وأن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾))^(٢)، إذ فسّر الكرسي بالإحاطة والعلم، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، إذ إنه ((أشار إلى العلم فأنج ذلك الكرسي ويعني به العرش مقام الإحاطة والتديير والحفظ، وأنه مقام العلم والحضور بعينه))^(٣)، من المهم أن نلاحظ أن هذا التفسير هو محاولة لتقريب مفهوم كرسي الله وهو من الأمور الغيبية إلى عقول البشر المحدودة. وفي

(١) في ظلال نهج البلاغة: ١٠/١ .

(٢) تفسير نور الثقلين: ١/ ٢٦١ و تفسير أمير المؤمنين عليه السلام: ٢/ ٦٣ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٨/ ١٦٤ .



تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ [الحاقة: ١٧]، قال: ((الذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه))^(١)، وفي تفسير آخر يوضح فيها لنصراني سأله عنها فقال: ((إن الملائكة تحمل العرش، وليس العرش كما تظن كهياة السير، ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر، وربك عليه السلام مالكة لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدروهم عليه، قال النصراني: صدقت رحمك الله))^(٢)، فبهذا التفسير أثر في عقيدة النصراني، فكيف لا يؤثر في عقيدة المسلمين.

ثانيا: آيات غيبيات الحاضر

تفسير آيات تتعلق بالملائكة والجنّ والشياطين:

غيبات الحاضر (الملائكة، الجنّ، الشياطين)، وهي من تفسير غيبات الحاضر عند الإمام علي عليه السلام، يتضمّن شرحاً لطبيعة الملائكة والجنّ والشياطين ووظائفهم وأدوارهم في الكون، ويهدف الإمام علي عليه السلام من تفسير هذه الغيبات إلى تعزيز الإيمان بعالم الغيب وتوضيح حقيقة هذه المخلوقات التي لا يدركها الإنسان بحواسّه، ويتعد عن كلّ الأساطير والخرافات التي حيكت لهذه المخلوقات بما يتنافى مع العقل والمنطق، وما ينسب إليها من الأشكال الغريبة والعجيبة والمرعبة، وأتمّها موجودات مؤذية، سيّئة التصرف والسلوك، إذ يمكن أن تتلبّس بالإنسان وتسيّره بأفعال خارجة عن إرادته، وهذا كلّ قد نفته الآيات الكريمة وأحاديث الرسول وروايات آل البيت عليهم السلام.

(١) أصول الكافي: ١ / ١٣٠ رقم (١).

(٢) مسند الإمام علي عليه السلام: ١ / ١٣٨ رقم (٨).



١ - الملائكة:

وصف الإمام عليه السلام خلق الملائكة، وأصنافها، وعملها في إحدى خطبه قائلاً: (ثُمَّ فَتَقَّ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ [إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]]^(١))، ثم زاد بوصفهم وبين أعمالهم بقوله: ((مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايَلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ))^(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصفات: ١٦٥-١٦٦]، ثم قال: ((لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمٌ الْعُيُونَ وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ))^(٣)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١-٥].

٢ - الجن:

إن القرآن الكريم أخبرنا عن وجود الجن وصفاتهم التي سيأتي ذكر بعضها، ومن ناحية أخرى لا يوجد دليل عقلي على عدم وجود الجن، ولهذا لا بد من الإيمان بها، وتجنب الأقوال التي لا تليق بها، كما في أساطير العوام وخرافاتهم. ويلاحظ أيضاً أن كلمة الجن تستخدم أحياناً بمفهوم أوسع يشمل أنواع الكائنات الخفية التي

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ١٢/١ .

(٢) م.ن: ١٢/١-١٣ .

(٣) م.ن: ١٣/١ .



هي أعمّ من الكائنات التي لها عقل ووعي ناقص بالنسبة لنا، وحتى مجموعات من الحيوانات التي تكون مرئية للعين ومختبئة في أوكارها أيضًا، والدليل على ذلك رواية وردت عن أمير المؤمنين (ع) إذ قال: ((لا تشرب الماء من ثلثة الإناء ولا عروته، فإنّ الشيطان يقعد على العروة والثلثة))^(١)؛ ولأنّ الشيطان من الجنّ، ولأنّ ثلث الإناء ومقبضه مكان لتجمع الكائنات الحيّة الدقيقة المختلفة، فلا يستبعد أن يشمل الجنّ والشيطان بمعناه العام مثل هذه المخلوقات، والمعنى الخاصّ به هو أنّه كائن ذو فهم وشعور، وهذا ما بيّنه الإمام (ع) في بيان خلق الجنّ وعمله، إذ قال في خلق الجنّ: ((إنّ الله تعالى خلق الجنّ من نار، أي من لهب النار الذي لا دخان فيه))^(٢)؛ وهو تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]. وفي بيان عمل الجنّ قال: ((إنّ الله عزّ وجلّ خلق الجنّ والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فيسرّ كلّاً لما خلق له، فالويل لمن استحَبَّ العمى على الهدى))^(٣)، فبين من خلال تفسير هذه الآية عمل الجنّ وتكليفهم وهي العبادة، ولكن لم يفصّل في أوصاف تلك العبادة.

٣. الشياطين أو الأبالسة:

ذكر أمير المؤمنين (ع) خلق الشيطان أو إبليس في خطبة له يوضّح فيها خلق آدم (ع) فقال: ((واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته إليهم، في الإذعان بالسجود له والخشوع لتكرّمته. فقال سبحانه: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [طه: ١١٦] اعترته الحمية وغلبت عليه الشقوة وتعزّز بخلقته النار

(١) الكافي: ٦ / ٣٨٥ رقم (٥).

(٢) الوافي: ١٩ / ٣٧٩، ٦١ رقم الحديث (٧٨).

(٣) التوحيد للصدوق: ٣٥٦، بيانه في حديث (الشقي من شقي)، وينظر: تفسير الأمثل: ١٧ / ١٤٢.



واستهون خلق الصلصال، [وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية، وإنجازاً للعدة، فقال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ * إلى يومِ الوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧-٣٨]]^(١). ومن الواضح أن هذا الاستثناء يمكن أن يضللنا إلى الاعتقاد بأن الشيطان كان من جنس الملائكة، في حين أن الملائكة معصومون من الخطأ، فكيف سلك الشيطان طريق الطغيان والكفر إذا كان واحداً منهم؟ ولذلك فإن الآيات القرآنية الأخرى رفعت هذا الوهم فتقول مباشرة إنه: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، إنه إذا لم يكن من الملائكة، ولكن بسبب عبوديته وطاعته للخالق ﷻ، كان قريباً منه وكان في مصاف الملائكة، بل وكان معلّمهم، ولكنّه في لحظة كِبَرٍ وتكَبَّرٍ سقط سقوطاً ذريعاً، إذ فقد كل صفاته الأخلاقية، وأصبح الأكثر غربة وأبعد عن الله سبحانه.

وأما وجوده في الكون فهو للاعتبار به وهو ما ذكره الإمام علي عليه السلام في إحدى خطبه قائلاً: ((فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدري أمن سني الدنيا أم سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ كلا، ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكا، إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحتهم حرمه على العالمين، فاحذروا عباد الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزكم بندائه، وأن يجلب عليكم بخيله ورجله، [وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، ثم قال: فلعمري لقد

(١) نهج البلاغة: ٢٢/١، خطبة في صفة خلق آدم عليه السلام.



فوق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالنزع الشديد، وركبكم من مكان قريب، وقال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَرْبُزَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩] (١).
 هذه بعض الأمثلة على تفسير الإمام علي (ع) لآيات تتعلق بالملائكة والجن والشياطين، وتتميز تفسيراته بالعمق والشمولية، وأن الشياطين والجن موجودات واقعية، ويجوز أن يتعوذ الإنسان من الشيطان الذي يوسوس في صدره وينفخ في روعه، وقد يكون هذا الشيطان من الجن ويمكن أن يكون من الناس، وقد صرحت سورة الناس بذلك: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦].

ثالثاً: آيات غيبات الماضي

تفسير آيات تتعلق بالكتب السماوية والرسل والأنبياء.

تؤكد العديد من الآيات القرآنية على أهمية الإيمان بالكتب السماوية والرسل والأنبياء، وتوضح دورهم في هداية البشرية وإن كان لم نشهد تلك الأيام ولم نرهم، ولكن وجب علينا الإيمان بهم صدقاً وعدلاً وأتاهم رسل الله وأنبياءؤه أدوا ما عليهم من التبليغ وإداء الأمانة، أورد تفسير الامام علي (ع) لبعض هذه الآيات على النحو الآتي:

١- الإيمان بالكتب السماوية

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٩]، إذ قال الامام (ع) في تفسيرها: ((كتاب التوراة النازلة باللغة العبرانية على قلب موسى أولاً ثم على الألواح الزبرجدية، ومنها الإنجيل النازل بالسريرية على قلب عيسى،

(١) نهج البلاغة: ٢ / ١٣٩، الخطبة القاصعة في ذم الكبر وتقيح الاختلاف ...



ومنها الزبور على داود، ومنها الفرقان على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وآله، ومنها كصحف إبراهيم عليه السلام كانت عشرين صحيفة وصحف إدريس عليه السلام وكانت ثلاثين، وصحف شيث (ابن آدم) وكانت خمسين^(١). فبين بتفسيره هذا ما كان غائباً من لغات الكتب السماوية وعدد بعضها.

٢ - الإيمان بالرسول والأنبياء عليهم السلام

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، فإن هذه الآية تؤكد على أن الله أرسل العديد من الرسل قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله، بعضهم ذُكرت قصصهم في القرآن، وبعضهم لم تذكر، وهذا يدل على أن الرسالة الإلهية مستمرة عبر التاريخ، وأن الله يختار من عباده من يشاء لهداية الناس وأنها من الأمور الغيبية التي يجب أن نؤمن بها؛ لأنها شرط من شروط تكامل الإيمان وهي الإيمان بالرسول والأنبياء جميعاً ما علمنا منهم وما لا نعلم وما علمناه أهل البيت عليهم السلام، إذ قال عليه السلام في تفسيرها: ((بعث الله نبياً أسود لم يقص علينا قصته، واختلف الأخبار في عدد الأنبياء، فروي في بعضها أن عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وفي بعضها أن عددهم ثمانية آلاف نبي: أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من غيرهم بأية أي بمعجزة ودلالة))^(٢). نخلص من ذلك كله أن الآيات القرآنية تؤكد على أهمية الإيمان بالكتب السماوية والرسول والأنبياء، فهم جميعاً يحملون رسالة واحدة من الله، وهي الإيمان به وعبادته وطاعة أوامره واجتناب نواهيه، ويجب على المسلمين احترام جميع الأنبياء والرسول وعدم التفريق بينهم، لأنهم نهج واحد في طرق عدة.

(١) الوافي: ٢ / ٣٢٠، وينظر: حقّ اليقين لمعرفة أصول الدين: ١ / ٨٢ .

(٢) تفسير أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: ٧ / ٧٩ .



رابعاً: آيات غيبيات المستقبل

تفسير غيبيات المستقبل (يوم القيامة، الجنة، النار) عند الإمام علي (ع) يتضمن شرحاً لأحداث يوم القيامة وأهواله، وما أعدّه الله تعالى للمؤمنين في الجنة من نعيم، وللكافرين في النار من عذاب، ويهدف الإمام علي (ع) من خلال تفسير هذه الغيبيات إلى تذكير المسلمين بيوم الحساب والجزاء، وتحفيزهم على العمل الصالح والابتعاد عن المعاصي وأن حديثه عن ذلك كله يصحّ فيه القول: إن الله هو المؤلف، والإمام هو المخرج.

١ - يوم القيامة:

عن أمير المؤمنين (ع) في حديث طويل مفسّرٍ وشارحٍ لآيات الكتاب التي تتحدّث عن يوم القيامة وأهوالها، وقد اشتبه بها رجل سأله عنها قائلاً: ((وأما قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، فإن ذلك في موطن غير واحد من موطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة، يجمع الله (ع) الخلائق يومئذ في موطن يتفرّقون، ويكلّم بعضهم بعضاً ويستغفر بعضهم لبعض، أولئك الذين كان منهم الطاعة في دار الدنيا للرؤساء والاتباع ويلعن أهل المعاصي الذين بدت منهم البغضاء وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا، المستكبرين والمستضعفين يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً، ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه فلو أنّ تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معاشهم، ولتصدّعت قلوبهم إلا ما شاء الله، فلا يزالون يبكون الدم، ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾



فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيفتر بعضهم من بعض، فذلك قوله ﷺ: ﴿يَوْمَ يَمُرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ * وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦]... وهكذا إلى أن قال الرجل: فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين، وحللت عني عقدة فعظم الله أجرني ((١)). وبهذا الحديث قد أعطى صفات ذلك اليوم وما سوف يجري به وما ستؤول إليه عاقبة الأعمال.

٢- الجنة:

سأل الإمام علي عليه السلام رسول الله ﷺ عن تفسير هذه الآية: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠]، فقال: لماذا بُنيت هذه الغرف يا رسول الله؟ فقال: ((يا علي تلك غرف بناها الله لأولياته بالدرّ والياقوت والزبرجد، سقوفها الذهب محبوكة بالفضة، لكل غرفة منها ألف باب من ذهب، على كل باب منها ملك موكل به وفيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة وحشوها المسك والعنبر والكافور، وذلك قول الله وفرش مرفوعة، فإذا دخل المؤمن إلى منزله في الجنة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة وألبس حلل الذهب والفضة والياقوت والدرّ منظوماً في الإكليل تحت التاج، وألبس سبعين حلة بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر، وذلك قوله: يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)) (٢)، وللإمام أيضاً وصف للجنة في إحدى خطبه

(١) تفسير أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: ٧ / ١٨-٢١.

(٢) م: ٣٠ / ٧.



قال فيها مشيراً إلى تفسير الآيات التي تتحدث عن تلك الصفات فيقول: ((فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها، ولذهلت بالفكر في اصطفاق أشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل أنهارها، وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وأفنانها، وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها، تحنى من غير تكلف فتأتي على منية مجتنيها. تفسيراً لقوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَدْلِيلاً﴾ [الدھر: ١٤]، ثم قال: ويطف على نزالها في أفنية قصورها بالأعسال المصفقة، والخمور المروقة، تفسيراً لقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]] (١).

٣- النار:

وفي تفسير الآيات التي تناول وصف النار قال (ع): ((ونار شديد كلبها [إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، ثم قال: [عال لجبها [إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾ [الملك: ٧]، ثم قال: [ساطع لهبها، [إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾ [الهمزة: ٧]، ثم قال: [متغيظ زفيرها، متأجج سعيرها، بعيد خمودها، [إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]، [ذاك وقودها، مخيف وعيدها، [إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]، ثم قال: [غم قرارها، مظلمة أقطارها، حامية قدورها، فظيعة

(١) نهج البلاغة: ٧٦/٢، من خطبة له في وصف الطاووس وهي من غرر كلامه وفيها شيء من وصف الجنة، وينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤٧٩ / ٢.



أمورها))^(١). إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ أْنِيَّةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٤-٧].
خامساً: تفسير آيات تتعلق بالإمام المهدي عليه السلام.

إن من بعض الآيات التي أشار إليها الإمام إلى ولده الإمام المهدي عليه السلام وتمكّنه من الخلافة في الأرض هي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، إذ قال فيها: ((لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها))^(٢)، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨]، قال: ((هو عند خروج القائم عليه السلام))^(٣).

(١) نهج البلاغة: ٢ / ١٣١، من خطبة له في الامر بالتقوى والتخوف، وينظر: في ضلال نهج البلاغة: ٩٥ / ٣.

(٢) نهج البلاغة: ٤ / ٤٧، في وصف الغوغاء، رقم (٢٠٩).

(٣) التفسير الأصفي: ٢ / ١٠٧٧، وينظر: تفسير أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: ٧ / ٢٣.



الخاتمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وأصلي وأسلم على نبيّه محمّد، المصطفى المجتبي، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المتتبعين، والحمد لله الذي وفّقني أن أصل إلى خاتمة البحث بمنّه تعالى وكرمه؛ لأضع بين أيديكم النتائج الآتية:

١. إنّ تفسير الغيبيّات برّز مكانة الإمام علي (ع) كمفسّر للقرآن الكريم.
٢. يمثّل تفسير الغيبيّات أهميّة كبرى في فهم آيات القرآن الكريم فهمًا صحيحًا وشاملاً ويساعد على فهم النصّ القرآنيّ فهمًا متكاملًا، وتجنب التأويلات الخاطئة والتفسيرات المنحرفة.
٣. تتضمّن الغيبيّات العديد من الأحكام الشرعيّة المتعلقة بالعقيدة وتفسيرها ما يساعد على فهم مقاصد الشريعة الإسلاميّة وأهدافها، ومن ثمّ تطبيقها بشكل صحيح في الحياة اليوميّة.
٤. تعزيز الإيمان بالله تعالى من خلال ما تضمّنه الغيبيّات من أخبار عن قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته، وتفسيرها يقوي الإيمان به وبصفاته، ويزيد من تعظيم المسلم لربّه وخالقه.
٥. إنّ تفسير آيات يوم القيامة وأهواله والجنّة والنار يزيد من خشية المسلم لله تعالى، ويدفعه إلى فعل الخير واجتناب الشرّ والاستعداد لذلك اليوم العظيم.
٦. إنّ تفسير آيات الملائكة والجنّ يساعد على فهم دورهم في الكون وعلاقتهم بالإنسان، ومن ثمّ فهم النصوص القرآنيّة الأخرى التي تتحدّث عنهم بشكل أفضل.
٧. الرّدّ على الشبهات والاعتراضات وخاصّة فيما يتعلّق بالغيبيّات، وتفسير هذه الغيبيّات بشكل صحيح ومن الراسخين في العلم بالذات، ويساعد على الرّدّ على هذه



الشبهات وتفنيدها، وإثبات صدق القرآن الكريم وإعجازه.
 نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من المنتفعين بما فسره إمام المتقين
 علي بن أبي طالب عليه السلام وأن يوفقنا للالتزام بما وضح لنا وكشف بهم ما نجعل من
 كلمات وآيات في القرآن الكريم، والحمد لله رب العالمين.

المصادر

بعد القرآن الكريم:

١. أصول البحث، عبد الهادي الفضلي، دار الكتاب الإسلامي، قم، ط ١.
٢. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، تح: علي أكبر الغفاري،
 دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٥، ١٣٦٣ ش.
٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل أو (تفسير الأمثل)، ناصر مكارم الشيرازي،
 دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٤. بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (١١١١ هـ)، تح: عبد الرحيم
 الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٥. تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي
 (ت ١٢٠٥ هـ)، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، (ب-ط)، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٦. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تح: أحمد حبيب
 العاملي، دار إحياء التراث العربي، (ب-ط - ت).
٧. تفسير الإمام العسكري عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام (ت ٢٦٠ هـ)،
 تح: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
٨. تفسير أمير المؤمنين عليه السلام للقرآن الكريم، علي عاشور، مركز الشرق الاوسط
 الثقافي، ط ١، ٢٠٠٨ م.



٩. تفسير سورة هل أتى، جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، قم، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٠. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ)، تح: هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
١١. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨١ م.
١٢. تفسير نور الثقلين، عبد علي العروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ)، تح: هاشم الرسولي المحلّاتي، مؤسسة إسماعيليان، قم، ط٤، ١٤١٢ هـ.
١٣. التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
١٤. التوحيد، علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الصدوق القمي (ت ٣٨١ هـ)، تح: هاشم الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (ب-ط)، ١٣٨٧ هـ.
١٥. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٦. حق اليقين لمعرفة أصول الدين، عبد الله شبر (ت ١٢٤٢ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
١٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار المعرفة، بيروت.
١٨. الروضة في فضائل أمير المؤمنين (ع)، شاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان ٦٦٠ هـ) تح: علي الشكرجي، ط١، ١٤٢٣ هـ.
١٩. زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني (ت ٩٨٨ هـ)، تح: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط١، ١٤٢٣ هـ.



٢٠. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ)، تح: عني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها، چاپخانه دفتر تبليغات إسلامي، قم، ط ١، ١٣٦٢ ش.
٢١. صحيح شرح العقيدة الطحاوية، حسن بن علي السقاف، دار الإمام النووي، عمان، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٢. عمدة القاري، بدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب-ط-ت).
٢٣. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ)، مطبعة ستار، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
٢٤. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، تح: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٦. مستدرک نهج البلاغة، هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١ هـ)، منشورات مكتبة الأندلس، بيروت.
٢٧. مسند الإمام علي عليه السلام، حسن القبانجي، تح: طاهر السلامي، الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٨. مصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) الميرجهاني (١٣٨٨ هـ).



٢٩. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تح: حمدي عبد المجيد، ط٢، (ب-ت).
٣٠. مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٣١. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ)، مؤسسة إسماعيليان، ط٣، ١٩٧٤ م.
٣٢. نظرات في الكتب الخالدة، حامد حفني داود، تح: مرتضى الرضوي، دار العلم للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧ م.
٣٣. نهج البلاغة، للإمام علي ابن أبي طالب (ع) (ت ٤٠ هـ)، تح: محمد عبده، النهضة، قم، ط١، ١٤١٢ هـ.
٣٤. وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تح: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤ هـ.

المنهج الاقتصادي للإمام عليؑ من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية

أ.م.د. ميثم عزيز ثجيل الهالبي

جامعة الشطرة/ كلية التربية للبنات/ قسم علوم القرآن

الملخص :

اتّسمت السياسة الاقتصادية للإمام عليؑ التي اتّبعتها في خلافته بتطابقها وانسجامها مع النهج القرآني والسنة النبوية التي اتّبعتها الدولة المحمّدية في عهد الرسول ﷺ، وعلى الرغم من اختلاف الظروف السياسية ومقدار الموارد ما بين العهدين إلا أنّ الإمام عليؑ كان على دراية وقناعة تامة بحلّ تلك المشاكل التي واجهته على وفق المنهج الذي اتّخذه الرسول في إدارة الدولة الإسلامية.

ومشكلة البحث تكمن في تحليل النصّ الروائي ومطابقته مع الدليل القرآني في نطاق ما تعامل به الإمام عليؑ في سياسته الإصلاحية الاقتصادية التي مارسها مع المسلمين، وصعوبة انسجامها مع فرضيات القانون والنهج القرآني الذي اعتمد على العدالة و المساواة، وذلك لاعتياد بعض الفئات على الامتيازات المالية التي كانوا يتمتّعون بها في زمن الخلفاء الذين سبقوه في الحكم.

وقد اعتمد البحث على منهجية الوصف التاريخي عن طريق السرد الروائي والتحليل، وقد انقسم البحث على مبحثين، لكلّ مبحث مطلبين، فقد تحدّث المبحث



الأول عن النهج الاقتصادي في زمن خلافته، والمبحث الثاني تحدّث عن مسألة تطبيق السياسة الاقتصاديّة في توزيع الثروات على وفق العدالة والمساواة. الكلمات المفتاحيّة: المنهج الاقتصاديّ، القرآن الكريم، السنّة النبويّة.

Abstract:

The economic policy pursued by Imam Ali (PBUH) during his caliphate was characterized by its total alignment and harmony with the Quranic approach and the Prophetic Sunnah established during the era of the Prophet (PBUH). Despite the differences in political circumstances and the volume of resources between the two eras, Imam Ali (PBUH) possessed full awareness and conviction in resolving the challenges he faced according to the same methodology the Prophet used in managing the Islamic state.

The research problem lies in analyzing the narrative texts (Hadiths) and matching them with Quranic evidence within the scope of the economic reform policies Imam Ali practiced. It highlights the difficulty of harmonizing these policies with legal hypotheses and the Quranic path—which relies on justice and equality—due to certain groups becoming accustomed to the financial privileges they enjoyed during the reigns of previous caliphs.

The research adopts a historical-descriptive methodology through narrative discourse and analysis. It is divided into two main sections: the first discusses the economic approach during his caliphate, while the second addresses the application of economic policy in wealth distribution based on justice and equality.

Keywords: Economic Methodology, The Holy Quran, Prophetic Sunnah.



المقدمة:

واجهت الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ تغيرات متعددة، وكان أهمها الإدارة الاقتصادية لموارد الدولة، ومن أهمها توزيع العطاء على المسلمين، فقد كانت الموارد المالية تُوزع بحسب المراتب والدرجات في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، ولم يتم بتغييرها الخليفة عثمان بن عفان، وقد برزت سلبيتها بعد أن استعان بأقاربه في إدارة الدولة، لذلك حاول الإمام عليؑ معالجة هذه المشكلة بتغيير السياسة الاقتصادية عند استلامه إدارة الحكم، فقد كانت أغلب الأموال تُوزع للصحابة الأوائل وأسرة الخليفة عثمان، ما أدى إلى وجود فوارق طبقية بين المجتمع الإسلامي، وهو ما يتعارض مع منهج الرسالة المحمدية، لذا عمد الإمام عليؑ إلى تصحيح تلك السياسة الاقتصادية من طريق توزيع الأموال بالتساوي على وفق استحقاق كل فرد، وأرجع الأموال والأراضي التي أخذت بغير وجه حق، وهذا العمل أدى إلى امتعاض الجهات المتضررة لتقف بالضد من سياسته.

إن المنهج الاقتصادي للإمام عليؑ كان غاية في الكمال والعدالة، فقد طبق أحكام القرآن في تفاصيل العمل به ليكون أفضل من أعطى المثال الكمالي في الحكم الإسلامي. تناول البحث الموسوم بالمنهج الاقتصادي للإمام عليؑ من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية أهم ركن من أركان الدولة ألا وهو إدارة الدولة للاقتصاد وتوزيع الثروات على المسلمين، وتكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على الإجراءات الإصلاحية التي مارسها الإمام عليؑ في فترة خلافته وإرجاع توزيع الموارد المالية على وفق النهج القرآني والسنة النبوية التي أتبعها النبي ﷺ، لذا اعتمد البحث على المقارنة بين السياسة المالية المتبعة في عهد الخلفاء الذين سبقوه، وسياسته الإصلاحية التي كانت مثالا للتطبيق الأخلاقي والإنساني العادل.



أما عن مشكلة البحث فهي تكمن في تحليل النصِّ الروائيِّ ومطابقتها مع الدليل القرآنيِّ في نطاق ما تعامل به الإمام عليّ (ع) في سياسته الإصلاحية الاقتصادية التي مارسها مع المسلمين، وصعوبة انسجامها مع فرضيات القانون والنهج القرآنيِّ الذي اعتمد على العدالة و المساواة، وذلك لاعتياد بعض الفئات على الامتيازات الماليّة التي كانوا يتمتعون بها في زمن الخلفاء الذين سبقوه في الحكم.

وقد اعتمد البحث على منهجية الوصف التاريخيِّ عن طريق السرد الروائيِّ والتحليل، وقد انقسم البحث على مبحثين، لكلِّ مبحث مطلبين، فقد تحدّث المبحث الأوّل عن النهج الاقتصادي في زمن خلافته، والمبحث الثاني تحدّث عن مسألة تطبيق السياسة الاقتصاديّة في توزيع الثروات على وفق العدالة والمساواة.



المبحث الأول

المطلب الأول: منهج الإمام عليؑ في تطبيق النظام المالي

اهتمت الدولة الإسلامية بالنظام الاقتصادي بوصفه ركيزة في بناء المجتمع والنظام السياسي على مختلف المجالات الدنيوية، لذا نجد من الإشارات والأدلة القرآنية في التوجه هو الإصلاح والإرشاد لتصحيح الأداء وتحسين الإدارة الاقتصادية، وذلك من طريق مصدرين مهمين هما القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ يوجد في الآيات القرآنية كثير من الأوامر والنواهي التي تأمر بفعل بعض الأشياء وتنهى عن فعل بعضها الآخر^(١)، أما عن تعريف السياسة الاقتصادية فهي: ((الإجراءات العملية التي تتخذها الدولة للتأثير في النشاط الاقتصادي))^(٢)، وتُعرف أيضًا بأنها السياسات الاقتصادية التي تتضمن دراسة أفضل السبل التي يمكن أن تتبناها سلطات الدولة للوصول إلى أهداف ومضامين معينة، مثل معالجة الفقر وحالات البطالة ومراقبة ارتفاع أسعار المواد^(٣)، وقد انقسمت السياسة الاقتصادية إلى نوعين هما: السياسة المالية التي تهتم بالعمل بالجانب المالي كالإنفاق وسياسة فرض الضرائب والسياسة النقدية التي تراعي وتراقب المتغيرات النقدية وتأثيرها على المجتمع من الجوانب الاقتصادية كافة^(٤).

أما عن سياسة الإمام عليؑ الاقتصادية وتطبيقها من المنهج القرآني فنجد أن ذلك التطبيق في زمن حكومته يعتمد على ما كان الرسول ﷺ يتعامل به في إدارة شؤون

(١) ينظر: تاريخ الفكر الاقتصادي: ٢٢ .

(٢) السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي: ٥٩ .

(٣) ينظر: تطوّر الفكر الاقتصادي: ٢١ / ٣ .

(٤) أساسيات علم الاقتصاد الجزئي: ٣٥٥ .



الدولة، لذا نرى أن القرارات التي عمل بها كانت تهتم بسياسة البذل والعطاء وعدم احتكار الأموال وكنزها، وبقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَنُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، وقد حدّد الإمام عليّ (ع) حدود اكتناز الأموال وميزها عن الإنفاق وذلك بقوله: ((أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، وما فوقها كنز))^(١) وبهذا الحديث نجد دقّة الإمام عليّ (ع) في التمييز بين فوارق الادّخار والإنفاق، فالإمام عليّ (ع) كان يسعى بسياسته الماليّة لتحقيق الرفاهية بالوسائل المتاحة للمجتمع، ولكون النظام الاقتصاديّ ينطلق من منهج القرآن الكريم والسنة النبويّة، فإن سياسة الإمام عليّ (ع) في التعامل الاقتصاديّ كانت تسير على وفق الأعمال بالأحكام الشرعيّة؛ وذلك لكون الإسلام يمثل شموليّة كاملة لكلّ الأنظمة السياسيّة والاقتصاديّة وغيرها، وله سياسته الاقتصاديّة التي تميّز بها والتي تتفق مع الأنظمة الاقتصاديّة^(٢).

كان المنهج المتّبع للإمام عليّ (ع) في تنفيذ السياسة الماليّة يُعدّ ثورة ونقله نوعيّة في دافع الأمة الإسلاميّة بعد أن اتّبع من سبقه من الخلفاء نظاماً يعتمد على إثرة الأقرباء على مؤسّسات الدولة، ممّا أدّى إلى استحواذ فئة قليلة من الأفراد على المقدرات الماليّة العامّة للدولة الإسلاميّة، فقد كان العطاء يعتمد على الفوارق الطبقيّة والدرجات الرفيعة لبعض الأفراد، وهذا أدّى إلى اتّساع الفارق الماليّ بين رعايا الدولة الإسلاميّة وانعدام المساواة فيما بينهم، وهذا الأمر لا ينطبق مع إرادة

(١) المصنف: ١٠٩/٤ .

(٢) ينظر: الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ: ١٠ .



الله في مبدأ التساوي الذي تؤكدُه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] ويؤكدُه الحديث النبوي: ((لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ولا أحمري على أسود ولا أسود على أحمري إلا بالتقوى))^(١).

لقد وضح الإمام عليؑ أنّ المنهج الاقتصادي هو العودة لما اتَّخذه الرسول ﷺ في أيام دولته، وأنّ السياسة المتبَّعة في عهد الخليفة عثمان لم تنل رضا المسلمين ولاسيما ما يخصّ أموالهم وإدارتها، وقد صرح بذلك في خطبته قائلاً: ((فأفضى الأمر إلى عثمان فعمل ما أنكرتم وعرفتم، ثم حُصر وقتل))^(٢)، وهذا يؤكد على أنّ الإمام عليؑ جاء لتصحيح المنهج الاقتصادي على وفق استرداد الحقوق، فمن حقّ كلّ مسلم أن يتحاكم إلى الشريعة وأن يتحاكم إليها دون سواها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وجعل الإمام عليؑ نفسه كباقي المسلمين يتساوى معهم بالعطاء من دون أيّ امتياز ماديّ، بل جعل هدفه الإصلاح الذي حثّ به المسلمين من خلال العمل الجماعيّ، بغية الوصول إلى الدولة العادلة، فالعمل الجماعيّ هو هدف الإمام عليؑ من أجل صلاح المجتمع؛ لذا يجب أن يكون هنالك تقبُّل لفكرة الحلول التي وضعها الإمام عليؑ^(٣)، فبد الله مع الجماعة، كما أكّد الرسول ﷺ بقوله: ((أيُّها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة))^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء: ١٨٩ .

(٢) العقد الفريد: ٦ / ٣٦؛ وينظر: الأمالي، الطوسي: ٧٢٩؛ وبحار الأنوار: ١٧ / ٣٢ .

(٣) ينظر: كنز العمال: ٣١ / ١ .

(٤) بحار الأنوار: ٢ / ٢٦٦ .



المطلب الثاني: منهج الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في استرداد الحقوق المالية:

عندما استلم الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ مقاليد الخلافة أراد أن يُعَلِّمَ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ أنَّ الذي يتولَّى أمور المسلمين يجب عليه أن يكون بخدمتهم وأن لا يجوز في حكمه عليهم أو يغتنم أكلهم ويترصّد أرزاقهم ويغبن حقوقهم أو يهب المال لمن يشاء، فهو يعدّ الولاية تكليفاً وليس تشريفاً والله سبحانه وتعالى هو الرقيب على أولي الأمر، لذا كان أوّل عمل قام به هو اختيار ولاية وإداريين أكفاء بمستوى المسؤولية التي تكلف بعاتقهم. ومن الشاهد القرآني الذي سار عليه منهج الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في إرجاع الحقوق - بوصفها أمانة - إلى أهلها وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

وفي ضوء ذلك بدأ الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ باسترجاع الأموال والأراضي العامّة التي منحها الخليفة عثمان لبرني أمية من غير وجه حقّ، فاستردّها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لبيت مال المسلمين، وكانت تلك الخطوة أوّل عمل إصلاحيّ نتج عنه إثارة المنتفعين واستفزاز بعضهم، وكان من بينهم طلحة والزبير اللذين كانا ضدّ سياسة عثمان، لكنّ وصول الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الخلافة أثار امتعاضهم بعد أن كانا يُؤمِنَانِ النفس بالتحكّم بإدارة الدولة وأموالها، فقالوا للخليفة: ((إنّه قد نالتنا بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جفوة، فأشركنا في أمرك، فقال: أنتما شريكاي في القوّة والاستقامة وعوناي على العجز والأود))^(١).

لكنّ ذلك لم يلبّ طموحهم، فقد راما إلى ما هو أبعد من ذلك، فطلبوا من الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إن يتولّى مسؤوليّة إدارة بعض الولايات الإسلاميّة مثل البصرة والكوفة إلّا أنّه رفض هذا الأمر^(٢)، وقد رفض أن يُعطي المناصب لطلاب السلطة

(١) تاريخ يعقوبي: ٢ / ١٨٠؛ و ينظر: الإمامة والسياسة: ١ / ٧١.

(٢) ينظر: تاريخ يعقوبي: ٢ / ١٨٠؛ و تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٤٥١-٤٥٢.



والمتنفعين لغرض استغلال أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقد أعلن الإمام عليؑ إلغاء الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها والتي كانت تعني لهم مكانة اجتماعية اعتادوا عليها إلى جانب المكاسب المالية^(١)، وهذا ما أعلنه صراحة بقوله: ((ألا إنَّ كلَّ قطعة أقطعها عثمان وكلَّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال فإنَّ الحقَّ قديم، لا يُبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوج به النساء وفُرِّق في البلدان لرددته إلى حاله، فإنَّ في العدل سعة ومن ضاق عنه الحقُّ فالجور عليه أضيَّق))^(٢).

إنَّ المنهج الاقتصادي الذي اتبعه الإمام عليؑ في استرداد الأموال وجعلها إلى بيت المال أثار معارضة عند الكثير من الصحابة ولاسيما من الطبقات المستفيدة من الخليفة السابق، بينما كان المنهج مثار فرح للطبقات العامة والمسحوق في المجتمع الإسلامي، إذ إنه اتبع ما تعامل به النبي محمدﷺ مع الرعية، مما أدى توافد كثير من عوام الناس إلى عاصمة الإمام عليؑ طالبين البيعة له بالخلافة^(٣).

أصرَّ الإمام عليؑ على تطبيق برنامجه الإصلاحية الذي استهدف فيه القضاء على الطبقة في المجتمع الإسلامي وإعادة المنهج الرسالي تبعاً لوصايا القرآن والعمل بتعاليمه كما أثبتها النبي محمدﷺ في دولته، وتطبيق العدالة والقضاء على التفاوت الطبقي وتضييق الفوارق بين المسلمين.

(١) ينظر: التغير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب: ٧٢.

(٢) نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ١٨٥؛ وينظر: الإمام عليؑ صوت العدالة الإنسانية: ١٦٤.

(٣) ينظر: كتاب الفتوح: ٢ / ٤٣٨-٤٤١.



المبحث الثاني

المطلب الأول: العدالة والمساواة في العطاء عند الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ :

اهتمت الدولة الإسلامية بمسألة توزيع نفقات بيت المال، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] فالقرآن يحث على النفقة ويعد بالبركة ومضاعفة الرزق لمن يُنفق، وهذا ما سار على منهجه الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في حكومته التي اعتمدت على سياسة الإنفاق والبذل للريعية.

فقد ورث الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ نظاماً يعتمد على الطبقيّة في توزيع العطاء، فعندما تولى أبو بكر الخلافة سار على مبادئ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونهجه في توزيع العطاء الذي كان يساوي العطاء بين المسلمين على وفق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، أمّا عن حكومة الخليفة عمر بن الخطاب فقد استخدم أسلوباً مغايراً، فقد كانت إيرادات المال كثيرة، لذا عمل على إيجاد نظام إداري ومالي من أجل إدارة الأموال وتوزيع النفقات، فبدأ باستشارة الصحابة الذين أشاروا عليه بوضع ديوان للجند أو ديوان للعطاء، ثم بدأ يؤسس نظاماً طبقياً اعتمد على السبق في الإسلام، ثم انتقل إلى الأنصار فسجّلوهم ثم سائر العرب^(١).

أمّا عن عهد الخليفة عثمان بن عفان فلم تتغيّر السياسة الماليّة عمّا سبقه، ممّا أدّى إلى تنامي ثروات بعض الصحابة بشكل كبير، وهذا أدّى إلى التفاوت في ثروات الناس ما بين غنيّ متنعم بالثروة، وفقير مدقع بالمعاناة ولاسيما الذين دخلوا حديثاً

(١) ينظر: الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٩٥؛ وفتوح البلدان: ٢٦٧.



في الإسلام من الموالي الذين ازدادوا كثرة وأصبحت نسبتهم كبيرة جداً.

وهذا بدوره أدى إلى تدمر هؤلاء فثاروا على عثمان ما أدى إلى مقتله^(١)، أما عن حكومة الإمام عليؑ فقد شرع بتطبيق نظام إصلاحية اعتمد على منهج قرآني امتثالاً للآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فقد اعتمد المنهج الاقتصادي على ركيزتين هما تغيير الإداريين المسؤولين عن اقتصاد الدولة، والأمر الآخر إيجاد الحلول ومعالجة الأخطاء التي أدت إلى التفاوت في العطاء، وقد باشر الإمام عليؑ من أول أيام حكمه، فقد جمع المسلمين في مسجد المدينة قائلًا: ((وإذا كان غدًا إن شاء الله، فاغدوا علينا، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم، عربي ولا أعجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن إلا حضر))^(٢).

وعلى الرغم من صعوبة تنفيذ القرار إلا أن الإجراء العملي قد تم على أفضل وجه، أما عمّن تضرر من ذلك القرار ولاسيما المنتفعين الذين تعودوا ولأكثر من عقدين من السنين فقد أعربوا عن انزعاجهم من السياسة المالية التي أنهت الامتيازات السابقة، وهم كبار الصحابة وكبار رجال القبائل ممن لهم تأثير على الواقع المجتمعي، لكن الإمام عليؑ أصر على تنفيذ قراراته ونادى بأسماء المهاجرين ثم الأنصار ثم سائر الناس، وأمر بإعطاء الناس ثلاثة دنائير دون تمييز^(٣)، وهذا الإجراء أفرز معارضة كبيرة ولاسيما أنها قد ألغت أنظمة النظام السابق وجميع امتيازاته.

(١) ينظر: المصنّف للصنعاني: ٤/١٢٢-١٢٣.

(٢) العقد الفريد: ٦/٣٨؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/٣٧؛ وبحار الأنوار: ٣٢/١٨.

(٣) العقد الفريد: ٦/٣٨.



إِذَا فَإِنَّ الْمَنْهَجَ الْقِرَائِيَّ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حُكُومَتِهِ وَلَا سِيَّمَا التَّطْبِيقَ الْاِقْتِصَادِيَّ اعْتَمَدَ مَعْيَارَ الْمَسَاوَاةِ وَالْعَدَالَةِ فِي تَوْزِيعِ الْأَمْوَالِ وَالثَّرَوَاتِ وَعَدَمِ الْاِحْتِكَارِ الَّذِي أَدَّى إِلَى الْفَوَارِقِ الطَّبَقِيَّةِ، فَإِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَنْطَلِقُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ فِي خُطْبَتِهِ عِنْدَمَا صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ ثُمَّ قَالَ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَتَمَنُّونَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِإِسْلَامِكُمْ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا أَبُو الْحَسَنِ، وَكَانَ يَقُولُهَا إِذَا غَضِبَ، ((أَلَا إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنُّونَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحْتَ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ... فَأَمَّا هَذَا الْفِيءُ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ إِثْرَةٌ، قَدْ فَرَّغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قِسْمِهِ فَهُوَ مَالُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمُسْلِمُونَ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ بِهِ أَقْرَبْنَا وَهَلِيهِ شَهَدْنَا وَلَهُ أَسْلَمْنَا وَعَهْدَ نَبِيِّنَا بَيْنَ أَظْهَرْنَا، فَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَذَا فَلْيَتَوَلَّ كَيْفَ شَاءَ، فَإِنَّ الْعَامِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالْحَاكِمَ بِحُكْمِ اللَّهِ لَا وَحْشَةَ عَلَيْهِ))^(١). وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّ الْإِمَامَ عَلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يُذَكِّرَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ مَا أَصَابَتْهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ هِيَ لَيْسَتْ لِلتَّعَالِيِّ عَلَى بَاقِي الْمُسْلِمِينَ وَلَا سِيَّمَا مَنْ دَخَلَ حَدِيثًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَالْقِدْمُ الَّذِي كَانَ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ هُوَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ أَوْ مَنْزِلَةٌ مَادِيَّةٌ غَايَتُهَا الْأَمْوَالُ وَفَوَارِقُ الْعَطَاءِ، وَبِذَلِكَ فَإِنَّ الْإِمَامَ عَلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ تَذَكِيرَهُمْ أَنَّ الْهَدَفَ مِنْ حِكْمَةِ هُوَ الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَتَرْكِ الْغَايَةِ الْمَادِيَّةِ وَاتِّخَاذِ الْمَنْهَجِ الْقِرَائِيِّ وَالتَّذَكِيرِ بِالرِّسَالَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ لِمُغْرَضِ تَطْبِيقِ الْعَدَالَةِ وَالْمَسَاوَاةِ، وَبِذَلِكَ تَنْعَدُ الْفَوَارِقُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ الَّتِي حَدَثَتْ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَالرَّجُوعَ إِلَى مَا بَدَأَ بِهِ الْإِسْلَامُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا مَا

(١) تحف العقول: ١٨٤؛ والعقد الفريد: ٦ / ٤٠؛ وبحار الأنوار: ٣٢ / ٢٠.



صَّرح به الإمام عليؑ بقوله: ((ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حقٌّ مُضَيِّعٌ))^(١).

لقد حاول الإمام عليؑ قدر جهده رفع الفوارق ما بين المجتمع الإسلامي الذي كان يعاني من تلك النظرة الدونية التي انعكست على المسلمين غير العرب تحت مسمى الموالي، فقد جاءت للإمام عليؑ امرأتان إحداهما من العرب والأخرى من الموالي فسألتاه فدفعت إليهما دراهم وطعامًا فقالت إحداهن: إنِّي امرأة من العرب وهذه من العجم، فقال: إنِّي والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلًا على بني إسحاق^(٢)، ولعل تلك الرواية تُثبِت مدى الصراع الطبقي الذي كان يعاني منه المجتمع الإسلامي، وكيفية تغيير ما جاء به الإسلام وأكّده القرآن الكريم وكيف يعارض مبدأ الرسول ﷺ في إلغاء الفوارق الاجتماعية بين طبقات المجتمع المسلم، وقد عمل الإمام عليؑ على إعادتها إلى نصابها الصحيح على المحجّة البيضاء، وهذا بدوره جعل الكثير من الصحابة يتمردوا على أحكامه لدرجة أنّ الكثير من المتنفعين وأصحاب المناصب في زمن الخليفة عمر وعثمان هربوا إلى الشام مع معاوية، ولم يهادن الإمام عليؑ أيّ من هؤلاء المتنفعين، بل ثبت على سياسته التي تقوم على المساواة والعدل بين الرعيّة، ولو كان المال له لساوى بينهم، فكيف إذا كان المال عامًّا وهو الأمين على رعايته^(٣).

المطلب الثاني: الموارد الماليّة في حكومة الإمام عليؑ:

اعتمد الإمام عليؑ في خلافته على نظام ضريبيّ ينسجم مع موازين المنهج

(١) دراسات في نهج البلاغة: ٤٠ .

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠٠ / ٢ .

(٣) ينظر: الغارات: ٧٥ / ١؛ والكافي: ٣١ / ٤ .



القرآني بعدالة الأخذ والعطاء تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فقد سار الإمام علي (ع) على كون النظام الضريبي ليس مورداً مالياً أوجده الله تعالى لفقراء الأمة الإسلامية، بل لكونه أحد أهم أنظمة العبادة والتقرب إلى الله ابتغاء مرضاته، كما سارت به منظومة الرسول وألزم المستحقين بدفعها، وهذا ما فعله الخلفاء السابقين لإخراج هذا الاستحقاق المالي، وعلى وفق هذا النهج القرآني بحسب الإمام علي (ع) في كلامه إلى بعض عماله في جباية الأموال يوصيهم قائلاً: ((انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تُرو عن مسلماً ولا تجتازن عليه كارهاً ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحيي فانزل بمائتهم من غير أن تُخالط أبايتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فُتسلم عليهم، ولا تُخدج بالتحية لهم ثم تقول عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل: لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تُخيفه أو تُوعده أو تُعسفه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول مُتسلط عليه ولا عنيف به))^(١).

لقد رسم الإمام علي (ع) خارطة طريق بأدق التفاصيل لعمل الجباة وكيفية التعامل الإنساني؛ كونها غاية أخلاقية قبل أن تكون مادية، وبذلك تكون العلاقة الاقتصادية معتمدة على المنهج الإسلامي حول طاعة الإمام المفترض الطاعة، وليس الحاكم الجابي للأموال، وبذلك تكون العملية متمسمة بالأخلاق النبوية في احترام الإنسانية.

(١) الخراج: ٢٠٠.



وقد نصح الإمام عليؑ الجبابة قائلاً: ((واصدع المال صدعين، ثم خيرَه، فإذا اختار فلا تعرضنَّ لما اختاره، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيرَه فإذا اختار فلا تعرضنَّ لما اختاره، فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاءً لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه، فإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله))^(١).

إن سياسة الإمام عليؑ كانت بمستوى من الدقة في التعامل الاقتصادي مع الأفراد، والغاية من ذلك هو حق الله، ومن يمنع فحسابه على ربه من دون أن يروّع أو يسلب ماله كما حدث على العكس في زمن الخليفة أبي بكر بعد أن أخذ أموال الزكاة بالقوة خلافاً لما حصل في زمن الرسول ﷺ، إذ كان يُعطيهم عوضاً عن زكاتهم الدعاء بالتطهير والصلاة لهم^(٢).

وفي باب آخر من أبواب الموارد المالية وهو إيراد الخراج الذي عبّر عنه المسلمون بكونه الضريبة المفروضة على الأرض^(٣)، أو على الأراضي التي تمتلكها الدولة بعد أن فتحت عنوة^(٤)، والخراج له ثقل كبير في تمويل بيت المال، ويعني ما وُضع على الأرض من حقوق تؤدّى عنها، فهو إما أن يكون مقداراً عينياً من المال أو من محاصيل الأرض أو كليهما، ويُفرض على الأراضي الصالحة للزراعة^(٥). وقد اهتم الإمام عليؑ بالخراج؛ كونه من أهم مصادر التمويل لبيت المال، فاتخذ منهجاً إصلاحياً فسان وطور آليات دفع الضريبة، مما أدى إلى تغييرها بما يتلائم وإنتاج الأرض ولا يؤثر على إنتاجها أو إرهاق الفلاحين الملازمين عليها، فقد التزم

(١) الخراج: ٢٠٠.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٥٧/١٠.

(٣) ينظر: الخراج: ٢٦.

(٤) ينظر: الأحكام السلطانية: ١٤٦.

(٥) م. ن: ١٤٦.



الإمام علي (ع) بعدم الإضرار بهم، فهو ينظر إلى أن إصلاح حالة الفلاحين القائمين عليها سينعكس بالإيجاب على رفع الإنتاج، إذ اتُّخذ إجراءات جعلت من الفلاح الذي يعمل في أرض الخراج أن يكون هو السيّد والمسؤول عنها، وليس عاملاً بنظام العبوديّة كما فعل من سبقه، ليكون الفلاح أكثر تحرُّراً، فقد كان يسمع كلمتهم فيما يتعلّق بالأرض والإنتاج وما هي مشاكلهم، فقد قال لأحد ولاته: ((فاجمع إليك أهل الخراج من كل بلدانك، ومرهم فليعلموك حال بلادهم وما فيه صلاحهم ورخاء جبايتهم، ثم سل عمّا يرفع إليك أهل العلم به من غيرهم، فإن كانوا شكوا ثقلاً أو علةً من انقطاع شرب أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بهم العطش أو آفة خفت عنهم ما ترجو أن يصلح الله به أمرهم، وإن سألوا معونة على إصلاح ما يقدرون عليه بأموالهم فاكفهم مئونتته))^(١).

لقد أكّد الإمام علي (ع) المنهج القرآنيّ في المساواة وعدم وجود الطبقيّة تجاه الفلاحين، وكونهم جزءاً من تركيبة المجتمع ومن أركان الدولة، وقد نظر إليهم بعين الرأفة في حال تعرّض محصولهم إلى التلف أو أصيب بضرر فتخفّف عنهم الضريبة على قدر المستطاع، وهذا بدوره أعطى نتائج برفع القدرة الإنتاجيّة في المستقبل ليُبدع الفلاح وينجز إذا رُفِع عنه الإرهاق الماليّ والضريبيّ، وهذا بدوره جعل من الإمام علي (ع) مقدّراً نسبة الضريبة التي تراعي الحقوق بحسب ما يفرضه^(٢). وقد أكّد الإمام علي (ع) ذلك بقوله لأحد عمّاله: ((وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأنّ ذلك لا يُدرك إلّا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة، أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلّا قليلاً))^(٣).

(١) تحف العقول: ١٣٧-١٣٨؛ وبحار الأنوار: ٧٤/٢٥٢-٢٥٣.

(٢) ينظر: دراسات في نهج البلاغة: ٨٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧/٧٠؛ وبحار الأنوار: ٣٣/٦٠٦.



أما عن الجزية فتعدُّ من المصادر المهمّة في تمويل بيت المال، وهي مورد اقتصادي يؤخذ من أهل الذمّة الذين يسكنون المدن ولم يملكوا أراض زراعيّة، وفي حال كان لديهم أرض زراعيّة فإنّهم لا يدفعون الجزية والخراج، بل تؤخذ منهم إحدى الضريبتين، أما الجزية أو الخراج^(١). وقد التزم الإمام عليؑ في منهج الأحكام الاقتصاديّة بمبدأ القرآن الذي حدّد مفاهيمها بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وكان دافعيها هم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمجوس وطائفة من الصابئة التي توحد الله^(٢)، ولا تؤخذ من المشركين كونهم ليسوا من أهل الكتاب، ومن أحكامها أنّها تؤخذ من الرجال الأصحاء العقلاء البالغين دون النساء والعيبد والأطفال والمجانين والرهبان ورجال الدين، وكانت تلك المبالغ الماليّة تكون مقابل حماية الدولة لهم وضمان حرّيتهم الشخصيّة وممارسة طقوسهم وشعائرهم دون قيد تحت إشراف الدولة^(٣)، وكانت تشتمل على عهود ومواثيق مشروطة من أهمّها، أنّ أهل الذمّة لا يتأمروا على الإسلام ويشنون الحرب والعدوان ضدّهم، وأن يلتزم أهل الذمّة بقوانين الدولة وأحكامها الجزائيّة التي تُطبّق على كلّ مخالف، ثمّ إنّ الجزية لها نظام سنويّ تُدفع من خلاله تلك المبالغ الماليّة^(٤).

تعامل الإمام عليؑ مع أهل الذمّة بروح التسامح والمساواة؛ لذا لم تكن هناك تفاصيل كثيرة عن مقادير الجزية في حكومته، على عكس ما ظهر في عهد عمر وعثمان

(١) ينظر: الكافي: ٥٦٧/٢؛ والاستبصار: ٥٢/٢؛ والجزية وأحكامها: ١٣٢-١٣٥.

(٢) ينظر: المبسوط في فقه الاماميّة: ٣٦/٢.

(٣) ينظر: الأحكام السلطانيّة: ١٥٤.

(٤) ينظر: المشروعية السياسيّة ونظريّات الحكم في الفقه الشيعيّ مدخل إلى الفكر السياسي في الإسلام: ١٤٨.



التي اتّسمت حكومتها بكثرة الفتوحات، إلّا أنّ المعالجات التي اتّخذها الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في مراجعة أصول الضريبة وفق المنهج القرآنيّ والسيرة المحمّديّة وهي مطابقة لعهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ذكرت الروايات أنّ نصارى نجران طلبوا من الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إرجاعهم إلى أراضيهم في اليمن، وذلك بعد أن رحّلهم عمر إلى العراق خشية جمعهم السلاح وتشكيلهم خطر على دولته، لذا أجابهم الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعقد معهم اتّفاقاً كما فعل معهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حيث الحال وعلى ما عاهدوا عليه الخليفة عمر من حيث بقائهم في العراق، وتعهّد لهم أن لا يؤخذ منهم شيء من غير حقّ، قال: ((إنكم أتيتموني بكتاب من نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه شرط لكم على أنفسكم وأموالكم، وإنّي وفيت لكم بما كتب لكم محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر، فمن أتى عليهم من المسلمين فليوف، ولا يضاوموا، ولا يظلموا، ولا يبتقص حقّ من حقوقهم))^(١). لقد تعامل الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ على وفق منهج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشروط الماليّة لكن نقضهم لبعض التعهّدات جعلت من الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُقيهم في العراق كما اتّخذ بحقّهم الخليفة عمر كونهم هدّدوا السلم الأهليّ ونقضوا عهدهم في وقت كان المسلمون فيها يحاربون في أكثر من جبهة واتّجاه، لذا لم يُغيّر الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ القرارات والإجراءات التي اتّخذها عمر^(٢). أمّا عن الإصلاحات التي اتّخذها بإصلاح ضريبة الجزية التي دخلت على مبالغها وطريقة جبايتها بروح التسامح مع أهل الذمّة على وفق منهج قرآنيّ يراعي المساواة وعدم التفرقة، فقد رفض التعرّض لهم بالعقوبات والتعذيب الذي مارسه من سبقه، في حكم الخليفين عمر وعثمان الذين أعطوا عمّالهم التفويض والسلطة في جمع الضرائب، ممّا أدّى إلى أن يتّخذ الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قراراً بعدم إعطاء تفويض لأيّ شخص مطلقاً بالحكم، مهما كانت منزلته في زمن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قرابة من الخليفة أو صفة مجتمعة أو جاه قبليّ أو غيرها، وكان حازماً

(١) الخراج: ٢٤ .

(٢) ينظر: الشرح الكبير: ١١ / ٤٠٥ .



مع المقصرين من الجباة، وقد أمر أحدهم مهذّباً بقوله: ((إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، وإنما أمرنا أن تأخذ منهم العفو))^(١).

لقد تعامل الإمام عليؑ بصورة غاية في الروعة لتمثل الروح المعنوية للقرآن وتطبيق أحكامه، فالإمام عليؑ لم يُعاقب من تأخر بدفع الضريبة لدرجة أن أحد عمّال الجباة اعترض على الإمام عليؑ لأنه رأى أن توصيات الإمام تراعي أهل الذمة وهذا بدوره سيؤثر على جمع أموال الجزية، فقال: ((يا أمير المؤمنين إذا أُرِجِعَ إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت، ويحك، إنا أمرنا أن نأخذ منهم يعني الفضل))^(٢).

ويتّضح لنا ممّا تقدّم أنّ الإمام عليؑ استهدف روح التسامح مع مراعاة لمنهج القرآن الكريم الذي يأمر بالعدل والمساواة، وهذا قد تجلّى في مقولة الإمام عليؑ: ((أما بعد فإنّ الله جعلكم في الحقّ جميعاً سواء أسودكم وأحمركم))^(٣)، لذا فقد بيّن الإمام عليؑ أهداف تلك الضريبة التي هي لأجل الدفاع عن أهل الذمة وكانت تُصرف للمقاتلين المدافعين عن الدولة الإسلامية.

أمّا عن مورد الفيء والغنائم التي كانت أموالها داعمة لبيت المال، فقد عرف الفيء بكونه الأموال التي حصل عليها المسلمون دون قتال سواء كانت نقداً أم غيره، ويدخل من ضمنها الأراضي التي جلى عنها أصحابها وتركوها^(٤). وقد ذكر القرآن الكريم كيفية توزيع الفيء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا

(١) تهذيب الأحكام: ٩٨/٤ .

(٢) الكافي: ٣/٥٤٠؛ وتهذيب الأحكام: ٩٨/٤ .

(٣) وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري: ١٣٦ .

(٤) ينظر: الأحكام السلطانية: ١٩٩ .



أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦٠-٧﴾ [الحشر: ٦-٧].

اختلفت طريقة التعامل مع الفية في الدولة الإسلامية، ففي عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعامل مع الفية في أراضي بني النضير إحدى القبائل اليهودية التي تسكن المدينة، وبعد أن نقضوا عهدهم مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما حاولوا اغتياله، لذلك أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإجلائهم من المدينة، وصادر أراضيهم بدون قتال، فكانت تلك الأراضي ينطبق عليها حكم الفية، وقد قام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتوزيع الأموال على المهاجرين بالتساوي، ولم يُعطِ الأنصار إلا رجلين كانا محتاجين ولا يملكان شيئاً^(١)، أمّا عن الأراضي فقد قطع بعضها لأصحابه واحتفظ بالباقي لنفسه ولم يوزعه، فكان ينفق منه على نفسه وعلى أهله ويهب منها لمن يشاء^(٢). وعلى ما يبدو أنّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعامل مع الفية من خلال سورة الحشر، وعلى وفق ما يراه مناسباً بتصرّف حرّ ورؤية خاصة به، فقد كان يُساعد المحتاجين من المسلمين ويشترى أسلحة لهم من أموال الفية؛ لأنّ القرآن حدّد الجهات المستفيدة منه في امتلاكه.

إلا أنّ الخليفة أبا بكر اختلف عن نهج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في توزيع الأموال، بل غير بعض قرارات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا سيما مع ابنته السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي ورثت منه أراضي فدك التي منحها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها، مستنداً على حديث قال إنّ سمعه من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة))^(٣)، وقد

(١) ينظر: فتوح البلدان: ١٨-١٩؛ والإرشاد: ٩٣/١.

(٢) ينظر: فتوح البلدان: ١٩؛ والخلاف، الطوسي: ٤/١٨٢.

(٣) صحيح البخاري: ٤/٨؛ وصحيح مسلم: ٥/١٥٥؛ وسنن أبي داود: ٣/٢٣.



تعامل أبو بكر بأموال الفيء التي كانت تحت تصرف الرسول ﷺ وملكه حسب رأيه الخاص، وقد نقل أموال الفيء إلى ملكه الخاص ولم يُعطيها إلى ورثة النبي ﷺ، وهذا ما سار عليه الخليفة عمر وعثمان في أموال الفيء يتصرفون فيها على وفق قناعتهم^(١).

ولما تولى الإمام عليؑ الخلافة كان أمام مشكلة في توزيع أموال الفيء، ومن ضمنها أرض فدك التي هي من نصيب فاطمةؑ، إلا أنه لم يرجعها باجتهاد منه حتى لا يُقال إنه سعى لذلك وهو الذي زهد المال وتنازل حتى عن عطائه، وقد عبّر عن ذلك بقوله: ((كانت عندنا فدك من كل ما أظلت السماء فشحت عليها نفوس القوم))^(٢)، علماً أنّ الإمام ﷺ كان يكره أن يُقال فيه إنه خالف أبا بكر وعمر في فترة كان يخوض فيها حروباً مع متمردين وناكثين للبيعة^(٣).

وقد استمرّ الإمام ﷺ في سياسة إبقاء الأمور على حالها بشأن أموال الفيء في كثير من مواطن التوزيع؛ لصعوبة فهم هذا الأمر وخاصة أنّ أغلب من معه كانوا من المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ، منهم لم يعرفوا أحكام الإسلام إلا عن طريق الخلفاء الثلاثة.

أمّا عن الغنائم فهي ما يحصل عليه المسلمون من أعدائهم عند القتال^(٤)، وقد ورد منهجها القرآني في تفاصيل توزيعها على المستحقين من المقاتلين الذين شاركوا في المعارك بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، لقد كان

(١) ينظر: التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: ١٦٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٢٠٨/١٦ .

(٣) ينظر: التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: ١٦٣ .

(٤) ينظر: الأحكام السلطانية: ٢٣١ .



توزيع الغنائم واضحا على وفق المنهج القرآني، ولكن الاختلاف وقع مع أول غنيمة في الدولة الإسلامية بعد معركة بدر، لذا نزلت آية الأنفال التي بينت حق ملكية تلك الغنائم، وعلى ضوء تلك الآية قام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتوزيع الغنائم على جميع من اشترك في هذه المعركة بالتساوي^(١).

أما عن تعامل الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في توزيع الغنائم فقد امتازت مدة حكمه بقلة الواردات، لأن المدّة كانت فيها الفتوحات غير موجودة؛ لانشغال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ غير مبال لدخول البلاد عنوة تحت مسمى الفتوحات على وفق سياسة تعدد الأديان ونشر الإسلام من طريق الدعاة وروح التسامح، وليس بحدّ السيف الذي هدفه الغنائم والاستيلاء على الأراضي، فالقوة العسكرية التي يمتلكها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت منتشرة في أمصار الدولة الإسلامية وكانوا قادرين على الاستمرار بسياسة الفتوح، ولم تكن الحروب الداخلية هي السبب في التوقّف عن الفتوحات، بل إنّه أراد تنظيم شؤون الدولة من الداخل وحماية الإسلام وتحقيق العدالة بين المسلمين وإبعاد أصحاب المصالح والنفعيين عن مراكز القوة في الدولة الإسلامية، ولاسيما أنّ الفتوحات استغلّت من قبل كثير من الولاة والقادة من أجل جمع الثروات، لذا فإن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعي هذه الحقيقة التي مفادها أنّ مبادئ الإسلام أكبر من جمع الأموال، لذلك أوقف الفتوحات على الرغم من امتلاكه القدرة على الاستمرار فيها، لغرض وغاية إعادة تنظيم الدولة الإسلامية وتربية المسلمين على مبادئ الإسلام^(٢).

(١) ينظر: المغازي: ١٠٠/١.

(٢) ينظر: التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١٧٧.



النتائج:

بعد أن أنجز البحث توصلنا إلى أهم الاستنتاجات التي يمكن إجمالها بالآتي:

١- اعتمد الإمام عليؑ على مبدأ الإصلاح في منهجه الاقتصادي؛ ليكون غاية أخلاقية تسير على وفق الحقيقة والتزام القرآن والسيرة النبوية في إدارة المجتمع لغرض الكمال وإظهار الدولة الإسلامية أساساً للعدالة والتطبيق المثالي لأحكام الله.

٢- كشف الإمام عليؑ عن تصحيح الأخطاء التي أدت إلى فوارق طبقية بين المجتمع المسلم، وهو ما يتعارض مع المنهج القرآني، وحاول تصحيح الاعوجاج بواسطة إطلاق توزيع الأموال والعطاء بالتساوي على وفق كل استحقاق وبحسب قيمة العمل للفرد، فتبين أن المنهج الاقتصادي الذي سار عليه الإمام عليؑ كان أشد وطأة على من كان يتمتع بامتيازات في عهد من سبقه من الخلفاء، مما أدى إلى معارضة الصحابة المتنفعين أمثال طلحة والزبير وغيرهم ممن التحق بمعاوية.

٣- اتضح أن سبب قلة إيرادات الدولة في عهد الإمام عليؑ هو لعدم قناعته بسياسة فرض الفتوحات والمواجهات الحربية لتوسيع الأراضي والاستيلاء على الأموال، فضلاً عن انشغال الإمام عليؑ بالحروب الداخلية.

٤- اتسمت سياسة الإمام عليؑ في المنهج الاقتصادي على مبدأ الإيثار، فهو لم يأخذ عطاء من أموال الدولة، بل تنازل عنه للفقراء والمحتاجين، وقد تنازل حتى عن حقه الشرعي كما في أرض فدك التي هي من حقه في إرث فاطمةؑ.



المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم .

أولاً : المصادر الأولية:

١. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار التعارف، مكة المكرمة، ط ٢، ١٩٦٦م.
٢. الإرشاد إلى أئمة العباد، محمد بن محمد النعمان البغدادي المفيد (ت ٤١٣هـ)، تح: حسين الأعلمي، مؤسسة النبراس، النجف الأشرف، ط ٥، ٢٠٠١م.
٣. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تح: حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٩٧٠م.
٤. الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، ط ١، ١٩٩٤م.
٥. الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تح: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر محمد تقي المجلسي، (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.
٧. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٤، ١٩٨٣م.
٨. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ)، تح: عبد الأمير مهنا، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م.
٩. تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة الحراني (ت ٤٤هـ)، دار الأضواء للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٩م.



١٠. تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخراسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٩٧٠م.
١١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م.
١٢. الجزية وأحكامها في الفقه الإسلامي، الشيخ علي أكبر الكلانتری، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٦هـ.
١٣. الخراج، يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف (ت ١٨٢هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ٣، ١٣٨٢هـ.
١٤. الخلاف، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تح: السيد علي الخراساني، وجواد الشهرستاني، ومهدي نجف، مؤسسة النشر الإعلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ط ٢، ١٩٨٠م.
١٥. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني (ت ٢٥٧هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
١٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٩٩٣م.
١٧. الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
١٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد أبو حامد عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العربية، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٩٥٩م.
١٩. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.



٢٠. صحيح مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢٦١هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).
٢١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
٢٢. العقد الفريد، أحمد بن محمد الأندلسيّ ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ)، تح: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصريّة، بيروت، ٢٠١١م.
٢٣. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ (ت ٢٧٩هـ)، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٥٦م.
٢٤. الكافي، محمد بن يعقوب الكلينيّ (ت ٣٢٩هـ)، تح: علي أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ٣، ١٩٦٨م.
٢٥. كتاب الغارات، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفيّ الكوفيّ (ت ٢٨٣هـ)، تح: جلال الدين المحدث، سلسلة انتشارات انجمن آثار ملي، طهران، (د.ت).
٢٦. كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد ابن أعثم الكوفيّ (ت ٣١٤هـ)، تح: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١م.
٢٧. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهنديّ (٩٧٥هـ)، ضبطه وفسّر غريبه: الشيخ صفوة السقّاء، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ٥، ١٩٨٥م.
٢٨. المبسوط في فقه الإماميّة، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، المكتبة الرضويّة، إيران، ١٣٨٧هـ.
٢٩. المصنّف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعائيّ (ت ٢١١هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظميّ، منشورات المجلس العلميّ، بيروت، (د.ت).



٣٠. المغازي، محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تح: مارسيدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٩٨٤م.
٣١. وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري، اعتنى بجمعه وضبطه: حسين بن قسعة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.

ثانياً: المراجع:

١. أساسيات علم الاقتصاد الجزئي، محمد طاقة وآخرون، دار إثراء، عمان، ٢٠٠٨م.
٢. الإمام عليؑ صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، مطبعة ليلي، طهران.
٣. الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، إبراهيم بيضون، بيروت، دار بيسان، ١٩٩٩.
٤. تاريخ الفكر الاقتصادي، أحمد منسي عبد الحميد وآخرون، منشورات مركز بحوث العلوم الاقتصادية، بنغازي، ط ١.
٥. تطوّر الفكر الاقتصادي، مدحت القرشي، عمان، ٢٠٠٨م.
٦. التغير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب، حسين علي الشرهاني، دمشق، ط ١، ٢٠١٣م.
٧. دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، دار الزهراء، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢م.
٨. السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي، أحمد مجذوب، منشورات المجمع الملكي للحضارة الإسلامية.
٩. المشروعية السياسية ونظريات الحكم في الفقه الشيعي، مدخل إلى الفكر السياسي في الإسلام، محسن كديور، إيران، ٢٠٠١م.

المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ) دراسة تحليلية

أ.م.د. هاشم جبار الزرقي

الكلية التربوية المفتوحة- مركز النجف الأشرف الدراسي- قسم اللغة العربية

الملخص:

يدرس هذا البحث تجليات الخطاب الوعظي والحكمي عند الإمام علي عليه السلام في كتاب (وقعة صفين)، منطلقاً من فرضية مفادها أن كلام الإمام هو (البحر الذي لا يساجل) كونه نهل من معين النبوة والوحي. تكمن أهمية الدراسة في تتبع الأسلوب التربوي للإمام في أحلك الظروف العسكرية، حيث لم يتخلَّ عن دور المرشد والمصلح، مستعيناً بالقرآن الكريم لتغيير السلوكيات البشرية وتقويمها وفق القيم الإسلامية السامية.

اعتمد البحث المنهج الوصلي التحليلي، وقُسم على تمهيد وفقرات رئيسة؛ تناول التمهيد مفاهيم الموعدة والحكمة وأثر القرآن في تشكيل ذهنية الخطباء. ثم استعرض البحث المواعظ القرآنية عند الإمام عبر ثلاثة مستويات إجرائية:

الاقْتِباسُ القرآني: رصد التضمين الخفي والواضح لمفردات القرآن في كلامه.

الاستشهاد بالآيات: تحليل المواضع التي استدعى فيها الإمام النص القرآني

كحجة دامغة وبرهان تربوي.



محاكاة الأسلوب القرآني: دراسة (المسحة الإلهية) في تركيب الجملة العلوية وبنائها الفني الذي يحاكي نظم القرآن وجلاله.

خلص البحث إلى أن هذه الحكم والمواعظ لم تكن مجرد أقوال عابرة، بل تحولت إلى قوانين أخلاقية ومنهج حياة، نجح الإمام من خلالها في تحويل فضاء الحرب إلى فضاء هداية ورشاد.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي (ع)، وقعة صفين، المواعظ والحكم، نصر

بن مزاحم.

Abstract:

This research examines the manifestations of exhortative and wisdom discourse of Imam Ali (pbuh) in the book Waq'at Siffin (The Battle of Siffin). It starts from the hypothesis that the Imam's speech is an "unrivaled sea" of eloquence, having been drawn from the spring of Prophethood and Divine Revelation. The significance of this study lies in tracing the Imam's pedagogical approach during the darkest military circumstances, where he never abandoned his role as a guide and reformer, utilizing the Holy Qur'an to refine human behavior and align it with sublime Islamic values.

The research adopts a descriptive-analytical approach and is structured into an introduction and several main sections. The introduction clarifies the concepts of exhortation (Maw'iza) and wisdom (Hikma), and the Qur'an's influence on shaping the oratorical mindset. The study then reviews the Qur'anic exhortations in the Imam's speech through three procedural levels:

Qur'anic Adaptation (Iqtibas): Monitoring the subtle and



explicit inclusion of Qur'anic vocabulary in his speech.

Citing Verses (Istishhad): Analyzing instances where the Imam invoked the Qur'anic text as irrefutable evidence and educational proof.

Simulation of Qur'anic Style: Studying the "Divine touch" in the structure and artistic construction of the Alawite sentence, which emulates the systems and majesty of the Qur'an.

The research concludes that these wisdoms and exhortations were not merely fleeting words but were transformed into moral laws and a way of life. Through them, the Imam succeeded in transforming the space of war into a space of guidance and righteousness.

Keywords: Imam Ali (pbuh), Waq'at Siffin, Exhortations and Wisdom, Nasr ibn Muzahim.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله الطيبين الطاهرين، فقد كان الإمام علي عليه السلام سيد أهل البيت في زمانه والإمام الأول من الأئمة الطاهرين وقد تربى بحضن الإيمان وترعرع في كنف الرسالة ورث علم النبي الكريم محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، واستمع الآي وتلقف حكمة السماء من منبعها العذب ونشأ في حجر النبي الكريم محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وتربى في حضن أمه الطاهرة فاطمة بنت أسد التي اختارها أبو طالب رضي الله تعالى عنه، فوضع من لبنها الطاهر سائغ الإيمان والعقيدة الحقة في التوحيد على ملة الحنيفية وهي ملة النبي إبراهيم عليه السلام، ففي هذه البيئة الطاهرة نشأ الإمام علي عليه السلام



وشب يحمل علما وحكما فصار فصيح اللسان بليغ البيان فكانت كلماته تسيل علما جما، وتنهمر منها المواعظ الفريدة وتتفجر منها النواذر العجيبة، ولا غرو فهو الإمام المعصوم والكريم والهادي. وقد أغرق الإمام (ع) بالبلاغة وتفنن في أساليبها وأخذ يفيض علما في جوامع الكلم فقد أودع الإمام (ع) في كلامه علما جما فقد آتاه الله تعالى من بلاغة البيان وفصاحة اللسان والعلم الجعم ولعل كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي خير دليل على هذا الزعم، فلقد بث فيه صنوف العلم والمعرفة، وخط للقارئ منهاجا لا يزيغ من اتبعه قيد أنملة. من خطب ووصايا ونصائح وحكم وأمثال ومواعظ ومحاورات ورسائل وعهود وغيرها .

وقد قال الشَّريف الرُّضي (ت ٩٦٩هـ) واصفاً كلام الإمام (ع): ((كان أمير المؤمنين (ع) مَشْرَعَ الفصاحة ومَوْرِدُهَا، وَمَنْشَأَ البلاغة ومَوْلِدُهَا، ومنه (ع) ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته هذا كلُّ قائلٍ خطيبٍ، وبكلامه استعان كلُّ واعظٍ بليغٍ... لأنَّ كلامه (ع) الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي... فأما كلامه (ع) فهو البحر الذي لا يُساجَل، والجَمُّ الذي لا يُحافل)) (١).

ولاشك أنَّ ذلك متأتٌّ من أنَّ الإمام (ع) كان أبلغ الخطباء وأعلامهم - وتشهد له بذلك كل العصور - لأنَّه نشأ في بيت النبوة، وتغذى بالبيان والحكمة، وتفقه بالكتاب والسنة، وتفوق في العلم والمعرفة، وتألَّق في الحكمة والخطابة وهذه كانت ((ثمرة لنشأته الرِّفِعة، وبيئته العجيبة، وحياته الخصبة، وتجاربه الجليلة في الحياة، فكان حكيماً تتفجَّر الحكمة من بيانه، وخطيباً تتدفَّق البلاغة على لسانه، وواعظاً ملء السَّمع والقلب، وكاتباً بليغاً مترسلاً بعيد غور الحجَّة، ومتكلماً يجول

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبده): ١٥-١٦.



بيانه في كلِّ مجالٍ، ويصول به في كلِّ نضالٍ، ويناضل به عن الدِّين والدَّعوة أروع بياناً ((نضال))^(١).

ولقد رأيت في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري أن الإمام علياً عليه السلام قد سال لسانه بالحكمة والموعظة الحسنة وهو يرسل خصومه أو أتباعه، عن طريق الأقوال والإرشادات التي حوتها كلماته النيرة، وليس أدل على ذلك من أن نستشهد ببعض أقوال الإمام عليه السلام التي هدفت الى إصلاح النفس وتربيتها بما يضمن لها السلامة من الانحراف ويدلها على الخير والصلاح والرشاد ويبعدها عن الوقوع في المكاره والمحارم ويجنبها الشبهات، ومن ثمَّ يقوي عزيمة من آمن بها وسعى إلى الالتزام بما حوت من أفكار وبما أثارته من سبل وأوضحت من طرق ربما كانت خافية عن أعين الناس وعن مداركهم، حتى صارت تلك الأقوال حكماً متوارثة تنتقل بين الناس؛ لأنَّ الحكمة تعد أسلوباً تربوياً إذا ما قدمت تهدياً للنفس البشرية وتعاليم قادرة على تغيير ما اعتاد عليه الناس من سلوكيات لا تناسب القيم الإسلامية السامية التي يدعو إليها الإمام عليه السلام ويريد أن يربي النفس البشرية عليها.

وقد قسمت البحث على تمهيد أوضح المراد من المواعظ والحكم القرآنية ثم كان البحث مقسماً على فقرات كانت الفقرة الأولى هي المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين عليه السلام بوساطة الاقتباس القرآني وكانت الفقرة الثانية هي المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين عليه السلام بوساطة الاستشهاد بالآيات القرآنية أما الفقرة الثالثة فكانت بعنوان المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين عليه السلام بوساطة محاكاة أسلوب القرآن الكريم.

(١) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام : ١٤٥ .



التمهيد: المواعظ والحكم القرآنية

المَوْعِظَةُ فِي اللُّغَةِ: مصدر الفعل وعظ. جاء في كتاب العين للخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): وعظ: العظة: الموعظة. وعظت الرجل أعظه عظة وموعظة: واتعظ: تقبل العظة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه^(١) وقد ورد لفظ (المَوْعِظَةُ) في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجهًا، وهي كما يأتي: (أَوْعِظْتَ، أَعْظُكَ، أَعْظُكُمْ، تَعْظُونَ، يَعْظُكُمْ، يَعْظُهُ، عِظُهُمْ، فَعِظُوهُمْ، تُوَعِّظُونَ، يُوعِظُ، يُوعِظُونَ، الْوَاعِظِينَ، مَوْعِظَةٌ).

المَوْعِظَةُ اصطلاحًا: المَوْعِظَةُ: باب من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، وأسلوب من أساليب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر^(٢). والموعظة الحسنة: معناها الوعظ الحسن وهو الصّرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله، وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل: إِنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ النُّبُوَّةُ والموعظة الحسنة مواعظ القرآن الكريم^(٣). والأصل في الموعظة أنها: القول الذي يلين نفس المخاطب ليستعد لفعل الخير والاستجابة له. والموعظة في معناها تدل على ما يجمع الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة ولهذا قال ابن عطية الاندلسي (ت ٥٤٦هـ): الموعظة الحسنة: التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل^(٤). ويشير الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى معنى لطيف في هذا حين يقول: إِنَّ المَوْعِظَةَ الحسنة هي التي لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد

(١) كتاب العين، ٢/٢٢٨.

(٢) أدب الموعظة، ٩.

(٣) منهاج البراعة، ٧/١١٥.

(٤) تفسير البحر المحيط، ٥/٥٣١.



ما ينفعهم^(١). ومن الوعظ الحسن إلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

الحِكْمَةُ فِي اللُّغَةِ: قال الجوهري (ت ٣٩٣هـ): الحُكْمُ الحِكْمَةُ من العِلْمِ، والحَكِيمُ العَالِمُ وَصَاحِبُ الحِكْمَةِ. والحَكِيم: المَتَقِنُ للأُمُور. وقد حَكَّمَ أي صَارَ حَكِيمًا^(٢). وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في تاج العروس: الحِكْمَةُ، بالكسْرِ: العَدْلُ فِي القَضَاءِ كالحُكْمِ. والحِكْمَةُ: العِلْمُ بِحَقَائِقِ الأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَالعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا، ولهذا انقسمت عَلَى عِلْمِيَّةٍ وَعَمَلِيَّةٍ. ويقال: هِيَ هَيْئَةُ القُوَّةِ العَقْلِيَّةِ العِلْمِيَّةِ. وقيل: الحِكْمَةُ: إِصَابَةُ الحَقِّ بالعِلْمِ وَالعَمَلِ^(٣).

هذه أهم المعاني اللغوية التي وردت في الحِكْمَةِ وأصلها، وكلها تدور حول المنع؛ لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذم فيه، أو ما قد يندم عليه، وتمنعه من اختيار المفضول دون الفاضل، أو المهم قبل الأهم. وقد ورد لفظ (الحِكْمَةُ) في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، وقد ورد لمعانٍ عدة. وأنَّ لفظ (الحَكِيمِ) ورد في القرآن الكريم عشرات المرات.

والحَكِيمِ اسم من أسماء الله تعالى. ونسب سبحانه وتعالى الحِكْمَةَ إلى نفسه، وجعل إيتاءها من عنده. وقد ورد لفظ (حَكِيمٍ) في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، و(حَكِيمًا) ست عشرة مرة.

الحِكْمَةُ اصطلاحًا: قال الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هـ): الحِكْمَةُ: إِصَابَةُ الحَقِّ بالعِلْمِ والعَقْلِ، فَالحِكْمَةُ من اللّهِ تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية

(١) الكشاف، ٤٣٥.

(٢) الصحاح، ١٩٠١/٥.

(٣) تاج العروس، ١٦١/١٦.



الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات^(١). وقد وردت كلمة (الحِكْمَةُ) في نصوص الشرع مراداً بها: الكتب السماوية من القرآن الكريم والتوراة والإنجيل وغيرها. ومراداً بها أيضاً: النبوة، والهدى، والرشاد، والعدل، والعلم، والحلم والتفقه.

وتطلق الحِكْمَةُ على معان، منها: المصلحة، كقولك: الحِكْمَةُ من هذا الشيء كذا. ومنها الموعظة، مثل: (الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ)^(٢)، ومنها العلم والفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾^(٣). ومنها النبوة، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾^(٤). وتطلق الحِكْمَةُ على الفلسفة. وقال قائل: الحِكْمَةُ هي علم الفقه. وقال آخر: هي جميع العلوم الدينية. وقال آخر: هي طاعة الله تعالى فقط. ومهما قيل أو يقال فإنَّ الحِكْمَةَ لا تخرج أبداً عن معنى السداد والصواب، ووضع الشيء في موضعه قولاً وعملاً، فالحكيم هو الذي يحكم الشيء، ويأتي به على مقتضى العقل والواقع، لا بحسب الميول والرغبات، ولا يستعجله قبل أوانه، أو يمسك عنه في زمانه، أو ينحرف به عن حدوده وقبوره. وعلى هذا فالحِكْمَةُ لا تختص بالأنبياء والأولياء، ولا بالفلاسفة والعلماء، فكل من اتقن عملاً وأحكمه فهو حكيم فيه، سواء أكان فلاحاً، أم صانعاً، أم تاجراً، أم موظفاً، أم واعظاً، أم أديباً، أم خطيباً، أم حاكماً، أم جندياً، أم غيره^(٥). وقال الإمام علي عليه السلام في وصيته للإمام الحسن المجتبي عليه السلام في باب

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٤٩/١.

(٢) الكافي، ١٦٧/٨.

(٣) سورة لقمان، الآية ١٢.

(٤) سورة ص، الآية ٢٠.

(٥) التفسير الكاشف، ٤٢٢/١.



الموعظة والحكمة: (أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ)^(١).

ومّا لا شك فيه أنّ القرآن الكريم هو النصّ السماوي الذي أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم عن مجاراته أو حتى الإتيان بآية من مثله: ((فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه ... وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالتشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة))^(٢).

ومنذ أن نزل في أُمَّة العرب بهرهم بيانه وأسلوبه وأخذ بألبابهم بحسن وقع جرسه، وأسر نفوسهم بجمال لفظه وبراعة صورته وروعة أدائه، ثم كان شغف العلماء والمفكرين كشف السر الذي يحمله إعجازه، فأينعت الآراء والأفكار. وكان أحسن ممن وصف هذا الكتاب العظيم سيد البلغاء وريب مدرسة القرآن والنبوة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ وصفه في خطبة له بقوله: ((ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلُّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءُه، وفرقاناً لا يجمد برهانه... جعله الله رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء... وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به... وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى))^(٣).

إذن فمنذ أن نزل القرآن الكريم على قلب الرسول الأمين محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كان له الأثر البالغ في كلام الإنسان العربي ولا سيما المتذوقين

(١)، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٦ / ٦٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ١ / ٦.

(٣) نهج البلاغة (شرح محمد عبده): ٣٧٧ - ٣٧٨.



للأدب، إذ ((أصبح معيناً للأدباء ينهلون منه ويقتبسون . ويسعون إلى محاكاة أسلوبه . وكان أثره في الشعر أبرز منه في الشعر)) (١) .

المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في كتاب وقعة صفين

١- المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين (ع) بوساطة الاقتباس القرآني

الاقتباس في اللغة مأخوذ من القبس وهو : ((شعلة من نار تقتبسها من مُعْظَم، واقتباسها الأخذ منها . وقوله تعالى : ﴿بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل: ٧]... وفي حديث عليّ رضوان الله عليه: حتى أُورِيَ قَبَسًا لِقَابِسٍ، أي أظهر نورًا من الحق لطالبه ... واقتبست منه علمًا أيضًا أي استفدته)) (٢) .

وفي الاصطلاح فقد عرّفه القلقشندي (ت ٨٢١هـ) : ((هو أن يُضْمَنَ الكلام شيئاً من القرآن، ولا يَنْبَهُ عليه)) (٣)، ويجب أن لا يذكر فيه : قال الله أو نحوه، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباساً (٤)، وقد حُصِّصَ الاقتباس (بالقرآن الكريم) تمييزاً له عن سائر الكلام (٥) . والاقتباس من التّعابير الجاهزة التي يستعملها النّاثر داخل التركيب، وهي تؤدّي سمة جماليّة ومعنويّة داخل الأسلوب، فهي من النّاحية الجماليّة تضيفي على الصّورة ألواناً، ومن النّاحية المعنوية تضيفي على الدّلالة عمقاً وتأصيلاً (٦) .

كَتَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ وَكَانَ جَرِيرٌ عَامِلاً لِعُثْمَانَ

(١) الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٤١ .

(٢) لسان العرب مادة (قبس) : ١١ / ١١ .

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشا : ٢٣٧ / ١ .

(٤) ينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع : ٢١٧ / ٢ .

(٥) ينظر : م.ن : ٢٢٢ / ٢ .

(٦) ينظر : البنية اللغوية في النص الشعري : درس تطبيقي في ضوء علم الأسلوب : ١٦١ .



عَلَى ثَغْرِ هَمْدَانَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ زَحْرِ بْنِ قَيْسِ الْجُعْفِيِّ : ((أَمَّا بَعْدُ فَ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ وَ إِنِّي أَخْبَرُكَ عَنْ نَبِيٍّ مِنْ سِرْنَا إِلَيْهِ مِنْ جُمُوعِ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ عِنْدَ نَكْحَتِهِمْ بَيَعَتْهُمْ وَ مَا صَنَعُوا بِعَامِلِي عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ إِنِّي هَبَطْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ بِالْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْعُدَيْبِ بَعَثْتُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ فَاسْتَفَرُّوهُمْ))^(١).

لقد اقتبس أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى من سورة الرعد المباركة الآية الحادية عشرة قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ .

ولقد اقتبس الإمام علي شطرا من هذه الآية المباركة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ وإن السبب الذي اقتبس فيه الإمام هذه الآية المباركة هو لمناسبة نزولها فقد نزلت في المنهزمين في يوم أحد قال القرطبي في تأويل هذه الآية الكريمة: ((قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يَقَعَ مِنْهُمْ تَغْيِيرٌ، إِمَّا مِنْهُمْ أَوْ مِنَ النَّاطِرِ لَهُمْ، أَوْ مِمَّنْ هُوَ مِنْهُمْ بِسَبَبٍ، كَمَا غَيَّرَ اللَّهُ بِالْمُنْهَزِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ بِسَبَبِ تَغْيِيرِ الرُّمَاءِ بِأَنْفُسِهِمْ، إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ أَمْثَالَةِ الشَّرِيعَةِ، فَلَيْسَ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ لَيْسَ يَنْزِلُ بِأَحَدٍ عُقُوبَةٌ إِلَّا بَأَن يَتَقَدَّمَ مِنْهُ ذَنْبٌ، بَلْ قَدْ تَنْزَلُ الْمَصَائِبُ بِذُنُوبِ الْغَيْرِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ سُئِلَ أَمْنَهُ لَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ - نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ أَي هَلَاكًا وَعَذَابًا، (فَلَا مَرَدَّ لَهُ) وَقِيلَ: إِذَا أَرَادَ بِهِمْ بَلَاءً مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَسْقَامٍ فَلَا مَرَدَّ لِبَلَائِهِ. وَقِيلَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ حَتَّى يَخْتَارُوا مَا فِيهِ الْبَلَاءُ وَيَعْمَلُوهُ، فَيَمَشُونَ إِلَى هَلَاكِهِمْ بِأَفْدَامِهِمْ، حَتَّى يَبْحَثَ أَحَدُهُمْ عَنْ حَتْفِهِ بِكَفِّهِ، وَيَسْعَى بِقَدَمِهِ إِلَى إِرَاقَةِ دَمِهِ. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ أَي مَلْجَأٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ السُّدِّيِّ. وَقِيلَ: مِنْ نَاصِرٍ يَمْنَعُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ^(١) ومن هنا تظهر الحكمة والموعظة من هذا الاقتباس القرآني وقد ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وكانوا يستحسنون أن يكون في الكلام يوم الجمع أي من القرآن؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار، والرقة، وسلس الموقع^(٢).

وجاء في كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنْ قُرَيْشٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا آمَنُوا بِاللَّتَنْزِيلِ وَعَرَفُوا التَّأْوِيلَ وَفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَبَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَأَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَعْدَاءُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُكَذِّبُونَ بِالْكِتَابِ مُجْمَعُونَ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَقَفْتُمْ مِنْهُمْ حَبَسْتُمُوهُ أَوْ عَذَبْتُمُوهُ أَوْ قَتَلْتُمُوهُ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ إِعْزَازَ دِينِهِ وَإِظْهَارَ رَسُولِهِ وَدَخَلَتِ الْعَرَبُ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا وَكُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ وَفَازَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ مِثْلُ سَوَابِقِهِمْ فِي الدِّينِ وَلَا فَضَائِلِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يُنَازِعَهُمُ الْأَمْرَ الَّذِي هُمْ أَهْلُهُ وَأَوْلَى بِهِ فَيُحُوبَ بِظُلْمٍ وَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَهُ وَلَا أَنْ يَعْدُو طَوْرَهُ وَلَا أَنْ يُشْقِيَ نَفْسَهُ بِالْتِمَاسِ

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٥ / ٩.

(٢) البيان والتبيين: ١١٨ / ١.



مَا لَيْسَ لَهُ ثُمَّ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِأَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَ حَدِيثًا أَقْرَبَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ أَعْلَمَهَا بِالْكِتَابِ وَ أَفْقَهَهَا فِي الدِّينِ وَ أَوْلَهَا إِسْلَامًا وَ أَفْضَلَهَا جِهَادًا وَ أَشَدَّهَا بِمَا حَمَلَهُ الرَّعِيَّةُ مِنْ أُمُورِهَا اضْطِرَاعًا فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ - وَ لَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ وَ أَنَّ شِرَارَهُمُ الْجَهَّالُ الَّذِينَ يُنَازِعُونَ بِالْجَهْلِ أَهْلَ الْعِلْمِ فَإِنَّ لِلْعَالِمِ بِعِلْمِهِ فَضْلًا وَ إِنَّ الْجَاهِلَ لَنْ يَزِدَادَ بِمُنَازَعَةِ الْعَالِمِ إِلَّا جَهْلًا أَلَا وَ إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ حَقِّنْ دِمَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّ قَبْلَتَكُمْ أَصَبْتُمْ رُشْدَكُمْ وَ اهْتَدَيْتُمْ لِحَظَّتْكُمْ وَ إِنَّ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْفُرْقَةَ وَ شَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَمْ تَزِدَادُوا مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا وَ لَنْ يَزِدَادَ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ إِلَّا سَخَطًا وَ السَّلَامُ)) (١).

فقد اقتبس الإمام عليه السلام في هذا الكتاب من قوله تعالى في سورة البقرة الآية الثانية والأربعين: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

وتظهر المواعظة من هذا الاقتباس القرآني عن طريق معرفة تأويل الآية الكريمة، فقال القرطبي (ت ٦٧١هـ): ((قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ اللبس: الخلط. لبت عليه الامر ألبسه، إذا مزجت بينه بمشكله وحقه بباطله قال الله تعالى ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسونَ﴾ [الأنعام: ٩] وفي الأمر لبسة أي ليس بواضح. ومن هذا المعنى قول علي عليه السلام للحارث بن حوط يا حارث إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله... روى سعيد عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]، يقول: لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام



وقد علمتم أن دين الله - الذي لا يقبل غيره ولا يجزئ إلا به ^(١).

وأراد أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الاقتباس أيضًا أن يشحذ الهمم قبل شحذ السيوف وتركيب الأُسنة، لعلمه بتأثير الأسلوب القرآني، فهو أقوى وأعمق في النفوس كيف لا، وقد ((بهر العرب رونقه وخلق ألبابهم جرسه ووقعه، وملك نفوسهم ما فيه من جمال اللَّفظ، وبراعة الصورة وسمو البيان وروعة الأداء)) ^(٢).

إنَّ هذا الأداء البديعي في اقتباس الآيات الكريمة، والمهارة في إحكام وضعها موضعًا ملائمًا في الكلام، لهو دليلٌ واضحٌ على ملكة أمير المؤمنين عليه السلام وإمامه بالمضمونات القرآنية، حتَّى نجدها قد ملأت قلبه، وانسابت على لسانه انسيابًا.

ومما جاء من الاقتباس القرآني في خطبة علي بن أبي طالب في الجمعة بالكوفة والمدينة ((إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَاسْتَعِينُهُ وَاسْتَهْدِيهِ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَنْتَجِبُهُ لِأَمْرِهِ وَاخْتَصَّه بِالنُّبُوَّةِ أَكْرَمَ خَلْقِهِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ فَبَلَغَ رَسُولَاتِهِ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ وَأَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ وَأَقْرَبُهُ لِرِضْوَانِ اللَّهِ وَخَيْرُهُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ وَبِتَقْوَى اللَّهِ أُمْرُتُمْ وَلِلْإِحْسَانِ وَالطَّاعَةِ خُلِقْتُمْ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ حَذَرَ بَأْسًا شَدِيدًا وَاحْشُوا اللَّهَ خَشِيَّةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ فَإِنَّ مَنْ عَمَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَمَلَ لَهُ وَمَنْ عَمَلَ لِلَّهِ مُخْلِصًا تَوَلَّى اللَّهُ أَجْرَهُ وَأَشْفَقُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِكُمْ سُدىً قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَكَتَبَ آجَالَكُمْ فَلَا تَعْرُوا بِالْدُنْيَا فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ بِأَهْلِهَا مَعْرُورٌ مِنْ اغْتَرَبَهَا وَإِلَى

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٠-٣٤١.

(٢) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام: ٥٤.



فَنَاءٍ مَا هِيَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْحَيَوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ
وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَعِيشَةَ السُّعَدَاءِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لَهُ وَبِهِ ^(١).

فقد اقتبس أمير المؤمنين عليه السلام من قوله تعالى من سورة العنكبوت الآية الرابعة
والستين: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وتظهر الحكمة والموعظة من هذا الاقتباس من معرفة تأويل الآية
الكريمة قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ): ((قال تعالى وليس هذه الحياة الدنيا إلا
لهو ولعب لأنها تزول كما يزول اللهو واللعب، لا بقاء لها، ولا دوام، كما يزول
اللهو واللعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان أي الحياة على الحقيقة لكونها دائمة
باقية لو كانوا يعلمون صحة ما أخبرناك به. وقال ابو عبيدة: الحيوان والحياة
واحد)) ^(٢). قال ابن كثير (٧٧٤هـ): ((وإن الدار الآخرة لهي الحيوان، أي: الحياة
الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الأباد)) ^(٣).

وكان اختياره عليه السلام في هذا الموضع مقصوداً فيه؛ فلم يكن متكلفاً ثقیلاً، بل
جاء عن فطرة وطبع سليم، فنسق العبارة مع الاقتباس القرآني جاء منسباً على لسانه
وتمازج مع خاطره، وما كان ذلك إلا عن تأثر بالقرآن الكريم الذي ((هو روح
الفطرة اللغوية فيهم... إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم، واطلع
على قلوبهم)) ^(٤).

ومن هنا كان أثر القرآن الكريم واضحاً في خطب كلام الإمام علي عليه السلام
ورسائله، سواء من حيث الأسلوب والصياغة، أو من حيث الأفكار والمعاني؛ لأنَّ

(١) وقعة صفين: ١٠

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٨ / ٢٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٤٣١.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٣٤.



أسلوبه ((جمع الجزالة والسلاسة والقوة والعدوبة، ضمّ البلاغة من أطرافها فهو السحر الساحر والنور الباهر والحق الساطع والصدق المبين))^(١) وإنما كان يكثر من الاقتباس من آياته بمهارة في وضع الآيات بالمواضع الملائمة لها...؛ لأنه متذوق لبلاغة القرآن، فهو يجدون في هذه الآيات تعبيراً صادقاً عما يريد أن يقول.

٢. المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين عليه السلام بوساطة الاستشهاد

بالآيات القرآنية :

يختلف الاستشهاد بالآيات القرآنية عن الاقتباس القرآني بأن الأخير تذكر الآية ولا يذكر أمّها من القرآن، في حين أن الاستشهاد يكون بقول المتكلّم : (قال الله) أو نحو ذلك وقد أشار ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ) أنه لا يكون الأخذ من القرآن اقتباساً إذا قال المتكلّم: (قال الله) أو غيره^(٢) فإذا لم يكن الأخذ على هذه الشاكلة اقتباساً فلم يبق إلا أن يكون استشهداً بالآيات القرآنية .

وذكر نصر بن مزاحم المنقري: ((عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْنَفٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ عليه السلام حِينَ قَدِمَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَهُوَ عَامَ بَلَغَتْ الْحُلُمَ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ رِجَالٌ يُؤَنِّبُهُمْ وَيَقُولُ لَهُمْ «مَا بَطَأَ بِكُمْ عَنِّي وَ أَنْتُمْ أَشْرَافُ قَوْمِكُمْ وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ مِنْ ضَعْفِ النِّيَّةِ وَ تَقْصِيرِ الْبَصِيرَةِ إِنَّكُمْ لَبُورٌ وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ مِنْ شَكِّ فِي فَضْلِي وَ مَظَاهِرَةِ عَلِيٍّ إِنَّكُمْ لَعَدُوٌّ» قَالُوا حَاشَ لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ سَلْمُكَ وَ حَرْبُ عَدُوِّكَ ثُمَّ اعْتَدَرَ الْقَوْمُ فَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ عُدْرَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ اعْتَلَّ بِمَرَضٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ عَيْبَةَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِ الْعَبْسِيُّ وَ إِذَا حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ التَّمِيمِيُّ وَ كِلَاهُمَا كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ وَ إِذَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَوْفِ الْأَزْدِيُّ وَ إِذَا غَرِيبُ بْنُ

(١) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام : ٥٩ .

(٢) ينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع : ٢١٧ / ٢



شَرَّ حَيْبِ الْهَمْدَانِي قَالِ وَ نَظَرَ عَلِيٌّ إِلَى أَبِي فَقَالَ: «لَكِنَّ مَخْفُفُ بِنِّ سُلَيْمٍ وَ قَوْمُهُ لَمْ يَتَخَلَّفُوا وَ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُمْ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالِ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَ لَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَافُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾»^(١).

فقد استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بالآيتين الكريمتين الثانية والسبعين والثالثة والسبعين من سورة النساء المباركة وتظهر الحكمة والموعظة بهذا الاستشهاد القرآني عن طريق معرفة معنى الآية فقد ذكر الشيخ الطوسي في سبب نزول هذه الآية المباركة: ((قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج، وابن زيد: نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يثبطون الناس عن الجهاد. فإذا أصابتهم مصيبة فيه، من قتل أو هزيمة، قالوا قول الشامت بهم في تلك الحال: قد أنعم الله علينا إذ لم نكن معهم شهداء أي حضورا. وقال أبو جعفر عليه السلام: من يتمنى التأخر عن جماعة المسلمين، لا يكون إلا كافرا. فقوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢] خطاب للمؤمنين. وإنما أضاف المنافقين إليهم لأمرين: أحدهما - إن من عدادكم ودخلائكم. الثاني - أي منكم في الحال الظاهرة، أو حكم الشريعة من حقن الدم، ونحو ذلك من الموارثة، والمناكحة. واللام الأولى لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم، والثانية لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التأكيد. وتقديره إن منكم لمن حلف بالله ليبطئن. وإنما جاز صلة من بالقسم، ولم يجز بالأمر والنهي لأن القسم خبر يوضح الموصول، كما يوضح الموصوف في قولك: مررت برجل لتكرمه، لأنه خصصه بوقوع الإكرام به في المستقبل من كل رجل غيره. وليس كذلك الأمر في قولك: مررت برجل أضربه، لأنه لا يتخصص بالضرب في الأمر كما، تخصص في

(١) وقعة صفين: ٧-٨ الآيتان ٧٢، ٧٣ من سورة النساء.



الخبر. قال: الفراء تدخل اللام في النكرات وفي من وما والذي. فاذا جئت بالمعرفة الموقفة، لم يجوز إدخال اللام فيها. لا تقول إن عبد الله يقوم من وإن زيدا ليذهبن، لأن زيدا، وعبد الله، لا يحتاجان إلى صلة، والإبطاء: إطالة مدة العمل لقلة الانبعاث... ضده الإسراع. وهو قصر مدة العمل، للتدبير فيه. والأناة: إطالة الأحكام الذي لا سبيل إليه إلا بالتثبت فيه. وضدها العجلة وهي قصر المدة من غير إحكام الصنعة تقول: بطؤ في مشيه يبطؤ بطاء: إذا ثقل وتباطأ وتباطيا وبتأطبتيا واستبطأ استبطاء وأبطأ إبطاء: إذا تأخر^(١).

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَيْتُنَّ أَصَابَكُمْ فِضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ فقد ذكر الشيخ الطوسي أن المعنى بهذه الآية ((المنافقون الذين وصفهم الله بانهم يفرحون بتأخرهم عن المؤمنين إذا أصيبوا، وانهمزوا. فاخبر عنهم انه إذا أصاب المؤمنين فضل من الله بان يظفروا أو يقهروا العدو، بانهم يتمنون الكون معهم، فيفوزوا فوزا عظيما. وانما ذمهم الله بهذا التمني لاحد أمرين: أحدهما - لانهم قالوه على وجه ايثار الغنيمة لاعلى حال المثوبة من جهة الله لشكهم في الجزاء من الله. الثاني - قال قتادة وابن جريح انهم قالوا: ذلك على جهة الحسد للمؤمنين.

والاصابة. ملامسة المرمي لما وقعت به الرمية. فاذا قيل: أصاب - مطلقا - فمعناه أصاب الغرض. ويجوز أن ينفي فيقال: لم يصب، يعني الغرض، وان أصاب غيره.

وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها - انه اعتراض بين القول، والتمني، ولا يكون له موضع من الاعراب. وتقديره ليقولن: ياليتني كنت معهم، فافوز فوزا عظيما. كأن لم يكن بينكم وبينه مودة. الثاني - أن

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٢٥٤-٢٥٥.



يكون اعتراضاً وموضعه التقديم. وتقديره فان أصابتكم مصيبة، قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً كأن لم يكن بينكم، وبينه مودة. واختار هذا الوجه أبو علي النحوي. الثالث - أن يكون في موضعه على موضع الحال. كما تقول: مررت بزيد كأن لم يكن بينك وبينه معرفة فضلاً عن مودة. والزجاج أجاز الوجه الثلاثة^(١).

وقد عمد الإمام عليه السلام بالاستشهاد بآيات القرآن الكريم لأنه يعد المورد العذب الذي ينهل منه، فأسلوبه أحال خشونة الطباع عدوياً وسلاسة، وبدل حوشية الألسنة سهولة ووضوحاً وبلاغة، وأورث العرب دقة في التفكير، وقوة في التعبير، وجمالاً في التصوير، ورقة في الأسلوب، وروعة في الحجّة^(٢).

وقال المنقري: ((إِنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ إِلَّا مِنْ جَوْعَةٍ إِلَى شَبَعَةٍ وَمَنْ فَقِرَ إِلَى غَنَى أَوْ عَمَى إِلَى هُدَى فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَعِزُّوا النَّاسَ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَخُذُوا عَلَى أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ وَاحْتَرِسُوا أَنْ تَعْمَلُوا أَعْمَالًا لَا يَرْضَى اللَّهُ بِهَا عَنَّا فَيَرُدَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ دُعَاءَنَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ - قُلْ مَا يَعْجُبُوكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا مَقَّتْ قَوْمًا مِنَ السَّمَاءِ هَلَكُوا فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْلُوا أَنْفُسَكُمْ خَيْرًا وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَهُ بِجَهْدِنَا وَأَنْ نَنْصُرَهُ مَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))^(٣).

فقد استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُوكُمْ﴾

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) ينظر: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام: ٤٤.

(٣) وقعة صفين: ١٢٥.



بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿١﴾ وتظهر الموعظة والحكمة من معرفة معنى الآية الكريمة قال الشيخ الطوسي في تفسير هذه الآية المباركة : ((قل يا محمد لهؤلاء ما يعبؤ بكم ربي ومعناه ما يصنع بكم ربي - في قول مجاهد وابن زيد - واصله تهيئة الشيء، ومنه عبأت الطيب أعبؤه عباء، إذا هيأته، قال الشاعر: كأن بنحره وبمنكبيه * عبرا بات يعبؤه عروس أي تهيئه، وعبأت الجيش - بالتشديد، والتخفيف - إذا هيأته. والعبء الثقل. وما أعبأ به أي لا أهى به امرا. وقال قوم: ما لا يعبأ به، فوجوده وعدمه سواء. وقوله لولا دعاؤكم قال مجاهد: معناه لولا دعاؤه إياكم إلى طاعته، لم يكن في فعلكم ما تطالبون به، وهو مصدر أضيف إلى المفعول، كقولهم: اعجبني بناء هذه الدار، وخياطة هذا الثوب. وقال الزجاج: معناه لولا توحيدكم وإيمانكم، وقال البلخي: معناه لولا كفركم وشرككم ما يعبأ بعذابكم، وحذف العذاب وأقام المضاف إليه مقامه. ثم قال فقد كذبتكم يا معاشر الكفار بآيات الله، وجحدتم رسوله فسوف يكون لزاما عليكم، ويكون تأويله، فسوف يكون تكذيبكم (لزاما) فلا تعطون الثواب عليه، وتكون العقوبة لزاما تلتزمكم على ذلك. وقال مجاهد: معناه القتل يوم بدر ويكون الخطاب متوجها إلى الذين قتلوا يوم بدر. وقيل (اللزام) عذاب الآخرة، وقال ابو ذؤيب - في اللزام: ففاجأه بعبادية لزاما * كما يتفجر الحوض اللقيف لزام: كثيرة يلزم بعضها بعضا، ولقيف متساقط متهدم، وقال صخر الغي - في اللزام: فاما ينجوا من حتف ارض * فقد لقيتا حتوفهما لزاما أي انه واقع لا محالة. وقال الضحاك: هو لزوم الحجة لهم في الآخرة. وقال ابو عبيدة: معناه (فيصلا)) (١).

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٥١٢-٥١٤.



ومن هنا نجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد نهل من القرآن الكريم فمئذ أن نزل القرآن في أمة العرب بهرهم بيانه وأسلوبه وأخذ بألبابهم بحسن وقع جرسه، وأسر نفوسهم بجمال لفظه وبراعة صورته وروعة أدائه: ((فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزيدته وواسطته وكرائمه ... وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقّات منها هو بالإضافة إليها كالكشور والنوى بالإضافة إلى أطيب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة))^(١). ومن هنا تأثر عليه السلام بالقرآن الكريم الذي ترك آثاراً واضحة في بلاغته وفصاحته، فكان الاستشهاد من أي الذكر الحكيم وكان الصدور عن الحس الديني العام، وكان التأثير الواضح ببلاغته في تجنب الغريب الوحشي مع الحرص على وضوح المقصد والإقناع^(٢).

٣- المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين عليه السلام بوساطة محاكاة أسلوب

القرآن الكريم .

من صور التأثير القرآني محاكاة أسلوبه واستعارة عبارته وألفاظه وطرائق تعبيره، واستلهام معانيه، وكان هذا شائعاً في خطب أمير المؤمنين ورسائله وهو دليل على تأثره بأسلوب القرآن الكريم ورغبته بمحاكاته ((ولا يتهيأ ذلك إلا لمن كانت آيات القرآن تنساب على لسانه انسياً، وترسخ معانيه في ذهنه))^(٣) وعندها نجد أن محاكاة أسلوبه ((مظهر آخر من مظاهر التأثير القرآني، فقد بلغ من إعجاب الأدباء بهذا الأسلوب أن نهجوا نهجه في بعض عباراتهم إذ توخّوا محاكاة ألفاظه وتعابير وطريقة أدائه))^(٤)، وكانت تلك المحاكاة على نمطين:

(١) المفردات في غريب القرآن: ١ / ٦ .

(٢) ينظر: النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي : دراسة تحليلية : ٦٥-٦٦ .

(٣) الرّسائل السياسيّة في العصر العباسي الأوّل : ١٨٥ .

(٤) الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ١٩٩ .



الأول: يعتمد على ألفاظ القرآن كما هي مع تصرّف يسير في صياغتها، أي: أن الخطيب أو المترسل يأتي ببعض الآيات الكريمة من النصّ القرآني، ويتصرّف ببعض ألفاظها، تحويلاً إلى تراكيب جديدة تكون معززة دلاليّاً بتوظيف المعاني القرآنيّة بألفاظها المنقولة من النصّ.

الثاني: يعتمد على معاني النصّ القرآني من دون صياغته، أي: يقوم الخطيب أو المترسل على استمداد واستيحاء المعاني القرآنيّة وإفراغها في بنى تركيبية جديدة ذات دلالات قائمة على المعاني المستتلة من ذلك النصّ^(١).

وذكر المنقري أن الإمام علي (ع) قد كتّب إلى جبرير البجلي عامل عثمان: ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَرَادَ مُعَاوِيَةَ أَلَّا يَكُونَ لِي فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ وَ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَحَبَّ وَأَرَادَ أَنْ يَرِيثَكَ حَتَّى يَذُوقَ أَهْلَ الشَّامِ وَإِنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَدْ كَانَ أَشَارَ عَلِيٍّ أَنْ اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ وَأَنَا بِالْمَدِينَةِ فَأَبَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ لِيْرَانِي أَنْ أَخْذُ الْمُضِلِّينَ عَضْداً فَإِنْ بَايَعَكَ الرَّجُلُ وَإِلَّا فَأَقْبِلْ))^(٢).

وتظهر الحكمة والموعظة بهذا النص فقد حاكى أمير المؤمنين (ع) قول الله تبارك وتعالى في سورة مريم إذ قال سبحانه وتعالى في سورة الكهف الآية الحادية والخمسين ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْداً﴾ قال ابن عطية (ت ٥٤١هـ) في المحرر الوجيز: ((والعضد استعارة للمعين المؤازر، وهو تشبيه بالعضد للإنسان الذي يستعين به))^(٣). قال الشيخ الطبرسي في تأويل الآية الكريمة: ((أي: الشياطين الذين يضلون الناس أعوانا

(١) ينظر: المناجيات وأدعية الأيام عند الأمام زين العابدين (ع): دراسة أسلوية (رسالة ماجستير مخطوطة): ١٥٨-١٥٩.

(٢) وقعة صفين: ٥٢.

(٣) المحرر الوجيز: ٣ / ٥٢٣.



يعضدونني عليه، وكثيرا ما يستعمل العضد بمعنى العون، وإنما وحده هنا لوفاق الفواصل. وقيل: إن معنى الآية أنكم اتبعتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده عليم لا ينال إلا من جهته، وأنا ما أطلعتهم على خلق السماوات والأرض، ولا على خلق أنفسهم، ولم اعطهم العلم بأنه كيف تخلق الأشياء، فمن أين تتبعونهم؟ وقيل: معناه ما أحضرت مشركي العرب، وهؤلاء الكفار، خلق السماوات والأرض، ولا خلق أنفسهم، أي: وما أحضرت بعضهم خلق بعض، بل لم يكونوا موجودين فخلقتهم، فمن أين قالوا: إن الملائكة بنات الله؟ ومن أين ادعوا ذلك؟^(١). وهو بهذا يكشف عن براعته في الإفادة من تلك المعاني القرآنية العالية وتسخيرها بالكيفية التي يريد، وإن تلك الإفادة من المعاني والسعي إلى تكريسها لهو مظهر من مظاهر التأثير الكبير من الخطباء والمترسلين في هذا العصر ببديع أسلوب القرآن الكريم ونظمه وقوة معانيه ((فهو يداور المعاني، ويرى الأغاليب ويخاطب الروح بمنطقها من ألوان الكلام لا من حروفه، وهو يتألف الناس بهذه الخصوصية فيه، حتى ينتهي بهم ممّا يفهمون إلى ما يجب أن يفهموا))^(٢).

ومن هنا نجد ترسم آيات القرآن الكريم واحتذاء أسلوبه، واستلهام معانيه، فقد برع المترسلون في مكاتبتهم بالنصوص القرآنية، تأكيداً لما يسوقه الكاتب من آراء أو تقوية لحجة ما^(٣)، إذ إن الكُتّاب. وعموماً فقد كان تأثير القرآن الكريم متبلورا في طرائق المترسلين إذ كان هذا واضحا في رسائل أصحاب المذاهب ورؤساء النحل الدينية حتى أضحى القرآن الكريم معينا تنهل منه الرسائل كثيرا من

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٦ / ٣٥٥.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٤٨.

(٣) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي: إلى نهاية العصر الأموي: ٣١٥.



معانيها، وتستمد من فيضه ذلك العطاء الخصب^(١).

ذكر المنقري أن الإمام علياً عليه السلام كَتَبَ إِلَى عُمَالِهِ فَكَتَبَ إِلَى مَخْتَفِ بْنِ سُلَيْمٍ ((سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ جِهَادَ مَنْ صَدَفَ عَنِ الْحَقِّ رَغْبَةً عَنْهُ وَهَبَّ فِي نِعَاسِ الْعَمَى وَالصَّلَالِ اخْتِيَارًا لَهُ فَرِيضَةً عَلَى الْعَارِفِينَ إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَمَّنْ أَرْضَاهُ وَيُسْخِطُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ وَإِنَّا قَدْ هَمَمْنَا بِالْمَسِيرِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي عِبَادِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَاسْتَأْتَرُوا بِالْفِيءِ وَعَطَلُوا الْحُدُودَ وَأَمَاتُوا الْحَقَّ وَأَظْهَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ وَاتَّخَذُوا الْفَاسِقِينَ وَلِيَجَّةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا وَلِيَ لِلَّهِ أَعْظَمُ أَحْدَانُهُمْ أَبْغَضُوهُ وَأَقْصَوْهُ وَحَرَمُوهُ وَإِذَا ظَالِمٌ سَاعَدَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ أَحْبَبُوهُ وَأَدْنَوْهُ وَبَرُّوهُ فَقَدْ أَصْرُوا عَلَى الظُّلْمِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى الْخِلَافِ. وَ قَدِيمًا مَا صَدُّوا عَنِ الْحَقِّ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَكَانُوا ظَالِمِينَ فَإِذَا أُتِيَتْ بِكِتَابِي هَذَا فَاسْتَخْلِفْ عَلَى عَمَلِكَ أَوْثِقْ أَصْحَابِكَ فِي نَفْسِكَ وَأَقْبِلْ إِلَيْنَا لَعَلَّكَ تَلْقَى هَذَا الْعَدُوَّ الْمُجِلَّ فَتَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُجَامِعَ الْحَقَّ وَتُبَايِنَ الْبَاطِلَ فَإِنَّهُ لَا عَنَاءَ بِنَا وَ لَا بَكَ عَنْ أَجْرِ الْجِهَادِ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ))^(٢).

وتكمن الحكمة والموعظة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه هذا إذ نجد أن هذا الكتاب قد اتشح بالتأثير المباشر بأي الذكر الحكيم فقوله عليه السلام : (وَأَظْهَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ) مستلهم من قوله تعالى : ﴿فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ [الفجر: ١٢] و ﴿وَ اتَّخَذُوا الْفَاسِقِينَ وَلِيَجَّةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مستلهم من قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي: إلى نهاية العصر الأموي: ٣١٤.

(٢) وقعة صفين: ١٠٤-١٠٥.



وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿التوبة: ١٦﴾ و﴿فَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ مستلهم من قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] و﴿وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ مستلهم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران ١٧٣] كل هذه المعاني قد استلهمها أمير المؤمنين عليه السلام استلهاها مباشرة.

وأراد أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الاقتباس أن يشحذ الهمم، لعلمه بتأثير الأسلوب القرآني، فهو أقوى وأعمق في النفوس كيف لا، وقد ((بهر العرب رونقه وخلق ألبابهم جرسه ووقعه، وملك نفوسهم ما فيه من جمال اللفظ، وبراعة الصورة وسمو البيان وروعة الأداء))^(١).

إن هذا الأداء البديعي في اقتباس الآيات الكريمة، والمهارة في إحكام وضعها موضعاً ملائماً في الكلام، لهو دليل واضح على ملكة الخطيب وإلمامه بالمضمونات القرآنية، حتى نجدها قد ملأت قلبه، وانسابت على لسانه انسياباً. ومن الطبيعي أن تكون آيات القرآن الكريم ومعانيه ماثلة في ذهنه ووجدانه، وهذا ينم عن استيعابه وتذوقه للنص القرآني فإذا ما أراد شيئاً من القرآن لم يتكلفه بل يأتيه متى ما أراد.

فنسق العبارات مع استلهاها النص القرآني جاء منسباً على لسانه وتمازج مع خاطره، وما كان ذلك إلا عن تأثر بالقرآن الكريم الذي ((هو روح الفطرة اللغوية فيهم... إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم، واطلع على قلوبهم))^(٢).

(١) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام : ٥٤ .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٣٤ .



وإنّما كان كذلك حتّى يضيفي على كلامه طابع الفخامة والجزالة، والرّونق؛ لكي يشدّ المتلقّي إليه ويدعوه إلى التّواصل الفكري مع تراكيبه اللغويّة والقرآنيّة المكوّنة للنّص، ولاسيما إذا كانت الفقرات اللاحقة للنّص المقتبس هي كيان دلالي واحد كونه مقتبسًا من سورة واحدة، وبآياتها المتتالية المتناسقة.

الخاتمة ونتائج البحث

توصل الباحث إلى النتائج الآتية

- ١- شهد كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري مادة خصبة للدراسة لاسيما بما يتعلق بتراث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).
- ٢- وجد الباحث أن كلمات أمير المؤمنين (ع) قد أشربت بأسلوب القرآن الكريم سواء أكانت خطبا أم رسائل أم أقوالا.
- ٣- كان الإمام علي (ع) قد اتخذ من القرآن الكريم حجة دامغة على أعدائه ولذلك جاء بالآيات الكريمة ورضع بها كلامه .
- ٤- تنوع الأخذ من القرآن الكريم عند الإمام علي فمنه ما كان اقتباسا ومنه ما كان استشهادا ومنه ما كان تأثرا محاكيا .
- ٥- الموعظة الحسنة والنقاش بالحكمة كان ديدن أمير المؤمنين علي (ع) مع أعدائه المناوئين.



كشاف المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم .

١. أدب السياسة في العصر الأموي، الدكتور احمد محمد الحوفي، دار القلم، بيروت- لبنان، (د.ت) .

٢. أدب الموعدة، محمد إبراهيم الحمد (طبع ونشر مؤسسة الحرمين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ).

٣. أعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م .

٤. أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر، ط١، مكتبة النعمان، النجف الأشرف، ١٢٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٥. البنية اللغوية في النص الشعري : درس تطبيقي في ضوء علم الأسلوب، الدكتور محمد الدسوقي، ط١، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ٢٠٠١-٢٠٠٩م .

٦. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٦٩٠م .

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، الإمام محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسين الواسطي الزبيدي الحنفي، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٨. التبيان في تفسير القرآن : لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرستين الطبعة الأولى قم ١٤١٧هـ .



٩. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض و الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي والدكتور أحمد النجولي الجمل، قرّضه الدكتور عبد الحي القرمادي، ط٢، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت) .
١٠. تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، صححه لجنة من الأساتذة المختصين بإشراف الناشر، الطبعة الأولى، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣ - ١٩٩٢ م .
١١. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م).
١٢. الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ١٩٨٠م .
١٣. الخطابة العربية في عصرها الذهبي، إحسان النص، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م .
١٤. الخليل بن احمد الفراهيدي : أعماله ومنهجه، الدكتور مهدي المخزومي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .
١٥. الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، حسين بيضون، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م .
١٦. الرسائل الفنية في العصر الإسلامي: إلى نهاية العصر الأموي، غانم جواد رضا، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٤م .
١٧. الرسائل الفنية في العصر العباسي: حتى نهاية القرن الرابع الهجري، زينة عبد الجبار محمد المسعودي، ط١، هيئة إدارة واستثمار أموال الوقف السنوي، بغداد، ٢٠٠٩م .



١٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦هـ): تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٨هـ).
١٩. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، ط ٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٠. الصحاح: المسمى تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (توفي في حدود ٤٠٠هـ)، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، ط ١، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.
٢١. الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي الكليني (ت ٣٢٨هـ): تحقيق علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ).
٢٢. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي (د.ت).
٢٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، (د.ت).
٢٤. لسان العرب، لابن منظور جمال الدين بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ)، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ت).
٢٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.



٢٦. المفردات في غريب القرآن/ أبو القاسم الحسين بن محمد/ تحقيق: محمد سيد كيلاني / الناشر: دار المعرفة - لبنان/ د.ت
٢٧. المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين (ع): دراسة أسلوبية، إدريس طارق حسين، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٠م.
٢٨. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ): تحقيق السيد إبراهيم الميانجي، (منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٣هـ).
٢٩. النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي : دراسة تحليلية، الدكتورة مي يوسف خليف، دار بقاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).
٣٠. نهج البلاغة، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسين الموسوي، شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د.ت).
٣١. وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط ٣، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة بهم، قم، ١٤١٨هـ ق - ١٣٧٦هـ ش .

المسائل القضائية للإمام علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ / ٦٦١ م) في الحدود والقصاص دراسة، فقهية، قضائية، تاريخية، وصفية

أ.م.د. ياسين رشيد الزبياري
جامعة عقرة للعلوم التطبيقية - عقرة

الملخص:

يتضمن البحث مسائل قضائية للإمام علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ) وهذه الناحية هي من النواحي المهمة في حياته، فهو يعدّ من أفضى الصحابة، ويتناول البحث جوانب متعدّدة من الأفضية التي عرضت عليه، وتميّز بها من غيره من الصحابة، بمختلف الجوانب سواء عرضت عليه شخصياً، أم أنّه أصبح مستشاراً في تلك المسائل، ونظراً لشمولية معرفته بجميع القضايا فإنّه لم يكن مختصّاً بجانب معيّن بل كان فارساً لكلّ معضلة يعجز عنها غيره، بل إنّهُ ممّا امتاز به من غيره أنّه كان محقّقاً بارعاً يستطيع كشف الخفايا في القضايا المعقّدة والتي كانت تؤدّي إلى كوارث كبيرة، وشملت القضايا التي قضي فيها السياسية، والحربية، و الأحوال الشخصية، والعبادات، والجنايات، والعقائد، والأخلاق، وممّا امتاز به أنّه منح العلم اللدنيّ الكثير الكثير، ونظراً لشمولية الموضوع والالتزام بالضوابط المعيّنة فقد اخترنا نماذج معيّنة من تلك الأفضية التي تكون واقعية في مجتمعا المعاصر، في الحدود والجنايات، وهي حلول لكثير من المشاكل في حياتنا الحديثة، وهذا هو سرّ عظمة الإمام، إنّهُ يعيش في كلّ زمان.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي (ت ٤٠ هـ)، الحدود والقصاص، المسائل القضائية.



Abstract:

This research explores the judicial cases of Imam Ali bin Abi Talib (pbuh), a pivotal aspect of his life, as he is regarded as the most proficient judge among the Sahaba. The study examines various facets of the judicial rulings presented to him, in which he excelled beyond others—whether those cases were brought to him personally or when he served as a consultant on complex legal matters.

Due to his comprehensive knowledge, his expertise was not limited to a specific field; rather, he was the master of every dilemma that others found insurmountable. One of his most distinctive traits was his prowess as a brilliant investigator, capable of uncovering hidden truths in intricate cases that could have led to major catastrophes. His rulings spanned multiple domains, including politics, warfare, personal status, acts of worship (ibadat), felonies, creed, and ethics. A defining characteristic of his judgments was the profound "Divinely-inspired knowledge" (Al-Ilm al-Ladunni) he possessed.

Given the broad scope of the subject and adherence to research constraints, specific models of these judicial rulings—particularly in hudud (prescribed penalties) and felonies—were selected for their relevance to contemporary society. These rulings offer solutions to many modern-day challenges, revealing the secret of the Imam's greatness: his teachings remain timeless and applicable to every era.

Keywords: Imam Ali (PBUH), Hudud and Qisas (Prescribed Punishments and Retribution), Judicial Matters.



المقدمة :

العنوان :

يعدّ العنوان أمرًا رئيسًا في كلّ بحث، وكلّما كان العنوان مطابقًا للواقع والمضمون كان أنجح، وكم كتاب أهمل بسبب العنوان، وفيه معلومات غزيرة، وقد يقتني الشخص كتابًا بسبب العنوان، ولا يتحقق مراده الكتاب، وقد كان الإمام حريصًا على مصالح العباد، وتحقيق العدالة بين جميع الناس، وما كانت تأخذه في الله لومة لائم، و كان هدفه نصرّة المظلومين، وأن يعيش الناس حياة هانئة سعيدة، وبما أنّ القضاء في الحدود والجنايات والحفاظ على الأرواح والممتلكات من أهمّ واجبات الحاكم، لذا اخترت عنوان بحثي : (المسائل القضائية في الحدود والقصاص).

أهمية الموضوع :

إن في الأمة الإسلامية أشخاصًا يحقّ لنا أن نفتخر بهم، ومنهم من كانت حياته شموليّة في جميع نواحيها، في الزمن الذي عرف التخصص، ومع ذلك فهيئات أن يصلوا إلى أجزاء يسيرة من علمهم ومعرفتهم، ومن هؤلاء الموسوعيّين نقيبهم الإمام عليّ (عليه السلام)، ولقد خصّ الأمة ببرنامج للحياة، تجعل البشريّة سعداء لا يعتدي أحد على الآخر، وبحثنا هذا جزء من تلك المناهج في القضاء والعدالة .

نقد المصادر: من طريق مراجعتنا للمصادر ذات العلاقة، لم نعر على مصدر مستقلّ شامل لجميع شؤون حياة الإمام العلميّة في القضاء، وإن وُجِدَتْ فإنّها ذات محدوديّة خاصّة، لذا كان عملنا جمعًا للمعلومات من هنا وهناك، وكانت المصادر التي استفدنا منها: القرآن الكريم، وتفسيره، والسنة النبويّة، وكتب الفقه، والتاريخ .

عرض الموضوع: تطرّق البحث إلى الأمور الجنسيّة، من الزنا، واللواط، ثمّ إلى حالات السرقة، وكيفية كشف السارق، وإلى الحدود والجنايات، وكيفية الحفاظ على



الأرواح البشرية، وطرق كشف القتال، مما لم يتوصل إليها غيره من المحققين، والتي هي مصدر فخر للأمة، وكان لا يجامل على حساب الحقّ أحدًا، مهما كان منصبه في الدولة، فقد كان فوق الجميع بعلمه، وجرأته، والتزامه بالحقّ، وتكوّن البحث من مقدمة، وموضوعات قضائية، وخاتمة ذكرنا فيها أهمّ النتائج التي توصلنا إليها، والتوصيات التي نوصي بها للاستفادة من البحث وحلّ كثير من مشاكل المجتمع، ومما عزز البحث ذكر أكثر من خمسين علمًا من مشاهير القضاة والفقهاء والعلماء من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وغيرهم من أعلام الأمة، واعتمد البحث على أكثر من خمسين مصدرًا ومرجعًا، وكانت الإحالات أكثر من مائة إحالة.

أولاً - أفضية في الأمور الجنسيّة:

١ - قضاء في الزانية الحامل:

من الأفضية التي قضى فيها الإمام عليّ (ع) أنّه أتى إلى الخليفة عمّار بن الخطّاب بن نفيل القرشيّ العدويّ، (ت ٢٣هـ) بامرأة محصنة قد اتّهمت بالزنا، وبعد التحقيق أكّد الأمر، فأمر برجمها، وكان في المجلس الإمام عليّ وتدخّل في الأمر، وسأل عن حالها هل تحمل جنينًا في بطنها أم لا، ولما اتّضح أنّها حامل، قال الإمام قوله المشهورة: ((هب أنّ لك سبيلاً عليها، فما ذنب ما في بطنها))، واستدلّ بالآية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، واعترف عمر بما رآه من مجانبة الصواب فقال قوله المشهورة: ((لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن))، ثمّ استفسر عن المخرج، فأشار عليّ (ع) : ثمّ قال: فما أصنع بها؟ فأشار إلى الانتظار في الأمر، حتّى الولادة، وبعد الولادة، حتّى تجد من يكفل الولد، ثمّ تنفّذ العقوبة^(١).

وهنا إشارة إلى حقوق الطفل في الإسلام، فيعامل معاملة اعتياديّة؛ لأنّه لا

(١) ينظر: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام: ٥ / ٤٣٨، نقلا من الإرشاد: ١٠٩.



ذنب له، ومّا جاء في حقّه ما ذكره البخاريّ، أنّه يجوز أن يكون إمامًا في الصلاة، استدلالًا بقول النبيّ صلى الله عليه وآله: ((يُؤْمَهُمْ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ))^(١).

والنصّ عامّ يشمل الجميع مادام متفوقًا على غيره في قراءة القرآن الكريم، ومن الحقوق أنّه لا يجوز أن يعيّره أحد بهذه الصفة، وما في معناها، وإن قذفه فعليه الحدّ عند المالكيّة، وهو ضربه ثمانين جلدة، وعند الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ)، والإمام الشافعيّ محمد بن إدريس بن العباس (ت ٢٠٤ هـ)، لا حدّ عليه^(٢)، وعند أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) من الحنفية، يعدّ قذفًا^(٣).

فننظر هنا إلى عظمة الإسلام، بأنّ كلّ إنسان يحاسب على عمله، وبقدر ما يعمل في حياته الذاتيّة، بعيدًا عن الجوانب الأخرى التي لا دخل له فيها، وهنا تحفيز للعمل الصالح، ومداراة للحالة النفسيّة، والأخذ بجوانب العطاء والإبداع من الشخص ذاته، خدمة للصالح العامّ.

٢ - قضاء في امرأة مات ابنها :

من الأفضية التي قضى فيها الإمام، المشهودة له بإقامة العدل بغض النظر عن المقابل، والمتهم، سواء كان قريبًا، أم مسؤولًا، أم رئيسًا، وفي هذا روي أنّ الخليفة سمع بامرأة تجمع الرجال في بيتها، ولما أحضرت أمام الخليفة خافت كثيرًا، و أملت، و وقعت على الأرض وسقط ولدها، واستهلّ صارخًا ثم مات، وفي هذا جمع الخليفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و طلب منهم القضاء في القضية، و هنا إشارة إلى مبدأ خضوع الخليفة لما يراه أهل الحلّ والعقد، وعدم التعنّت في القضايا التي لها حقوق

(١) صحيح البخاري: ١ / ٢٤٥ .

(٢) ينظر: عُيُونُ الْمَسَائِلِ: ٤٦٦ .

(٣) ينظر: درر الحكام شرح غرر الأحكام: ٧١ / ٢ .



الناس، فكان الرأي من بعضهم أنه لا يترتب عليه شيء؛ لأنه في مقام التأديب، وكان من بين الجالسين الإمام، وهو ساكت، فأحسَّ عمر أن له رأياً مخالفاً لما رآوه، فطلب منه بيان رأيه، فأجابه الإمام بأنه قد سمعت القوم، فأقسم الخليفة أن يسمع رأيه، فأجاب بكل صراحة دون مجاملة للجميع قائلاً: إن كان القوم قاربوك، فقد غشوك، وإن كانوا ارتأوا فقد قصروا الدية على عاقلتك، وعلل الإمام ذلك بأن قتل الصبي من باب الخطأ منك، واعترف الخليفة بذلك، وأمر بإجراء الدية على بني عدي^(١).

ومن أقوال الفقهاء في هذا ما ذكره الباجي سليمان بن خلف بن سعد (ت ٤٧٤ هـ) أنه إذا رفع إنسان سيفاً على أحد ومات من الخوف فجأة، فقال محمد، وابن القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن خالد (ت ١٩١ هـ)، وابن حبيب عبد الملك بن حبيب بن سليمان (ت ٢٣٨ هـ) المشهور بابن حبيب من المالكية، وابن الماجشون عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله من المالكية (ت ٢١٢ هـ)، و فقيه أهل المدينة بعد الإمام مالك المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث (ت ١٨٦ هـ)، إن تمادى بالإشارة، وهو يقر فطلبه حتى مات فعليه القصاص، وإن عفا أهل المقتول فعليه الدية^(٢)، وفي رأي الشيخ عبد الباقي بن عبد المجيد (ت ٧٤٣ هـ) أنه لو رمى إنسان حيّة على شخص وهي على قيد الحياة، ويعلم الملقى أنها قاتلة فمات الملقى عليه من الخوف فإن الملقى يقتل قصاصاً، وإن كانت غير قاتلة بل رماها على وجه اللعب فلا يقتل به وكذلك يرى الشبراخيتي - خلافاً للشيخ داود - أنه يعتبر خطأً، ولا يقتل به^(٣).

ونرى أن مفارقة الحياة سواء كان بالقتل العمد، أو الخطأ، أو غير ذلك كالسبب

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام: ٥ / ٤٣٨، نقلاً من الإرشاد: ١١٠ .

(٢) ينظر: المختصر الفقهي: ٩ / ٥٣٢ .

(٣) ينظر: لوامع الدرر في هتك أستار المختصر: ١٣ / ٣٦ .



هو قتل، ولا ينبغي أن يهدر دم الميت في ذلك، وهذا جزء من مكانة الإنسان في الإسلام، وبالإضافة يعتبر تحذيراً لكل من تسوّل له نفسه، العبث بمشاعر الناس، أو القيام بتصرفات قد تكون من هوية بعض الناس أحياناً، ثم يقول كنت أمأزح، ولقد كان الإمام على بصيرة وبعد نظر لكل زمان، ومكان، والإطلاع على أصناف البشر .

٣ - قضاء في زانية لها ولد عمره ستة أشهر :

لقد اهتم الإسلام بحقوق الطفل ورعايته منذ طفولته حتّى بلوغه، بغضّ النظر عن حال الوالدين من الخير والشر، وفي هذا وردت مسألة قضائية أنّ امرأة حُكِمَ عليها بالرجم، فأُتي بها إلى الخليفة عثمان بن عفّان بن أبي العاص (ت ٣٥ هـ)، وكانت تُرضع ولداً لها قد بلغ السادسة من عمره، وقبل ذلك طلب من الإمام الفصل في ذلك، فكان قضاؤه إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، ألم تعلم بقول الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فإذا أكملت المرأة الرضاعة سنتين، وكان حملها وفساله ثلاثين شهراً، كان الحمل منها ستة أشهر، فكان القرار بإخلاء سبيل المرأة حتّى انتهاء المدّة^(١)، وقد سار القضاة على هذا الحكم إلى الحاضر .

يتّضح من قرار الإمام مدى حرصه على مصلحة الطفل، وحمایته من الأخطار التي تلحق به من دون أمّه، ومن ناحية أخرى مراعاة الحالة النفسية للمرأة بفقدان ولدها الرضيع، وعندما تنتقل إلى الحياة الأخرى تكون قد اطمأنت ولو لفترة قصيرة بعيشها مع ولدها الذي لا ذنب له، بمخالفة غيره .

(١) ينظر: تاريخ المدينة: ٣ / ٩٧٨ والإرشاد: ١١٠ .



٤ - قضاء في الجمع بين الجلد والرجم:

لقد امتاز الإمام ببصيرة فذة، وبعد نظر، وتأمل في كتاب الله لم يصل إليه غيره، وفي هذا عرضت عليه مسألة زانية متزوجة، وبعد توفر كل الدلائل، قضى فيها بضرها مائة جلدة في يوم الخميس، وقضى فيها بالرجم يوم الجمعة، واستغرب الناس ذلك، فأعلمهم بسر ذلك، فقال: ((جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله))^(١)، فتوارد على ذلك الجمع بين الجلد والرجم، ووجب العمل بذلك .

ومن خلال مراجعة المصادر ذات العلاقة ذكر الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي (ت ٣٧٠هـ) : اتَّفَقَ فقهاء الأمصار على أنَّ المحصن - وهو المتزوج الذي زنى - يُرجم ولا يُجلد، واستدلوا على ذلك بعمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره في قصة عسيف برجم امرأته التي ثبتت عليها الفحشاء فقط دون الرجم، وكذلك في قصة ماعز^(٢) . وأما الاقتصار على الرجم فهو مروى عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، و عبد الله بن مسعود بن غافل (ت ٣٢هـ)، وبه قال إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي (ت ٩٦هـ)، وإبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزُّهري (ت ١٨٤هـ)، و عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد الأوزاعي (ت ١٥٧هـ)، والإمام مالك بن أنس بن مالك (ت ١٧٩هـ)، و الإمام الشافعي، والفقهاء صالح بن إسحاق (ت ٢٢٥هـ)، وأبو نُور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت ٢٤٠هـ) المشهور بإمام الدنيا في زمانه، وأصحاب الرأي، ونقل عن المحدث الأثرم أحمد بن محمد بن هانئ الطائي (ت ٢٦١هـ)، و شيخ الإسلام أبي النضر محمد بن محمد بن يوسف الشافعي (ت ٣٤٤هـ)، والقاضي أحمد بن كامل بن خلف ابن منصور الشَّجَرِي (ت ٣٥٠هـ) أنه يُرجم، ولا يُجلد^(٣) .

(١) صحيح البخاري: ٦ / ٢٤٩٨، و مسند ابن الجعد: ٨٦، و صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة: ٤ / ٤١ .

(٢) ينظر: أحكام القرآن: ٣ / ٣٣٥ .

(٣) ينظر: المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين: ٢ / ٣١٣، و دَرْجُ الدَّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ: ٢ / ٥٧٩ .



ومن الذين قالوا بالرجم والجلد، أبيّ بن كعب بن قيس (ت ٢١ هـ)، وأبو ذرّ الغفاريّ جندب بن جنادة بن سفيان (ت ٣٢ هـ)، و عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب (ت ٦٨ هـ)، والفقيه إسحاق بن إبراهيم بن هانئ (ت ٢٧٥ هـ)، واختيار الجصاص أحمد بن عليّ الرّازي، من كبار علماء الحنفيّة (ت ٣٧٠ هـ)، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، وهو مرويّ عن عليّ بن أبي طالب (١)، واستدلّوا على هذا بقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، فأوجب على الزانية والزاني جلد مائة، ولم يفرّق بين البكر والثيب، فروى عبادة بن الصامت أنّ النبيّ ﷺ قال: ((خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)) (٢)، واستدلّوا أيضاً بعمل الإمام عليّ (عليه السلام). وأفهم من ذلك أنّ العقوبة تكون نفسية قبل الحكم بالموت، ونرى أنّ الإمام كان حريصاً على تنفيذ الحكم الشرعيّ بصورته الحقيقية، والالتزام الكامل بمضمون الشرع الحنيف .

٥ - قضاء في اللواط:

من المخالفات الشرعية التي يرتكبها بعض الناس من الشذوذ الجنسيّ هي اللواط، فقد وصل الأمر إلى تأليف كتب مستقلة في هذا العمل ومنها: (ذمّ اللواط، من تأليف محمّد بن الحسين بن عبد الله الأجرّيّ البغداديّ ت ٣٦٠ هـ)، و من الألفاظ ذات العلاقة كلمة: (العفج): فعُلّ الرّجل بالغلام، يعني اللواط (٣).

(١) ينظر: المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين: ٢ / ٣١٣، و درج الدرّ في تفسير الآي والسور: ٢ / ٥٧٩ .

(٢) صحيح مسلم: ٣ / ١٣١٦ .

(٣) ينظر: المتجدد في اللغة: ٢٦٧ .



و في هذا عُرِضَتْ قَضِيَّةٌ عَلَى الْإِمَامِ، فَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالرَّجْمِ^(١)، وَأَخَذَ بِهَذَا يَزِيدُ بْنُ مَذْكَورٍ، وَهُوَ أَحَدُ الرُّوَاةِ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع)، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنٍ (ت ٩٤هـ)، أَنْ يَرْجَمَ مِنْ فِعْلِ هَذَا سِوَاءَ كَانِ مُحَصَّنًا أَمْ غَيْرَ مُحَصَّنٍ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ يَرْجَمُ إِنْ كَانَ مُحَصَّنًا قِيَاسًا عَلَى الزَّانِي الْمُحَصَّنِ^(٢)، وَمِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى عَقُوبَةِ اللُّوَاطِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَتَيْنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، تَقْطَعُونَ سَبِيلَ الْوَلَدِ بِتَعْطِيلِكُمُ النِّسَاءِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ أَي: فِي مَجَالِسِكُمْ^(٣)، وَاسْتَدَلُّوا كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦]، وَحَدَّثَ اللُّوَاطُ كَحَدِّ الزَّانِي، وَرَبَّمَا كَانَ أَشَدَّ مِنَ الرَّجْمِ لِيَصِلَ إِلَى الْإِحْرَاقِ، وَالْقَتْلِ^(٤)، وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: ((مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ، مَنْ عَمَلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ))^(٥)، وَلَقَدْ قَضَى الْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ بِالْحَرْقِ بِالنَّارِ بَارْتِكَابِ اللُّوَاطِ فِي الْفَجَاءَةِ الْأَسْلَمِيَّةِ، وَاسْمُهُ إِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٦).

ثانيا- أفضية في القتل والجروح :

١- قضاء في الجروح:

من الأفضية التي عالجها الإمام قضاء في الجروح ومنها قضاء في السمحاق،

(١) ينظر: كتاب الأم: ٧ / ١٩٣، و ذم اللواط: ٢٨ .

(٢) ينظر: كتاب الأم: ٧ / ١٩٣ .

(٣) ينظر: معاني القرآن: ٢ / ٣١٦ .

(٤) ينظر: الرسائل الأدبية: ٢٣ .

(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ٢ / ٥٦٥ .

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٢ / ٥٢٣ .



والسّمحاق: تعني الجرح الذي أزال الجلد، و وصل الى القشرة الرقيقة بين العظم واللحم، وقد ذكر الأصمعيّ عبد الملك بن قريب بن علي (ت ٢١٦ هـ) أنّها تعني القشرة الرقيقة، وكلّ جلدة رقيقة تسمّى سمحاق^(١)، ولقد عرضت قضية جرح من هذا القبيل على الإمام عليّ عليه السلام فكان قضاؤه شاملاً بدفع أربع من الإبل للمجروح، ولكن لم يظهر في الرواية مكان الجرح، فقد يكون في موضع يلحق الضرر الكبير بصاحبه، وهذا المصطلح أيضاً في الشريعة يسمّى الإرش، أي التعويض^(٢)، ومن أقضية الإمام عليّ في السمحاق أربع مائة^(٣)، ومن القائلين بهذا الرأي زيد بن ثابت^(٤). نفهم من هذا حرص الإمام على حقوق الناس من حيث الجروح والتي يغفل عنها كثير من الناس .

٢- قضاء في قاتلٍ مخمور:

من الأقضية التي تحتاج إلى المتابعة والاهتمام، مسألة القتل إذا كان القاتل مخموراً، وهنا قد يتعلّل كثير من الناس بهذا و يجعلوها ذريعة للتخلّص من العقوبة، ولا سيّما ما يحدث في هذا من حوادث السيارات حينما يكون القاتل في حالة سكر، ونظراً لبعده نظر الإمام في الحفاظ على حقوق الناس، فإنّه أقام الحدّ وحقق العدالة، فمن قضاء الإمام، بعدما اجتمع الصحابة في عهد الخليفة عمر، وقد اشتكى خالد بن الوليد بن المغيرة (ت ٢١ هـ)، أنّ الناس قد انهمكوا في شرب الخمر، فكان القضاء أن يعامل السكران معاملة الواعي، زجرًا له وحفاظاً على حقوق الناس، وكذلك لبيتعد الناس عن شرب الخمر، فقد يكون متعلّلاً بذلك بحجّة السكر ليسلم

(١) ينظر: غريب الحديث: ٢ / ٤٣٤ .

(٢) ينظر: نوار الفقهاء: ١ / ٢١٣، والمصنف، الصنعاني: ٩ / ٤٧ .

(٣) مسند ابن الجعد: ٣٤٣ .

(٤) المصنف، الصنعاني: ٩ / ٤١ .



من العقوبة، أو تخفف عليه^(١)، وفي هذا ما صرح به أصحاب المذهب الشافعي أن حكم السكران هو حكم الواعي، وأضافوا، أنه لو أن سكراناً ارتد في حال سكره، أو أقر به، فيقتل وجوباً، وكذلك، لو زنى، أو أقر به لوجب عليه الحد، ولكن لا يقتل، ولا يحد حتى يفيق فيعرض عليه الإسلام، إذا كان قد ارتد^(٢)، وفي رأي أبي عبد الله ابن حامد أن حكم السكران حكم الصّاحي، فيما له وفيما عليه، وأشار إلى ذلك الإمام أحمد ابن حنبل^(٣).

٣- قضاء في من حفر حفرة ووقع فيها أناس:

حينما كان الإمام قاضياً على اليمن في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثت حادثة حفر حفرة من قبل شخص للإمسك بالأسد الذي كان يهاجم القرية، و وقع الأسد في الحفرة وتجمهر الناس حول الحفرة؛ للنظر إلى الأسد، وهنا حدثت حالة وقوع شخص في الحفرة، فتمسك بآخر، وهو تمسك بآخر، وتمسك غيره به، فأصبحوا أربعة، وأصبحوا فريسة الأسد، ووصلت القضية إلى القاضي الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعدما أوشك القتال أن يقع بين الناس و صدر الأمر القضائي أن يكون للأول ربع الدية، و ثلث الدية، للثاني، وللثالث نصف الدية، وللرابع الدية، وأن يتحمل الدية من قام بالحفر، واعترض بعض الناس على الإجراء القضائي، وهنا حدثت حالة محكمة الاستئناف؛ إذ لم يعترض القاضي على ذلك، فذهبوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باعتباره صاحب القضاء الأعلى فعرضوا قضيتهم عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال أحدهم لقد قضى فينا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان القرار القضائي الذي قضى به كذا، فأقره النبي بقوله: ((القضاء كما قضى علي))^(٤).

(١) ينظر: شرح زاد المستقنع: ٣٥٣ / ١٣ .

(٢) ينظر: التهذيب في فقه الإمام الشافعي: ٢٩٤ / ٧ .

(٣) ينظر: المغني: ٣٤٨ / ١٠ .

(٤) ينظر: مسند أبي داود: ١ / ١٠٩، والجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ١٦٢ .



٤ - قضاء في كشف القاتل :

يعتبر كشف الحقيقة من الأمور المعقّدة، وتحتاج إلى أصحاب الفراسة، ولا سيما إن كان المجرم متمرّساً على الجريمة، وفي هذا الإطار عرضت مسألة قضائية معقّدة على الإمام عليّ عليه السلام، ومن ذلك اتهام قصاب بالقتل لوجود قرائن، وذلك أنّه خرج مبكّراً إلى المجزرة، وبعد العودة إلى منزله، وبيده السكين الحاد، والدماء على ثيابه، واضطرّ لقضاء حاجته فدخل خربة، ورأى مقتولاً في الطريق، فوقف حوله وهو على هذه الحال حضر أناس على المقتول، فاتهم بالقتل وأخذوه إلى القضاء مع رجل آخر، وعند التحقيق في القضية دوّنت أقوالهم، أمّا القصاب فقد قال الناس: إنّ القاتل وليس سواه، فاعترف بذلك، وأمّا الثاني فقد اعترف أيضاً بالقتل، فسأله كيف كانت قصّتك فأجاب: خرجت صباحاً ورأيت المقتول فاخفيت، حتّى أتت الشرطة فأخذوا هذا الرجل فلمّا أمرت بقتله، قلت سأتحمّل دم هذا أمام الله فاعترفت بالقتل، وقبل أن يقضي الإمام عليّ في القضية قال لابنه الحسن (ت ٥٠ هـ): ما الحكم في هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفساً فقد أحيانا نفساً، وفي رواية: هذا القول لعمر بن الخطاب، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فخلّى القاضي عليّ، وأخرج دية القتل من بيت المال. فهو: قضاء الحسن عليه السلام بين يدي أبيه عليه السلام (١).

٥ - قضاء في قتل العريس ليلة الزفاف :

تعدّ حالات القضاء في القتل وكشف القاتل من أصعب المحاكمات، وقد لا يكشف ذلك إلّا بعد سنوات عدّة، وفي هذا المضمّن حدثت حالة قتل عرضت على الإمام، وذلك أنّ امرأة تزوّجت، وكانت على علاقة مع شخص غير زوجها المعقود له عليها، فلمّا كانت ليلة زفافها، أدخلت صديقها الحجلة سرّاً، والحجلة: بيت يزين بالحلل

(١) ينظر: بغية المقتصد: ١٦ / ٩٦٠٣، والطرق الحكمية: ١ / ١٠٩.



والأثواب للعروس^(١)، واختبأ عشيق العروس في الخيمة، وحينما دخل العريس وثب عليه صديق العروس واقتتلا، وقتل الزوج العشيق، وقتلت الزوجة زوجها ثأراً عشيقها، وعرض الأمر على القضاء، فكان القرار القضائي، أن تدفع المرأة دية الصديق، ثم تقتل بقتلها للزوج، ويعلل العلماء هذا الحكم بدفع دية الصديق؛ لأنها هي التي حرّضته على القتل، وأمّا قتلها بالزوج؛ لأنها كانت هي السبب في القتل، وكانت أولى بالضمان من الزوج المباشر قتله؛ لأنّ المباشر قتله قتلاً مأذوناً فيه، دفعاً عن حرّمته. فهذا من أحسن القضاء الذي لا يهتدي إليه كثير من الفقهاء، وهو الصواب^(٢).

٦ - قضاء في من أمسك رجلاً وقتله آخر وآخر ينظر إليه:

لقد وضع الإسلام قواعد أساسية للحدّ من القتل، ووضع ضوابط على من أعان على ذلك، وفي هذا المضمّار عرضت قضية على الإمام، ذلك أنّ شخصاً أراد قتل رجل، ففرّ المطلوب، فأمسكه آخر، حتّى ظفر به الذي يريد قتله، فقتله، وبقره رجل آخر ينظر إليهما، وهو يقدر على تخليصه، ولكنه لم يفعل، وتمّ القتل، فكان قرار الإمام في هؤلاء: قتل القاتل، والسجن المؤبّد حتّى الموت لمن أمسك بالهارب، وتفقأ عين الناظر الذي تفرّج على العمليّة من دون أن يعين أخاه، ومن دون إنكار^(٣).

عند مناقشة هذا الأمر والوقوف على فلسفته نرى أنّ الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أهل العلم، قد ذهبوا إلى هذا الإجراء، إلّا في فقاً عين الناظر، ويرى العلماء أنّ ذلك كان من باب التعزير الذي فرضه الإمام على ذلك، وكان ذلك مصلحة للأمة لكي يقوم الناس بمساعدة المظلوم من الظالم^(٤).

(١) ينظر: مختار الصحاح: ١٢٤.

(٢) ينظر: الطرق الحكمية: ١٢٦، و التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي: ١ / ٤٨٠.

(٣) ينظر: الطرق الحكمية: ١٣٦.

(٤) ينظر: م. ن. ١٢٨.



٧- قضاء في مَنْ أمسك بإنسان، وقتله آخر:

من المسائل القضائية التي قضى فيها الإمام عليّ (عليه السلام) حالة إمساك إنسان لإنسان كأن يكون هارباً أو غيره وقتله آخر، وفي هذه الحالة قضى الإمام بقتل القاتل؛ لأنّه هو القاتل الفعلي، وأمّا الآخر فقد حكم عليه بالحبس حتّى الموت، وقياساً على هذه الحالة لو أنّ شخصاً أمسك بشخص والآخر سقاه سمّاً ينطبق عليهما الحكم نفسه^(١).

ويظهر من هذا أنّ الحكم المؤبّد قد نفّذه الإمام عليّ (عليه السلام)، وذكر الإمام مالك أنّه لو أمسك إنسان شخصاً لآخر، وهو يعلم أنّ الطالب يريد قتله، فحكمه أن يقتل معاً، وإن كان يظنّ أنّه لا يريد قتله بل تخويفه أو لطلب آخر، فيقتل القاتل، وأمّا الممسك، فيُعاقب بأشدّ العقوبة، مع سجن سنة^(٢).

٨- قضاء في دية من مات في الزحام:

من الأقضية التي قضى بها الإمام، ما يحدث كثيراً في حالات متعدّدة من الازدحام والتدافع بين الناس، في مختلف الأمكنة والأزمنة والمناسبات، وفي هذه الحالة قد لا يُعرف من هو المعتدي، وأسباب ذلك التدافع، وفي هذا عرضت حادثة قتل بسبب الازدحام الذي حصل في المسجد، في عهد الإمام عليّ (عليه السلام)، ففي رواية يزيد بن مذكور أنّ الإمام قد قضى بدفع دية المقتول من بيت المال^(٣).

يظهر من هذا بعد نظر الإمام في الحفاظ على حقوق الناس، بأنّ تتكفّل الدولة دية من مات في الظروف الغامضة، التي لا يُعرف فاعلها، ومن ناحية أخرى مدى حرص الإمام على عدم جرح مشاعر الناس، وتوبيخهم للقيام بذلك العمل الذي لا

(١) ينظر: المبدع في شرح المقنع: ٧ / ٢٠٧، وكشاف القناع: ٥ / ٥١٩.

(٢) ينظر: التاج والإكليل لمختصر خليل: ٨ / ٣٠٦.

(٣) ينظر: شرح مشكاة الآثار: ١١ / ٥١١.



يكون مقصودًا، و نفهم من هذا أيضًا حالة التأمين الدولي لأفراد الشعب، بأن كل الأفراد هم تحت تأمين الدولة، بخلاف ما نرى من شركات التأمين في هذا الزمان، التي لا يُعرف ما يحلّ بتلك الأموال الفائضة من الشركات، وكيف يُتصرف بها .

ثالثًا- أفضية في السرقة:

١- قضاء في السرقة:

من الأفضية التي قضى بها الإمام قضاء السرقة، ومن الأمر العجيب في تأثير الإيمان في قلوب الناس أن المذنب يأتي بنفسه إلى العدالة و يعلم بالعقوبة، ولكنه يفضل عقوبة الدنيا على الآخرة، وفي هذا جاء رجل إلى الإمام ليقضي فيه عن قيامه بالسرقة، ومن رحمة الإمام بالناس ولو كانوا مذنبين، رده وأراد أن يتراجع عن قوله، ولكنه في المرة الثانية اعترف بنفسه أنه سارق، فقال له الإمام القاضي: شهدت على نفسك مرتين، فحكم عليه بقطع يده^(١)، وفي رأي ينبغي الاعتراف أربع مرّات، واعترض عليهم بعمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أمر أنيسًا الأسلميّ برفع امرأة عندما اعترفت بالزنا، ولم يطلب منها أربع شهادات^(٢).

٢- قضاء في كشف السارق:

من الأفضية التي وردت إلى الإمام، حينما كان في مجلس القضاء، إذ حدثت ضجة، ولما استفسر من ذلك قالوا: حادثة سرقة، بالجرم المشهود، فأمر بالحضور أمامه، فشهد شاهدان ضدّ السارق، بأنه سرق درعًا، وبكى السارق وطلب التثبت في ذلك، فهدهما الإمام بالأمر بالصدق في شهادتهما، لكنهما أصرا على الشهادة، ولما يئس القاضي من تراجع الشاهدين عن شهادتهما، وكانما شعر القاضي بأثهما

(١) ينظر: كتاب الأم: ٧/ ١٩٣، و صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة: ٤/ ٩٦ .

(٢) كتاب الأم: ٧/ ١٩٣ .



شاهدا زور، أصدر قراره بقوله: يُمَسِّكُ أَحَدُكُمْ يَدَهُ وَيَقْطَعُ الْآخَرَ، وفي هذه الحال تقدّم الشاهدان لقطع يد السارق، وهاج الناس، واختلط بعضهم ببعض، وقام الإمام من مكانه، وترك الشاهدان يد السارق، وهربا، وطلب القاضي للحاق بالشاهدين، ولكن لم يعثر عليهما، وخلّى القاضي سبيل المتهمم بالسرقة^(١).

من هنا تظهر فراسة القاضي، وكيفية كشف الحقيقة، فلذلك جاء في تنفيذ العقوبة أنّ الشاهد هو من يبدأ بالتنفيذ للتأكد من ذلك .

٤- قضاء في عقوبة شارب الخمر:

من الأقضية التي قضى بها الإمام عليّ (عليه السلام) حكم شارب الخمر، وفي هذا ورد أنّه ضربه ثمانين جلدة، وفي هذا روى أسامة بن زيد بن حارثة (ت ٥٤ هـ) أنّه في زمن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أتى بشاب قد شرب الخمر، فكان الناس يضربونه بما في أيديهم، فُضِرَ بمختلف الآلات، والنبيّ (صلى الله عليه وآله) حتى عليه التراب، وفي خلافة أبي بكر، كان يضرب شارب الخمر أربعين سوطاً، ولما كان في زمن الخليفة عمر قد اشتكى خالد من انتشار ذلك وقال: لقد انهمكوا في شرب الخمر، وأسند القضاء في ذلك من المهاجرين والأنصار إلى الإمام عليّ (عليه السلام) فجعل الحدّ ثمانين جلدة، ولما سألوه عن ذلك أجاب الإمام: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا شَرِبَ افْتَرَى فَأَرَى أَنْ يَجْعَلَهُ كَحَدِّ الْفَرِيَةِ، أي إذا أصبح سكراناً سيفقد الوعي، وسيفتري على الناس فجعل حدّه كحدّ القذف^(٢).

(١) ينظر: الطرق الحكمية: ٥٩ .

(٢) ينظر: سنن أبي داود: ٤ / ١٦٦، بحر المذهب: ١٠ / ٢٤٩ .



الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمّد، وعلى آله الطاهرين، وبعد، فبعد هذه الرحلة العلميّة المباركة، مع أعلم الصحابة، وأقضاهم، وهو الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَام)، الذي ملأ الدنيا بعلمه، وشجاعته، وفدائه من أجل الرسول محمّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، في أشرف مهنة وهي القضاء، وكانت رحلة شيّقة، وأوقاتاً سعيدة، كنّا في غاية الفرح، و السرور، والتلذذ، والتزوّد بالغذاء الروحيّ، ولقد توصلنا إلى نتائج كثيرة، ومنها:

- ١- أنّ الله قد أعطاه علماً و فراسة، و العلم اللدنيّ الربانيّ .
- ٢- و ما كتب قلم يكتب عن شخص مثله، ومّا كتب عن مآثره: حروبه، وفضائله، ونسبه، و تزويجه من أشرف بنت، و أشرف أب لزوجته، و حبه، و ما نزل فيه من القرآن، و خطبه، و خلافته، و ولاته، و روايته للحديث، و مواعظه، و كلامه في الملاحم، و ما قيل فيه من شعر و مدح، و علمه، و لباسه، و شرابه، و صفته، و أدبه، و ما روي عنه من أحكام الجنائيات، و الديّات، و الحدود، و الطهارة، و الصلاة، و الزكاة، و الصدقة، و الكرم إلى حدود المخمصة، و التفاني في خدمة الناس و الفقراء، و استشهاده .
- ٢- الأفضية التي حكم فيها لم يحكم فيها قبله أحد .
- ٣- الفراسة التي تمتّع بها في كشف الجريمة نادرة من النوادر للشخصيات العالميّة في علم النفس .
- ٤- تنفيذ التوصيات القرآنيّة في العلاقة و الصداقة و الأخوة الإسلاميّة بحذافيرها، بعيداً عن التعصّب للمنصب، و العائلة، و المال، بحسب ما جاء في الآية الكريمة ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ﴾ [الفتح: ٢٩] .



التوصيات:

من خلال الدراسة المستفيضة عن شخصية عالمية مثل هذا الإمام، نوصي بما يأتي:

- ١- جعل منهج الإمام عليّ عليه السلام نبراساً للأمة .
- ٢- نضع هذه القضية أمام أنظار القضاة، ورؤساء العشائر، الذين يجعلون من شعارات حبّ الإمام طريقاً لحلّ النزاعات، ولكنهم بغير منهج الإمام يحكمون، فتكون دماء المظلومين رخيصة، لقاء وجاهاتهم الدنيوية .
- ٣- نوصي أن تكون أقضية الإمام علي ومنهجه في الحياة منهجاً دراسياً في جميع المراحل الدراسية .

المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، أحمد بن علي الرَّازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م .
٢. الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود الموصلي (ت ٦٨٣هـ)، تعليق: محمود أبو دقيقة، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧ م .
٣. الإقناع في مسائل الإجماع، علي بن محمد بن عبد الملك ابن القَطَّان (ت ٦٢٨هـ)، تح: حسن فوزي الصعيدي، الفاروق للطباعة، ط ١، ٢٠٠٤ م .
٤. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحارث بن أبي أسامة (ت ٢٨٢هـ)، تح: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٩٢ م .
٥. بغية المقتصد شرح بداية المجتهد، محمد بن أحمد الأندلسي ابن رُشد (ت ٥٩٥هـ)، شرح: محمد بن حمود الوائلي، دار ابن حزم، بيروت ط ١، ٢٠١٩ م .
٦. التاج و الإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف الغرناطي المالكي (ت ٨٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م .
٧. تاريخ المدينة، عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ)، تح: فهيم محمد شلتوت، جدة، (د.ط)، ١٣٩٩ هـ .
٨. التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت .
٩. التهذيب في فقه الإمام الشافعي، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء (ت ٥١٠هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م .



١٠. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٦٤ م.
١١. خطب ودروس الشيخ عبد الرحيم الطحان، جمع وإعداد: أبو عبد الرحمن المحروسي (١٤٣١ هـ).
١٢. دَرْجُ الدَّرْرِ فِي تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّورِ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تح: (الفاتحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحُسَيْنِ، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياذ عبد اللطيف القيسي، ط ١، ٢٠٠٨ م.
١٣. درر الأحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز (ت ٨٨٥ هـ)، وبهامشه حاشية: «غنية ذوي الأحكام في بغية درر الأحكام، لأبي الإخلاص حسن بن عمار بن علي الوفائي الشرنبلالي الحنفي (ت ١٠٦٩)، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط).
١٤. ذم اللواط، محمد بن الحسين الأجرّي (ت ٣٦٠ هـ)، دراسة وتحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.
١٥. رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، أحمد بن فضلان (ت بعد ٣١٠ هـ)، دار السويدي، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٣ م.
١٦. الرسائل الأدبية، الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، دار و مكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣ هـ.
١٧. الروضة الندية، محمد صديق خان بن حسن البخاري (ت ١٣٠٧ هـ)، تح: علي حسين الحلبي، دار ابن عفان، القاهرة، ١٩٩٩ م.
١٨. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت ٢٧٥ هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
١٩. سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور الجوزجاني (ت ٢٢٧ هـ)، تح:



- حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط ١، ١٩٨٢ م .
٢٠. شرح زاد المستقنع، محمد بن محمد المختار الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، (بلا) .
٢١. شرح السنة، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء (ت ٥١٠هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٢، ١٩٨٣ م .
٢٢. الطرق الحكمية، ابن قَيِّمِ الْجَوْزِيَّة (ت ٧٥١هـ)، مكتبة دار البيان، (د.ط) .
٢٣. عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة .
٢٤. عُيُونُ الْمَسَائِلِ، الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ (ت ٤٢٢هـ)، تح: علي محمد إبراهيم بورويبة، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩ م .
٢٥. الفقيه والمتفقه، الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِي (ت ٤٦٣هـ)، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٧هـ) .
٢٦. كتاب الأم، محمد بن إدريس الشَّافِعِي (ت ٢٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م .
٢٧. لوامع الدرر في هتك أستار المختصر، (شرح - مختصر خليل - للشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي (ت: ٧٧٦هـ) محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي (ت ١٣٠٢هـ تحقيق: دار الرضوان .
٢٨. المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن مُفْلِح (ت ٨٨٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م .
٢٩. المبسوط، محمد بن أحمد بن سهل السَّرْحَسِي (ت ٤٨٣هـ)، مطبعة السعادة، مصر .
٣٠. المخارج في الحيل، محمد بن الحسن الشَّيْبَانِي (ت ١٨٩هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٩ م .



٣١. المختصر الفقهي، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي (ت ٨٠٣ هـ)، تح: حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الخبتور، ط ١، ٢٠١٤ م.
٣٢. المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين، محمد بن الحسين بن محمد أبو يعلى (ت ٤٥٨ هـ)، تح: عبد الكريم بن محمد اللاحم، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠١ هـ.
٣٣. مسند ابن الجعد، علي بن الجعد (ت ٢٣٠ هـ)، تحق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠ م.
٣٤. مسند الإمام الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي (ت ٢٥٥ هـ)، تح: مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ط ١، ٢٠١٥ م.
٣٥. المصنّف، عبد الرزاق الصنّعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط ٢، ٢٠١٣ م.
٣٦. المصنّف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
٣٧. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد الرحباني (ت ١٢٤٣ هـ)، تح: المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦١ م.
٣٨. معاني القرآن، الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي، و محمد علي النجار.
٣٩. معاني القرآن وإعرابه، الزّجاج (ت ٣١١ هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م.
٤٠. المغني، عبد الله بن محمد ابن قدامة (ت ٦٢٠ هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٣، ١٩٩٧ م.



٤١. المتتقي، علي بن سليمان بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)، تح: حسين أحمد صالح الباكري، رسالة دكتوراه، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٩٢م.
٤٢. المُنَجَّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشارك اللفظي)، علي بن الحسن الهنائي (ت بعد ٣٠٩هـ)، تح: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م.
٤٣. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، لجنة، دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ٢٠١٢م.
٤٤. موسوعة الفقه الإسلامي، لجنة، إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٤٢م.
٤٥. نواذر الفقهاء، محمد بن الحسن الجوهري (ت حوالي ٣٥٠هـ)، تح: محمد فضل عبد العزيز المراد، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٣م.

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني على الخطابة العربية

أ.م. د ماجد مهدي ذياب السلطاني

م. د. نادية سالم عيسى

الملخص:

ماذا عسى الباحث أن يكتب في عليّ عليه السلام وأثره القرآني في الخطابة العربية؟ وهل الخطابة العربية إلا رشفة من رشحات علم عليّ؟

يُرادُ بالأثر القرآني النتيجة الحاصلة من التعامل مع القرآن بكلّ ما تعنيه كلمة التعامل من تلاوة وتدبر وتعلّم وعمل بما جاء به القرآن الكريم، وقد أخذ الخطباء يقتبسون من القرآن كلّ ما تحتاجه الدعوة إلى الدين الجديد؛ وبذلك وصلت الخطابة لا سيّما الدينية منها مبلغاً لم تصل إليه من قبل ولا من بعد؛ لأنّها أداة الدعوة الأولى، ومن هنا فإنّ أغراض الخطابة قد تنوّعت وتوسّعت بتوسّع رقعة الإسلام خارج جزيرة العرب، حتّى شملت أمم ذات حضارة جذورها ضاربة في أعماق التاريخ، والمقام الأوّل في هذا المبلغ هو أثر القرآن ومن نزل عليه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام الأوّل بعد النبيّ صلى الله عليه وآله في هذا المقام، فنجد أنّ كلام الإمام ذو معدن مختلف تماماً عن غيره من خلق الله إلاّ كلام رسول الله صلى الله عليه وآله فكلام الإمام يسطع بنوره وزينته على ما وضع فيه فيزيده بهاء ويكسوه حلال الجمال الإلهي ومثله كآيات الذكر الحكيم عندما توضع بين كلام البشر، فالآيات تزهر وتنمو وتقوم بنفسها وإن دخلت في كلام الآخر سواء كانت رسالة أو خطبة أو كتاب وغيرها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، أمير المؤمنين عليه السلام، الخطابة العربية.

Abstract:

What can a researcher possibly write about Ali (pbuH) and his Quranic impact on Arabic oratory? For is Arabic oratory anything but a mere drop from the vast ocean of Ali's knowledge?

The term "Quranic impact" refers to the profound result of engaging with the Holy Quran in every sense—recitation, contemplation, learning, and practice. Orators began to draw from the Quran everything needed for the call to the new religion; thus, oratory—especially religious oratory—reached an unprecedented pinnacle because it was the primary tool of the Da'wah (Mission). Consequently, the purposes of oratory diversified and expanded alongside the spread of Islam beyond the Arabian Peninsula, reaching nations with civilizations rooted deep in history.

The primary catalyst for this elevated status was the influence of the Quran and the one to whom it was revealed, the Holy Prophet (pbuh). Ali bin Abi Talib (pbuH) stood foremost after the Prophet in this station. One finds that the Imam's speech possesses a completely different essence compared to any of God's creation, save for the words of the Messenger of Allah. The Imam's words shine with a light that adorns whatever they are placed within, increasing its brilliance and dressing it in robes of divine beauty. This is much like the verses of the Wise Remembrance (the Quran) when placed among human speech; the verses flourish, grow, and stand distinct by their own merit, whether they appear in a letter, a sermon, or a book.

Keywords: The Holy Quran, Commander of the Faithful (pbuH), Arabic Oratory.



المقدمة:

الحمد لله الذي فتق العقول بمعرفته وجعلها دليلاً عليه وصرطاً إليه والشكر لله الذي جعل الشكر مفتاحاً لمزيد من آلائه ونعمائه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومن نعمه التي يكون الاعتراف بالعجز عن شكرها هو شكره سبحانه؛ لأنَّ نعمه لا تُحصى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، ومن أوَّل وأفضل هذه النعم (الثقلين) بأبدية الملازمة بينهما (لن يفترقا) ومحورها من قام الإسلام بسيفه، ذلك أمير البيان في أمة الإسلام حيث كان مرآة الرحمة، ومن أهم معجزات الرسالة بعد القران جهاد الإيمان (عليّ بن أبي طالب) فلولاه لما بقي أثر للقرآن، فهو المصداق الأمثل لأثر القرآن في الإنسان، ومنه بان ذلك الأثر في الخطابة العربية، وهو موضوع هذا البحث، وقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث وخاتمة بأهم النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، وجاء المبحث الأوّل في معنى الأثر القرآني ومنه معناه في اللغة والاصطلاح، ويبيّن المبحث الثاني ما كانت عليه الخطابة العربية بين العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، وأمّا المبحث الثالث فقد عرض خطابة أمير المؤمنين عليه السلام وأثر القرآن فيها، والله عزّ وجلّ ولي التوفيق.

المبحث الأوّل: معنى الأثر القرآني:

في مبحثنا هذا نبحت عن معنى كبير له تداعياته ويترك بصماته على حياة المسلم في آخرته ودينه وللفرد والمجتمع، نبحت عن الأثر القرآني، فما معنى الأثر لغة و اصطلاحاً؟ وفي ذلك ضرورة نحتاج إليها في ثنايا البحث.

الأثر لغة: ((بقية الشيء والجمع آثار و أثور و خرجت في أثره، أي: بعده، والأثر: ما بقي من رسم الشيء، و التأثير: إبقاء الأثر في الشيء))^(١).

(١) لسان العرب: ٤٢/١.



اما الأثر في الاصطلاح^(١) : فله ثلاثة معان:

الأول: بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء.

والثاني: بمعنى العلامة.

والثالث: بمعنى الجزء.

ومن المعنيين للأثر يمكن أن نقول: أن الأثر القرآني نعني به: هو النتيجة الحاصلة من التعامل مع القرآن بكل ما تعنيه كلمة التعامل من تلاوة وتدبر وتعلم وتعليم وحكم وعمل بما جاء به القرآن الكريم، وكل ذلك يترك آثاره في سلوك المسلمين وكأنه رسم لهم منهاج حياة، فعندما يقال: إن الأثر هو علامة أو رسم متخلف من شيء ما فحقاً إن القرآن بما فيه يترك علامات وآثاراً لمن (يمر به) وهذه العلامات والآثار تظهر في أقوال الإنسان وأفعاله.

فإذا ما كان المنهج ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وهذا الكتاب لم يترك صغيرة ولا كبيرة في الدارين إلا وبينها، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]؛ ولأن الإنسان مخلوق الله عز وجل الذي أسجد له الملائكة وجعله خليفته في أرضه من دون خلقه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، فقد زوده بمنهج يخرج منه من ظلمات معاصي طاعة الشيطان إلى نور الله وطاعة الرحمن.

(١) التعريفات: ١٧.



﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وإذا ما كان المعلم هو ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١ - ٢]، وكان التلميذ علي بن أبي طالب، والله هو الذي ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]، فيا ترى كيف يكون أثر القرآن في خطابة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ وقد أودع الله فيه قدرته العلميّة حتّى قال عليه السلام: ((سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض))^(١) فما ينزل من علم السماء إلى الإنسان الأكمل و الأمثل لخليفة الله في خلقه والنموذج الحق للإنسان في كل ما أراه الله حتّى صار مثالا للرحمة الإلهية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فإنّ علياً عليه السلام يسمع بكل ما ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فهو تربى في حجره ولا يفارقه فهو أقرب إليه من ظله ((كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً ونهاراً فكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكت ابتدأني، وما نزلت عليه آية إلا قرأتها وعلمت تفسيرها وتأويلها ودعا الله لي أن لا أنسى شيئاً علّمني إياه فما نسيت من حرام ولا حلال وأمر ونهي وطاعة ومعصية وقد وضع يده على صدري وقال: اللهم املأ قلبه علماً وفهماً وحكماً ونوراً، ثم قال لي: أخبرني ربي عز وجل أنّه قد استجاب لي فيك))^(٢).

ومن هنا فلم يبق شيء من كتاب الله إلا وكان عند أمير المؤمنين عليه السلام، ولا عجب فهذا معاوية بن أبي سفيان خصمه الأوّل يقول عنه: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغرّه بالعلم غراً، ولقد قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي))^(٣)، وبعد هذا وغيره كثير ذكرته مصادر المسلمين وغيرهم، ويؤكد إحاطة أمير المؤمنين عليه السلام في كل ما تضمّنه القرآن سواء كان في معناه أو لفظه أو نظمه أو

(١) نهج البلاغة: ٧٩/٢.

(٢) قادتنا كيف نعرفهم: ١٩١/٢.

(٣) م. ن: ١٥٩/٢.



إعجازه فالقرآن قد امتزج بروحه وعقله، بل وفي كلّ خلية في جسده فكيف لا يظهر جلياً في عمله ولفظه من خطابة وكلام وفي كلّ فنون القول وما نهج بلاغته إلا شمس لا يمكن أن ينكرها حتى فاقد بصره، فهي تشعره بإشراقها على البرية فكلّ من قرأ نهج البلاغة يرى أثر القرآن فيه فكلّ ما قاله الإمام عليّ (ع) يكون: ((تراثاً جمّاً يمثل قدرة الأمة العظيمة على الخلق والإبداع متمثلة بقبليّة الإمام البلاغية وقدرته في التعبير عن شتى المعاني بأسلوب رائع مؤثّر، وقد استمدّ معانيه وأفكاره من معين القرآن الذي نهل أدبه وارتوى من آياته))^(١).

وهذه نتيجة طبيعية وبديهية يختصّ بها عليّ (ع) فهو الحافظ والجامع للقرآن^(٢) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد كانت نشأته قرآنية بكلّ ما تعنيه هذه الحقيقة ولا بدّ أن تعطي هذه الحقيقة ثمارها وتظهر آثارها على الخطابة العربية في كلّ أجيال أمة الإسلام، بل والإنسانية، فعليّ (ع) قطب رحى الإسلام بعد النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) ولكن العلاقة بين عليّ والقرآن لا تنفكّ حتى يردا الحوض فسببى أثر هذه العلاقة يزين تراث الثقافة العربية بما فيها الخطابة ولينهله منها كلّ من يرى أنّ أقوال وأفعال أمير المؤمنين (ع) ماهي إلا قبس من نور القرآن الكريم.

وبالعودة إلى تعريف الأثر منه نستطيع القول: أنّ نهج البلاغة ما هو إلا دليل على تأثير القرآن فيما يقوله أمير المؤمنين (ع) وانعكاس ذلك الأثر على الخطابة العربية التي كان لها دور عظيم عند العرب لاسيّما في صدر الإسلام الذي أصاب الشعر فيه ضعفاً إذ كان معظمه يؤكّد بألفاظه عقائد الجاهلية، فالأثر القرآني عند أمير المؤمنين (ع) كان منه أن يتحوّل العربي من الاستشهاد بالشعر الجاهلي إلى

(١) أثر القرآن في الأدب العربي: ١٨٦.

(٢) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٢٢.



استعمال القرآن وألفاظه الذي حوّل العرب من ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، تسعر نيران العداوة والأحقاد إلى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وبفضله تعالى ونعمة نزول القرآن على خير الأنام ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وهذا مصداق لأثر القرآن في أمة العرب حيث غير داعي القتال إلى السلم والوئام بدعوته إلى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فيا ترى كيف يكون أثره في أمير البيان، وبالتالي أثره في الخطابة عند المسلمين؟

المبحث الثاني: الخطابة العربية بين عصرين:

الخطابة والخطيب:

الخطابة: ((هي خطاب من فصيح نابه الشأن يلقيه على جماعة في أمر ذي بال))^(١)، والغرض منها عند الجهاني: ((ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم))^(٢)، ويمكن أن تخل كلامه هذا على أن الأعم الأغلب في غرض الخطابة هو الترغيب، والحق إنّها بين الترغيب والترهيب الذي يرد الإنسان عمّا يؤدّي إلى خسارته فيما يعتقده الخطيب أو الواعظ.

و((في لغة العرب إنّ الخطابة: هي الكلام المنشور المسجّع))^(٣).

(١) جواهر الأدب: ٢٤٢.

(٢) التعريفات: ١٠٤.

(٣) لسان العرب: ١١١٤.



الخطابة في العصر الجاهلي:

أقسام كلام العرب وأصله: ينقسم كلام العرب إلى قسمين:

١- النثر.

٢- النظم.

فالنظم ما كان ذا وزن وقافية وهذا ما كان عليه الشعر في الجاهلية وما تلاها غير الشعر الحرّ الذي ظهر في العصور المتأخرة.

وأما النثر فلا يحتاج إلى ما احتاج إليه النظم^(١).

أصل الخطابة:

نوع أصل الخطابة من أصل كلام العرب، وهو النثر، وأصلته نابعة من كونه واضح المقاصد لما في نفس الإنسان ولا يحتاج تكلف لصياغته كالنظم فالخطابة جاءت من النثر وهي فطرية عند العرب واقتضتها ضرورة الحياة البدوية التي كان من أهم أغراضها^(٢):

١- التحريض على القتال.

٢- التحكيم في الخصومات.

٣- اصلاح ذات البين.

٤- في المنافرات والمفاضلات والوصايا وشؤون الحياة الأخرى.

وعلى الرغم من أهميتها إلا أنه لم يصل إلينا من آثارها إلا الغزر اليسير؛ وذلك

يعود إلى ثلاثة أسباب^(٣):

(١) ينظر: جواهر الأدب: ٢٤٢.

(٢) جواهر الأدب: ٢٤٢.

(٣) ينظر: م. ن: ٢٤٣.



أولاً: عدم وجود التدوين، إذ كانت الأمية هي السائدة في قبائل العرب كما أوضح ذلك القران الكريم في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ثانياً: اهتمامهم بالشعر دون الخطابة حيث وصل الأمر بهم أن يحتفلوا بنوع شاعر في القبيلة وتمنّاهم القبائل وقيمون الولايم كأفضل ما يقيمونها في مناسبات أفراحهم فالشاعر كفارس القبيلة، وربّما كان دوره أهمّ من أيّ فرد في القبيلة، حيث هو الذي يسجّل وينشر في المحافل أمجاد القبيلة وتاريخها كما كانوا يفعلون في سوق عكاظ وغيرها حتّى صار عندهم الشعر ديوان العرب وعنوان الأدب.

ثالثاً: صعوبة حفظ النثر، ربّما يكون لعدم اشتراط الوزن والقافية فيه؛ ولأنّ طبيعة الدنيا عدم البقاء على حال واحد فهي متغيّرة بأهلها من حال إلى حال، فقد جاء دور الخطابة وفيه ارتقت منصّة الصدارة في الأهمية حتّى صارت القبائل تحتفل ببروز الخطيب من أبنائها كما كان شأن نبوغ الشاعر فيها؛ وذلك لأنّ الشعر تنحّى عن دوره الريادي لتعاطي السفهاء والعامّة له حتّى صار وسيلة للتكسّب وما يلوّثه ويبعّده عن أغراضه التي كان ينظم لأجلها؛ مثل التضحية بالنفس من أجل العرض والمال والمباهات بالعصية القبليّة وكرم التجرّار وشرف الخصال.

وهذا يعني إنّ الخطابة وإن كانت في العصر الجاهلي لكن لا يمكن أن تنفي عنها القيم الأخلاقية أو اتّخاذ التوحيد ديناً عند بعض الخطباء أمثال قيس بن ساعدة الزيّادي الذي كان مثل العرب الأعلى في الخطابة التي تزيّنها البلاغة والحكمة ومنها الإيمان بالبعث ونبذ عبادة الأوثان، وكان يدين بالتوحيد، وقد أثنى عليه النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة عندما سمعه يخطب في سوق عكاظ ومن خطبته ((يقسم قسّ بالله قسمًا لا إثم فيه أنّ



لله ديناً هو أَرْضَى لَكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكَرًا))^(١)، وهذا يدلُّ على أَنَّ الْخُطَابَةَ لَهَا أَسْلُوبٌ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَتَوْكُّدٌ عَلَى فِطْرَةِ التَّوْحِيدِ.

الخطابة في صدر الإسلام:

كان ظهور الإسلام في جزيرة العرب وفي مركزهم الديني والتجاري (مكة) يمثل ثورة تغييرية في كل جوانب الحياة العربية ولاسيما الفكرية منها فقد أثار القرآن الكريم آياته مكامن العقول باستفهامه ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، ومن ذلك الخطابة، فقد نشطت الألسن بها فقد حلت عند العرب محل الشعر الذي كان يعتمد على الخيال ويبيح الكذب أحياناً (أعذبه: أكذبه) وهذا نقيض ما يدعو له الإسلام وبذلك كان ما يقوم به المعلم الأول (نبي الرحمة) بعد تبليغه آيات القرآن يقوم خطيباً لكل أمر يهمّ دعوته والأمة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وهكذا كان جلّ صحابته ورسله وعمّاله وخلفائه، فقد كانوا خطباء مصاقع؛ ولأنّ الدعوة في هذا العصر تحتاج إلى شرح الحقائق وإقامة الحجج على المعاندين فضلاً عن بيان مبدأ الترغيب وثوابه والترهيب وعقابه وكلّ ذلك وغيره من مفاهيم الإسلام يحتاج إلى الخطابة التي تزينت كلماتها بآيات القرآن كأنّها نجوم تتلألأ في سماء الدين الحنيف فكانت آياته وأفكاره خير معين لخطباء الإسلام وبذلك بان الاختلاف في منهج الخطابة والخطباء بين عصر الإسلام وعصر الجاهلية.

فقد أخذ الخطباء في هذا العصر يقتبسون من القرآن كلّ ما تحتاجه الدعوة إلى

(١) ينظر: جواهر الأدب: ٢٤٥.



الدين الجديد؛ وبذلك وصلت الخطابة لا سيّما الدينية منها مبلغاً لم تصل إليه من قبل ولا من بعد والمقام الأوّل في هذا المبلغ هو أثر القرآن ومن نزل عليه النبيّ الأكرم عليه السلام لا سيّما إنّ القوم كانوا منبهرين بفصاحة القرآن وبلاغته الذي تحدّاهم وأعجزهم على أن يأتوا بمثله من أساطير الأوّلين كما يزعمون أو يأتوا بعشر سور مفتريات ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، وقد بلغ من تفرّيعهم وتعنيفهم أن يأتوا بسورة وإن كانت مثل أقصر سور القرآن وبعد عجزهم من ذلك شمل التحديّ عالميّ الإنس والجن ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وفي كلّ ذلك كان الميدان وفصل الخطاب للخطباء وعلى رأسهم وشيخهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب^(١).

وكانت الخطابة في هذا العصر سلسلة الانقياد بألفاظها ومعانيها؛ لأنّ الخطباء كانوا من خالص العرب الذين كانت سجيّتهم تنطق بالفصاحة والبلاغة وفطرتهم تحاكي القرآن وحتىّ الخصومات التي حصلت بين المسلمين هي الأخرى ساهمت في تطور ورقيّ الخطابة بين المؤيّدين والمعارضين لهم وكلّ منهم يتخذ من آيات القرآن ما يؤيّد أو يدحض الخصوم.

أغراض الخطابة في عصر صدر الإسلام:

بلا شكّ إنّ ظهور الإسلام كان ثورة تغيير وإصلاح في حياة العرب على مستوى الفرد والأمة بما يحقّق الغاية من خلق الإنسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وبما يوفّر له السعادة في الدارين، وهذه غاية الأمنيات بعد رضا الخالق عزّ وجلّ.

(١) ينظر: جواهر الأدب: ٢٧٠.



وهذا التغيير والإصلاح قد شمل الحياة الفكرية للعرب بشكل خاص والخطابة بشكل أخصّ إذ كانت تسبق السيف؛ لأنها أداة الدعوة الأولى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، ومن هنا فإن أغراض الخطابة قد تنوّعت وتوسّعت بتوسّع رقعة الإسلام خارج جزيرة العرب، حتى شملت أمم ذات حضارة جذورها ضاربة في أعماق التاريخ، وإن كان يشوبها الشرك وعبادة الأصنام من الإنسان والحجر وما كان للخطابة إلا أن تواكب هذا التوسّع وتلبّي حاجات الإنسان في حياته الجديدة، ومن أهمّ هذه الأغراض:

١. الدعوة إلى عبادة التوحيد ونبذ الشرك وطاعة الله ورسوله.
٢. الدعوة إلى الاتحاد ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والابتعاد عن التفرقة بين صفوف المسلمين ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال: ٤٦].
٣. الدعوة إلى الخلق الرفيع النابع من منهج الدين الحنيف ونبه الصادق الأمين ﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾ [القلم: ٤].
٤. الدعوة إلى الرحمة وعدم الانتقام والاقتيال بين المسلمين ﴿محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدّاً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾ [الفتح: ٢٩].



المبحث الثالث: أثر القرآن في خطابة أمير المؤمنين عليه السلام :

قبل بيان أثر القرآن الكريم في خطابة أمير المؤمنين عليه السلام نمرّ بأثر أمير المؤمنين عليه السلام في البلاغة والفصاحة والرأي في ذلك سيكون لأصحاب الاختصاص، أي: للبلغاء والفصحاء والأدباء وإن لم يعرف أمير المؤمنين عليه السلام حق معرفته إلا الله ورسوله عليه السلام، وفي علمه كذلك، فعلم الله أودعه في مدينة العلم (رسول الله)، وجعل لها باباً (وصي الرسول)، ولهذا قال رسول الله عليه السلام: ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها))^(١)، وبداهة لا يمكن أخذ شيء إلا بالمرور من باب المدينة إذ هو مفتاح العلم الإلهي وهو القائل: ((علمني رسول الله ألف باب كل باب يفتح ألف باب))^(٢)، ومن هذه الأبواب باب الفصاحة والبلاغة، ورحم الله الشريف الرضي في وصفه لأmir المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة إذ قال: ((كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، ومنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصّروا، وقد تقدّم وتأخروا))^(٣)، ولييان كلامه هذا على أنه حقيقة لا مجاز قال: ((لأنّ كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي))^(٤).

ومن تعريف الأثر نجد أنّ علم أمير المؤمنين عليه السلام هو علامة على العلم الإلهي الذي حواه الإمام وعند مقارنة كلام الإمام بغيره في رسالة أو خطبة، نجد أنّ كلام الإمام ذو معدن مختلف تماماً عن غيره من خلق الله إلا كلام رسول

(١) كفاية الطالب: ٢٢١.

(٢) فرائد السمطين: ١٠١، والكلام الإسلامي المعاصر: ١٥١/٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ناصر مكارم الشيرازي: ١٧/١.

(٤) م. ن.



الله (صلى الله عليه وآله) فكلام الإمام يسطع بنوره وزينته على ما وضع فيه فيزيده بهاء ويكسوه حلل الجمال الإلهي ومثله كآيات الذكر الحكيم عندما توضع بين كلام البشر، فالآيات تزهو وتنمو وتقوم بنفسها وإن دخلت في كلام الآخر سواء كانت رسالة أو خطبة أو كتاب وغيرها ونتيجة مقارنة كلام الإمام علي (ع) وكلام الخطيب المعروف ابن نباتة يقرّر ابن أبي الحديد قائلاً: ((لا يتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحة والبيان هذا الكلام بعين الانصاف ليعلموا أنّ سطرًا واحدًا من كلام نهج البلاغة يساوي ألف سطر منه، بل يزيد ويربي على ذلك))^(١)، وهذا ليس بعجيب؛ لأنّ الذي يتأمل في شخصيّة أمير المؤمنين (ع) يجد نفسه أمام بحر أو محيط لا قعر له ولا شاطئ تعدّه، كيف لا يكون كذلك وهو نفس الإنسان الكافل والذي تتعلّم منه ملائكة السماء ذلك هو النبيّ المصطفى (صلى الله عليه وآله) ثمرة الوجود الإنساني، وعلى هذا نزل الوحي ليؤكد هذه الحقيقة ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

((وبعد شهادة السماء له بآيات كثيرة يصعب حصرها فإنّ شهادة أهل الأرض له مهما بالغوا في الوصول إلى كنهه وعلمه والثناء عليه فإنهم لا يصلون إلى ما وصل إليه ولو بمقياس مثاقيل الذرّات، لكنّ ثمت اتفاق بين أهل العلم أنّ كلامه (صلى الله عليه وآله) دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين))^(٢)، وقالوا فيه: ((أنّه أفصح الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأكثرهم علمًا وزهدًا وشدةً في الحقّ، وهو إمام الخطباء ومن العرب على الاطلاق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله))^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ٢١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ناصر مكارم الشيرازي: ١٩.

(٣) جواهر الأدب: ٢٧٤.



وما كتبه جورج جرداق عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابة الموسوم بـ(الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة) إلّا دليل على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ليس للعرب والمسلمين فقط بل للإنسانيّة جمعاء، وينظرون إليه أنّه أمير البلاغة والبيان، لا يسبقه أحد في هذا المضمّار وكلّ الميادين الإنسانيّة والعلميّة، فيقول عنه: ((إمّا في البلاغة فهو فوق البلاغات، كلام ضمّ جميع جمالات اللغة العربيّة في الماضي والمستقبل حتّى قيل عنه: كلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين))^(١)؛ ولأنّه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله يقول لنبية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وحقيقة إنسانيّة أمير المؤمنين عليه السلام وعلمه وإحاطته بكلّ جوانب الحياة يؤكدها كاتب ومفكر مسيحي آخر هو (ميخائيل نعيمة) قائلاً: ((لو كان عليّ مقتصرًا على الإسلام لم يتعرّض شخص مسيحي لسيرته وحياته، ويتابع الأحداث التي واجهته فيترنّم بشجاعته التي أصابته بالدهشة والذهول، ولم تقتصر شجاعته وبسالته على ميدان الحرب فقد كان رائدًا في البلاغة وسحر البيان والأخلاق الفاضلة... ما قاله وفصله هذا النابغة ما لم تره عين وتسمعه أذن))^(٢)، وغير هذا ما يبلغ كثرة يعجز عن إحصائه باحث حتّى لو أراد كتابة موسوعة عن أمير المؤمنين عليه السلام فقد يفوته الكثير لا سيّما في البلاغة التي هو أميرها حيث سبق فيها الأوّلين ولا يمكن أن يلحقه أحد من التالين، وما نهج البلاغة إلّا علم فوقه نار في دنيا الوجود ومما يثير الحزن في أعماق الروح أنّ هذا العطاء الربّاني والمنهل العذب لم يحظّ بالاهتمام الذي يستحقّه من المسلمين، وكثير من يحسبون على المثقّفين المسلمين يركض لاهثًا باحثًا عن أقوال كانت غربي نالت الإنسانيّة الويلات ونقل أنواع العذاب من حضارته المادية ويترك عليّ عليه السلام ونهجه!!.

(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ٤٧/١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ناصر مكارم الشيرازي: ٢١/١.



أمير المؤمنين (ع) والقرآن الكريم:

بين عليّ (ع) والقرآن قصة عشق أبدي بدأت بعهد الميثاق في عالم الذرّ إذ كان في ميثاق الله للخلق وحدة الخالق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ومن موثيق الفطرة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وفطرة الإمام عليّ (ع) لم يطرأ عليها أو يحصل عليها تبديل ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، فهي لم تشرك بالله أو تعصيه طرفة عين أبداً^(١)، وأحبّ الخلق وأعلمهم بكتاب الله بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالإمام لم يسجد لصنم قط، ولم يخالف كتاب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) في صغيرة أو كبيرة، وكيف لا يكون كذلك وقد نشأ سليم الفطرة بين حضن النبوة والقرآن؟ ((قد أشربت روحه حبّ القرآن صياغة ومضموناً حتى جرى ذلك على لسانه متمثلاً ومعيداً ما اخترت في ذاكرته))^(٢) ومن نتائج امتزاج القرآن مع روح الإمام أن نشأ حافظاً واعياً عارفاً بآيات القرآن ظاهراً وباطناً فهو أوّل من حفظه وأوّل من جمعه على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) وبذاك صار المخزون الفكري لذاكرة الإمام عليّ (ع) قرآنياً، وأيضاً لا عجب في ذلك فقد اجتمع لأمر المؤمنين (ع) ما لم يُجمع لغيره فطرة ربّانية لم يكتب في قاموسها حرفاً واحداً لمعصية الله، والثانية أن يسمع ويعي آيات القرآن من الوحي فهي تنزل على الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله) وقد أكد ذلك بقوله: ((والله ما أسمعكم الرسول شيئاً إلّا وها أنا ذا اليوم مسمعكموه))^(٣) أي: إن كل ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله) إلّا وقد سمعه أمير المؤمنين (ع) من قبل غيره.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ٣١٠ - ٣١١.

(٢) الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٢٨٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ٤٤٨.



آفاق الأثر القرآني في خطاب أمير المؤمنين عليه السلام :

عندما صارت ذهنية أمير المؤمنين عليه السلام قرآنية بكل ما يعنيه هذا المفهوم وهي كذلك منذ أول نشأته ومما يطبق عليه أهل الحكمة والعلم أن من شبَّ على شيءٍ شاب عليه ومن شاب على شيءٍ مات عليه ومن مات على شيءٍ بُعث عليه، وهذه الحكمة تأتي نصًّا فيما نحن فيه من العلاقة والأثر والمؤثر بين القرآن وأمير المؤمنين وتطبيقاً واقعياً وعلمياً لحديث النبي صلى الله عليه وآله ومنهج أمير المؤمنين عليه السلام من المهدي إلى اللحد: ((عليّ مع القرآن والقرآن معه، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))^(١) وعندما نتأمل كتب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله وخطبه في نهجه نجد أنه لم يترك شيئاً مما جاء به القرآن إلا وقد زين به مقال من كتبه فضلاً عن العمل به ومن ذلك دقة اختيار الأثر القرآني في خطابه سواء كان الاختيار لفضة قرآنية أو آية أو معنى أو فكرة أو حتى السياق القرآني وملفت للنظر حيث إن أمير المؤمنين عليه السلام قد استعمل كل ذلك في خطبه ورسائله وكتبه بأسلوب فني رائع أعطى لما أخذ من القرآن في استعماله الجديد جمالاً فوق جماله، وظهر له معنى جديد كان الإمام بحاجة إلى التعبير عنه.

دلالة أثر القرآن في خطب الإمام عليّ عليه السلام :

استحضار الإمام عليه السلام لآيات القرآن أو بعضاً من آية أو معنى أو حتى الفكرة القرآنية كل هذا الأثر يمكن أن نسميه القرآنية^(٢) في خطاب أمير المؤمنين عليه السلام وذلك يدل على عظمة القرآن في نفس أمير المؤمنين عليه السلام ومن ثم يسعى الإمام لإيجاد ثقافة قرآنية في كل مجالات الحياة تحلّ بديلاً عن الشعر الجاهلي.

(١) قادتنا كيف نعرفهم: ٢٠٢/٢.

(٢) ينظر: القرآنية في خطب الزهراء عليها السلام: ٢٢.



القرآن بديلاً عن الشعر:

لا وجه للمقارنة بين القرآن الكريم وبين الشعر لا سيما الجاهلي منه؛ وذلك لجهة نظمه وما عليها من مأخذ ومنها (أعذب الشعر: أكذبه) هذا ما ذكر ابن طباطبا العلوي وعنه يقول الحسن بن رشيق القيرواني: إن من فضائل الشعر الكذب وإن أشهر شعراء الجاهلية له شيطان يلهمه الشعر وغير ذلك وكل هذا عند الله عز وجل في كتابه مذموم بل محرّم، ويكفي القرآن فخراً وعزاً وعلواً أنه كلام الخالق ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ويبقى حتى الملتقي هو الأعلى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

و((لمنة الله ولطفه على هذه الأمة سعى الإمام جاهداً على ترسيخ الثقافة القرآنية التي تدعو إلى كل فضيلة وتنهى عن كل رذيلة، وجعلها بديلاً عن الشعر الجاهلي الذي كان المؤثر الأول في حياتهم، ومثال ذلك أن أحد أصحاب الإمام وعند سيرهم إلى وقعة صفين وأثناء مرورهم بالمدائن نظر إلى آثار كسرى، وتمثل بقول الشاعر الجاهلي الأسود بن يعفر:

جَرَّتْ الرِّيحُ عَلَىٰ مَحَلِّ دِيَارِهِمْ
فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ مِيعَادِ

فقال له أمير المؤمنين (ع):

أفلا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٩] إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا



مورّثين ولم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إياكم وكفر النعم لا تحلّ بكم النقم (...))^(١).

ومن أهمّ المباحث التي ترى فيها أثر القرآن في أقوال الإمام عليه السلام وبالتالي تتأثر الخطابة العربية بخطاب أمير المؤمنين عليه السلام وهذا المبحث توحيداً لله وتعظيمه وهو أساس دعوة كلّ الأنبياء والأوصياء لاسيّما عند أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه يستحضر من القرآن ما يؤكّد على التوحيد فيجعله أصلاً في عقيدة الإنسان ومن كلامه في إحدى خطب التوحيد قوله عليه السلام : ((وما وحده من كيّف ولا حقيقته أصاب من مثله ولا إياه عنى شبهه ولا حمده من أشار إليه وتوهمه ... لا يشمل بحدّ ولا يحسب بعدّ...))^(٢) ولا يمكن لباحث مهما كان علمه وفصاحته وبلاغته أن يستقصي آثار القرآن في خطاب تلميذ القرآن الذي من منابعه يرتوي ويبل ظمأه كل من قصده فهو ربيع القلوب ودوائها والإمام أمير المؤمنين طيب القلوب ويعلم الداء ودواءه ولله درك يا أمير المؤمنين أشهد أنّك جاهدت في الله حقّ جهاده وعملت بكتابه وحقاً أنّك دعامة الدين وركن المؤمنين.

نتائج البحث:

١. لا نجد خطبة بل حتى الجملة في نهج البلاغة أو غيره ممّا قاله أو كتبه تخلو من أثر قرآني (آية، أو لفظة من آية، أو مقطع، أو فكرة، أو معنى) ويمكن أن نطلق على هذا الأثر بـ(القرآنية في خطب أمير المؤمنين عليه السلام).
٢. سعى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى سيادة الثقافة القرآنية بديلاً عن الشعر في ميادين الحياة عند العرب والمسلمين.

(١) الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦٩ / ٢.



٣. مثلما زينت الآيات القرآنية وألفاظها وسياقاتها خطب أمير المؤمنين (ع) فإنَّ خطبه وكلماته زينت الخطابة العربية وأضافت عليها حلة من الجمال الإلهي.
٤. انعكس الأثر القرآني عند أمير المؤمنين (ع) على الخطابة العربية حيث أنه أمير البلاغة والفصاحة والبيان فمن يريد البيان وأثر القرآن فيه فليطلبه من أميره.

المصادر والمراجع:

*القران الكريم.

١. أثر القرآن في الأدب العربي، ابتسام الصفّار، دار الرسالة، الطبقة الأولى، بغداد، ١٩٧٤ م.
٢. الأثر القرآني في نهج البلاغة، عباس علي حسين الفحام، العتبة العلوية المقدسة، النجف الاشرف، ١٤٣٢ هـ.
٣. الامام علي، سيرته وقيادته، د. محمد حسين علي الصغير، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
٤. الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، منشورات ذوي القربى، ط ١، ١٣٢٣ هـ.
٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣ م.
٦. جواهر الأدب، أحمد الهاشمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.



٨. شرح نهج البلاغة، ناصر مكارم الشيرازي، دار جواد الأئمة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٩. فرائد السمطين، إبراهيم بن محمد الشافعي، تح: محمد باقر المحمودي، بيروت، ١٣٩٨هـ.
١٠. قادتنا كيف نعرفهم، محمد هادي الحسيني الميلاني، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.
١١. كفاية الطالب، أبي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٥هـ.
١٢. الكلام الإسلامي المعاصر، عبد الحسين خسروبناه، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م.
١٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

المشكلة الاقتصادية والإمامة من منظور اقتصادي إسلامي

معاصر الإمام عليؑ أنموذجاً

م. د أحمد إبراهيم حسين علي العبيدي

تدريسي في وزارة التعليم العالي دائرة البعثات والعلاقات الثقافية بغداد

م. م. هبة قاسم زويد الموسوي

ماجستير علوم القرآن

الملخص:

ما زال العالم يعاني من غياب التوازن الاقتصادي على الرغم من التطور الهائل والحاصل في وسائل الإنتاج، ما يعني أنّ هناك خللاً في البنية الاقتصادية العالمية وفسلاً ذريعاً في البرمجة والتخطيط والتنفيذ، وأنّ الأنظمة الاقتصادية والسياسية التي قادت وتقود العالم اليوم هي التي تقف وراء ذلك، كما أنّ المتضرر بالدرجة الأولى هو الفقير المسحوق الذي يزداد انسحاقاً، في الوقت نفسه يزداد الأثرياء ثراءً، ولعلّ الأزمات الاقتصادية العالمية التي عصفت بالعالم هي نتيجة منطقية لسوء الأنظمة الاقتصادية التي تحكم الأمم، وهنا يستوجب أن نساءل عن سبل الخلاص من هذه المشاكل، إذ نعتقد أنّ الخلاص من الأزمة الاقتصادية إسلامي؛ فإنّ للإسلام تجربة اقتصادية ناجحة مثبتة بالأدلة والوقائع، وهذا ما ندركه في مفاهيم الأئمةؑ وقيمهم، من جهة التخطيط والبرمجة والتنفيذ، فعلى الرغم من سعة الدولة الإسلامية في عهد



الإمام علي (ع)، إلا أن الفقر كاد ينعدم تمامًا بين أفراد الأمة الإسلامية، وهذا ما يدل على حسن الرؤية ونجاح التخطيط الاقتصادي وتمييز الخطوات التنفيذية التي قللت من الفقر إلى أدنى مستوياته، فلننظر إلى الإسلام كيف جعل من الدولة الإسلامية البعيدة الآفاق الشاسعة الأراضي، الكثيرة النفوس، أمة غنية كاد يصبح الفقر فيها معدومًا، وهذا يعني أن ثمة سياسة اقتصادية متوازنة اتبعتها الإمام علي (ع) إبان حكمه حققت توازنًا دقيقًا بين الإنتاج والاستهلاك، قادت إلى غياب الفقر، وقد تم ذلك عبر سياسة اقتصادية تقوم على الدقة والتوازن والمساواة التامة، وهو أمر معروف عن سياسة الإمام علي (ع)، إن الأمة الإسلامية يمكنها أن توفر فرص التطور والنمو الاقتصادي في العالم الإسلامي على المستويين المادي والمعنوي، إذا ما التزمت بتعاليم دينها الحقّة، وبذلك يمكن للنظرية الإسلامية أن تثبت أنّها هي النموذج الاجتماعي الإسلامي القدوة، والقادر على حلّ كلّ المشكلات الاجتماعية، وذلك من طريق تحقيق التكامل الاقتصادي والسياسي والثقافي والروحي والاجتماعي بين أطراف الأمة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: التخطيط، التنفيذ، المشكلة الاقتصادية، التطور.

Abstract:

A world is still suffering from the absence of economic balance despite the tremendous development taking place in the means of production, which means that there is an imbalance in the global economic structure and a catastrophic failure in programming, planning and implementation, and that the economic and political systems that led and lead the world today are behind this, and the affected in the first place is the poor crushed who is getting richer, at the same time that the rich are getting richer, and perhaps the global economic crises that have struck



the world are a logical result of bad The economic systems that govern nations, and here it is necessary to wonder about ways to get rid of these problems, and that salvation from the economic crisis is Islamic. Islam has a successful economic experience proven by evidence and facts, and this is what we realize in the concepts and values of the imams (peace be upon them) in terms of planning, programming and implementation, despite the capacity of the Islamic state in the era of Imam Ali (peace be upon him), but poverty is almost completely absent among the members of the Islamic nation, and this indicates the good vision and success of economic planning. It marks the implementation steps that have reduced poverty to its lowest levels. This means that there is a balanced economic policy followed by Imam Ali (peace be upon him) during his rule that achieved a delicate balance between production and consumption, which led to the absence of poverty, and this was done through an economic policy based on accuracy, balance and complete equality, which is known about the policy of Imam Ali (peace be upon him). The Islamic Ummah can provide opportunities for economic development and growth in the Islamic world at the material and moral levels if it adheres to the teachings of its true religion, and thus the Islamic theory can prove that it is the Islamic social model that is able to solve all social problems, through achieving economic, political, cultural, spiritual and social integration among the parties of the Islamic Ummah.

Keywords: planning, implementation, economic problem, development.



المقدمة

تعدّ المشكلة الاقتصادية جوهر علم الاقتصاد ونواته، فكلّ نظريات الاقتصاد من نظريّة العرض والطلب وسلوك المستهلك والاستثمار والاستهلاك والادّخار وغيرها جاءت بهدف الإسهام في إيجاد حلّ لهذه المشكلة، إلّا أنّ سلوك الناس أفرادًا وجماعات يتناقض مع جهود علم الاقتصاد، حتّى مع المبادئ الاجتماعية والأخلاقية؛ لذا سيحاول الباحثان تسليط الضوء على أنّ أصل الموضوع في الولاية هو الخلافة، والخلافة تعني قيادة العالم الشاملة، وهذه المسؤولية تحتم على القائد المنصّب من الله في يوم الغدير وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أن يكون قائدًا واداريًا ومخطّطًا، وأغلب البحوث المشارك بها في مؤتمرات محلية ودولية تتحدّث عن الممارسات القيادية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمالية والفقهية، ويكاد يجزم الباحثان أنّ كلّ البحوث تدور حول محور جوهرية وهو الخليفة أو القائد، هل هذا القائد يستطيع أن يُدير البشر والموجودات لبناء دولة بوصفه قائد منصّب، وعليه أن يكون لديه كامل الإلمام بإدارة الدولة، هنا الولاية تعني أنّ هذا القائد شمولي وقادر على التخطيط المالي والاقتصادي والاستراتيجي وبناء البشر؛ لامتلاكه الفقه وممارسات الرقابة؛ لأنّ الولاية لها ثلاثة أركان وهي (حلّ المشكلة الاجتماعية أو آية مشكلة من الخليفة، ووجود خليفة منصّب من الله، ووجود الجمهور أو البشر الذين يقودهم الخليفة)، وهذه الأبعاد - فعلاً - ترجمت من خلال جميع البحوث؛ إذ كلّ بحث أخذ جانبًا من قوّة الخليفة المنصب وقدرته على إدارة كلّ ممارسة ميدانية مهما كانت صغيرة أم كبيرة.



المطلب الأول: المشكلة الاقتصادية بين النظم الاقتصادية المختلفة^(١)

تُعرف المشكلات الاقتصادية (The Economic Problem) على أنّها حالة الندرة والتحدّي في تلبية رغبات واحتياجات الإنسان؛ بسبب محدودية الموارد، ممّا يتسبّب في اختلال التوازن بين الحاجات والموارد المحدودة المتاحة لتحقيقها. وبسبب هذه المشكلة، يصبح لا بدّ على الأفراد والشركات والمجتمعات من اتّخاذ خيارات حول كيفية استخدام مواردهم المحدودة بكفاءة لتحقيق أقصى قدر ممكن من الاستفادة. ويعد مصطلح المشكلة الاقتصادية مفهوماً أساسياً في عالم الاقتصاد، وهو الأساس لفهم مختلف النظريات والنماذج والسياسات الاقتصادية التي تهدف إلى معالجة القضايا المتعلقة بالندرة والكفاءة والإنصاف والعدالة والاستدامة.

تنصّ المشكلة الاقتصادية - على وفق المفهوم الرأسماليّ لها - على أنّه لا يمكن للموارد المحدودة تلبية الحاجات غير المحدودة للبشر، فوفقاً للمفهوم الرأسماليّ فإنّ الموارد الطبيعيّة الموجودة لا تكفي لسدّ كلّ حاجات البشر؛ لذلك لا بدّ من إشباع حاجات محدّدة وتجاهل الأخرى، أو أن يتمّ إشباع كلّ الحاجات ولكن بشكل جزئيّ، غير أنّ النظرة الإسلاميّة للمشكلة الاقتصادية تختلف عن الاقتصاد الرأسماليّ، فللاقتصاد الإسلاميّ وجهة نظر خاصّة بها، إذ هو يعترف بها ولا ينكرها، فهو يقرّ بأنّ الموارد لا تكفي لإشباع كلّ حاجات البشر، ولكنّه يختلف مع الاقتصاد الرأسماليّ في سبب المشكلة، فسبب المشكلة من وجهة نظر الاقتصاد الإسلاميّ ليس قلة الموارد ولكن سوء إدارتها، إضافة إلى ما سبق فإنّ الاختلاف يطال مفهوم الندرة، وهذا المفهوم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم المشكلة الاقتصادية، فالإقتصاد الرأسماليّ يقول بأنّ سبب المشكلة الاقتصادية هو ندرة الموارد، بينما

(١) المشكلة الاقتصادية بين النظرية والتطبيق: <https://com.yahyaomar.com>



الاقتصاد الإسلامي يقول بأن الندرة ليست ندرة وجود ولكنها ندرة إدارة، فالموارد موجودة لكن سوء إدارتها يجعلها نادرة وغير متاحة .

بصورة شاملة يعدّ المفهوم الإسلامي للمشكلة الاقتصادية أدق من نظيره الرأسمالي، والدليل على هذا أنّ الموارد الزراعية والرعيّة تزداد بزيادة البشر، فعندما كان عدد البشر بضعة ملايين كانت الموارد تكفيهم وعندما بلغ عدة مليارات ما زالت الموارد تكفيهم، فالموارد تزداد بزيادة البشر، وذلك تصديقاً لقول الله جل جلاله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، إنّ الله - سبحانه وتعالى - قد تكفل بأرزاق الخلائق كلّها، فالقضية إذاً قضية إدارة للموارد، فالندرة سوء إدارة وليست ندرة وجود، ولعلّ التساؤل الأبرز هنا: لِمَ يكثر عدد الفقراء والجوع في العالم أجمع، ومنه العالم الإسلامي؟ ولِمَ لا تكفي الموارد للبشر؟ فهل هذا خلل في المفهوم الإسلامي للمشكلة الاقتصادية؟ أين الخلل بالتحديد؟

أمّا عن الموارد والجوع، فتقول بعض الإحصاءات المهمّة بالأمن الغذائيّ في العالم: إنّ عدد الجائعين في العالم يتجاوز ٦٣٠ مليون جائع، وهذه النسبة تشكّل ما يقارب ٩٪ من عدد سكّان الأرض، ومن جهة أخرى تقول الأرقام أيضاً بأنّ الطعام المهدر سنويّاً بلغ أرقاماً قياسية، فالطعام الملقى في القمامة سنويّاً يبلغ أكثر من ٩٣١ مليون طن، وتفيد الإحصائيات بأنّ هدر الطعام يتمّ على ثلاثة مستويات: المستوى الأهمّ هو الأُسْر، فالأُسْر تتلف سنويّاً ٥٦٩ مليون طن من الطعام، بينما المطاعم تتلف ٢٤٤ مليون طن تتمثّل ببقايا طعام الزبائن، بينما محال التجزئة تتلف ١١٨ مليون طن كطعام انتهت مدّة صلاحيّته، وبحساب بسيط يمكن القول بأنّ الطعام التالف إذا تمّ توزيعه على الجائعين ستكون حصّة كلّ جائع سنويّاً ٩٣١ / ٦٣٠ = ٤٧، ١ طن من الطعام، وستكون حصّة اليوم الواحد ٤٧، ١ / ٣٦٥ = ٤



كغ من الطعام، فأربع كيلو غرام من الطعام كافية لإشباع أي شخص يومياً، بل إيصاله لحدّ التخمة.

أمّا شهر رمضان الكريم والمشكلة الاقتصادية، فإنّ شهر رمضان هو شهر العبادة لدى المسلمين وشهر التقرب من الله رجاء مغفرة الذنوب، بالإضافة إلى الإحساس بالفقر والجائع، إلّا أنّ بعض السلوكيات في هذا الشهر الفضيل من شأنها تعزيز المشكلة الاقتصادية، فهدر الطعام يبلغ ذروته على موائد الإفطار، مع أنّ سلوك النبي ﷺ كان بعيداً كلّ البعد عن هدر الموارد، بالكاد تخلو دولة إسلامية من أزمات فقر وجوع، فسوريا على سبيل المثال مهدّدة بالمجاعة بغالبية سكّانها، ولعلّه - وفي ظلّ هذا الواقع الأليم - أن يكون إلقاء الطعام بالقمامة جريمة إنسانية، ناهيك عن مخالفتها الشرعية، مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعيّ التي جعلت من السهل مشاركة الناس تفاصيل خاصّة عن حياتنا الأسيّرة التي يفترض أن تكون خلف جدار الخصوصية، وفي هذا الشأن تجد العديد ممّن يشاركون الناس صور موائد إفطارهم وعليها أصناف وأشكال قد لا يعرف الفقراء حتّى أسماءها.

إنّ التفاخر بالإنفاق على الطعام بصفة عامّة وفي شهر رمضان الفضيل على وجه الخصوص يُعدّ أمراً سلبياً من جانبين: الأوّل هو هدر النعمة وتبذيرها وهو ما حرّمه الإسلام، والثاني يتمثّل في كسر خواطر الفقراء ولا سيما أولئك الذين لا يكون إفطارهم إلاّ خبزاً، ناهيك عن أنّ في ذلك تعزيزاً للمشكلة الاقتصادية التي يسعى الاقتصاد الإسلاميّ إلى حلّها، اذ يقول الإمام علي بن أبي طالبؑ: ((ما جاع فقيرٌ إلّا بما مُتّع به غنيٌّ))^(١)، فهذا القول دليل على صحّة النظرة الإسلامية للمشكلة الاقتصادية، فالموارد والأرزاق مخلوقة بما يكفي الخلائق بلا زيادة أو نقصان، إلّا

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣/ ٢٣١.



أن سوء الإدارة يجعل الفقير يجوع بالمقدار نفسه الذي أتلفه الغني .

يمكن القول بأنه لا أثر حقيقي للاقتصاد إن لم يقترن بجانب أخلاقي، فالعلم بلا أخلاق لا يعدو أن يكون خصماً للإنسان لا نصير له؛ ولذلك يجب القول بأن الاقتصاد في شهر رمضان يعدّ تعزيزاً للعبادة وللتقوى، فضلاً عن أثره الأخلاقي والاجتماعي وأثره على الاقتصاد السكاني.

يمكن تقسيم المشكلة الاقتصادية على ثلاثة عناصر رئيسة:^(١)

١- الندرة: ندرة الموارد مثل مساحة الأرض المحدودة وقلة فرص العمل وعدم كفاية رأس المال والافتقار للأعمال الرائدة، مقارنة بالاحتياجات والرغبات للأفراد والمجتمع ككل، فالندرة تجبر الأفراد والمجتمعات على ترتيب الأولويات وتحديدتها، ثم اتخاذ الخيارات حول كيفية تخصيص هذه الموارد بشكل فعال.

٢- الاختيار: بسبب الندرة التي ذكرتها لك في النقطة الآنفه، يصبح لا بد من أن يقوم الأفراد والمجتمعات باتخاذ خيارات بشأن السلع والخدمات التي يجب إنتاجها، وانتقاء الطريقة المثلى لإنتاجها، وتحديد الجهة التي تُنتج لها، وغالباً ما تنطوي هذه الخيارات على عمليات مقايضة؛ لأن تخصيص الموارد لاستخدام واحد يعني بالضرورة التخلي عن الفرص لاستخدامها في أماكن أخرى.

٣- تكاليف الفرص البديلة: يعدّ مفهوم تكلفة الفرصة البديلة أساسياً للمشكلة الاقتصادية، وهو يشير إلى قيمة البديل التالي الأفضل الذي يجب التضحية به أو الاستغناء عنه عند الاختيار، ويتضمن كل قرار تكلفة الفرصة البديلة لاستخدام الموارد بطريقة دون غيرها، تنشأ المشكلة الاقتصادية من عوامل متعددة مرتبط

(١) ما هي نوع المشكلات الاقتصادية؟



بعضها ببعض، أكثر هذه العوامل شيوعاً هي: (١)

١- ندرة الموارد: تعدّ ندرة الموارد هي السبب الأساسي والأهمّ للمشكلة الاقتصادية، ويقصد بالموارد أمور عدّة، منها الأرض والعمالة ورأس المال.

٢- الحاجات البشرية اللامحدودة: لدى البشر رغبات واحتياجات متنوّعة وكثيرة جدّاً، مثل السلع والخدمات المختلفة، وهذه الحاجات تكون مدفوعة بعوامل مثل الثقافة والتقاليد الاجتماعية والتفضيلات الفردية والرغبات الشخصية، وعلى الرغم من ذلك، فإنّ الطبيعة المحدودة للموارد تعني أنّه لا يمكن تلبية جميع تلك الحاجات في وقت واحد، ممّا يؤديّ إلى لزوم تحديد الأولويات للأموال والأشياء الأكثر أهميّة.

٣- النمو السكانيّ: النمو السكانيّ يزيد من التسبّب في تفاقم ندرة الموارد، فزيادة النمو السكانيّ السريع يفضي إلى زيادة الطلب على السلع والخدمات ومساحات الأراضي وكميّات المياه والطاقة، وهو ما يجهد البنية التحتية للبلد، ويتسبّب في تفاقم المشاكل البيئية، ويخلق المزيد من التحديات أمام الإدارة المستدامة للموارد في الدولة.

٤- التكنولوجيا والابتكار: إنّ التطوّرات التكنولوجية والابتكارات لديها القدرة على زيادة كفاءة استخدام الموارد وتوسيع إمكانيّات الإنتاج، مع ذلك، يمكن أن يسهم التطوّر التكنولوجيّ أيضاً في تفاقم المشكلة الاقتصادية؛ بسبب خلق رغبات واحتياجات جديدة لم تكن موجودة قبل التطوّر التقنيّ، ممّا يعني فرض ضغوط إضافية على الموارد.

٥- عدم المساواة في الأجور والدخل: عندما يوزّع الدخل أو الثروات بشكل غير متساوٍ أو غير عادل بين الأفراد، يؤثر ذلك على المستوى المعيشيّ للأسر، ممّا يعني زيادة المشاكل الاقتصادية، ويصبح لدى ذوي الدخل المرتفع قوّة شرائية أكبر

(١) ما هي نوع المشكلات الاقتصادية؟



وإمكانية أعلى للحصول على شريحة أوسع من السلع والخدمات، على العكس من ذوي الدخل المنخفض الذين يكافحون لتلبية الاحتياجات الأساسية لعائلاتهم.

٥- القيود البيئية: من الأمور التي تزيد من حدة المشاكل الاقتصادية بعض العوامل البيئية، مثل تعيير المناخ والكوارث الطبيعية والتلوث واستنفاد الموارد الطبيعية، مما يشكل تحدياً للتنمية الاقتصادية المستدامة، فالتدهور البيئي يتسبب في انخفاض توفر الموارد، وزيادة تكاليف الإنتاج، والتأثير السلبي على كرامة حياة الإنسان ورفاهيته.

٦- السياسات والقوانين الحكومية: يمكن للسياسات أن تتسبب في تخصيص الموارد والتأثير على النتائج الاقتصادية، فقد تؤدي السياسات غير الفعالة أو المصممة بشكل غير جيد وغير مدروس إلى تشويه آليات عمل السوق، وإعاقة الابتكار والقدرة على تنظيم المشاريع، وإساءة تخصيص الموارد.

أما عن المشاكل الاقتصادية الأساسية الخمسة، والمعروفة أيضاً باسم المسائل الاقتصادية الأساسية أو المشاكل الاقتصادية المركزية فهي: (١)

١- المشكلة الاقتصادية الأولى: ماذا ننتج؟ إن السؤال الأول يُعنى بتخصيص الموارد لإنتاج سلع وخدمات مختلفة، وهو ينطوي على اتخاذ قرارات بشأن طبيعة السلع والخدمات التي ينبغي إنتاجها، وبأي كميات، وباختيار أساليب الإنتاج المناسبة، وهو يشمل قضايا مثل طبيعة الطلب عند المستهلكين، ومدى توفر الموارد، واستغلال القدرات التكنولوجية الممكنة، مع الحرص على تحقيق أولويات المجتمع.

(١) ما هي نوع المشكلات الاقتصادية؟



٢- المشكلة الاقتصادية الثانية: كيف نُنتج؟ يتعلّق السؤال الثاني باختيار أساليب وتقنيّات الإنتاج الأمثل لتصنيع السلع وتقديم الخدمات، ويتضمّن اتّخاذ القرارات بشأن الجمع بين المدخلات المتوفّرة مثل العمالة ورأس المال والأراضي والتكنولوجيا المستخدمة في عمليّة الإنتاج، مع التأكيد على العوامل التي تؤثر على طرق الإنتاج، مثل كفاءة التكلفة ونطاق الإنتاج الذي يمكن تحقيقه والاستدامة البيئية والابتكار التكنولوجي .

٣- المشكلة الاقتصادية الثالثة: لمن نُنتج؟ يتناول السؤال الثالث توزيع السلع والخدمات بين مختلف الأفراد والأسر والفئات المختلفة داخل المجتمع، ويتضمّن اتّخاذ قرارات بشأن كيفية توزيع نواتج السلع والخدمات بين المستهلكين ذوي الدخل المتفاوت والاحتياجات المتباينة، وتتأثر القرارات المتعلقة بتخصيص الموارد وتوزيعها على بعض العوامل مثل توزيع الدخل بإنصاف بين فئات المجتمع والقوّة الشرائية لكلّ فئة.

٤- المشكلة الاقتصادية الرابعة: كم نُنتج؟ تتمحور إجابة السؤال الثالث حول تحديد الكمّيّات والمقادير الأنسب لإنتاج السلع والخدمات، وما يشمله من اتّخاذ قرارات تزيد من الكفاءة إلى أقصى حدّ ممكن، مع محاولة تقليل النفائات إلى أدنى حدّ، وهو أمر يتأثر بعوامل مثل ديناميكيّات العرض والطلب وتكاليف الإنتاج والمنافسة في السوق والسياسات الحكوميّة التي قد تحدّ من مستويات الإنتاج.

٥- المشكلة الاقتصادية الخامسة: كيف نتعامل مع الندرة؟ يعالج هذا السؤال التحديّ الأساسيّ المتمثّل في الندرة ومحدوديّة الموارد مقارنة بالاحتياجات البشريّة غير المحدودة، وينطوي على اتّخاذ قرارات حول طرق تخصيص الموارد الشحيحة بكفاءة لتحقيق أقصى قدر من الفائدة، ومن استراتيجيّات التعامل مع الندرة إعطاء



الأولوية للاحتياجات الأهم، واختيار صفقات رابحة، وتعزيز الكفاءة في استخدام الموارد، ودعم الابتكار ونمو الإنتاجية.

أما عن أنواع المشكلات الاقتصادية، فيمكن تصنيف المشاكل الاقتصادية إلى أنواع مختلفة على حسب طبيعتها ومدى تأثيرها على الأفراد والمجتمعات، وفيما يلي نستعرض بعض أنواع المشاكل الاقتصادية الشائعة:

١- الندرة والمحدودية: قلنا إن الندرة هي المشكلة الاقتصادية الأساسية التي تنشأ عن عدم التوازن بين الاحتياجات البشرية غير المحدودة والموارد المتوفرة والمحدودة، وهو أمر يؤثر على جميع القرارات الاقتصادية، ويستلزم خيارات فورية لتخصيص الموارد الصحيحة بكفاءة.

٢- التضخم: يُشير التضخم (Inflation) إلى الزيادة المستمرة في المستوى العام لأسعار السلع والخدمات بمرور الوقت، مما يتسبب في انخفاض القوة الشرائية، وتآكل المدخرات، وعدم الدراية بإمكانية نجاح الأعمال التجارية، بالإضافة إلى التحديات في الحفاظ على ثبات الأسعار واستقرار الاقتصاد الكلي.

٣- الفقر: يعدّ الفقر مشكلة اقتصادية معقدة سببها عدم كفاية الدخل أو انعدامه، وصعوبة تحصيل الضروريات الأساسية للبشر، ومحدودية فرص المشاركة الاقتصادية وعدم تحقيق التقدم الاجتماعي، والفقر يتسبب بالاستبعاد الاجتماعي، وعدم المساواة في الفرص، وإحداث حواجز إضافية تعترض التنمية البشرية وتحدّ من فرص تحقيق الرفاهية.

٤- الاختلالات التجارية: تحدث مشاكل على مستوى التجارة المحلية والعالمية، والتوزيع غير المتكافئ للمنافع، والبطالة وتحديات أخرى كثيرة تقلل من قدرة الاقتصاد على حماية الصناعات المحلية والعمّال من المنافسة العالمية.



أما حلّ المشكلات الاقتصادية في النظام الإسلامي، ففي الاقتصاد الإسلامي يتم استرشاد نهج حلّ المشكلة الاقتصادية من مبادئ الشريعة الإسلامية، وأخلاقيات المسلم، ويعتمد على مبدأ التوزيع العادل للثروات والموارد بين جميع أفراد المجتمع، ومعالجة عدم المساواة في الدخل من طريق آليات مثل الزكاة والصدقة والوقف، والتركيز على العدالة الاجتماعية والسلوك الأخلاقي الحسن في الأنشطة الاقتصادية، وحظر الممارسات الاستغلالية مثل الربا والمقامرة، والتأكيد على الالتزام بالأنشطة الاقتصادية الإنتاجية الحلال.

وأما عن حلّ المشكلات الاقتصادية على وفق النظام الرأسمالي، فالنظام الرأسمالي يحلّ المشكلة الاقتصادية باتّباع مبادئ وديناميكيات السوق الحرة، والملكية الخاصة للموارد من طريق قوى السوق للعرض والطلب، والسماح بالحد الأدنى من التدخل الحكومي، ثم إنها تعزز المنافسة بين المنتجين والشركات، مما يتسبب في رفع الكفاءة ويخفض الأسعار ويشجّع الابتكار.

وأما عن حلّ المشكلات الاقتصادية في النظام الاشتراكي، فيعطي النظام الاشتراكي الأولوية للملكية الجماعية لوسائل الإنتاج وتوزيع الموارد على أساس الاحتياجات الاجتماعية. ويتجه الاعتماد في حلّ المشكلة الاقتصادية على التخطيط المركزي من قبل الحكومة لتخصيص الموارد وتحديد أهداف الإنتاج وتنسيق الأنشطة الاقتصادية، وعلى عكس النظام الرأسمالي، فهو يرى أنّ الحلّ الأمثل يكون في إدارة وسائل الإنتاج من قبل الدولة التي تكون هي المالكة الوحيدة للصناعات والمؤسسات.



المطلب الثاني: أهم السبل لمواجهة المشكلة الاقتصادية من منظور الإمام علي بن أبي طالب (ع)

المشكلة الاقتصادية التي يعجز المجتمع عن حلها فتحولته إلى وضع التخلف الشامل، لا تعالجها إلا التنمية الشاملة، ومن ثم إهمال أن العجز عن مواجهة المشكلة ناشئ عن عجز القدرة الاقتصادية عن تحقيق مستوى كفاية العيش للمجتمع^(١)، فالمواجهة الإسلامية للمشكلة الاقتصادية فكرياً تشترط الالتزام بالتشريعات الإلهية كمقدمة شمولية تتناسب مع حركة الكون، وأن الندرة النسبية المفترضة هي ندرة محفزة على العمل والتعاون مع الشعوب، فهي ليست ندرة مطلقة، ولا وفرة مطلقة لاستلزام الأولى العجز التام والدائم، وتستلزم الثانية عدم الحاجة إلى اقتصاد (علم - مذهب) وعدم الحاجة إلى العمل؛ لذلك فإن الإسلام يسعى لمواجهة المشكلة من طريق المنظور الآتي:

١- إن الإسلام يوجب على الفرد والمجتمع والدولة كل على نطاقه، أن يمارس العمل بأعلى صورته وأتقن أنواعه لإعمار الأرض، وقد ورد ذلك في قوله (سبحانه وتعالى) ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، أي أمركم وأوجب عليكم استثمار مواردها، وقد ورد ذلك استناداً إلى خطاب الإمام علي (ع) لأحد عماله: ((أما بعد... فإن رجلاً من أهل الذمة من عمالك تركوا نهراً في أرضهم قد عفي وأدفن... فانظر أنت ثم عمر وأصلح النهراً))^(٢).

٢- إن للإسلام نظرية شمولية متوازنة في تخصيص الموارد، فمن الموارد ما وهبها الله للإنسانية كافة، الهواء والشمس والفضاء والمياه الطبيعية، ومنها ما هو من

(١) التنمية الاقتصادية: ١٨.

(٢) فتوح البلدان: ١١٩.



المشتركات العامة لمواطني الدولة الإسلامية، وهذه الموارد كلها (مما تمت صيرورتها التكوينية بلا فعلٍ بشريٍّ، وهي من معطيات ينتفع بها إن لم نقل: من الضروريات، وتتجدد ذاتياً، ولا ينقصها انتفاع المتفاعلين منها)، ولعل هذا هو مناط كونها من المشتركات العامة، فمتى تدخل الإنسان في امتلاك أرض أو ثروات، أو حيازتها بسببٍ شرعيٍّ، اكتسب بها حقاً قانونياً على قدر نوع السبب.

للإسلام نظرية إنتاج تقوم على أسس لدوافع الإنتاج، وغايات العملية الإنتاجية، وعناصر الإنتاج، وأهداف المنشأة، وقطاعات الإنتاج^(١)، ومن ثم تحقيق الإنماء العام والشامل. ويتضح مما تقدم:

١- أن للإسلام نظرية إنتاج تتخطى الوصايا الأخلاقية إلى مستوى الأطروحة الفلسفية، ومدعومة بالهيكل الحقوقي الإسلامي، الذي يدفع باتجاه تحويل الخامات إلى سلع متناسبة مع إشباع حاجات العصر.

٢- مبدأ تقسيم العمل؛ فقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] فيه إشارة إلى النشاطات الزراعية، والصناعية، والتحويلية، والتعدين؛ وقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] يشير إلى مشروعية العمل.

٣- ونلاحظ أن أطروحة الإنتاج في الإسلام، من تحويل الخامات إلى سلع، بل من توزيع عناصر الإنتاج على المنتجين لتأسيس مصاديق الملكية على أساس شرعيٍّ، تعتمد أساساً قانونياً، ما يعني أن المؤسسة الاقتصادية الإسلامية مؤسسة قانونية.

٤- أن نظرية الإنتاج الإسلامية ناتج علميٍّ عن فلسفة الاستخلاف، فلا فاصل بين نظرة الاستخلاف للموارد وطريقة الإفادة منها، مما يفهم منه أن النظام الإسلامي

(١) اقتصادنا: ٦٦.



يتناول أدق فروع هذا النظام بالتكامل والتنسيق بين مفرداته الجزئية وقواعده الكلية.

٥- أن تقنين الإسلام لملكية الأرض يقلل من الرِّيع، ومن ثمَّ يقلل من كُلف الإنتاج لصالح المستهلك، والتوازن مع الأجور، وأنه ينظر لدور رأس المال نظرة ثانوية، فالأصل هو عمل الإنسان.

٦- أن القانون الإسلامي وسلطة الدولة لها أن تحدّد ماذا تُنتج على وفق مصطلح (الطبيّات)، ولها أن تنفّذ أحكام حرمة الفساد والإفساد والاستغلال، وطبقاً لضروريّات الواقع وحاجيّاته وكماليّاته من جهةٍ تتحدّد السلعة المشروع إنتاجها، مقابل إنتاج السلعة المحرّم إنتاجها.

٧- حرص الإسلام على استيفاء الأجور التي يستوفيها الأجراء، سواء كانوا عمالاً أم شركاء، في عقود المزارعة والمضاربة والمساقاة والإجارة والجعالة، كمّاً ونوعاً، بحيث تتوازن مع الأسعار في الأعمّ الأغلب.

٨- أن الإسلام يوصي بأن نتصرّف بفوائض الإنتاج لإشباع جياع العالم، والتصدّق على المحرومين من البشر، مسلمين كانوا أم غير مسلمين، مع إعطاء المسلم أولوية.

٩- أن استثمار المنتج على (ملكية الدولة) يجعله مثقلاً بدفع الرِّيع لمصلحة المجتمع؛ لأنّ المجتمع مكّنه من فرصة عمل مهياة، هي في الأصل هبة من الله للمجتمع كلّ، فصار من حقّه صرف الرِّيع على استحقاقاته، بينما كلفه المشروع الخاصّ، مضافاً إلى الحقوق الشرعيّة (الزكاة والخمس)، أنّه يعطي من ريع الأرض مقابل تمكينه من الاستثمار.

١٠- أنّ الإسلام لا يقيم الإنتاج على أساس الخصخصة فقط، ولا على أساس تأميم القطاعات كافة، وإحالتها لإدارة الدولة فقط، إنّما يؤسّس قطاعات الإنتاج على الأشكال الثلاثة:



أ - قطاع الإنتاج العام، وهو ما تديره الدولة، ويراقبه المجتمع، وتصرف عوائده في المنافع العامة.

ب - قطاع التعاون بين إمكانات الدولة وطاقات الأفراد، فالعوائد فيه مناصفة.

ج - القطاع الخاص، وتديره الأفراد، ويكون مثقلاً بالحقوق الشرعية المالية المعروفة في النظام المالي الإسلامي.

وللإسلام نظرية في توزيع عوائد عناصر الإنتاج، بعد أن عرفنا توزيع عناصر الإنتاج، فهو يجعل ريع الأرض العامة أساساً لعموم المجتمع إذا كانت خراجية، وإذا كانت صلحية جعلت للأمة كافة طبقاً لمعاهدة الصلح، وللأفراد إذا تملكوها بسبب شرعي، ولكن مع تعسفهم ورفع الأسعار، كالاختكار، تنافسهم الدولة بتهيئة فرص للمستثمرين، وفتح المجال لاستثمار غير المستغل في الأرض، وتقرض أصحاب المشاريع الخاصة، وتمدهم بالمشورة والمستلزمات الفنية والإدارية؛ لكي لا يستبد القطاع الخاص بالسوق، ولأجل أن توجد درجة في التوازن بين القطاعات. ومع عوائد رأس المال فإن الشريعة الإسلامية ألغت الربا، وحاربت الاكتناز، وشجعت رأس المال النقدي على الدخول كعنصر فعال في العملية الإنتاجية، مشاركاً في الأرباح، غارماً في الخسائر. وتجذ ذلك في أحكام المضاربة والمزارعة والشركات ومع التنظيم، فهي مع أجر الجهد الذهني، بشرط عدم التعسف والعدوان، سواء بصيغة غمط حقوق الأجراء أم الاختكار، أما العمل فقد أولت الأجراء عناية رفيعة في إعطائهم حقوقهم، كمّاً ونوعاً، وشرعت لهم نظاماً للحوافز المادية والاعتبارية^(١).

(١) المشكلة الاقتصادية في الاقتصاد الإسلامي.



وللإسلام نظرية محكمة في التبادل، تفرض أعلى درجات الجودة وإقامة السوق النظيفة من الغش والتدليس والغبن والنجش، تطبيقاً لمقولات العمل الصالح، والرقابة الذاتية، والحساب الأخروي، مضافاً إلى القوانين التي تمنح المغبون والمغشوش والمدلس عليه حق ردّ السلعة أو أخذ الفارق السعري، مضافاً إلى تأسيس جهاز رقابة له صلاحيات متعددة لمراقبة السوق، يُسمّى (جهاز الحسبة). ويتضمّن كتاب نهج البلاغة المشتمل على خطب وكلمات و رسائل أمير المؤمنين (ع) التي ألقاها في مناسبات مختلفة مبادئ في الاقتصاد الإسلامي وممارسات ومعالجات لأزمات عانى منها المجتمع الإسلامي، ويمكن أن يتعرّض إليها في كلّ زمن، وتشكّل هذه الكلمات بمجموعها منظومة في الاقتصاد يمكن اعتمادها كمدخل لمعالجة الأزمات التي تنتاب المجتمعات البشرية، وقد شهد العالم بالأمس نهاية النظام الاشتراكيّ الذي حوّل ربع البشريّة إلى فقراء معدمين، واليوم يعاني من شرور النظام الرأسماليّ الذي بلغ أوج كبريائه و طغيانه في العقدين الأخيرين وهو يغطّي مفاسد فلسفته بغطاء من العولمة، وفي كلّ يوم تنتاب هذه الأنظمة أزمة جديدة تسحق الفقراء والمستضعفين، وعلى الرغم من فداحة الأزمات السابقة إلّا أنّها لم تكن بقوة الأزمة الراهنة التي نشبت بسبب الرهن العقاريّ الذي امتدّ ليشمل الكثير من ذوي الدخل المحدود الذين استفادوا من القروض لشراء المنازل وتوسّعت البنوك في القروض فعجز المقترضون عن السداد، ممّا أدّى إلى إفلاس كبرى البنوك والمؤسسات الماليّة في أمريكا.

كيف ينظر الإسلام لهذه المشكلة، فنظرته إلى المعاملات القائمة على الربا أنّها باطلة، وعلى غرار هذا المنهج ورد في نهج البلاغة في كلام الإمام عليّ (ع) ما يدلّ على ذلك، فقد طالب أمير المؤمنين التجار أن يتفقّوها في أحكام السوق؛ حتّى لا



ينزلقوا في المحرّمات قائلاً ((من اتّجر بغير فقهٍ فقد ارتطم في الربا))^(١).

أمّا عن البيع فيقول الإمامؑ: ((وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تُجحف بالفريقين من البائع والمبتاع))^(٢)، فلا بدّ للأسعار أن تخضع للموازين العادلة وأن تكسب رضى الطرفين.

إنّ بقاء الأزمة حتّى بعد أعوام عديدة من اندلاعها يؤكّد لنا عجز الاقتصاد الرأسماليّ عن مواجهة المشكلات الاقتصادية العالمية، وهذه ليست هي المرّة الأولى التي أظهرت عن عجزها في مواجهة هذه التحديات، وقد عرفنا تكرر هذا العجز لمرّات ومرّات مؤكّدة للعالم العربيّ بالدرجة الأولى ضرورة التفكير بالبديل، هنا بدأ بعضهم التفكير بأطروحة أخرى تستطيع مواجهة هذه المعضلة الاقتصادية والخطوات المتسارعة التي تسير عليها الإدارة الأمريكيّة في معالجتها للأزمة تبيّن لنا معالم هذا البديل. ويقوم الاقتصاد الإسلاميّ على المبادئ الآتية:

أولاً: مبدأ تدخل الدولة: يتجلّى تدخل الدولة في الاقتصاد الإسلاميّ في ثلاثة أمور:

١- توجيه آليات الاقتصاد نحو بناء مجتمع يتّصف بالغنى والسعادة.

٢- الرقابة على الفعاليّات والأنشطة الاقتصادية المحرّمة.

٣- حماية المساهمين في العجلة الاقتصادية من تجّار وصنّاع ومزارعين.

و خير نصّ يرسم لنا صورة عن حدود تدخل الدولة في الشأن الاقتصاديّ هو وصية أمير المؤمنينؑ إلى واليه على مصر مالك الاشر، ففي هذه الرسالة يطلب الإمام من واليه بأن يوازن بين الضرائب التي يجبيها وبين الإنتاج، ويأمره بأن يهتمّ بالإنتاج أولاً، لأنّه هو السبيل إلى زيادة الخراج، أمّا في جانب الإنتاج فيربط بينه وبين

(١) المشكلة الاقتصادية في الاقتصاد الإسلامي .

(٢) م. ن .

أصناف المجتمع كالتجّار و ذوي الصناعات والزّراع، وهم الأساس في دائرة الإنتاج، فيأمره أن يرفع شأنهم و يدعم مواقفهم و يحلّ مشكلاتهم، و يأمره أيضاً أن يمنعهم من الاحتكار و التلاعب بالأسعار لرفع الضرر عن العامّة .

ثانياً: مبدأ الضمان و التكافل الاجتماعيين: إنّ الدولة ضامنة لأيّ فرد في المجتمع الدخل الذي يستطيع أن يعيش من خلاله، فإذا كان قادراً على العمل تضمن له مجالات العمل المناسب، وإذا لم يكن قادراً على العمل تضمن له ما يستطيع أن يعيش به هو و عياله. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما مُتّع به غنيّ و الله تعالى سائلهم عن ذلك))^(١)، و قد بارك أمير المؤمنين لأولئك الأغنياء الذين يتحمّلون مسؤوليّة إعانة الفقراء و المحتاجين و إعانتهم، قال: ((أنعم الناس عيشاً من عاش في عيشه غيره))^(٢).

ثالثاً: مبدأ تحريم الربا و مكافحة الأنشطة المحرّمة و ما يتسبّب في تكديس المال: و ذكرنا موقف الإسلام من الربا و خطورته على المجتمع.

رابعاً: مبدأ تحفيز الإنتاج: يبني الإسلام مجتمعاً منتجاً، فلا مجال للكسل و الترهّل، يقول الإمام عليّ عليه السلام: ((لا يدرك الحقّ إلا بالجدّ))^(٣)، و يأمر و اليه قائلاً: ((وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج))^(٤)، فالأولويّة يجب أن تُعطى للإنتاج، و تقوم موارد الدولة على مصادر الإنتاج قبل الضرائب التي تضعها على المنتجين؛ لأنّه من طلب الخراج بغير عمارة خرّب البلاد و أهلك العباد و لم يستقم إلا قليلاً .

(١) المشكلة الاقتصادية في الاقتصاد الإسلامي .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٠٠ / ٢٠ .

(٣) م.ن: ١١٢ / ٢ .

(٤) م.ن: ٧٠ / ١٧ .



خامساً: رعاية ذوي الحاجات: لنقرأ ما يقوله أمير المؤمنين إلى واليه مالك الأستر، يوصيه أن يبذل الأموال للتجار و الصناع إذا تعرّضوا إلى أزمة، قال: ((وافسح له في البذل ما يُزيل عنته و تقلّ معه حاجته إلى الناس))^(١)، وأمّا المزارعون و أصحاب الحقول الذين يتعرّضون للكوارث الطبيعية: ((فإن شكّوا ثقلاً أو علةً أو انقطاع شرب أو بالة (أي المطر) أو إحالة أرضٍ اغتمرها غرقٌ أو أجحف بها عطشٌ خفّفت عنهم، بما ترجو أن يصلح به أمرهم، و لا يثقلنّ عليك شيء خفّفت به المؤنة عنهم فإنّه ذخّر يعودون به عليك في عمارة بلادك و تزيين ولايتك))^(٢).

المقترحات

١. محاولة رفع مستوى إشباع حاجات الإنسان من السلع والخدمات، وضرورة رفع كفاءة استخدام الموارد المتاحة، وتحقيق العدالة في توزيع الموارد والعوائد وتحقيق الضمان الاجتماعي، إنّ ما يميّز الإسلام عن النظريات الأخرى هو اهتمامه بهدف ثالث يعدّه الهدف الأساسي والبناء التحتي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا الهدف يتلخّص في السعي لتنمية شخصية الفرد، ومن ثمّ الارتقاء بالمجتمع إلى مستوى إنسانيّ تنسجم فيه المصلحة الفردية مع المصلحة العامة، ويكون السعي لإحداها سعيّاً للأخرى، ومع أنّ النظم الاجتماعية تتفق على الهدفين الأوّلين إلاّ أنّها تتفاوت في قدرتها على تحقيق تلك الأهداف المعلنة.

٢. محاولة زيادة كفاءة استخدام الموارد المادية والبشرية، والتركيز على المحتوى الفكريّ والعقائديّ للإنسان؛ فهو العامل الضروريّ في الرقيّ الاقتصاديّ والاجتماعيّ. إذ تختلف الدول في مقدار امتلاكها للموارد الاقتصادية كمصادر

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٥٩ .

(٢) م: ٧١ / ١٧ .



الطاقة والمعادن والأرض الزراعيّة، وأمام هذا التفاوت تجد الدول نفسها في مأزق وحرَج أمام ضخامة وتنوُّع حاجات الإنسان، ممَّا دفع بعض الاقتصاديين إلى الاعتقاد بأنَّ المشكلة الاقتصاديّة ترجع إلى أنَّ حاجات الإنسان ورغباته غير متناهية بالنسبة للموارد المتاحة، فاقترضت الحكمة الإلهية أن تخلق الموارد، من معادن وغيرها، بقدر محدّد ومتوازن وموزَّع على بقاع العالم المختلفة بشكل يكفي لسدِّ حاجة الإنسان الأساسيّة وضمان استمرار الحياة. فبعض بقاع العالم يمتلك ثروات نفطيّة هائلة، وبعضها الآخر يمتلك مصادر مائيّة وأراض زراعيّة، أو أماكن سياحيّة، هذا التنوُّع في توزيع الموارد والمصادر الاقتصاديّة أعطى تلك الدول فرصة التخصّص في ممارسة النشاط الاقتصاديّ أو التجاريّ.



المصادر

* القرآن الكريم.

١. اقتصادنا، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (١٤٠٠ هـ): مكتب الاعلام الإسلامي فرع خراسان، مؤسسة بوستان كتاب قم ، جمهورية ايران الإسلامية ،
https://content-wp/wp/iq.edu.uokerbala.cois/_st3_koraan_book_library_images/06/2014/uploads/pdf.q_st3_agtesad

٢. التنمية الاقتصادية، حسين درويش، بيروت، دار النهضة العربية .
 المشكلة الاقتصادية بين النظرية والتطبيق، مدونة يحيى السيد عمر (٢٠٢١)،
<https://com.yahyaomar>

٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفيّ.
 ٤. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّاذُري، دار ومكتبة الهلال - بيروت
 ٥. ما هي نوع المشكلات الاقتصادية ؟ ، غيداء التميمي، مقال منشور في الصفحة الرسمية لموقع العرب المالي
<https://com.arabfina>

٦. المشكلة الاقتصادية في الاقتصاد الإسلامي، محمد يحيى محمد الكبسي، الجامعة اليمنية كلية العلوم الشرعية والقانونية (٢٠١٨)، مقال منشور في موقع الاجتهاد الالكتروني:
<https://net.ijtihadnet>

الأثر القرآني في سياسة الحكم الرشيد عند الإمام عليؑ

م.د أركان ناهي موسى

الكلية التربوية المفتوحة / مركز المثنى الدراسي

م.م ناجح كريم جودة

المديرية العامة لتربية المثنى

الملخص:

إن العلاقة بين الإمام عليؑ والقرآن الكريم علاقة راسخة؛ ولهذا يستقي ﷺ مفاهيم حياته جميعاً من القرآن الكريم لارتباطه موضوعياً به؛ ومن هذه المفاهيم مفهوم السياسة الذي يُستخلص عند الإمام ﷺ من المفهومين القرآني والنبوي، فالإمام ﷺ صاحب رؤية سياسية شاملة؛ لأن فكره السياسي نابع من فهمه العميق لتعاليم القرآن الكريم، ولأن الإدارة الرشيدة لمؤسسات الدولة تستلزم مجموعة من المبادئ والقيم التي يهدف الحكم الرشيد إلى تعزيزها وتقويتها، ومن أهمها قيام العدل والمساواة والمحافظة على المال العام (مكافحة الفساد) والرؤية الاستراتيجية والمسألة والشفافية والمركزية والمساواة والاندماج الاجتماعي وغيرها من المبادئ والأبعاد التي يسعى هذا النوع من الحكم الوصول إليها، المستقاة أساساً من القرآن الكريم. وتعدُّ هذه القيم اليوم مؤشرات للحكم الرشيد أو الحكم الصالح؛ إذ كانت أسبقية تأسيسها تعود إلى الإمام عليؑ؛ فلم يسبقه أحدٌ إليها



سوى معلّمه الأوّل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وهذه دلائل منهجه السياسيّ الرشيد، وعلى الرغم من مدّة حكمه القصيرة التي استمرّت خمسة أعوام؛ عُرِفَتْ بعدم استقرارها السياسيّ وكثرة الأحداث المعقّدة والصعبة في دولته مترامية الأطراف، إلاّ أنّه نجح نجاحًا مثاليًّا في إدارتها، فضلًا على قدرته على صياغة قوانين مختلفة بعامّتها وخاصّتها استمدّها من القرآن الكريم حتّى أضحت وثائق سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وفكريّة للحكومات والمنظّمات والمؤسّسات المختصّة التي اتّخذت منها منهجًا للتنظيم ورسائل منظمة في المعاملات، فالإمام (ع) طيلة مدّة حكمه كافح كلّ أشكال التمييز والفساد والعبث بالمال العامّ والكسب من دون شرعيّة، وقد ولّى رجالًا ثقات عُرِفُوا بأخلاقهم ودينهم وعلمهم وحسن إدارتهم للأمر، لذا حقّقت دولته ازدهارًا في المجالات كافّة. من هنا يتّضح المنهج السياسيّ عند الإمام عليّ (ع) القائم على الحكم الرشيد وبذلك يهدف هذا البحث إلى بيان قواعد الحكم الرشيد التي اتّبعها (ع)، إذ أسهمت في قواعد بناء الدولة، كما يهدف إلى البيان بأنّ تلك القواعد التي تبنّاها الإمام (ع) استمدّها أساسًا من القرآن الكريم حتّى أصبحت مؤسّرات لدى الحكومات والمنظّمات الدوليّة، بذلك تقاس على أساسها مدى تبنّي الدول لهذا النوع من الحكم من عدمه؛ لأنّ هدف الإمام (ع) هو الدفاع عن قدسيّة القرآن وعظّمته وتحقيق مفاهيمه وتطبيق حدوده، ولتحقيق النتائج المرجوة اعتمد البحث على المنهج التاريخيّ لدراسة مبادئ الحكم الرشيد في دولة الإمام عليّ (ع)، فضلًا على توظيفه منهج تحليل القوّة الذي يستعمل في الدراسات الجغرافيّة السياسيّة لتوضيح قوّة الدولة.

الكلمات المفتاحيّة: الحكم الرشيد، الدولة، الإمام عليّ (ع) .



Abstract:

The relationship between Imam Ali (PBUH) and the Holy Quran is profound and deeply rooted. Consequently, the Imam derived all his life concepts from the Quran due to his objective and spiritual connection to it. Among these is the concept of politics, which he extracted from both Quranic principles and Prophetic traditions. Imam Ali (PBUH) possessed a comprehensive political vision rooted in his deep understanding of Quranic teachings. He recognized that the rational administration of state institutions requires a set of principles that Good Governance aims to strengthen—most notably justice, equality, the preservation of public funds (anti-corruption), strategic vision, accountability, transparency, centralization, and social inclusion.

Today, these values are considered key indicators of Good Governance. Historically, the precedence for establishing these principles belongs to Imam Ali (PBUH), following only his first teacher, the Great Prophet (PBUH). Despite his brief five-year reign, which was marked by political instability and complex challenges across a vast state, the Imam achieved exemplary success in administration. He formulated diverse laws—general and specific—derived from the Quran, which have since become political, economic, and social blueprints for governments and international organizations. Throughout his rule, he combated all forms of discrimination, corruption, and the illicit use of public wealth, appointing trustworthy leaders known for their ethics, piety, and administrative competence.

This research aims to elucidate the rules of Good Governance followed by Imam Ali (PBUH) and their contribution to



state-building. It highlights how his principles, primarily derived from the Quran, have become global benchmarks for measuring the quality of governance in modern states. To achieve its objectives, the study employs a historical approach to examine the principles of governance in Imam Ali's state, alongside a power analysis methodology—commonly used in geopolitical studies—to illustrate the underlying strengths of his administration.

Keywords: Good Governance, The State, Imam Ali (PBUH).



المقدمة:

يُعدّ مفهوم الحكم الرشيد من المفاهيم التي نالت اهتمامًا واسعًا في العقود الأخيرة على الرغم من جذوره التي تعود إلى آلاف السنين، فالحكم بشكل عام أصبح من الموضوعات التي تثير اهتمامًا كبيرًا نتيجة الدور الذي تؤديه في تحديد رفاهية المجتمع، ويُعرف هذا الحكم بأنه عملية تأسيس أيديولوجي، سياسي، واجتماعي، واقتصادي، وثقافي، ومعرفي، ينتج عنه تأصيل لنظام حكم سليم، يتّجه بمصالح المجتمع وأهدافه نحو التحقق، على وفق قاعدة لا ضرر ولا ضرار، يتشكّل من جرائها بناء مجتمع صالح يتّجه نحو الفضيلة والكمال بأسس ثابتة، يشترك في صناعة هذا الوضع السياسي والفكريّ كلّ من الحاكم والمحكوم بعلاقة تكاملية، ولقد حرص الإمامؑ بأن يُعالج المنظومة الأخلاقية والمعرفية والفكرية الاجتماعية العامة (للمجتمع العام)، ويقرن صلاحها بصلاح ذات الوالي وسلامة منظومته المعرفية والأخلاقية، بل إنه يُعدّ الأولى مقومة للثانية، يأتي ذلك التأصيل في إشارة منهؑ إلى ضرورة الشروع بتأصيل حالة الانسجام بين الفلسفة الفردية ثقافة الفرد والفلسفة الجمعية فضلًا عن فلسفة سياسة الحاكم وتعدّ هذه الثلاثة (الفرد والمجتمع والحاكم) من الضرورات الأساس التي لا بدّ منها لتأسيس مبدأ الانسجام والتكامل المعرفي العام الذي لا بدّ منه ويمثّل مبدأ التكامل المعرفي والأيديولوجي، المحور الأساس لمشروع الحكم الرشيد؛ إذ إنه يفرض صيغة التفاهات بين الحاكم والمحكوم، وعندما يحلّ التكامل والتفاهم المعرفي والفكريّ محلّ التناحر والتشطي، فإنّ المجتمع سوف يتّجه إلى تطبيق سياسة إصلاحية بإمكانها أن تغيّر الواقع الذي يعيشه أيّ مجتمع من المجتمعات؛ بل سوف يكون المجتمع مهياً لتطبيق الفلسفة الرشيدة.



أولاً - مشكلة البحث:

تتركز مشكلة البحث على السؤالين الآتيين:

١- ما الحكم الرشيد؟

٢- ما الأثر القرآني على تطبيق مبدأ الحكم الرشيد عند الإمام علي (ع)؟

ثانياً - فرضية البحث:

١- إنه الحكم القائم على أساس مجموعة من الآليات والمؤسسات التي تسعى إلى تطوير الأنشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة بهدف تحقيق الرفاهية للأفراد وتوفير متطلباتهم وحاجاتهم وممارسة حقوقهم القانونية وتوفير الطمأنينة لأفراد المجتمع كافة، فهو الأسلوب أو الطريقة الصحيحة لإدارة شؤون الدولة على وفق آنية العدالة التي تضمن تطبيق القوانين ومحاربة الفساد واحترام حرية الأشخاص.

٢- إن الأثر الذي يرسمه الإمام علي (ع) هو تطبيق للمنهاج الذي يرسمه القرآن الكريم؛ إذ إن الظلم في نظر الإمام هو مخالفة العدل وهذا يعني مخالفة الله في ميزانه ومعارضته في سلطانه.

ثالثاً - أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يكشف وبمنهج علمي محكم عن ماهية الحكم الرشيد، علاوة عن معرفة الأثر القرآني على سياسة الحكم الرشيد عند الإمام علي (ع).

رابعاً - منهج البحث:

لأجل الوصول إلى أهداف الدراسة وتحقيق النتائج المطلوبة فقد اعتمد الباحث على ثلاثة مناهج رئيسة: الأول - المنهج الاستقرائي لاستقراء الآيات القرآنية ذات الصلة بمفهوم الحكم الرشيد. والثاني عن المنهج التحليلي لتحليل



المفهوم القرآني للحكم الرشيد، ويتمثل الثالث بالمنهج المقارن من أجل مقارنة مفهوم الحكم الرشيد مع المفاهيم الأخرى.

المبحث الأول: مفهوم الحكم والحكم الرشيد:

أولاً: الحكم لغةً واصطلاحاً: قبل الولوج في مفهوم الحكم الرشيد لابد من تعريف الحكم لغة واصطلاحاً كي يهَيئ المتلقي لماهية الموضوع الذي يروم الخوض فيه وحدود الأشغال به، وللإيفاء بتلك الضرورات سيتم دراسة هذا المبحث بالشكل الآتي:

أ- مفهوم الحكم لغةً: الحكم هو لفظ مأخوذ من الفعل (حكم)، بمعنى قضى، وهو مرادف للهدى والسواء والصواب، وهو عكس التيه والضلال، فحكم حكماً، صار حكيمًا وتناهى عما يضره، وشيء مُحكم هو شيء لا اختلاف فيه ولا اضطراب^(١). ويشير أيضًا إلى المنع والصرف، يقال: حكمت الرجل عن رأيه وأحكمته وحكمته: أي منعته وصرفته عن رأيه، ويقال: بأنه الإحكام والاتقان، كما ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ويعني الحكم العلم والفقہ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، بمعنى جلال العلم والحكمة والعدل، ويُعرف كذلك بأنه حكم يحكم حكماً، ويقال هو القضاء بالعدل، ويقال للحاكم بين الناس (حاكماً)؛ لأنه يمنع الظالم من الظلم، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦]، وبهذا الحكم يعني العدل، والحلم، والعلم ويقال أحكمته التجارب إذا كان حكيمًا، والحكم لغة من حكم يحكم حكماً حكومة ويعني الحكم والفقہ والقضاء والإصلاح والعدل^(٢).

(١) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (حكم).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (حكم).



ب- اصطلاحًا: يعرف الحكم بأنه ظاهرة اجتماعية رافقت الإنسان منذ فطرته الأولى من خلال حاجته للاجتماع البشري، إذ إن الأخير بحاجة لشخص يحمل لواءه ويدير شؤونه سواء صغر أم كبر ذلك الاجتماع الأسرة أو العشيرة أو القبيلة أو مجموعة قبائل؛ لأن التجمع البشري بحاجة إلى هيئة مسيطرة وأمرة لها القدرة على امتلاك القوة المادية والمعنوية لإصدار الأحكام الملزمة لأفراد المجتمع، بهدف تدبير شؤون المجتمع وتسيير أموره فضلًا على تحقيق التوازن وتقليل التناقضات والتوفيق بين احتياجات الأفراد، وإعادة الحق إلى نصابه، وردع الظلم والعدوان يتطلّب وجود هيئة عليا تمتلك القوة المادية والمعنوية لتحقيق كلّ ما سبق، تسمى بالحكومة أو السلطة الحاكمة، وهي أعلى مرتبة في الدولة^(١)، إذ إنّ الحكم يعبر عن عملية صنع القرار، بمعنى العملية التي يتمّ بوساطتها تنفيذ القرارات من طريق الحكومة أو الجهات الرسمية وغير الرسمية الفاعلة في الحكم التي يمكن لها أن تشارك في صنع تلك القرارات وتنفيذها، وعلى هذا الأساس يمكننا القول: إنّ الحكم مفهوم واسع يشمل أعمال الدولة كافة من سلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية وإدارة عامة، فهو يشمل الهيئات الرسمية وغير الرسمية كافة، علاوة عن صلاحيات الحكومة بالمعنى التنظيمي ونشاطاتها؛ لأنها تؤمّن الإدارة العليا للقضايا السياسية وتحدّد التوجيه السياسي للدولة، فالحكم يمثل إدارة شؤون الدولة سياسيًا وتشريعياً على المستوى الداخلي والخارجي^(٢).

ثانيًا: الحكم الرشيد لغة واصطلاحًا: بعد أن بيّنا مفهوم الحكم لغة وتوقّفنا على دلالاته اللغوية والمعنوية بكونه لفظًا واحدًا من دون أن يلتقط معناه منذ إدراجه

(١) ينظر: الحكم الصالح: ٣٥.

(٢) ينظر: تحليل جغرافي سياسي لمؤشرات الحكم الرشيد دراسة تطبيقية على العراق: ٧.



في تركيب واحد يتمثل بالحكم الرشيد الذي سنقف على اللفظة الثانية المكونة لتركيبه السياقي، بذلك يُعدُّ الحكم الرشيد مفهوماً ذا جذور ضاربة في غور التاريخ الإسلامي، إذ نعت المسلمون مدّة الخلفاء الأربعة الراشدين بالخلافة الراشدة؛ فالرشد في اللغة العربيّة يشير إلى الاستقامة والهداية وإصابة الحق والصواب، ويُقابله (الغي) أو (الضلال) ويستند مفهوم الحكم الرشيد في الإسلام على نصوص قطعيّة من القرآن الكريم والسنة النبويّة، وتجربة تاريخيّة غنيّة ترجمت فيها النصوص إلى ممارسات فعليّة، وأطر نظريّة وضعها الفقهاء لضبط العلاقة بين الحاكم والمحكومين^(١).

هناك العديد من الاجتهادات في مسألة تعريف الحوكمة أو الحكم الرشيد، وركّزت غالبية التعريفات على البعد السياسيّ أكثر من الأبعاد الأخرى، بعدما كان الاهتمام في البداية منصبّاً على الجانبين الاقتصاديّ والإداريّ، علماً أنّ تفاصيل المفهوم تتداخل مع شؤون الحياة كافّة، ويرجع هذا الاختلاف والتعدّد حول مفهوم الحكم الرشيد بالأساس إلى اختلاف الميادين وتباين المنطلقات الأيديولوجيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، ويُعرف الحكم الرشيد على أنّه الحكم الذي تقوم به قيادات سياسيّة منتخبة؛ وكوادر إداريّة ملتزمة بتطوير موارد المجتمع ويهدف إلى الارتقاء بالمواطنين وتحسين نوعيّة حياتهم ورفاهيّتهم ورضاهم عبر مشاركتهم ودعمهم^(٢)، ويعرف كذلك بأنّه طرق وأساليب مختلفة التي يقوم بها الأفراد والمؤسّسات العامّة والخاصّة بتسيير أعمالهم المشتركة بطريقة مستمرة قائمة على أساس التعاون والمصالحة والتوفيق بين المصالح المختلفة وتلك

(١) ينظر: تاريخ الرسل والملوك: ١٣٧

(٢) ينظر: الحوكمة (الحكم الرشيد) وأخلاقيات المهنة: ٨.



المتنازع عليها، إذ يدرج هذا الحكم تدرّج المؤسسات الرسمية والأنظمة المزوّدة بالصلاحيّات التنفيذية والترتيبات والتعديلات الرسميّة التي على أساسها تكون الشعوب والمؤسّسات قد وقعت بصفة وفاقية لخدمة مصالحها العامّة، ويقصد به أيضاً حزمة من القواعد الطموحة التي تُسمّى لإذعانه المسيرين في الالتزام بالتسيير بطريقة شفافة في إطار هدف المساواة على أساس قاعدة واضحة وغير قابلة للتردد أو الانتقادات على أنّ ذلك يسهم في كلّ الأطراف الفاعلة عبر نشاطات هؤلاء في مجال التسيير التي أصبحت من المتطلّبات المثلى في كلّ الأصعدة التي لا تستبعد أيّ عنصر من النشاط الإنساني^(١).

بعد أن عرضنا مفاهيم الحكم الرشيد، وعلى الرغم من اختلاف تعريفاتها إلّا أنّها تتفقّ جميعاً على الهدف النهائيّ والرئيس لتطبيق الحكم الراشد وهو تحقيق الرفاهية والسعادة، علاوة على التوزيع العادل للثروات بهدف إحقاق الحقّ والعدل وتطبيق لإرادة الخير في هذا الوجود وقيادة الحياة على وفق منهج الله سبحانه وتعالى والتحقيق الشامل لهذه المبادئ والأهداف.

الأثر القرآنيّ على تطبيقات الحكم الرشيد عند الإمام عليّ (ع)

أولاً- محاربة الفساد الماليّ والإداري: يعدّ هذا المبدأ أحد أهمّ تطبيقات الحكم الرشيد في سياسة الحكومات الرشيدة الحديثة، وترجع جذور تطبيقه إلى الإمام عليّ (ع) عندما أراد نشر ثقافة أخلاقيّة وطنيّة تقوم على جملة أمور أبرزها التثقيف لنبد الإثراء الفاحش؛ لأنّه يعود بالضرر على الفرد نفسه والمجتمع^(٢)، لذا نجده يوصي

(١) ينظر: تحليل جغرافي سياسي لمؤشرات الحكم الرشيد دراسة تطبيقية على العراق: ٨.

(٢) ينظر: نظم ضمان الجودة في فكر الإمام عليّ (ع) (دراسة في رسائل نهج البلاغة): ٨٥-٨٦.



ابنه الإمام الحسن عليه السلام بقوله: ((ولا تكن خازنا لغيرك))^(١)، وبذلك فإن الإمام عليّ عليه السلام قد نهى عن اكتناز الأموال الماديّة والعينيّة^(٢)، وهذا ما يتناغم مع القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

أي إنّه يركّز على البعد الاخلاقيّ فيما يتعلّق بالتكافل الاجتماعيّ وتوزيع الثروات بشكل عادل، ليس هذا فحسب وإنما ثقّف الإمام عليه السلام المجتمع للحفاظ على أموال الدولة والشعب وعدم العبث بها أو بطرق إيصالها إلى مستحقيها، وهي ثقافة مهمّة جدًّا لكون غيابها يمثل المحرّك الأساس للفساد وعدم النزاهة، فقد أوصى الإمام عليّ عليه السلام عمّاله بالقول: ((من استهان بالأمانة ورتع في الخيانة، ولم ينزه دينه ونفسه عنها، فقد أحلّ نفسه الذلّ والخزي في الدنيا، وهو في الآخرة أذلّ وأخزى))^(٣)، وهذا الكلام ينسجم مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وبذلك فإنّ الأمانة التي ذكرها الإمام عليه السلام هي لفظ عام عن كلّ ما يؤتمن عليه الإنسان، ومما لا شكّ أنّ أموال الشعب والوطن أوّلها.

وقد توجّه الإمام عليّ عليه السلام إلى مرحلة أخرى متقدّمة من مراحل التثقيف لبناء ماليّ وهي بيان المفهوم السامي للاقتصاد وملحقاته، المفهوم الذي نستطيع أن نسمّيه مفهومًا واقعيًّا أخلاقيًّا وهو مفهوم التوسّط أو الوسطيّة في التعامل مع المال، ويلحظ ذلك من وصيّته إلى عامله على البصرة زياد بن أبيه، قال: ((فدع الإسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم غدًا، وامسك من المال بقدر ضرورتك، وقدّم الفضل ليوم

(١) نهج البلاغة: ٥٠٣ .

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢٣٢ .

(٣) م. ن: ٨٦ .



حاجتك))^(١). وقد تعدّى الإمام (ع) في مراحلهِ التثقيفِيَّةَ لبناءِ نظامِ ماليِّ رصينٍ إلى اختيارِ الخبراءِ أو المستشارينِ في ذلكِ وقد حدّدَ المساوئَ التي قد تصيبُ النظامَ في حالِ تجاوزِ الاختصاصِ؛ لأنَّ ذلكَ سيؤدِّي إلى ظهورِ الفسادِ الماليِّ ثمَّ الإداريِّ أيضًا إذُ بَيَّنَ ذلكَ في وصيَّتِهِ إلى عاملِهِ مالِكِ الأَشْرَ حينما قال: ((لا تُدخِلنَّ في مشورتك بخيالًا يعدلُ بك عن الفضلِ، ويعدك الفقرَ، ولا جبانًا يضعفك عن الأمورِ، ولا حريصًا يزيّفُ لك الثمرةَ بالجورِ، فإنَّ البخلَ والجبنَ والحرصَ غرائرُ شتَّى يجمعها سوءُ الظنِّ بالله))^(٢). وهذا يعني أنَّ الإمامَ (ع) ركّزَ على أمورٍ متعدّدةٍ هدفها تحقيقُ البناءِ الماليِّ الرصينِ وقد توجّبَ منها الآتي:

١- اختيارِ المتخصّصينِ في النظامِ الماليِّ لإدارةِ الأمورِ الماليَّةِ ووضعِ السياساتِ الماليَّةِ ورسمها.

٢- في الوقتِ الذي أكّدَ به الإمامُ (ع) على عدمِ التبذيرِ؛ فإنّه يدعو الحكّامَ إلى عدمِ التقتيرِ على الشعبِ؛ بل يجبُ أن تكونَ السياسةُ التي وضعها المتخصّصونَ قائمةً على أسسٍ علميَّةٍ رصينةٍ يرفعى فيها المستحقّينَ.

ثانيا- العدل: إنَّ تطبيقَ مبدأِ العدلِ الذي يعدُّ من أهمِّ تطبيقاتِ الحكمِ الرشيدِ؛ وأنّه الركيزةُ الأساسُ للبناءِ السليمِ لكيانِ الدولة؛ إذ ركّزَ الإمامُ عليّ (ع) على هذا المبدأِ الذي يتّضحُ منه منهجهُ في العدلِ؛ فهو تطبيقُ للمنهاجِ الذي يرسمه القرآنُ الكريمُ؛ إذ إنَّ الظلمَ في نظرِ الإمامِ (ع) يعدُّ مخالفةَ العدلِ وهذا يعني مخالفةَ الله في ميزانه، ومعارضتهُ في سلطانه، وأميرُ المؤمنينِ أخشى لله من أن يُخطِرَ له ظلمَ ولو مَلَكَ به الدنيا أضعافًا، وهو القائلُ: ((والله لو أُعطيَتُ الأقاليمَ السبعةَ بما تحتَ

(١) نهج البلاغة: ٤٧٨.

(٢) م: ٥٤٨.



أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته))^(١). فالعدل في نظر الإمامؑ هو الإنصاف والإحسان وهذه الرؤية هي من منطلق قرآني؛ إذ تتماشى مع ما يذكره الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، فكان الإمام عليؑ ياتمر بما أمر به الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وإذا كان العدل أصلاً جامعاً للحقوق بما لا شك فيه؛ إنه يمثل مقصدًا عامًّا من المقاصد القرآنية التي يتحقق بتطبيقها متغى المجتمع من التشريع وهذا ما كان يعمل عليه الإمامؑ. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وحادثة الإمام مع عقيل إلا مصداق على ذلك وإقامة العدل أهم وظيفة للدولة يمكن أن يؤديها الحاكم.

ثالثاً: التعايش السلمي عند الإمام عليؑ: إن الإمام عليؑ مولع بحب الخير للناس والعمو والصبر والتسامح السخاء وعدم الاكتراث للأعداء، وتطلع إلى خدمة الناس فهوؑ يجب أن تشيع ثقافة التعايش والتسامح واحتواء الآخرين ويجعلها بدلاً من العنف والإرهاب والتعسف والظلم والطغيان، إذ إن المفهوم التربوي عند الإمامؑ يرى أن الإنسان هو الغاية الأخيرة لهذه الموجودات ومن أجل ذاته خلق الله ما خلق من طبيعة وكون ووجود، فقد أكد الإمامؑ على العديد من الصفات التي تعضد تماسك العلاقات الاجتماعية، ومن بين ما أكد عليه صلة الرحم، إذ قالؑ: ((ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدها

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام عليؑ: ٢ / ٢١٨ .



بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِلَّا أَهْلَكَهُ وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَمَنْ تَلَنْ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ))^(١)، لَأَنَّ صَلَاةَ الرَّحْمَنِ تَزِيدُ فِي الرِّزْقِ وَتَطِيلُ الْعُمُرَ وَهَذَا مُتَّسِقٌ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [الأنعام: ١٠] .

وأكد عليه السلام على فضيلتي الصدق والوفاء بين أفراد المجتمع الواحد؛ لأنها من صفات المؤمن ومفتاح لكل فضيلة للإنسان، إذ قال في أحد خطبه: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ. وَلَا يَغْدِرُ مِنْ عِلْمِ كَيْفِ الْمَرْجِعِ. وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اخْتَذَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْغَدْرِ كَيْسًا وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حَسَنِ الْحَيْلَةِ. مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، قَدْ يَرَى الْحَوُولَ الْقَلْبَ وَجِهَ الْحَيْلَةَ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَبْتَهِزُ فِرْصَتَهَا مِنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ))^(٢)، وهذا يتوافق مع ما ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] .

رابعاً- المركزية واللامركزية: إنَّ تطبيق هذا المبدأ قد يكون هو الفيصل في

(١) نهج البلاغة الخطبة: ٢٣، والبحار ٧٤: ١٠٤ ح ٦٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١٢/٢ .



معرفة أتباع الدولة لسياسة الحكم الرشيد من عدمه، إذ كان أتباع أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام في أسلوب الحكم الثابت والمتغير، لذا تراه عليه السلام تارة يتبع أسلوب المركزية، وفي موقف آخر يوظف أسلوب اللامركزية في الإدارة ومتابعته للمنجز، وحالة أخرى حينما يتطلب المزج بين إيجابيات المركزية واللامركزية لمعالجة موقف آخر، أو سحب السلطات وتجريد المسؤول من صلاحياته، أو يتطلب التحول إلى ما يتفق مع الموقف بأسلوبه الإداري، ويوضح ذلك قوله المبارك: ((أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، إِنَّ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّنَا، وَعَصَيْتَ إِمَامَنَا، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَنَا. بَلَّغَنِي أَنَّكَ جَرَدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ إِنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَالسَّلَامُ))^(١).

فطبيعة الدولة في ذلك الوقت لم تكن تشبه الدولة كما هي عليه الآن نظراً لأن الإقليم الممتد عبر مئات أو آلاف الكيلومترات لم يكن من السهل إيجاد وحدة متماسكة في الدولة الكبيرة ولأن النظام الجديد والاتصالات وانعدام الوسائل المطلوبة كان أحد الأسباب الرئيسة، مما لم يمكن الحكومة من إعطاء تعليماتها في كل لحظة للمرؤوسين والولاة والموظفين الحكوميين؛ لذا كانت الدولة الإسلامية تعتمد (اللامركزية) أو (عدم التمركز)، بحيث يتمتع العمال الموظفون بصلاحيات واسعة جداً تخولهم اتخاذ القرار السياسي ولكن الخليفة يستطيع أن يتدخل في كل وقت في هذه الصلاحيات، ومن هنا فهي - الدولة - تختلف عن (نظام اللامركزية الحديثة) (deconcentration) إذ تكون صلاحيات السلطة المحلية أوسع بكثير مما هي عليه اليوم، ثم هي غير ثابتة؛ لأن الخليفة يستطيع التدخل فيها عندما يشاء، فالدولة كانت أشبه بالكونفدرالية لكنها وحدوية تخضع لنظام تشريعي مركزي من

(١) نهج البلاغة: ٤١٢ .



قبل الحكومة الموجودة في العاصمة التي يقيم فيها الإمام علي (ع) وهي الكوفة آنذاك وكذلك يوجد تراتب هرمي تسلسلي، فالسلطة تتمثل في خليفة المسلمين وهو الإمام علي (ع) الذي يصدر القرارات التشريعية ثم تنزل إلى السلطة التنفيذية والقضائية ثم إلى بقية المؤسسات والأدنى فالأدنى، وهذا دليل واضح بتوظيف اللامركزية في الإدارة، فلو رجعنا إلى قوله: (إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُهُ)، يدل على حرية صنع القرار واتخاذها، والمسؤولية المترتبة عليها حتى في خصوصيات المسؤول المنعكسة على سمعة الدولة وقيادتها، وهو دليل على حماية التبعات الخاصة على أنشطة ومستقبل الدولة، والحيلولة من دون الوقوع في دائرة الفساد بكل أشكاله، ويعني اللامركزية في الإدارة، فقد كان الإمام (ع) يتبع نظاماً متبايناً بين المركزية واللامركزية مع ولايته.

خامساً- الحقوق والحريات: ما لا شك فيه أن الحقوق عند الإمام علي (ع) هي الركن القانوني في نظام العلاقات الاجتماعية، فالمسلم مسؤول عن حقوق الآخرين: حقّ الوالدين، وحقّ الزوجة، وحقّ الابن، وحقّ المعلم، وحقّ المُربي، وحقّ الصديق، فيجب على الإنسان المسلم أن يُؤدّي هذه الحقوق، وفي الوقت ذاته توجد حقوق للآخرين عليه، وإنّ له حقوقاً عليهم، ونتيجة لهذه الحقوق المتبادلة يقوم نظام العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، أمّا حقّ الله فهو الدائرة الواسعة التي تشمل حقّ المجتمع، فهو غير منفصل عن حقوق الناس، بل هو تبعٌ لحقوق الناس، وليس العكس. تأمّل ما يقوله أمير المؤمنين (ع): ((جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدّمة لحقوقه))^(١)، لذا كان أفضل ما يقوم به الإنسان هو أن يُوصل الحقوق إلى أهلها، يقول أمير المؤمنين (ع): ((أفضل الجود إيصال الحقوق إلى أهلها))^(٢).

(١) الحقوق والحريات من منظار الإمام علي ابن أبي طالب (ع) بالمقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: ٢٣ .

(٢) غرر الحكم: ٣٣٠ .



تنقسم الحقوق التي كان الإمام عليؑ مراعيًا لها على ستة أقسام، هي:

١- الحقوق الشخصية

٢- الحقوق الاقتصادية

٣- الحقوق الاجتماعية

٤- الحقوق السياسية

٥- الحقوق الدينية

٦- الحقوق القضائية

أمّا فيما يخصّ الحريّات فقد قال أمير المؤمنينؑ: ((الجاهل عبد شهوته))^(١)، وقال أيضًا: ((لا يسترقنك الطمع وقد جعلك الله حُرًّا))^(٢)، فأوّل خطوة على طريق الحرّية هي الخروج من ربة الشهوات والأهواء والطمع، وبعدها تأتي الخطوة الثانية، سواء كان من نوع السلطة السياسيّة أو النفوذ الاقتصاديّ أو العادات الاجتماعيّة، يقول أمير المؤمنينؑ: ((الحرّية مُنزّهة من الغلّ والمكر))^(٣)، والمقصود به هو العبوديّة للأشخاص؛ لمقامهم السياسيّ أو قدرتهم الاقتصاديّة. ويضع أمير المؤمنينؑ قاعدة رسّخها الزمن؛ وهي: ((الناس كلّهم أحرار))^(٤)، وقد أعلن الإمام هذه القاعدة قبل أن تعلن الأمم المتّحدة في ميثاقها المشهور، الذي نصّ في مادّة الأولى على ما يأتي: ((يولد جميع الناس أحرارًا متساوين في الكرامة والحقوق وقد وُهبوا عقلاً وضميرًا، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضًا بروح الإخاء))،

(١) غرر الحكم: ٤٤٩ .

(٢) م.ن: ١٠٣ .

(٣) م.ن: ٢٩١ .

(٤) نهج السعادة: ١ / ١٩٨ .



ومن بين ما ركّز عليه الإمام في هذا الجانب هو حفظ حرّية الرأي والحريّات الشخصية والحريّات السياسيّة.

سادساً- الفصل بين السلطات: إنّ أهمّ ما ركّز عليه الإمام (ع) هو فصل الجهاز القضائيّ عن الأجهزة الأخرى؛ إذ إنّ من يقرأ حكومته (ع) قراءة موضوعيّة يرى فيها من التطوّر والتحديث ما هو موجود في الدول الحديثة التي جاءت عبر تراكم خبرات بشريّة على مدى مئات أو آلاف السنين، إنّ ما فعله الإمام (ع) هو فصل الجهاز القضائيّ عن السلطة وتأمين الحصانة الكاملة للقاضي بحيث لا يتأثر بحكمه القضائيّ أي جهة أخرى وهذا بالضرورة يعطي للقانون صفة النزاهة والموضوعيّة في الأحكام الصادرة من ذلك الجهاز ويؤمن للمجتمع الحقوق المدنيّة الكاملة، وكانت السلطات الثلاث التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة موحّدة غير منفصلة في زمن الإمام عليّ (ع)، فإذا به يخطو خطوة مبدئيّة إلى فصل السلطة القضائيّة عن السلطة التنفيذية كي يكسب القضاة حصانة ويؤمنهم من عقاب السلطة، وبهذا يكون الإمام أحد المؤسّسين للدولة المدنيّة الحديثة التي تكون فيها الحريّات مكفولة مع حماية القانون وهذا ما نراه بالضبط في الدولة الحديثة عند (مونتسكيو) قبل الثورة الفرنسيّة التي دعا فيها إلى المناداة بمبدأ الفصل بين السلطات؛ حتّى لا تتأثر كلّ سلطة بالأخرى ولم يقصد (مونتسكيو) الفصل التامّ بين السلطات وإنّما الفصل المرن بمعنى أن يكون هناك توازن وتعاون بين السلطات الثلاث في تحقيق الإصلاح العام^(١)، وبذلك دعا إلى أنّ القانون هو الوحيد القادر على حماية الأفراد من السلطة التي تمثّل الجهاز التشريعيّ والتنفيذيّ وحماية من الأفراد أنفسهم وبذلك يكون (ع) المؤسّس الأوّل لدولة القانون وهو ما نراه من سيادة المساواة والعدل في دولته التي

(١) ينظر: الخطوط العامة في حكومة الإمام عليّ (ع).



لم يشهد التاريخ مثلها، وهكذا يكون عليّ عليه السلام قد سبق إنسان العصور الحديثة^(١). ولما كان الجهاز القضائي له من الأهمية بمكان كان عليّ عليه السلام يولي عناية خاصة؛ لأنه يعتقد أن العدل بين أفراد المجتمع هو المنطلق الأساس في إيصال المجتمع إلى تحقيق الأمن والسعادة الحقيقيتين، فترجم ذلك عبر وقوفه أمام المحكمة بوصفه متهمًا من قبل بعض الرعية ما زرع بذلك الثقة في نفوس الناس بالعدل وعدم المحسوبية في حكومته عليه السلام وعدم ممارسة سطوته ونفوذه بوصفه حاكمًا ورئيسًا ليدشن بذلك بعد الرسول صلى الله عليه وآله سيادة القانون وفصله عن بقية الأجهزة في الدولة وإعطائه كيانًا خاصًا مقدسًا لا يجوز التعدي عليه، ولو كان الرئيس أو الخليفة وكذلك ممارسته العملية في المجتمع بوصفه قاضيًا يساعد القوة القضائية على حلّ المشاكل القانونية والجنائية؛ لأنّ عليًا اشتهر على لسان الرسول صلى الله عليه وآله والأصحاب في أنه أقضاهم وبذلك كان القضاء قوة حقيقية لضبط المجتمع في عهده وفصّ النزاعات وحلّ المشكلات والتأزّات الاجتماعية وعلى الرغم من ذلك كان متسامحًا هو بالذات عند التعرّض لقضية حكم القضاء، فراه لم يقض في أية حادثة مطلقًا من دون تحقيق وحتى بعد التحقيق لم يظهر رأيه بصورة فورية بل كان يؤخّر إظهار رأيه قدر المستطاع رافةً ورحمةً بالمتهم^(٢).

سابعًا- المساواة: وهو من الحقوق السياسيّة التي جاء بها الإسلام وصدع بها القرآن الكريم في أكثر من آية قرآنية، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وبذلك كان القرآن الكريم مؤسسًا لفكرة المساواة في مجتمع كان يغرق في مستنقع التناقضات والطبقية. وعندما آلت قيادة الأمة إلى أمير المؤمنين عليه السلام عمل بهذا المبدأ

(١) ينظر: علي صوت العدالة الإنسانية: ٢٠١.

(٢) ينظر: الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عليه السلام: ١٩٩٣.



على أفضل صورة، فكان يساوي بين نفسه وخادمه قنبر؛ بل كان يؤثره في اللباس الجيد والطعام المفضل، وهو ما ورد في سيرته، وساوى أمير المؤمنين (ع) في العطاء بين الشريف والوضيع، وبين الغني والفقير، وقد دفع ثمن هذه السياسة غالياً، فثارت عليه الفئات التي كانت تمثل الطبقة الاستقرائية في البلد، فكانت حرب الجمل، وتمرد معاوية عليه لأنه أراد إقصاءه عن الولاية فوَقعت واقعة صفين، وعلى الرغم من كل هذه المتاعب التي واجهته فقد ظلَّ مصرّاً على تطبيق مبدأ المساواة في الحياة، فكان يقول: ((أقنع من نفسي بأن يُقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش))^(١).

ثامناً - حقّ المشاركة في بناء الدولة: يقول أمير المؤمنين (ع): ((وأكثرُ مُدَارسة العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمرُ بلادك وإقامة ما استقام به الناسُ قبلك، واعلم أن الرعيّة طبقات لا يصلحُ بعضها إلاّ لبعض، ولا غني بعضها عن بعض؛ فمنها جنود الله، ومنها كتّابُ العامّة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّالُ الإنصاف، والرّفق، ومنها أهلُ الجزية والخراد من أهلِ الذمّة ومُسلمة الناس؛ ومنها التجارُ وأهلُ الصناعات، ومنها الطبقة السّفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلُّ قد سمى الله له سَهْمَهُ، ووضع على حدّه فريضةً في كتابه أو سنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله) عهداً فيه عندنا محفوظاً))^(٢)، فالمجتمع بجميع طبقاته يجب أن يسهم في البناء، فكلاهما؛ المجتمع والدولة، كيانٌ واحد، وكلّ طبقة في المجتمع تشكّل جزءاً من هذا الكيان، ولا نعرف مفهومًا للمشاركة السياسيّة أقوى من المفهوم الذي أكّد عليه أمير المؤمنين (ع) في قوله وفعله^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٨٧ .

(٢) باب الرسائل، رقم ٥٣ .

(٣) ينظر: الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين (ع): ٣٢ .



تاسعاً- الجانب العسكري: في هذا الموطن سيتم بيان بعض الجوانب التي تخص الفكر العسكري عندهؑ وكذلك ما يتعلق بأخلاقيات الحرب عند الإمام عليؑ، وسنشير إلى بعض الأمور الهامة التي أوصى بهاؑ لكسب الحرب.

أخلاق الحرب عند الإمام عليؑ: هنا نسلط الضوء على بعض القيم والأخلاقيات التي اتسمت بها حروب الإمام عليؑ وأوصى بها القادة العسكريين جميعاً، بل أفراد جيشه أيضاً وهي جزء من متطلبات الحكم الرشيد:

١- هداية الناس هي الهدف الأسمى: قالؑ: ((فَوَاللَّهِ، مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ، فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعُشُوا إِلَى ضَوْئِي، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبْؤُهُ بِأَثَامِهَا))^(١)، يشير الإمام في هذا النص المبارك إلى أن هدفه الأسمى الذي يسعى إليه هو إنقاذ الإنسان وهدايته لا قتله، فكثير من الجيوش التي تساق إلى المعارك هي جيوش ضالة لا تعرف الحقيقة، وربما لو عرفت الحق لتبعته.

٢- هداية الإرشاد والدعوة والبيان: هي أخص من التي قبلها إذ إنها مختصة بالمكلفين من الخلق، والمراد بها دعوة الخلق وبيان الحق لهم، وهي حجة الله على خلقه، فلا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٤٧].

٣- مكان القائد في جيشه: قالؑ: في جملة ما أوصى به معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام: ((فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَكَفِّ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًّا، وَلَا تَدُنْ مِنَ الْقَوْمِ

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام عليؑ: ١٠٤ / ١.



دُنُو مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْسَبَ الْحَرْبَ، وَلَا تَبَاعَدُ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ سَنَاثِمُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ))^(١)، ففي هذا النص الشريف يعين الإمام (ع) مكان وقوف القائد في المعركة، بحيث لا يقترب من العدو كثيراً اقتراب من يريد بدء الحرب، ولا يبتعد ابتعاد من يخاف العدو ويهابه.

٤ - عدم البدء بالقتال: وقال (ع) مخاطباً جنده قبل لقاء العدو في صفين: ((لا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَوْكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَوْكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ))^(٢)، يذكر المؤرخون أَنَّ أمير المؤمنين (ع) عندما خرج لمحاربة معاوية في صفين، وكان جند معاوية قد غلبوا جند الإمام إلى شريعة الفرات؛ بغية منع الماء عنهم حتى يموتوا عطشاً، رفض الإمام (ع) أن يعامل العدو بالمثل بعدما أراحه عن الفرات، مع قدرته على ذلك، وهكذا كان الإمام (ع) في كل معاركه على أعلى درجة من النبل والكمال الإنساني؛ إن القتال المشروع في القرآن الكريم إنما شرع لرد العدوان ودفعه، وهذا أمرٌ واضح من قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

٥ - عدم قتل المُدبرِ، والإجهاز على الجريح: قال (ع) : ((فَإِذَا كَانَتْ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصَيِّبُوا مُعْوَرًا، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ))^(٣) ولم تقف جرائم الأعداء عند الاعتداء على المجروحين والأسرى فحسب، بل تعدت جرائمهم حتى شملت النساء والأطفال والشيوخ، مع أَنَّ النساء والأطفال والشيوخ لا حول لهم ولا قوّة، ومن الدناءة بمكان الاعتداء على الضعيف، وليس هذا من

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) : ١٤ / ٣ .

(٢) بحار الأنوار: ٤٥٨ / ٣٣ .

(٣) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ٣٧٢ .



خلقت المقاتل والفارس بغض النظر عن دينه ومعتقده، فكيف بمن كان يدعي الإسلام.

٦ - عدم التعرّض للنساء: أشار الإمام (ع) إلى هذا الأمر في الوصية الرابعة عشرة، إذ قال: ((ولا تَهْجُوا النِّسَاءَ بِأَدَى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَّيْنَ أَمْرَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ، فَيُعَيِّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ))^(١) يحذّر الإمام (ع) في هذا النصّ المبارك جنده وأتباعه من المساس بالنساء تحت آية حجة وذريعة كانت، إذ يوصي جنده ويذكرهم بأنهنّ (ضعيفات)، ويذكرهم (ع) أيضًا بأن عدم التعرّض للنساء كان من أخلاق الجاهليّة.

خاتمة البحث:

الحكم الرشيد عملية تأسيس أيديولوجي سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي ومعرفي، ينتج عنه تأسيس لنظام حكم سليم، يتّجه بمصالح المجتمع وأهدافه نحو التحقق، على وفق قاعدة لا ضرر ولا ضرار، يتشكّل من جرّائها بناء مجتمع صالح يتّجه نحو الفضيلة والكمال بأسس ثابتة، يشترك في صناعة هذا الوضع السياسي والفكريّ كلّ من الحاكم والمحكوم بعلاقة تكاملية. لقد أولى الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) مشروع تأسيس فلسفة الحكم الرشيد أهمية بالغة في فلسفة الحكم، إذ كان يعطي البناء المعرفي الفردي والمجتمعي والسياسي أهميته البالغة في عملية التأسيس لفلسفة الحكم الرشيد؛ بل تمثل البنية المعرفية للمجتمع أولوية بالنسبة له، ويشترط في عملية البناء الفكريّ هذه ضرورة الاهتمام بالجوانب الأخرى الكفيلة بتعميق فلسفة الحكم الرشيد وأهمّها الجانب الاقتصادي، والجوانب

(١) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ٣٧٣.



الاجتماعية والخدمية، فضلاً على الجوانب العسكرية. وحرص الإمام (ع) على أن يعالج المنظومة الأخلاقية والمعرفية والفكرية الاجتماعية العامة (للمجتمع العام)، ويقرن صلاحها بصلاح ذات الوالي وسلامة منظومته المعرفية والأخلاقية؛ بل يعدّ الأولى مقوِّمة للثانية، وفي علم الاجتماع السياسي الحديث، يسمّى هذا الطرح (التكامل المنهجي)، وفي مصادر أخرى (التكامل المعرفي)، أو (التكامل الأيديولوجي) الذي لا بدّ منه في أيّ عملٍ إصلاحيّ. يأتي ذلك التأسيس في إشارة منه (ع) إلى ضرورة الشروع بتأسيس حالة الانسجام بين الفلسفة الفردية (ثقافة الفرد)، و(الفلسفة الجمعية)، و(الفلسفة السياسية للحاكم) وتعدّ هذه الثلاثية (فرد - مجتمع - حاكم) من الضرورات الأساسية التي لا بدّ منها لتأسيس مبدأ الانسجام والتكامل المعرفي العام. ويمثّل مبدأ التكامل المعرفي والأيديولوجي، المحور الأساس لمشروع الحكم الرشيد؛ لأنّه يفرض صيغة التفاهمات بين الحاكم والمحكوم، وعندما يحلّ التفاهم والتكامل المعرفي والفكري محلّ التناحر والتشظي، فحتمًا أنّ المجتمع سوف يتّجه إلى تطبيق سياسة إصلاحية بإمكانها تغيير الواقع الذي يعيشه أيّ مجتمع من المجتمعات؛ بل سوف يكون المجتمع مهياً لتطبيق الفلسفة الرشيدة المبنية على السياسة التي يرسمها القرآن الكريم.



المصادر والمراجع:

أولاً- القرآن الكريم.

ثانياً- المصادر والمراجع:

١. باب الرسائل، الجزء الثالث من نهج البلاغة، محمد بن الحسن الموسوي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.
٢. بحار الأنوار، العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٨٣م.
٣. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٧م.
٤. تحليل جغرافي سياسي لمؤشرات الحكم الرشيد دراسة تطبيقية على العراق، زينب علي مظلوم، رسالة ماجستير، جامعة المشي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٩م.
٥. الحقوق والحريات من منظار الإمام علي بن أبي طالبؑ بالمقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، محسن باقر محمد صالح القزويني، مجلة أهل البيت، العدد ٣، ٢٠٠٦م.
٦. الحكم الصالح، تغريد حنون علي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم القانونية والسياسية، المجلد ٨، جامعة الأنبار، ٢٠٢٤م.
٧. الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنينؑ، محمد الحسيني الشيرازي، دار الفكر الإسلامي الحديث، ط ١، ١٩٩٣م.
٨. الحوكمة (الحكم الرشيد) وأخلاقيات المهنة، أبو صنوبرة عبدالله، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠٢١م.



٩. الخطوط العامّة في حكومة الإمام علي (ع)، حامد السعيدي، منشور الكتروني، موقع الاجتهاد، ٢٠٢٠م.
١٠. شرح إحقاق الحق، شهاب الدين محمد حسين بن محمود بن علي المرعشي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط ١، القرن الرابع عشر الهجري.
١١. شرح نهج البلاغة، أبو الحسن علي ابن أبي الحديد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٦٦م.
١٢. علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، دار الأندلس، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م.
١٣. غرر الحكم، أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي، دار الهادي، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
١٤. لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣، ١٩٩٩م.
١٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.
١٦. نظم ضمان الجودة في فكر الإمام علي (ع) (دراسة في رسائل نهج البلاغة)، حميد سراج جابر، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل، العدد ٨، ٢٠١٢م.
١٧. نهج البلاغة، المرتضى العاملي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٥٨م.
١٨. نهج البلاغة، تح: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٩٧٣م.
١٩. نهج السعادة، محمد باقر المحمودي، دار مؤسسة النعمان، النجف الأشرف، ط ١، ١٩٦٨م.

المرجعيات القرآنية في نهج البلاغة دراسة في ضوء تحليل

الخطاب قراءة في نماذج

م. د عماد طالب موسى جاسم

مديرية تربية كربلاء / الكلية التربوية المفتوحة / مركز كربلاء الدراسي

الملخص:

هذه دراسة للمرجعيّات القرآنية التي وردت في كلام الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة، وتحليلها بتتبع سياق الخطبة العام والخاص بما فيه المقام التخاطبي وكل أقطاب العملية التواصلية، والوقوف على المعنى العام والسلك الجامع لخطبته والشاهد المذكور فيها؛ على الرغم من تنوع المعالجات التربوية والتوعوية التي تحفل بها خطبه عليه السلام وما اتسمت به من تعدد الموضوعات في الخطبة الواحدة في الأعم الأغلب، مرّكّزا على أسلوب عرض الشاهد القرآني في الخطبة ومدى ذوبانه مع كلماتها، ثم أخذ ذلك الشاهد ودراسته في سياقه القرآني وتحديد المسلمات التي عالجه ذلك الشاهد قرآنيًا، ثم عمل مقارنة بين الاستعماليين ونقصد الاستعمال القرآني للآية المباركة، والاستعمال العلوي لها بوصفها شاهدا في كلامه، وهذه المقارنة قائمة على وحدة الموضوع وطبيعة المخاطبين، والموقع الذي ترد فيه بين الموضوعات ليتسنى للبحث رصد حتى الانتقالات الموضوعية التي تسبق وتلحق ذلك الاستشهاد في كلا الاستعماليين. وقد توسل البحث لمبتغاه بمنهج تحليل الخطاب لما يمنحه هذا المنهج من فسحة في المقاربة والتحليل، والمقارنة قائمة بين دقة الاستعماليين ولطائفها البلاغية.



قَسِّمَ البَحْثَ عَلى مَبْحَثَيْنِ؛ دَرَسَ الْأَوَّلَ المَرَجِعِيَّاتِ القُرْآنِيَّةَ النَصِيَّةَ، وَهُوَ أَنْ تُذَكِّرَ الْآيَةَ كَامِلَةً فِي طَيِّبَاتِ الخُطَابِ، وَيَبَيِّنُ المَبْحَثَ الثَّانِيَّ الاسْتِشْهَادَ الجَزْئِيَّ بِالْآيَةِ القُرْآنِيَّةِ، وَفَحْوَاهُ بِأَنْ يُجْتزَأَ جُزْءٌ مِنْ آيَةٍ لِيَكُونَ شَاهِدًا فِي مَعْرُضِ خُطَابِهِ (ع)، وَبَيَانَ آيَةٍ يُرَادُ الشَّاهِدَ القُرْآنِيَّ وَتَفَاعُلَهُ مَعَ سِيَاقِ الخُطْبَةِ اللُّغَوِيِّ وَالمَقَامِيِّ.

الكلمات المفتاحية: المراجعيات القرآنية، نهج البلاغة، تحليل الخطاب.

Abstract:

This study traces the Quranic evidence that appeared in the words of Imam Ali, peace be upon him, in the book Nahj al-Balagha, and analyzes it by following the general and specific context of the sermon, including the communicative situation and all the poles of the communication process, and to identify the general meaning and the unifying thread of his sermon and the evidence mentioned in it; despite the diversity of educational and awareness-raising treatments that his sermons, peace be upon him, are full of, and what is characterized by the multiplicity of topics in a single sermon in most cases, focusing on the style of presenting the Quranic evidence in the sermon and the extent of its integration with its words, then taking that evidence and studying it in its Quranic context and identifying the principles that that evidence addressed in the Quran, then making a comparison between the two uses, meaning the Quranic use of the blessed verse, and the use of it by Ali as evidence in his words. This comparison is based on the unity of the subject and the nature of the addressees, and the position in which it appears among the topics, so that the research can observe even the thematic transitions that precede and follow that evidence in both uses. The research employed discourse analysis to achieve its objective, given the breadth of this approach it offers in terms



of comparison and analysis. A comparison is made between the precision of the two usages and their rhetorical subtleties.

The research is divided into two sections. The first examines the textual citation of the Quranic verse, where the verse is quoted in its entirety within the discourse. The second section explores the partial citation of the Quranic verse, where a portion of a verse is extracted to serve as evidence within the context of the Prophet's speech, peace be upon him. This section also explains the mechanism of incorporating the Quranic evidence and its interaction with the linguistic and contextual framework of the sermon.

Keywords: Quranic References, Nahj al-Balagha, Discourse Analysis.



مقدمة

الحمدُ لله الذي شرَّعَ الإسلامَ فسَهَّلَ شرائعَه، وجعلَهُ نورًا لمن استضاءَ به، وبرهانًا لمن تكلمَ به، وشاهدًا لمن خاصَمَ به، ربي واجعلْ شرائفَ صلواتِكَ، ونواميَ بركاتِكَ، على محمدٍ عبدِكَ ورسولِكَ، الفاتحِ لِمَا سَبَقَ، والخاتمِ لِمَا انغلقَ، والمعلنِ الحقَّ بالحق، وعلى أهل بيته الذين يُستعطَى الهدى، ويُستجلى العمى. اللهم اجعلنا ممن يهتدي بهديهم، ويعتصم بعصمتهم، واجعلهم حجة لنا، ولا تجعلهم حجة علينا.

أما بعد:

فالقرآن الكريم عاصمة تسكنها أنواع العلوم ودقائقها، وما على الحاج إليه إلا أن يجد ويجتهد بمطية التفكير وآلة التأمل ليخرج بدقائق العلوم وقوانينها لا بأمثلتها أو قشورها، فهو المعين الذي لا ينضب، والعميق الذي لا يُلامس له قاع.

من هنا كان معجزة خالدة تصمت كل صوت يرنو مناظرته لغويا كان أم علميا أم تربويا... الخ. فهو منذ صدوره عن الرسول ﷺ أصبح نديم العلماء، ونكهة البلغاء، ودليل المحاجة والبرهان.

هذه دراسة تتخذ من نهج البلاغة ميدانا لها؛ لتدبر دقة الشاهد القرآني الوارد في كلام سيد البلغاء الإمام علي (ع)، والشاهد هو الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة؛ لكون ذلك الجزء من التنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعريبتهم، وهذا الحد عام وما نريده نحن في هذا العمل: هو الشاهد القرآني الذي ورد ذكره في خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) المجموعة في كتاب نهج البلاغة، وقد ورد لتقوية حجة، أو توضيح مسلمة أو لبيان موعظة، أو لتحذير من شيء، أو لتحبيب شيء، وغيرها من المقاصد الكامنة خلف حضوره.



وقد انطلق البحث من فكرة مفادها تتبع الشواهد القرآنية التي حضرت في كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة وتحليلها بتتبع سياق الخطبة العام والخاص بما فيه المقام التخاطبي وكل أقطاب العملية التواصلية، والوقوف على المعنى العام والسلك الجامع لخطبته بالرغم من تنوع المعالجات التربوية والتوعوية التي تحفل بها خطبه وما اتسمت به من تعدد الموضوعات في الخطبة الواحدة في الأعم الأغلب، مركزاً على أسلوب عرض الشاهد القرآني في الخطبة ومدى ذوبانه مع كلماتها، ثم أخذ ذلك الشاهد ودرسته في سياقه القرآني وتحديد المسلمات التي عالجها ذلك الشاهد قرآناً، ثم عمل مقارنة بين الاستعمالين ونقصد الاستعمال القرآني للآية المباركة، والاستعمال العلوي لها بوصفها شاهداً في كلامه، وهذه المقارنة قائمة على وحدة الموضوع وطبيعة المخاطبين، والموقع الذي ترد فيه بين الموضوعات ليتسنى للبحث رصد حتى الانتقالات الموضوعية التي تسبق وتلحق ذلك الشاهد في كلا الاستعمالين.

وقد توّسم البحث منهج تحليل الخطاب لما يمنحه هذا المنهج من فسحة في المقاربة والتحليل، والمقارنة قائمة بين دقة الاستعمالين ولطائفها البلاغية. وقد قُسم البحث على مبحثين؛ درس الأوّل الاستشهاد النصي بالآية القرآنية، وهو أن تُذكر الآية كاملة في طيات الخطاب، ويُنّ المبحث الثاني الاستشهاد الجزئي بالآية القرآنية، وفحواه بأن يُجتزأ جزء من آية ليكون شاهداً في معرض خطابه عليه السلام، وبيان آية إيراد الشاهد القرآني وتفاعله مع سياق الخطبة اللغوي والمقامي.



المبحث الأول: الاستشهاد النصي بالآيات القرآنية

يتطَّلَع هذا المبحث إلى تقصي الشواهد القرآنية التي استحضرها أمير المؤمنين (ع) في خطبه المباركة متمثلة بالآيات القرآنية الكاملة التي ذكرها (ع)، ثم البحث عن العلاقات الدلالية بين مقام الآية في سياقها القرآني، ومقام الاستشهاد بها في سياق الخطبة، ومدى الترابط بين السياقين؛ لنكشف - ولو بشيء من التقريب - عن المقاصد الكامنة خلف هذا الاستشهاد، وما أثره في المتلقي، وما مردوداته للمتكلم نفسه.

أولاً - بيان خلق آدم وسجود الملائكة له إلا إبليس:

جاءت الخطبة الأولى التي افتتح بها كتاب نهج البلاغة تتكلم عن ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم، وتدبير الملائكة بأمر الله وعلّة بعث الأنبياء (ع) (١)، وهذا الحديث له مصاديق وإشارات قرآنية، وهي حاضرة بدقائقها في طيات كلام الإمام علي (ع)، ضمناً وصراحةً بشكل متداخلٍ ومتماسكٍ يصعبُ إرجاع كل منها - الإشارات القرآنية - إلى مواقعها في القرآن الكريم إلا لأغراض الدراسة والتوضيح، ومن الشواهد القرآنية التي حضرت في خطبة الإمام (ع) الأولى نذكر قوله (ع): ((وَاسْتَأْذَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمْ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخَلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِثْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَارًا لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٢)).

الخطبة في صدد بيان تكرمة النبي آدم (ع) بسجود الملائكة له، وبيّن ذلك

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٣.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع)، تحقيق: د. صبحي الصالح: ١/ ٣٩-٤١.



الإمام عليؑ بقوله: (واستأدى الملائكة وديعته لديهم) إذ فيه إشارة إلى قوله تعالى لهم: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].

وقد بين المفسرون وشرّاح النهج ماهية ذلك السجود؛ إذ قيل: ((وهذا تمثيل لتعظيم يناسب أحوال الملائكة وأشكالهم تقديرًا للبديع الصنع والصلاحية لمختلف الأحوال الدال على تمام علم الله وعظيم قدرته))^(١) وتابعهم في الرأي شراح النهج في توجيههم للسجود لآدم بقولهم: ((إن السجود لله على وجه العبادة، ولغيره على وجه التكرمة، كما سجد أبو يوسف وإخوته له . يجوز أن تختلف الأحوال والأوقات في حسن ذلك وقبحه))^(٢).

وقد تضمنت الخطبة آيات قرآنية وإشارات رمزية لقصة آدمؑ وطبيعة خلقه، والسر الذي استودع فيه، وذكر معه إبليس رمز الظلم والمعاصي والتكبر، وهذه الإشارة لا تبعد كثيرا عن الأسلوب القرآني، فقد ذكر القرآن إحدى عشرة آية قرآنية^(٣) ورد فيها ذكر آدمؑ، مع إبليس وهذا التكرار في مواطن عدة في القرآن الكريم يثري التأكيد ويورث العبرة، والحذر من منزلقات الحياة، ولو عدنا إلى سياق الخطبة المباركة لوجدناه سياق يدور في بيان ساحة التكوين والخلقة للجمادات والأحياء، بحسب قوله ﷺ: ((أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَى الْأَجْوَاءَ، وَشَقَّى الْأَرْجَاءَ وَسَكَّانِكَ الْهُوَاءَ... الخ))^(٤).

فكان السياق منصبًا على بيان أوليات كل شيء، وبطبيعة الحال فقد اقترنت

(١) التحرير والتنوير: ١٤ / ٤٥، وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ / ٥٧٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١ / ٨١، وينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٠٠.

(٣) ينظر: سورة البقرة: ٣٤، سورة الأعراف: ١١، سورة الحجر: ٣١ و٣٢، سورة الإسراء: ٦١، سورة

الكهف: ٥٠، سورة طه: ١١٦، سورة الشعراء: ٩٥، سورة سبأ: ٢٠، سورة ص: ٧٤ و٧٥.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٣٩-٤١.



أولى خلق آدم عليه السلام بقصة سجود الملائكة عليهم السلام تكريمًا لما أودع في صلبه من أنوار قدسية: (فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمْ الْحَمِيَّةُ﴾، ومن أدق الآيات التي بينت هذه المحادثة ما حضر في نص الخطبة هذا وقد ختمها عليه السلام بالاعتباس المباشر من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧-٣٨] وقيل في تفسير (الوقت المعلوم) إنه إشارة: ((إلى اليوم الذي قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء؛ لأنه لا شيء يبقى فلا يفنى، غير ربنا الحي الذي لا يموت))^(١) وهذا القول لا يكشف (الوقت المعلوم) بدقة، بل هو نتيجة حتمية ينتهي إليها الموعد بوقت كإبليس وغير الموعد بذلك أيضا، فكل هالك إلا وجهه سبحانه، وهناك من قال: هذا الوقت هو نهاية هذا العالم وانتهاء التكليف؛ لأن بعد ذلك تحل نهاية جميع الكائنات، ومنه يفهم حصول الموافقة على بعض طلب إبليس^(٢)، وهناك من يرى ((إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ المراد منه الوقت المعلوم في علم الله تعالى. قالوا: والدليل على صحة هذا القول أن إبليس كان مكلفًا والمكلف لا يجوز أن يعلم أن الله تعالى آخر أجله إلى الوقت الفلاني لأن ذلك المكلف يعلم أنه متى تاب قبلت توبته فإذا علم أن وقت موته هو الوقت الفلاني أقدم على المعصية بقلب فارغ فإذا قرب وقت أجله تاب عن تلك المعاصي فثبت أن تعريف وقت الموت بعينه يجري مجرى الإغراء بالقبيح وذلك غير جائز على الله تعالى))^(٣)، وظاهر (يوم الوقت المعلوم) أنه يوم تعين في العلم الإلهي نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] فهو معلوم عند الله سبحانه، وأما إبليس فاللفظ لا يكشف أو يؤكد علمه به من عدمه، ونظرًا لكون

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٢ / ٣٣٠.

(٢) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ٦ / ٥٣٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ١٤ / ٢٢٠.



المعصية الإنسانية مستندة إلى إغواء إبليس مستفاداً من الآيات والروايات ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، و﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩] وغيرها من الآيات ((لكنه إنما يقتضي بقاء إبليس ما دامت المعصية والغواية باقية، لا بقاءه مادام التكليف باقياً، ولا دليل على الملازمة بين المعصية والتكليف وجوداً، بل الحجة قائمة من العقل والنقل على أن غاية الإنسان النوعية وهي السعادة ستعم النوع، فتملاً الأرض عدلاً وقسطاً بعد إن مُلئت ظلماً وجوراً، ولا يعبد على الأرض يوماً مثلاً إلا الله سبحانه))^(١).

ولعل النكتة اللطيفة من الاستشهاد بهذه الآيات يكشفها البناء الموضوعي للخطبة، إذ تعد هذه الخطبة من أهم خطب نهج البلاغة، وما تصدرها النهج إلا دلالة واضحة على براعة السيد الرضي في الاختيار^(٢).

إن ما يميز هذا الاستشهاد أن الآيات القرآنية المباركة جاءت ذائبة تركيبياً في سياق الخطبة اللغوي، فجاء الكلام نسيجاً متماسكاً بكل أبعاده المعنوية واللغوية، لذا نرى قوله ﷺ: فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿اسْجُدُوا لِادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمْ الْحَمِيَّةُ، وَعَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةَ، وَتَعَزَّزُوا بِخَلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ، وَاسْتِثْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿ إذ عطف لفظ (قبيله) على (إبليس) والأخير جزء من الآية المباركة، فقدم النص متماسكاً لغوياً، وكذلك

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٢ / ١٦٠.

(٢) ينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ١ / ٤١.



معنويًا عندما أخذ يفسر علة امتناع إبليس عن السجود، وفلسفة الإنظار الإلهي له، وبين هذا وذاك تقوم العبرة لبني البشر بأن يحاربوا إبليس وقبيله، ويتبعوا سبيل الرشاد المتمثل بمحمد وآله الأطهار.

ثانيا: الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له.

١ - البناء الموضوعي للخطبة:

إنَّ الخطبة تتعرض بجميع نصوصها إلى مسألة الخلافة بعد رحيل الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاضطرابات التي أفرزها عصر الخلفاء ممن سبقوه ((أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ))^(١) إذ تشير إلى الاضطرابات التي انتابت الأمة الإسلامية بعيد وفاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يتطرق صراحة إلى أحقيته بالخلافة من الجميع ((وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَّ مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ))^(٢) مبينا أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأصلح وأجدرهم بالأخذ بزمام شؤون الأمة وزعامتها في ضوء المنطق والدليل والبرهان معربا عن أسفه وابتئاسه لخروج الخلافة عن محورها الأصلي الذي خطط له الإسلام والنبى ((فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفَقْتُ أَرْتَبِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَدَاءٍ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ))^(٣) وذكر وخامة المعضلات التي أفرزها تقاعس المسلمين عن الالتزام بنصوص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواردة بشأن زعامة المسلمين عند حديثه عن قضية مبايعة الأمة ((فَمَا رَاعِنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الصَّبْعِ، يَتَّأَلُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ،

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٤٨.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن.



مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةَ الْغَنَمِ))^(١) والأهداف الكامنة وراء قبول البيعة ((أَمَا وَالَّذِي
فَلَقَّ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا
أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارَؤا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَعْبٍ مَظْلُومٍ، لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا
عَلَى غَارِبِهَا))^(٢) بعبارات قصيرة غاية الروعة والبيان.

٢- التحليل اللغوي:

افتتح الإمام عليه السلام كلامه بألفاظ مركزية قد بُنيت عليها الخطبة كاملة، ويمكن
مقاربة مقاصدها عبر قراءات لغوية لسلسلة الملفوظات المتتابعة التي كوت
الخطبة وما تنطوي عليه من صور تشبيهية غاية في الروعة ومنتهى في الدقة والبيان،
وهي تبين ما آلت إليه الخلافة فقال عليه السلام: ((أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ
أَنَّ مَحَلِّيَّ مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا))^(٣) فالضمير في (تقمصها) يعود إلى الخلافة،
يُقَالُ: (تَقَمَّصَهُ) من (قَمَصَ) ((فَالْقَافُ وَالْمِيمُ وَالصَّادُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى
لُبْسِ شَيْءٍ وَالْإِنْشِيَامِ فِيهِ، وَالْآخَرُ عَلَى نَزْوِ شَيْءٍ وَحَرَكَتِهِ. أَمَا لَبَسَ الشَّيْءَ فَمَنْ قَمِيصُ
الْإِنْسَانِ مَعْرُوفٌ إِذَا لَبَسَهُ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ ذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَخَلَ فِيهِ الْإِنْسَانُ، فَيُقَالُ:
تَقَمَّصَ الْإِمَارَةَ، وَتَقَمَّصَ الْوِلَايَةَ))^(٤).

فالخلافة ليست قميصاً يرتديه أي شخص توفرت له الظروف، بل هي رحي
الجامعة تحتاج إلى القطب الذي ينظم دورانها لتنتج الخير وصلاح الأمة بدلا من أن
تكون دوامة تهلك وتُهلك، وليس للخلافة من غنى عن المحور عليه السلام، وقد رُفد ذلك
بصورة مركبة ودقيقة قد رسمتها صورتان متضادتان أعطيا بتضادهما سمة الاستمرار

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٤٨.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٢٧.



والقوة لحجية الدليل، فقال ع: (ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلى الطير)، فقوله ع (ينحدر عني السيل) إشارة إلى رفعة منزلته ع كأنه في قمة جبل، ينزل السيل عنه إلى السهول والأودية، زاد هذا البيان الصورة الأخرى في قوله ع (ولا يرقى إلى الطير) فهذه تكشف عن عظيم الرفعة وعلو الشأن من التي قبلها؛ لأن السيل ينحدر عن المرتفعات والهضاب وهذا طبيعي وأمر متوقع، وأما تعذر رقي الطير فربما يكون للقمم المرتفعة جداً، بل ما هو أعلى من قمم الجبال، كأنه يقول: إني لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها. والتشبيه المذكور يحيلنا إلى صورة مماثلة قد وردت في القرآن الكريم وتشارك معها بالمضمون، وهي تحكي أثر الجبال في استقرار الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥] فكما يمنح وجود هذه السلسلة العظيمة من الجبال على الأرض السكينة والاستقرار لها ومن ثم للناس، كذلك يمنح وجود الإمام المعصوم والعالم العارف معين الخير والبركة والسكينة لكل الأمة، والأول تغلب عليه المادية الظاهرة، والآخر المعنوية المدركة بالبراهين.

ويمكن أن يحمل التشبيه على الجانب المعرفي لكون خطاب الإمام ع يشير إلى تعذر سبر أغوار أفكار الإمام ع والوقوف على كنه شخصيته وذروة علمه ومعرفته، ولا يتيسر ذلك إلا لمعلم الإمام وهو النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وحتى صحابة الإمام ع كانوا ينهلون بحسب استعدادهم من منهله العذب ويحيطوا بظاهره على قدر معرفتهم وعلمهم، ولعل العبارة المذكورة إشارة إلى هذا المعنى، أي أنا المحور، والرحى، والقوة المحركة، المليئة بالعلم والمعرفة.

وبذلك فإن قمم الجبال تحتزن بركات السماء من ثلوج وغيرها ثم تفيض بها على الأرض، ويمكن أن تكون العبارة إشارة إلى قرب الإمام ع من الوحي



والاعتراف من كوثر النبي ﷺ ليدوم استمرار البركة وصيانة الدين بعد الرسول الكريم ﷺ^(١)، فيكون المراد بالسبيل المنحدر عنه ﷺ هو ((علومه وحكمه الواصلة إلى العباد والفيوضات الجارية منه ﷺ على المواد القابلة، وتشبيه العلم بالماء والسبيل من ألطف التشبيهات ووجه الشبه هو اشتراكهما في كون أحدهما سبب حياة الجسم والآخر سبب حياة الروح))^(٢)، وقد ورد مثل ذلك التشبيه في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠]، واعتماداً على ما مر ذكره نستطيع الولوج في بيان دقة الشاهد القرآني الوارد في الخطبة وانصهاره معنوياً في مضامينها.

إن هذه الافتتاحية الصاخبة كانت مقدمة لحدث مهم ذكره الإمام ((عليه إلا والناس كعُرف الضبع، يتألون عليّ من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأنتهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾، بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها))^(٣).

أشار الإمام ﷺ في هذا المقطع إلى عصر خلافته ولا سيما أبان البيعة التي شهدت حضوراً كبيراً للأمة في مبايعته والوقوف إلى جانبه، البيعة الفريدة التي لم يعرف التاريخ الإسلامي لها من نظير، فقد وصف ﷺ كيفية إقبال الناس عليه وهجومهم من أجل البيعة قائلاً: (فما راعني إلا والناس كعُرف الضبع إلى يتألون عليّ من كل جانب)

(١) ينظر: نفحات الولاية : ١ / ٢١٥.

(٢) ينظر: ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي: ٢ / ٤١٤.

(٣) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٤٨.



فالتعبير بلفظ (راعني) وهو من ((روع: الرَّوْعُ: الفزع. راعني هذا الأمر يُرْوَعُنِي، وارتعت له، ورَوَّعَنِي فترَوَّعْتَ منه. وكذلك كلُّ شيءٍ يَرْوَعُكَ منه جمالٌ أو كثرةٌ. تقول: راعني فهو رائعٌ. وفرس رائعٌ: كريم يروعك حسنه، وفرسٌ رائعٌ بين الرَّوْعَةِ))^(١)، إذ يدل على الهالة الكبيرة التي أحدثها الناس عند بيعته، وأشار (بعرف الضبيع) إلى الازدحام الشديد للناس واندفاعهم لمبايعة الإمام (ع) فهو مثل يضرب للكثرة والازدحام^(٢). غير أن المؤسف هو أن الاندفاع لم يكتب له الدوام حين عرضوا للاختبار لتفشل فيه طوائف من المسلمين، وهذا ما صوره الإمام علي (ع) إذ قال: (فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون).

وقد أجمع شراح نهج البلاغة^(٣) على أن المراد بهم (أصحاب الجمل والنهروان وصفين) فقد ذكروا أن أصحاب معركة الجمل (هم طلحة والزبير الذين استغلا وجود عائشة لتأليب الناس ضد أمير المؤمنين (ع)) الذين نقضوا البيعة هم (الناكثين) من ((نكث العهد يَنْكُثُهُ نَكْثًا، أي: نقضه بعد إحكامه، ونكث البيعة))^(٤)، إذ بايع كلُّ منهما الإمام علياً (ع) بيد أنهما يميّنان أنفسهما بإمارة البصرة والكوفة، وعندما لم يتحقق لهما ذلك غادرا إلى البصرة وعملا على إشعال الفتنة^(٥). و((المارقين) هم أصحاب النهروان ويراد بهم الخوارج الذي خرجوا على الإمام (ع) وهبوا لقتاله بعد

(١) العين: ٢ / ٢٤٢.

(٢) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة): ٢ / ٤٩٧.

(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١ / ١٢٠، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٢٠١، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٩٦.

(٤) العين: ٥ / ٣٥١.

(٥) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١ / ١٢٠، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٢٠١، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٩٦.



قضية التحكيم في صفين))^(١). وهم من وصفوا بالمروق عن الدين كمروق السهم من الرمية^(٢). و(القاسطين) ومعنى ((القُسُوط: الميل عن الحق، وقسط يقسط فهو قاسِطٌ))^(٣) وهم أهل الشام جيش معاوية. ولعل الجامع بين الآية المباركة وموضوع الخطبة أمور، منها:

أولاً: بلحاظ الموضوع:

تمثل الآية المباركة نقطة تحول في قصة النبي موسى ﷺ مع قارون وأصحابه، إذ ((إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ مَنزِلَةَ قَارُونَ نَدِمُوا عَلَىٰ تَمَنِّيهِمْ لَمَّا رَأَوْا سُوءَ عَاقِبَتِهِ، وَعَلِمُوا وَجُوبَ الرِّضَىٰ بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِلنَّاسِ مِنَ الرِّزْقِ فَخَاطَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ وَأَعْلَنُوهُ، وَيَكَّانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ))^(٤). وقد تمثل الإمام علي ﷺ بالآية المباركة لبيان حال من تخلف عن الصراط المستقيم واتبع هواه بغير دليل، بما فيه الخروج على إمامه والخليفة المنصب بالنص القرآني، والبيعة الصريجة في مسجد رسول الله ﷺ.

ثانياً: بلحاظ المخاطبين:

كَانَ الْمَخَاطَبُ فِي السِّيَاقِ الْقُرْآنِي ((عَامَّةَ النَّاسِ وَضِعْفَاءَ الْيَقِينِ الَّذِينَ تُلْهِهِمْ رَحَارِفُ الدُّنْيَا، فَلِذَلِكَ عَظَّمَ فِي عِيُونِهِمْ مَا عَلَيْهِ قَارُونَ مِنَ الْبَدْحِ فَقَالُوا إِنَّهُ لَدُو حَظٌّ عَظِيمٌ))^(٥)، كذلك جاءت الآية في سياق الاستشهاد على من غرتهم الدنيا فحللت في أعينهم وراقهم زبرجها، فالإمام ﷺ يشبههم في البداية بالجهال الذين دفعهم جهلهم

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١ / ١٢٠.

(٢) ينظر: العين: ٥ / ١٦٠، وجمهرة اللغة: ٢ / ٧٩٢.

(٣) العين: ٥ / ٧١.

(٤) الكشاف: ٣ / ٤٣٤.

(٥) ينظر: الكشاف: ٣ / ٤٣٣.



لمخالفته، ثم ينتقل في المرحلة اللاحقة ليصفهم بأنهم سمعوا هذه الأخبار والحقائق ووعوها وهي ليست خافية عليهم، إلا أن حبَّ الدنيا والتكالب على حطامها والاعتزاز بزبرجها - ولا سيما بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى التي جرت عليهم ما لا يحصى من الغنائم النفيسة والتعود على الحياة الوادعة المرفهة ولا سيما أبان خلافة عثمان جعلتهم يؤثرون الدنيا على الدين ويبيعون الحقيقة بالخرافة ويضحون بالدار الآخرة ويزهدون فيها، فالعبارات التي أوردها الإمام (ع) هي في الواقع عصارة التحليلات بشأن نشوب المعارك الثلاث في عهد الإمام (ع)؛ وهو أمر يعد درسًا لجميع المسلمين على مدى التاريخ في أنهم يعيشون الفرقة والتشتت وتمزق عرى الوحدة كلما أقبلوا على الدنيا واغترروا بزخارفها وزبرجها، ونشاهد اليوم بكل وضوح أن الاختلافات السائدة في أوساط المسلمين إنما تعزى لما بينه الإمام (ع) و أوجزته الآية القرآنية الشريفة (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين).

وهنا يكمن دقة الاستشهاد في التماثل التام بين سياق الآية القرآني وموضع الاستشهاد بها في الخطبة المباركة.

ولو عملنا مقارنةً بين المخاطبين في السياق القرآني - قوم موسى (ع) والمعنيين في سياق الخطبة المباركة الذين وصفهم الإمام (ع) بقوله: (فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَّثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ) لوجدنا أن أعداء النبي موسى (ع) عادوا إلى طريق الرشاد وأذعنوا لحكم الله سبحانه في خلقه بدليل قوله تعالى: ﴿لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَانَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]، أما أعداء الإمام علي (ع) فقد تمادوا بالبغي والظلم حتى باتوا جنوداً للشيطان، هدفهم مغنم الدنيا وزينتها.



٣- أضواء على الخطبة:

تقوم الخطبة - وكذا الخطب الباقية للإمام عليه السلام - على جواهر الألفاظ؛ إذ تشعر كل لفظة بمركزيتها ودقة اختيارها لتؤدي دورها الفاعل في بيان مقاصد الإمام عليه السلام بحيث يتعذر الإجراء الاستبدالي للمفردات في جسد الخطبة، وأي عمل من هذا القبيل مع أي لفظ فإنه لا شك سيهدر دقة المعنى ويبدد غاية المقصد، ولتقف هنا عند أمثلة تطرق لها بعض شراح النهج لبيانها وتحليلها.

قال الإمام عليه السلام: (أرى تراثي نهبا)، والتراث: من (ورث): ((الإيراث: الإبقاء للشئ... يُورث، أي: يُبقي ميراثًا. وتقول: أورثه العشق همًّا، وأورثته الحمى صَعْفًا فورثَ يرث. والتراث: تاؤه واو، ولا يُجمَع كما يُجمَع الميراث. والإرث: ألفه واو، لكنّها لما كُسِرَتْ هُمَزَتْ بلغة من يهمز الوسادَ والوعاء، وشبهه كالوكاف والوشاح.. وفلان في إرث مجّد. وتقول: إنّما هو مالي من كسبي وإرث أبائي))^(١).. فعبّر عن الخلافة بـ (التراث) ليدكر السامعين أنّ الخلافة إرث معنوي وإلهي ينتقل من النبي صلى الله عليه وآله إلى أوصيائه المعصومين عليهم السلام فهو ليس من قبيل الإرث الشخصي والمادي والحكومة الظاهرية^(٢)، وقد ورد شبيه هذا المعنى في الآيات القرآنية بشأن زكريا عليه السلام الذي سأل الله من يرثه ويرث آل يعقوب ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥-٦].

لعلّ هذا الإرث يتعلق بجميع الأمة إلا أن الإمام خليفة النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يضطلع به، ونقرأ بشأن وراثة الكتاب السماوي في القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، وعلى غرار ذلك ورد الحديث

(١) العين: ٢٣٤ / ٨.

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١ / ١٢٣.



النبوي المشهور ((العلماء ورثة الأنبياء))^(١). وشاهدنا على ما مر معنا سيرة الإمام (ع) وحياته التي أفادت عدم تعلقه من قريب أو بعيد بمال الدنيا وحطامها والخلافة، إلا أن ينهض بوظيفته في إحقاق حق أو إزهاق باطل - التي لم تكن تعدل عنده عفطة عنز أو قيمة نعليه. لكن والحال هذه كيف يصف صبره على فقدان الخلافة بالقذى في العين والشجى في الحلق؟ لقد ذهب البعض إلى أن مراده بالتراث المنهوب هو فدك التي ورثها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنته الزهراء (عليها السلام)، وقد اعتبر ذلك إرثه لمال الزوجة بحكم مال الزوج^(٢)، غير أن هذا الاحتمال يبدو مستبعدا لأن الخطبة بجميع مضامينها تعالج قضية الخلافة^(٣).

المبحث الثاني: الاستشهاد الجزئي بالآيات القرآنية:

يشتغل هذا المبحث على تتبع الشواهد القرآنية الجزئية التي اقتطعت من آيات مباركة لتقدم في سياق كلامه (ع)، ومقاربة مقاصد حضورها في النص العلوي، وبحسب الآتي:

أولا: من كلام له (ع) في تعليم الحرب والمقاتلة في بعض أيام صفين:

قال أمير المؤمنين (ع): ((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اسْتَشْعُرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلَّبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمَلُوا اللَّامَةَ، وَقَلِّقُوا السُّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا))^(٤).

(١) أصول الكافي: ١ / ٣٤٠٣٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٥٣، وشرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٢٥٦ / ١.

(٣) ينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ١ / ٢١٩.

(٤) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ١٠٤.



تجلبب من ((جلباب الثوب المشتمل على البدن وعادة ما يطلق على الثوب الذي تستر به المرأة رأسها وعنقها وبعض صدرها وظهرها، وهو أطول من الخمار وأقصر من الرداء))^(١) الذي أكدّه الإمام عليه السلام هو أن يتحلّى المقاتل بالسكينة والحلم والوقار؛ لأن أذى اضطراب في ميدان القتال أمام العدو يكشف عن ضعف المقاتل وعجزه، وهذا ما يقوي جرأة العدو في اقتحام الميدان والمبادرة إلى الهجوم.

ومصطلح (السكينة) قد حكاه القرآن الكريم في غير موضع إشعاراً بشأن السكينة وأهميتها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤] وفي موضع آخر ورد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] إذ وردت (السكينة) مرتين في سورة الفتح، وقد سبقت لفظة (السكينة) بلفظة (الفتح) في الآية الأولى، بينما ختمت باللفظة نفسها في الآية الثانية، وقد رمز لها الإمام علي عليه السلام في خطبته التفاعلية ليعيد المسلمين إلى أجواء عصر فجر الرسالة أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ليضفي الطمأنينة والسكينة عليهم، ويوثق عقيدتهم بصحة الطريق الذين يسرون فيه مع ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله، ولذلك نجد الإمام قد مدهم بعامل آخر في تقوية عزيمتهم عند قوله: (وَاعْلَمُوا أَنكُم بِعَيْنِ اللَّهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله)، وهذه السكينة كانت هي العامل الذي وقف وراء انتصار المسلمين في كافة الغزوات التي خاضوها ضد معسكر الكفر والشرك، وهي التي شددت أزر النبي صلى الله عليه وآله في أثناء تلك الشدائد التي منها دخوله صلى الله عليه وآله إلى غار جبل ثور وكان العدو يقف على باب الغار بحثاً عنه^(٢).

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ٧ / ٤٣٩.

(٢) ينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ٣ / ٥٦.



ولا نغفل رمزية الثنائية التي قدمها الإمام علي (ع) في قوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ اللَّهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)، فالمقطع الأول منها: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ اللَّهِ﴾ له امتداد قرآني دقيق ومصاديقه كثيرة فيه وكلها تدل على العناية والاهتمام، ومنها ما ورد في الآيات الآتية: ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، ومعنى ((لِتُصْنَعَ بِكَسْرِ لَامِ كَيْ وَضَمِّ التَّاءِ وَنَصْبِ الْفِعْلِ أَيِ وَلِتُرَبَّى وَيُحْسَنَ إِلَيْكَ. وَأَنَا مُرَاعِيكَ وَرَاقِبُكَ كَمَا يَرَاعِي الرَّجُلُ الشَّيْءَ بَعَيْنِيهِ إِذَا اعْتَنَى بِهِ))^(١)، وفي وقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِيَّاهُمْ مُعْرِقُونَ﴾ [هود: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَاطِنٍ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِيَّاهُمْ مُعْرِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾ [القمر: ١٣-١٤] ثم انتقل إلى البعد النبوي وهو الخط الذي يساير القرآن ويفسره، فعبارة (وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ولربما كان من مقاصد الإمام الكامنة في هذه العبارة القربى الروحية المرتبطة بالتنزيل والوحي، ولا يمنع ذلك من إرادة القربى النسبية معها؛ لأنهما متعانقتان بينهما كتعانق النبوة والإمامة، أو النبوة والوصاية بينهما، ومحصلة القول أن هذين البعدين الإشاريين يقدمان زخما معنويا يرفع من همة أصحاب الإمام علي (ع) في مواجهة الأعداء.

(١) البحر المحيط في التفسير: ٧ / ٣٣٢.



وقال ﷺ: ((وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنِ اللَّهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَاوِدُوا الْكُرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌّ فِي الْأَعْقَابِ، وَنَارُ يَوْمِ الْحِسَابِ وَطَبِئُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجْحًا، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالرَّوِاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا. فَصَمْدًا صَمْدًا! حَتَّى يَنْجِلِيَ لَكُمْ عَمُودَ الْحَقِّ (وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ))^(١).

خاض الإمام ﷺ في هذا القسم من الخطبة برفع معنويات جنده وأوصاهم بالثبات في القتال بغية استئصال شأفة العدو فقال لهم: (واعلموا أنكم بعين الله) فاذا علم الإنسان أنه بعين سيده القادر على كل شيء والمحيط به فإنه يستلهم منه العزم والقوة وعدم الشعور بالوحدة من جانب، ومن جانب آخر يلفت نظره إلى عظم المسؤولية والوظيفة التي ينبغي أن ينهض بعبئها. وقد ورد هذا المعنى في قصة نوح ﷺ - كما ذكرنا- حين أمر بصنع السفينة ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا﴾ في إشارة إلى أن العدو قد يحاول أن يعيقك عن القيام بهذا العمل من طريق السخرية والاستهزاء، أو من طريق ممارسة الحرب الدعائية والضغط النفسي، فلا تكثر لهذه الأمور ولا تخف فإنك تعمل وفق المشيئة الإلهية الغالبة. وهو ذات المعنى الذي ألمحت إليه الآية الشريفة: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ في إطار رباطة جأش النبي الأكرم ﷺ حيال تكالب الأعداء. ثم قال ﷺ: (و مع ابن عم رسول الله) ابن عمه الموصوف بإخوته ووصيه ومن كان يتبعه اتباع الفصيل إثر أمه. وعليه فلا ينبغي أن تشعروا بأدنى شك وترديد في مسيرتكم فاندفعوا بكل ما أوتيتم من قوة لقتال عدوكم، هذا في الوقت الذي يمثل فيه عدوكم سلالة أعداء رسول الله ﷺ،

(١) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ١٠٤.



فوالد معاوية هو أبو سفيان الذي كان أعدى أعداء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه فهو غاصب للخلافة لا بد من مقاتلته وإعادته إلى الحق. أمّا تأكيد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ على قرابته من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرغم من كونه أمرًا متعارفًا لدى العقلاء الذين يرون قرابة الشخص أعلمهم بما جاء ما لم يقيم الدليل على خلافه إلا أنه يمكن أن يكون إشارة إلى حديث الثقلين الذي جعل فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل بيته في مصاف القرآن ودعا الأمة إلى وصيتين هما في الواقع بمثابة اللازم والملزوم، فقال: (فاعودوا الكرم، واستحيوا من الفرّ، فإنّه عارٌّ في الأعقاب، ونارٌ يوم الحساب) فالعدو ((قد لا ينهار من كرة واحدة ولا بدّ من الكرة تلو الكرة لإضعاف العدو والقضاء عليه من جانب، ومن جانب آخر لا تحدثوا أنفسكم أبدًا بالفرار من جبهات القتال، فإنّ ذلك عار يوصم به جبينكم كما تجروه على أعقابكم من بعدكم فإنّ الأبناء يعيرون بفرار آبائهم هذا في الدنيا؛ هذا إذا كان (أعقاب) جمع عقب بمعنى الأولاد، أما إذا كان (عقب) على وزن (قفل) بمعنى العاقبة وما يؤول إليه الأمر فإن مفهوم العبارة ﴿فإنّه عارٌّ في الأعقاب﴾ سيكون الفرار من الجهاد عار في عاقبة أمركم))^(١) وهذا الفرار سيكون وبالاً عليكم يوم الحساب فتردون النار؛ لأنّ الفرار من الزحف يعد من الكبائر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦] ثم قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فإنّ الشيطان كامنٌ في كسره وقد قدّم للوثبة يداً، وأخر للنكوص رجلاً) إذ قيل: ((المراد بالشيطان هنا معاوية حيث جمع الأفكار والأعمال الشيطانية))^(٢) بينما

(١) نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ٣ / ٦٠.

(٢) م: ٣ / ٦٠.



ذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أنه أراد بالشیطان عمرو بن العاص^(١)، وقيل قد يراد به الشيطان الحقيقي (إبليس) الذي كان يتلاعب بمعاوية وعسكره آنذاك. وقد صور الإمام عليه السلام بهذه العبارة حال معاوية ((الذي كان يعد نفسه للهجوم من جهة وهو يهيم بالنكوص والفرار من جهة أخرى، وهذه هو الأسلوب المتبع لدى الحكام الماديين، فلا يملكون هدفاً مقدساً يقاتلون من أجل تحقيقه، فيهربون هروب القطيع من الذئب إذا ما جابهتهم ثلة من المؤمنين))^(٢). وقد صرح القرآن الكريم بشأن أعوان الشيطان في مجابتهم للمؤمنين وكيفية تخلي الشيطان عنهم قائلاً عن لسانه القرآن: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ يَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي مَا لَّا تَرُونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨] ولا يقتصر هذا الأمر على الشيطان - إبليس - وذلك ((أن الشيطان لمّا كان عبارة عن شخص يضلّ الناس عن سبيل الله، وكان معاوية في أصحابه كذلك عنده عليه السلام لا جرم أطلق عليه لفظ الشيطان، ولمّا كانت محالّ الفساد هي مظنة إبليس، وكان المضرب قد ضرب على غير طاعة الله كان محالّاً للشيطان، فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره))^(٣) وقوله عليه السلام: (وقد قدّم للوثبة يداً وأخر للنكوص رجلاً)، فهو كناية بيد أن تفسيرها مختلف بحسب الممكنى عنه، فإذا كان المقصود منه معاوية بعينه أو عمر بن العاص فهي كناية تردد ومكر وتحيينه الفرص للمكر والخداع فإن جنبوا وثب، وإن استبسوا نكص وهرب، أو قد يكون المقصود الشيطان بعينه فتكون ألفاظ الوثبة والنكوص واليد والرجل على سبيل الاستعارة، ويكون قوله عليه السلام (قدّم للوثبة يداً) كناية عن

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٢ / ١٨٢.

(٢) م.ن: ٢ / ١٨٢.

(٣) م.ن.



تزيينه لمعاوية وأصحابه الحرب والمعصية، وقوله (ع): (وأخر للنكوص رجلا) كناية عن استعداده للهروب من الواقعة إذا التقى الجيشان، وقد حكى الله سبحانه عنه: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَءَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

ثم اختتم الإمام (ع) خطبته قائلاً: (فصمداً صمداً) حتى ينجلي لكم عمود الحق ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ فالواقع أن هذه العبارة تمثل نتيجة لما أورده الإمام (ع) ودعا إليه صحبه، بمعنى ((أنكم قد وفقتم الآن على التعليمات الكافية والفنون القتالية وكيفية الهجوم على مركز تجمع العدو، فما عليكم إلا الثبات والصمود والمقاومة لاندحار الباطل وانتصار الحق))^(١) ثم يعدهم بالنصر استناداً إلى البشارة التي تضمنتها الآية المباركة: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] فقد قدم (ع) مرجعيات قرآنية ونبوية ومن دقة الاستشهاد بالآيات القرآنية هنا :

١- تحدث عن الفتح والغلبة فرمز إلى آيات قرآنية من سورة الفتح مقرونة بالفاظ الفتح.

٢- تحدث عن العناية والاهتمام فقدم ألفاظاً ذات مدلولات قرآنية تحيل إلى آيات قرآنية تتضمن الرعاية والاهتمام الذي يمنحه الله سبحانه لعباده الصالحين.

٣- استند إلى قربته الروحية والنسبية من النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فاستشهد بآيات قرآنية من سورة محمد.

تُقدِّمُ الخطبة دروساً عظيمة في التعرف على أساليب القتال وعناصر النصر من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩ / ١٤٦ وينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ٣ / ٧٠.



دون أن تقتصر على زمان الإمام عليه السلام ويشير التأريخ إلى مدى التأثير الذي لعبته كلمات الإمام عليه السلام حتى ورد في كتاب صفين لنصر بن مزاحم أن الإمام عليه السلام حين أورد هذه الكلمات ودعا صحبه أثناء صفين للهجوم على أهل الشام انطلق أكثر من عشرة آلاف خلف الإمام عليه السلام ووثبوا إلى رماحهم وسيوفهم ونبالهم فانقضوا على جند معاوية حتى اقتربوا من خيمته فكاد يقضي عليه لولا تلك الخدعة التي عمد إليها ابن العاص في رفع المصاحف على أسنة الرماح^(١).

ثانياً: في ذم الدنيا:

ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا قوله: ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحَدَّرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤْمِنُ فَجَعَتُهَا، غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَالَةٌ غَوَالَةٌ، لَا تَعْدُو. إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَى بِهَا. أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ ... استبدلوا بظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاءَ عُرَاءٍ، قَدْ طَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالِدَارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢).

لقد حدّر الإمام عليه السلام في مستهل الخطبة الناس من الدنيا؛ لأنّها فانية وغرّارة، ثم كشف عن ماهية واقعها وحقيقتها من طريق وصفها والتعرض لغرورها وخداعها؛ فبين عليه السلام خداع الدنيا ((ذات الظاهر اللطيف الذي انطوى على اللذات والشهوات، وهو

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١ / ٢٩.

(٢) نهج بلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٨٥.



أمر يجعلها مرغوبة تتصاعد إليها الأنظار بفعل عينيتها ومثولها للإنسان بالرغم من ضحالة نعمها وتفاهتها، إلا أنها تحلّت بالأمال وتزيّنت بالغرور لتسوق إليها هذا الإنسان^(١).

لو أمعنا النظر في مرجعيات مقطع خطاب الإمام (ع) السابق الذي وصف الدنيا نجدها اقتباساً مما صرحت به بعض الآيات القرآنية، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] وقال جل اسمه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] وجاء في موضع آخر: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧] كما جاء أيضاً: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ...﴾ [آل عمران: ١٤] وقال تعالى أيضاً: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

هذا التمثل البليغ بالمضامين القرآنية إنما يمثل ترجمة للقرآن الكريم بدقة متناهية وهي ترجمة تربط المضامين القرآنية بالحياة الاجتماعية، وجعله - القرآن - يتحرك مع حركتها - الدنيا - ليكون القرآن الكريم بما يحمله من قصص وعبر وتعاليم المرجع في نجاة الناس وخلصهم من مغريات الدنيا وبهرجها الخداع.

(١) ينظر: نفحات الولاية: ٥ / ٥ - ٦.



ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بأن نعم الدنيا وسرورها إلى انقطاع وهو فان، ولا يوجد إنسان بمأمن من نوائبها وحزنها، تخدع الناس وتغرهم وتمنيهم ولا يصيبون منها غير الضرر والخسران، فهي لا (تَدُومُ حَبْرَتُهَا) - أي حسنها وجمالها^(١) - (وَلَا تُؤْمِنُ فُجَعَتُهَا. غَرَارَةٌ صَرَارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ) - بمعنى متغيرة لا تدوم^(٢) - نافذة - بمعنى انقطاع شيء - وَفَنَائِهِ^(٣)، بَائِدَةٌ - أي منتهية^(٤) - أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ، وفيها دلالة على ختَلٍ وَأَخَذٍ مِنْ حَيْثُ لَا يُدْرَى^(٥)، أضف إلى ذلك دلالة بنائها الصريفي الذي يدل على المبالغة، فخصّص الإمام عليه السلام الدنيا ليتحدث بهذه العبارات الرائعة البيان عن تقلب أحوالها وعدم ثباتها، فليس هنالك من دوام واستمرار لأي من مفرداتها من قبيل حلاوتها وطلاوتها ونعمها وثرواتها وإمكاناتها وآمالها ورغباتها ونشاطها وعنقوان الشباب فيها، فكل هذه الأمور محكومة بالفناء والزوال، وبناء على هذا فلا يركن إليها إلا جاهل غافل.

٣- دقة توظيف الشاهد:

اختتم الإمام عليه السلام كلامه في هذا القسم من الخطبة، بالقول: ((أَتَعُدُّو - إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا * تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾))^(٦).

(١) ينظر: لسان العرب: ٤ / ١٥٧.

(٢) ينظر: م.ن: ٢ / ١٢١.

(٣) ينظر: م.ن: ٥ / ٤٥٨.

(٤) ينظر: م.ن: ١ / ٣٢٥.

(٥) ينظر: م.ن: ٤ / ٤٠٢.

(٦) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٨٥.



فقد عزز الإمام (ع) إثبات مراده من طريق والاستشهاد بالتشبيه الرائع الذي ورد في الآية القرآنية في سورة الكهف بشأن الدنيا، التي ترسم صورة حيّة متحركة أمام (السامع/ القارئ) ليعيش استشعارها عبرة؛ لأنّ هذه الأمور لا يكتب لها الاستمرار والدوام، فلم تشهد هذه الحالة سوى بضعة شهور لتذبل تلك الأوراق وتنتهي الثمار، وتبدل الخضرة بيوسة وجفافاً، وهذه حقيقة الحياة الدنيا التي تعيشها البشرية حيث يتجه كل شيء فيها نحو الزوال فياله من تشبيه رائع وعجيب، جيء به لتقوية الاستدلال وترسيخ الفكرة. واللطيفة في هذا الشاهد القرآني تكمن في طريقة تقديمه؛ إذ الآية المباركة تقول: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] وهي جاءت في خاتمة سياق المحاوراة بين الرجلين في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا﴾ [الكهف: ٣٢-٣٤].

بلحاظ سياق الآيات السابقة فالضمير (لهم) في (وَاضْرِبْ لَهُمْ...) عائد إلى الطائفة المتجبرة التي أرادت من النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن يطرد فقراء المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] ليقف ((الرَّجُلُ الْكَافِرُ بِإِزَاءِ الْمُتَجَبِّرِينَ وَالرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ بِإِزَاءِ ضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَظَهَرَ بِضَرْبِ هَذَا الْمَثَلِ الرَّبْطُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَالتِّي قَبْلَهَا إِذْ كَانَ مَنْ أَشْرَكَ إِنَّمَا افْتَخَرَ بِمَالِهِ وَأَنْصَارِهِ، وَهَذَا قَدْ يُزُولُ فَيَصِيرُ الْغَنِيِّ فَقِيرًا، وَإِنَّمَا الْمَفَاخِرَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا قِصَّةَ رَجُلَيْنِ﴾ وقوله تعالى: (جعلنا) تَفْسِيرٌ لِلْمَثَلِ فَلَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ، وَيَجُوزُ أَنْ



يَكُونُ مَوْضِعُهُ نَصْبًا نَعْتًا لِرَجُلَيْنِ. وَأُبْهِمَ فِي قَوْلِهِ: (جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا) وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ هُوَ الْكَافِرُ الشَّاكُّ فِي الْبُعْثِ، ولربما خرج هذا الإبهام للتبديد أو الاحتقار، وَأُبْهِمَ تَعَالَى اسمه (مَكَانَ الْجَنَّتَيْنِ) إِذْ لَا يَتَعَلَّقُ بِتَعْيِينِهِ كَبِيرٌ فَائِدَةٌ، وكناتنا لأخوين، فَبَاعَ أَحَدَهُمَا نَصِيئَهُ مِنَ الْآخِرِ وَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى عَيَّرَهُ الْآخَرُ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا هَذِهِ الْمُحَاوَرَةُ قَالَ: فَغَرَّقَهَا اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَإِيَّاهُمَا عَنَى (هَذِهِ الْآيَةُ) (١).

ومهما أصاب الإنسان من نعيم الدنيا وفتحت له ذراعيها ينبغي له أن يرقب مرضاة الله في ما أعطاه من رزق، وبيتعد عن الطغيان والتكبر وألا يجعل نفسه عبداً لمملذات الدنيا، ولا أروع من الصورة التي رسمها القرآن الكريم لجنة الكافر هذا، فتأمل ((هذه الهيئة التي ذكر الله، فإن المرء لا يكاد يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس: جنتا عنب أحاط بهما نخل، بينهما فسحة، هي مزروع لجميع الحبوب، والماء الغيل يسقى جميع ذلك من النهر الذي قد جمل هذا المنظر، وعظم النفع، وقرب الكد، وأغنى عن النواضح وغيرها)) (٢)، فراقته له وظنَّ أمناً لن تبديد أبداً بل شك حتى في الميعاد ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] فجاءها أمر الله فذهبت هباءً منثوراً ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] وذهب نعيم الدنيا ولم تغن عنه شيئاً ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣] وبذلك استوى مثل الحياة الدنيا الذي بيئت شيئاً منه الآية موضع الشاهد في الخطبة، ومن هنا نلمس دقة الاستشهاد بالآية المباركة الواردة في الخطبة، إذ تجمع بينهما - الآية القرآنية

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٧ / ١٧٤.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣ / ٥١٦.



وموضوع الخطبة- ملامح عدة، أهمها وحدة الموضوع وهو التحذير من مغريات الدنيا، وعدم ثبات نعيمها مهما بلغ من الكثرة، فكل هذه الأمور محكومة بالفناء والزوال، وبناء على هذا فينبغي ألا يركن إليها من كان يريد نعيم الآخرة.

ثم ختم كلامه (ع) بشاهد قرآني آخر، في قوله: ((فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةَ عُرَاةٍ، قَدْ طَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالِدَارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١))).

وخلاصة القول إن الإمام (ع) يدقق على استكثار الأعمال الصالحة التي تنجي العبد من يوم عبوس قمطرير ؛ لأن الشيء الوحيد الذي يحمله معه هو عمله والذي قد يكون أحياناً وبالأعلى عليه وأعظم بلاء يصيبه، وهو الأمر الذي أكدّه الإمام (ع) ، مؤكداً (ع) على نقطتين في هذا المقال:

الأولى: عودة الإنسان إلى الأرض كما خلق منها.

الأخرى: النشأة الجديدة في الآخرة، ثم استشهد (ع) بالآية القرآنية الكريمة: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] لكي لا يبقى أدنى مجال للشك في حقيقة عودة الإنسان إلى التراب الذي خلق منه فيرى هناك جزاء أعماله من ثواب أو عقاب^(٢).

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٨٥.

(٢) ينظر: نفحات الولاية: ٢٩ / ٥.



الخاتمة:

الحمد لله حمداً حمده به الأنبياء والأولياء والعباد الصالحون والصلاة والتسليم على أنبياء الله ورسله أجمعين، بالأخص خاتمهم وأفضلهم محمد المصطفى وأهل بيته الذين طهرهم وأذهب عنهم الرجس وجعلهم القدوة للناس إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد عالجت صفحات هذا البحث أمراً مهماً؛ إذ نقتب عن الشواهد القرآنية في نهج البلاغة، فانسدل فيض قرآني منها يصدق بدقة الاختيار، وروعة السبك، وجمال الأسلوب، ويمكن إجمال ما وافق البحث من نتائج - وإن باختصار- في مسيرة هذا الكتاب الذي يعد فاتحة لأجزاء عدة إن شاء الله.

١- شكل الشاهد القرآني بشقيه الصريح والضمني ظاهرة بارزة طغت على غيرها من الشواهد الشعرية والأمثال.

٢- رصد البحث ثلاثة أنواع من الشواهد القرآنية من حيث الشكل، وهي:

أ- الشواهد القرآنية النصية، وهي التي تذكر فيها الآية كاملة من دون حذف منها.
ب- الشواهد القرآنية الجزئية، وهي الشواهد التي تقتطع من آيات قرآنية تعالج فكرتها مسلمة معينة في مضمون الخطبة.

٣- جاء الشاهد القرآني لأغراض متعددة - بحسب فهم البحث - فمنها ما جاء لغرض حجاجي بقصد إثبات فكرة أو نفيها، ومنه جاء لغرض الوعظ والإرشاد، والتحذير من منزلقات الدنيا، ومنها جاء لوصف ظاهرة معينة وتقريبها من الأذهان.

٤- قد استأنس البحث بدقة الأسلوب الذي يعرض به الشاهد القرآني؛ إذ يأتي - الشاهد- ذاتياً في سياق الكلام اللغوي من حيث الإعراب وموقعيته من الكلام،



ومن حيث تتابع المعاني التي تُطرح.

٥- وقف البحث على التماثل الموضوعي والمكاني بين الشاهد القرآني وسياق كلامه (ع)، وذلك يتضح عبر تتبع سياق كلام الإمام وما فيه من تتابع أفكار، وتتبع سياق الآية القرآني التي يستشهد بها الإمام (ع)، فنجد السياق واحد وتتابع الأفكار نفسها بين السياقين، كأن يكون الحديث عن الدنيا، أو الآخرة، وغيرها من الموضوعات.

٦- من طريق عرض الشواهد القرآنية التي ترد في كلام الإمام (ع) ولاسيما الضمنية منها وجدناها - الشواهد - تسهم إسهاما كبيرا في تفسير كلامه (ع) قرآنيا. هذا واستغفر الله لي ولكم، ونسأل الله أن يكون هذا العمل عتبة صدق عند مليك مقتدر، والصلاة والسلام على خير الأنام أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. أصول الكافي، الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩)، شرح سيد هاشم رسولي، انتشارات علمية إسلامية.

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، تأليف العلامة المفسر آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٣. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.

٥. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٦. جوهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيس البابي الحلبي وشركاه، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان.



٨. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (٦٧٩هـ)، تحقيق: عنى بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها، مركز النشر الاعلامي الاسلاميت الحوزة العلمية - قم - ايران، ط١، ١٣٦٢هـ.
٩. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠)، انتشارات كلمة الحق، مطبعة ستار، ط١، (د. ت).
١٠. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سبيويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.
١١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
١٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٤. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
١٥. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م.



١٦. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط ١، ١٤١٢هـ.
١٧. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ.
١٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٩. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
٢٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي (٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، مكتبة آية الله المرعشي العامة، - قم، مطبعة الخيام - قم، ١٤٠٦هـ.
٢١. الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٢. نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، موقع كاسر الصنمين، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨.
٢٣. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، جمع الشريف الرضي، تحقيق وضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في خطب

الإمام عليؑ

م. د. زينة عباس فاضل

الباحثة: زينب كامل جواد

مديرية تربية القادسية

الملخص:

يعنى هذا البحث بيان التطبيقات القرآنية الاجتماعية في خطب الإمام عليؑ، فالمتدبر في الآيات القرآنية الكريمة، وخطب أمير المؤمنين المتعلقة بالجانب الاجتماعي والسياسي والحربي يجدها مليئة بتلك الدلالات والتوافقات . اقتضت طبيعة البحث أن يدرس بالتحليل والمقارنة تلك الجوانب الأساسية للحياة اليومية في المجتمعات كافة؛ كونها أساس الوجود والتعايش، حيث تحدد كيفية التعامل مع القادة، أو الرعية، أو الأقارب، أو أهل الدين الواحد، أو من كان على دين آخر، أو الأعداء في الحرب أو السلم، فضلاً عن أبرز التوجيهات الحربية القرآنية، وكيف طبقها الإمام عليؑ في حروبه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، خطب الإمام عليؑ ، العلاقات

الاجتماعية.



Abstract:

This research focuses on elucidating the social Quranic applications within the sermons of Imam Ali (PBUH). A careful contemplation of the Holy Quranic verses and the sermons of the Commander of the Faithful—particularly those pertaining to social, political, and military aspects—reveals a profound wealth of semantic indications and functional alignments between the two.

The nature of this study necessitates an analytical and comparative approach to examine the fundamental pillars of daily life across all societies, as they constitute the basis of existence and coexistence. The research explores how the Imam defined interactions with leaders, subjects, relatives, coreligionists, followers of other faiths, and even enemies in times of war and peace. Furthermore, it highlights the most prominent Quranic military directives and demonstrates how Imam Ali (PBUH) practically implemented them during his battles.

Keywords: The Holy Quran, Sermons of Imam Ali (PBUH), Social Relations.

المقدمة

يسعى البحث إلى تسليط الضوء على أهمّ العلاقات الاجتماعية التي بينها القرآن الكريم وحثّ عليها، وترجمتها على أرض الواقع عبر كلام الإمام (ع) وأفعاله. استند البحث إلى خطب الإمام عليّ (ع) في نهج البلاغة، وعمد إلى عرضها على الآيات القرآنية للوقوف على أهمّ العلاقات الاجتماعيّة، فتناول البحث علاقات مختلفة منها، علاقة الزوجة، والابن، والعشيرة، ... وغيرها.



التمهيد: العلاقات الاجتماعية

يقصد بالعلاقات الاجتماعية: ((ما كان من صلة بين اثنين أو أكثر، في مجالات شتى، يترتب عليها علاقة اجتماعية، أو هدف اجتماعي))^(١)، فحيثما وجد مجتمع إنساني برزت تلك الروابط^(٢) التي هي عبارة عن حلقات قد تضيق لتقتصر على الأسرة، أو تتسع لتشمل علاقات النسب، والقربة، والجيران، والمصاهرة، والعمل، والأعداء ... وغيرها؛ لذلك فهي: ((مجموعة الروابط، والصلات الاجتماعية التي تؤلف بين الناس وتنظم ارتباط الأفراد بعضهم ببعض، ويغلب عليها طابع الحبّ والموّدة وشدّة التمسّك))^(٣)، أو الكره والعداوة والحقد.

تشأ العلاقات الاجتماعية من جملة التفاعل القائم عبر الاتّصال بين الأفراد من أجل إشباع الحاجّيات التي يسعون إليها؛ لذا فهي مصدر مهمّ لسيرورة الحياة واكتمالها ودوامها^(٤).

لقد حدّد القرآن الكريم أوّل الأمر أنّ الأصل البشري واحد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، ثُمَّ جَاءَ التَّقْسِيمَ بَعْدَ ذَلِكَ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾؛ لهدف معين^(٥): ((لِتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [الحجرات: ١٣]، أي: للتواصل وعمل العلاقات الإنسانية لكن الفضل في النهاية لا يعود للقربة وإنّما للعمل وهو (التقوى).

وبحسب الآية أعلاه تكون ((النزعة الاجتماعية في الإنسان ذاتية فطرية ...

(١) العلاقات الاجتماعية في السنة النبوية: المقدمة.

(٢) العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المسلم: ٤٤.

(٣) العلاقات الإنسانية مفهومها وتطبيقاتها في القرآن الكريم: ٦.

(٤) ينظر: العلاقات الاجتماعية من منظور سوسيولوجي: ٤٩٤.

(٥) ينظر: المجتمع الإنساني في القرآن الكريم: ٥١٠.



فالإنسان خلق بشكل يؤدي إلى تشكيل الشعوب والقبائل والتعارف الذي هو شرط أساس للحياة الاجتماعية^(١)، وبحكم هذا كان لا مناص من تنظيم تلك التشكيلات الجماعية، ووضع أسس لتعاملاتها .

وقد وضع الله تعالى في كتابه الكريم القوانين الإلهية كافة، وما يجب على المسلم العمل به في تنظيم أموره الحياتية بمختلف جوانبها: النفسية، والشخصية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وكل ما يتعلق به لعيش حاضره وبناء مستقبله، فجاءت التعاليم الإلهية شاملة، وقد رُسمت تلك الحدود في القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة، أو ما أوضحه أهل البيت عليهم السلام، فما كان غامضاً أو مجملاً جاء تفصيله وبيانه عن طريق النبي الكريم صلى الله عليه وآله، والأئمة الأطهار عليهم السلام .

والعلاقات الاجتماعية بين البشر من الجوانب المهمة التي بين حدودها الله تعالى في القرآن الكريم، وأكدت على حفظها وصيانتها الأحاديث النبوية، وخطب أئمة أهل البيت عليهم السلام، وسيعرض هذا البحث بعض تلك العلاقات في القرآن الكريم ومما جاء في أقوال الإمام علي عليه السلام وأفعاله .

المبحث الأول: العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة

١ - الزوجة:

يعدّ الزواج من العلاقات الاجتماعية المهمة في حياة الإنسان؛ كونه اللبنة الأساس في تكوين المجتمع؛ ليطمّ عبره تكوين أسرة قادرة على تنشئة أفراد صالحين وتكوين جيل واع داخل مجتمع سوي؛ لذلك كان الدين الإسلامي حريصاً على وضع منهج خاصّ يحدّد تلك العلاقة، ويبيّن حقوق كلّ فرد فيها وواجباته تجاه الآخر .

وقد رسم القرآن الكريم طبيعة العلاقة بين الزوجين، فبيّن تعالى الرابط

(١) المجتمع والتاريخ: ١ / ١٤ .



المقدس الذي يجمعهم، بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وعبر القرآن الكريم عن الرابط بالزواج بد(لتسكنوا)، أي: لتجدوا سكون الأمن والطمأنينة والألفة^(١)، ثم أضاف سبحانه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، فهذا السكون مقرون بالعطف والمحبة ((فالمودة كأنما الحب الظاهر أثره في مقام العمل ... وهو تأثر نفساني عن العظمة والكبرياء))^(٢)، ويبيّن حاجة كلّ منهما إلى الآخر ((فكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس))^(٣).

وتتضح هذه المودة والرحمة عند أمير المؤمنينؑ في كلامه عند دفن سيّدة نساء العالمينؑ، بقوله: ((... قل يا رسول الله عن صفتك صبري، ورق عنها تجلّدي، ... أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم))^(٤)، فيبيّن هذا الكلام حال الإمام بعد فقد زوجته، فيصوّر لنا فقدانه لذلك السكون والأمن، فأراد إثبات أنّ حزنه لا ينقطع^(٥)، ((فسيبقى دائم الحزن والكآبة ومؤرق الليل لا ينام قد أسهره المصاب فسلم النوم من أجفانه وسيبقى هكذا إلى أن يستشهد ويذهب إلى جوار المصطفى))^(٦)، وقد أثبتت حياة الأمير والزهراءؑ هذا، فكانت برهاناً مبيّناً على ذلك .

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٢٤٠، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٨/ ٤٣، والتحرير والتنوير: ٢١/ ٧٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ١٧١.

(٣) في ظلال القرآن: ٢١ / ٢٧٦٣.

(٤) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٢ / ٤٣٤.

(٥) ينظر: البعد الفكري والتربوي في نهج البلاغة: ١٥٨.

(٦) شرح نهج البلاغة، عباس علي الموسوي: ٣ / ٤٣٤.



٢- الابن:

تعد علاقة الآباء بالأبناء من أهم العلاقات، وأكثرها قوة وصلته؛ كون الآباء هم المسؤول الأول عن تنشئة الأبناء تنشئة صالحة، وتربيتهم تربية صحيحة وسليمة خالية من المشاكل الأخلاقية والنفسية وغيرها.

رَكَزَ الدين الإسلامي على هذه العلاقة كثيرا عبر وضع مبادئ أساسية وقوانين تبين كيفية التعامل معهم في حياتهم، وحتى بعد الممات من خلال آلية تقسيم الإرث، عبر القرآن الكريم، أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو خطب الأئمة عليهم السلام.

وقد استعمل القرآن الكريم في بعض الأحيان أسلوب الإجمال في التعبير عن الزوجة والابن بلفظة الأهل، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

واعتمد أيضًا على أسلوب التفصيل بذكر مجموعة من الوصايا من الأب إلى الابن، ونلاحظ ذلك في وصية لقمان لابنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ



أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ ﴿١﴾ [لقمان: ١٣ - ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٢﴾ [البقرة: ١٣٢ - ١٣٣].

فبيّن لنا النصّ القرآني أعلاه مجموعة من المواعظ الأساسية التي ينبغي أن تتوافر في شخصية الإنسان بصورة عامّة، والفرد المسلم بصورة خاصّة، ((ففي نصيحة الأب لابنه يعرض للعلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق، ويصوّر هذه العلاقة صورة موحية فيها انعطاف ورقة))^(١).

ابتدأ لقمان الحكيم وصاياه بالجانب الأهمّ، وأول أصول الدين هو التوحيد؛ كونه أساس الوجود قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿الذاريات: ٥٦﴾، فضلاً عن كونه السبيل الوحيد للنجاة، وتركه ذنب لا يغتفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ((فأعظم المعاصي معصية الله لعظمته وكبريائه))^(٢)، ثمّ انتقل بعد ذلك لذكر القيم الاجتماعية الأساسية لبناء الفرد من جانب، والمجتمع من جانب آخر التي تتمثّل بـ(عدم الظلم، الصلاة، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، التواضع، غضّ البصر، عدم رفع الصوت...).

وللإمام عليؑ في هذا المجال خطبتان؛ الأولى كتبها للإمام الحسنؑ عند انصرافه من صفين، منها: ((... فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ - أَي: بُنْي - ولزوم أمره،

(١) في ظلال القرآن: ٢١ / ٢٧٨٨ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ٤٠١ .



وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وأيُّ سببٍ أوثق من سببِ بينك وبين الله (إن أنت أخذت به))^(١)، ونستطيع أن نتلمس عبرها الخط المتماثل بين القرآن الكريم، وخطب الأمير (ع) .

إنَّ أوَّل ما يلفت الانتباه في الوصية هو وصف الإمام عليٍّ (ع) للعلاقة بين الأب والابن، بقوله: ((... ووجدتكَ بعضي، بل ووجدتكَ كُلي، حتَّى كأنَّ شيئاً لو أصابكَ أصابني، وكأنَّ الموت لو أتاك أتاني فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي، فكتبتُ إليك مستظهِراً به إن أنا بقيتُ لك أو فنيتُ))^(٢)، بهذه الكلمات المؤثرة والعطوفة التي تحمل بين معانيها الحنان والرفقة أراد الإمام (ع) أن يعلمنا وجوب الاهتمام بأنفسنا والاستعداد للقاء الله تعالى، وجزء من هذا الاستعداد يتطلَّب النظر فيما نتركه خلفنا وهم (الأولاد) إذ هم الجزء المكمل للحياة، وفيهم يجد المرء سعادته ونجاته^(٣).

ابتدأ الإمام عليٌّ (ع) وصيته بالتقوى، وقد وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وبصيغ مختلفة تنوعت بين الأسمية والفعلية، فالتقوى: ((حفظ الشيء ممَّا يؤذيه، ويضره))^(٤)، فهي خير زاد كما وصفها تعالى بقوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، إذ ((تمثل الخضوع لله في الجوارح))^(٥)، فعندما يوصي الإمام (ع) بالدعوة إلى شيء معين باستعمال لفظ قرآني (فإنه يعمد إلى نقل اللفظة القرآنية من محيطها الدلالي القرآني وتوظيفها في موقعه الفني

(١) نهج البلاغة: ٣ / ٥٢٧ .

(٢) م. ن .

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢٧١ .

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٦٨٨، وينظر: ذوي بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢ / ٢٩٩ .

(٥) شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢٧٢ .



الذي هو فيه يستغل ما لهذه اللفظة من معانٍ أضافها عليها محيط النص السابق نفسه، ويستغل انطباعها واستقرارها في الأذهان))^(١).

دعا الإمام (عليه السلام) في وصيته ابنه إلى التوحيد أيضاً عبر إثبات وحدانية الله تعالى بالدليل العقلي، بقوله: ((واعلم - يا بُنيَّ أنَّه لو كان لربِّك شريكٌ لأتتكَ رُسُلُهُ - ولرأيتَ آثارَ ملكِهِ وسلطانِهِ، ولَعرفتَ أفعالَهُ وصفاته، ولكنَّهُ إلهٌ واحدٌ كما وصفَ نفسه، لا يضادُّهُ في ملكِهِ أحدٌ، ولا يزولُ أبداً...))، وهذا منهج قرآني في الاستدلال إذ قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وكذلك ضمّت وصية الإمام (عليه السلام) مبادئ اجتماعية، وقيم إنسانية، وأخلاقية لا تحصى، ولا يتسع المجال لذكرها في هذا البحث؛ لذا سنحاول أن نذكرها بإيجاز تام. إذ نلاحظ إن الإمام يأمر ابنه بصيغة فعل الأمر المباشر بإحياء قلبه بأمور عدّة بقوله: ((أحيِّ))، إذ تعمل على تصفية القلب وتطهيره، منها: ((الموعظة، والزهد، واليقين، وخشية الله، وذكر الموت، وتذكيره بأخبار الماضين والاعتبار منهم، وإصلاح الآخرة، وترك الدنيا والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والصبر، ومساعدة الناس...))، ويستطع المتأمل لكتاب الله - عزّ وجلّ - أن يعرف الترابط بين هذه الوصايا والدعوات الإلهية المباشرة، وغير المباشرة لمثل هذه الأوصاف التي جعلها تعالى من صفات المؤمنين.

كلّ وصية من تلك الوصايا لها غاية اجتماعية هدفها الأساس إصلاح المجتمع، وإنشاء أجيال ذات منفعة، ترتبط ببعضها ارتباطاً يستند إلى التعاون، والأخوة، والمبادئ الأخلاقية السامية، ففي خشية الله وذكر الموت إصلاح

(١) الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون): ٦٤.



للنفس، وحمايتها من ملذات الحياة، وتجنب السيئات فضلاً عن ((لا تدريب للقلب على تحمّل المشاقّ مثل ذكر الموت؛ لأنّ من أكثر من ذكره سهلت عليه المتاعب، وهانت عليه كلّ المصائب))^(١)، وكذلك الأمر بالنسبة للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فهما ((من أهمّ وسائل الرسالة الخاتمة في تحقيق وحدة المجتمع الإنساني في إطار المعروف، والإصلاح بين الناس، الأمر الذي يحفظ لها وحدتها التي يمزّقها المنكر والشّرّ والفساد، فتنتطق فكرة هذا الواجب من الشعور بالمسؤولية المشتركة بين أبناء الجماعة، تجاه الجماعة ومصالحها العامّة، وهذه المسؤولية المشتركة هي أسس النهج الإسلامي في تحقيق الوحدة))^(٢)، فالغرض منهما ((الإرشاد العامّ ليمتنع الضالّ عن شروره، ويسير الخير في طريقه، وذلك بإرشاد الفضلاء، فتكون الجماعة في فضيلة ظاهرة تتعاون على الخير ولا تتعاون على شرّ قط))^(٣)؛ لذا نلاحظ أنّ الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وخطب الإمام (ع) ووصاياه قد حثت عليها.

أمّا التذكير بأحوال الماضين فهو أسلوب قرآني في أخذ العبرة منهم، وعدم الوقوع فيما وقعوا فيه من عناد وتكذيب، وفي مساعدة الناس بتحقيق العدالة الإلهية والتكافل الاجتماعي وتنزكي الأنفس، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وأوضح الإمام علي (ع) في هذه الوصية جانباً اجتماعياً مهماً إذ حدّد كيفية النظر للآخرين، وطريقة التعامل معهم، بقوله: ((يا بُنَيَّ! اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تُحِبُّ لنفسك، واركه له ما تكره لها، ولا تظلم

(١) جواهر من كنوز الوصي: ١٨١ .

(٢) المجتمع الإنساني في القرآن الكريم: ٤٩٤ .

(٣) التكافل الاجتماعي في الإسلام: ٨ .



كما لا تحب أن تُظلم، واحسن كما نُحِبُّ أن يُحسِنَ إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحُه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم، وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحبُّ أن يقال لك))، هذه قاعدة تربوية وأخلاقية ينبغي أن ينطلق منها الإنسان في سلوكه^(١)، ((فاجعلها- نفسك- معيارًا صادقًا فيما بينك وبين من تعامله من الخلق))^(٢)، أي: تكون نفسه مقياسًا لغيره، فكما يكره أن تتم معاملته بالسوء والظلم أو التعرض للإحراج عليه أن يفعل الشيء نفسه مع غيره من الناس بغض النظر عن انتمائهم أو أحوالهم، وفي الوقت نفسه أن يتعامل مع الناس كما يجب أن يعاملوه باحترام وتقدير.

والوصية الثانية للإمامين الحسن والحسينؑ كتبها بعدما ضربه ابن ملجم (لعنه الله)، بقوله: ((أوصيكما وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وإصلاح ذات بينكم فإنني سمعت جدكما ﷺ يقول: (صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام))^(٣)، نلاحظ أنّ الإمام ﷺ في هذه الوصية قد ابتداءً أيضًا بالتقوى لما لها من آثار عظيمة في تهذيب النفس وتوجيهها نحو الصواب فهي ((الحذر من الله والخوف منه))^(٤)، والابتعاد عن كلّ ما أمر تعالى بتجنّبه.

ومن الأمور الاجتماعية المهمة التي أوصى بها هنا هو (إصلاح ذات البين) ويقصد به: أن يكونوا على انسجام ووافق فيما بينهم وإذا ما حدث شقاق أو اضطراب في علاقاتهم عليهم السعي في إصلاحها وتجاوز الخلافات جميعًا^(٥).

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٣١٧.

(٢) الديباج الوضي في كلام الوصي: ٥ / ٢٢٢٨.

(٣) نهج البلاغة: ٣ / ٥٣٣.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٤ / ٤٨٩.

(٥) ينظر: م. ن.



٣- العشيرة والنسب:

عشيرة الرجل: ((بنو أبيه الأذنون، وقيل: هم القبيلة^(١)، والنسب: القرابة، وقيل: هو في الآباء خاصّة))^(٢).

تعدّ العلاقة بين أفراد العشيرة الواحدة من أبرز العلاقات الاجتماعية، فهي موجودة منذ القدم، ويشترك أبناؤها بروابط متعدّدة، أهمّها: الدم، والأعراف، والتقاليد، واللغة، ... وغيرها، وعندما جاء الإسلام لم يمه تلك الروابط نهائياً، إذ أبقى على بعض الجوانب التي لا تتعارض مع تعاليمه من جهة، وفيها نفع للفرد والمجتمع من جهة أخرى.

وقد عبّر الله تعالى عن الانتماء لهذه الصلة بألفاظ عدّة^(٣)، منها: (العشيرة)، إذ وردت هذه الكلمة ثلاث مرات في القرآن الكريم^(٤)، ونلاحظ أنّه تعالى لم يذكر في كتابه الكريم بصورة مباشرة تفاصيل التعامل مع هذه الدائرة الاجتماعية، ولكن نستطيع أن نلاحظ تميّز أفرادها عن غيرهم، ونتلمّس أثرها في حياة الفرد داخل مجتمعه، في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فأمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ ((بإندار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هم أولى بالبداة، ثم بمن يليه، وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم))^(٥) وقيل: ((إنّما

(١) لسان العرب: ٤ / ٥٧٤ .

(٢) م. ن: ١ / ٧٥٥ .

(٣) منها: أخاهم، ينظر: سورة الأعراف: ٦٥، ٧٣، ٨٥، سورة هود: ٥٠، ٦١، ٨٤، سورة النمل: ٤٥، وأخوهم، ينظر: سورة الشعراء: ١٠٦، ١٢٤، ١٤٢، ١٦١، ((فالأخ أحد الولدين لواحد، وإنّه قال ليهود أنّه أخوهم لأنّه كان من قبيلتهم)). التبيان في تفسير القرآن: ٤ / ٤٤١ .

(٤) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٦٢ .

(٥) الكشاف: ٤ / ٤١٩ .



خصّ في الذكر إنذار عشيرته الأقربين؛ لأنه يبدأ بهم، ثم الذين يلونهم...، وقيل: لأنه يمكنه أن يجمعهم ثم يندرهم^(١)، فضلاً عن بيان ((أنه لا يُخلص أحداً منهم إلّا إيمانه برّبه عزّ وجلّ))^(٢)، وتنبهها على عدم وجود أيّ استثناء في دعوته، فيندّر الأقربين ويحذرهم ليتعظ غيرهم فلا مساومة في هذا الأمر^(٣).

أمّا في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩١-٩٢]، فاللفظة الدالة على العلاقة الاجتماعية (الرهط)، فرهط الرجل: قومه وقبيلته، وعشيرته وأهله^(٤).

وسياق الآية الكريمة يتضمّن الردّ على النبيّ شعيبؑ بعد أن وعظهم ودعاهم لعبادة الله، فكان حالهم وجوابهم كغيرهم ممن سبقهم من الأقوام، وهو الرفض والتهديد، فكانت عشيرته المانع الذي منعهم عن رحمة وأذيتّه، فكان أثر الرهط هنا نوع من الحماية لشعيب بحسب نظرهم، ((لولا هذا النفر القليل الذين هم عشيرتك لرجمناك، لكننا نراعي جانبهم فيك، وفي تقليل العشيرة إيماء إلى أنّهم لو أرادوا قتله يوماً قتلوه من غير أن يبالوا يوماً بعشيرته، وإنّما كفّهم عن قتله نوع احترام وتكريم منهم لعشيرته))^(٥)، بمعنى آخر: ((لولا حرمة عشيرتك وقومك لقتلناك بالحجارة))^(٦).

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٦٧ / ٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٧٥ / ١٠ .

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٧٥ / ١٠، والكشاف: ٤ / ٤١٩، والتبيان في تفسير القرآن: ٦٧ / ٨،

والميزان في تفسير القرآن: ٣٢٩ / ١٥ .

(٤) لسان العرب: ٣٥٠ / ٧ .

(٥) الميزان في تفسير القرآن: ٣٦٣ / ١٠ .

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٥٠ / ٥ .



ونستطيع أن نتبين من هذا أن القرآن الكريم لم يمدح العشيرة، أو يوصي بها مباشرة وإنما نقل لنا صوراً توضح أثرها في الحياة، وحاجة الأفراد إليها.

ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى قد أشار في أكثر من موضع لمراعاة صلة الرحم، ((وصلة الرحم تعني الإحسان إلى الأقربين، وإيصال ما أمكن من خير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم))^(١)، وجعل وصلها من واجبات المسلم، وأنهم أولى ببعضهم في العناية والرحمة والإحسان، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، وفي المقابل نهى عن قطع الأرحام، وذم قاطعها ولعنه، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]، وقوله تعالى محذراً من قطع الأرحام: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أمَّا الإمام علي (ع)، فيقول في خطبة له: ((أيها الناس! إنه لا يستغني الرجل، وإن كان ذا مالٍ عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس

(١) العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المسلم في القرآن الكريم: ٧٣.



حيطةً من ورائه، وألّمهم لشعثه، وأعطفهم عليه، عند نازلةٍ إذا نزلت به، ولسانُ الصدق، يجعله الله للمراء في الناس، خيرٌ له من المال يُورثُهُ غيره»^(١).

وقوله أيضًا: ((ألا لا يعدلنَّ أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسُدّها بالذي لا يزيدُه إن أمسكهُ، ولا ينقصُه إن أهلكه، ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنما تقبضُ منه عنهم يدٌ واحدة، وتقبض منهم عنه أيدي كثيرة، ومن تَلن حاشيته يستدم من قومه المودة))^(٢).

لقد فصل الإمام عليّ (عليه السلام) القول في بيان مسؤولية الفرد تجاه أقاربه الذين هم من بني عشيرته؛ فعدهم الأجدر بالاهتمام والحفظ والرعاية ولا غنى عنهم وإن كنت متمكنًا ماديًا، ((وأن سرّ هذا التشدد في التوصيات الإسلامية - في القرآن الكريم، أو عند الإمام عليّ (عليه السلام) - على الجماعة يكمن في إن هدف التعامل بين الناس، أي: إقامة العلاقات، هو تحقيق التوازن الاجتماعي والعبادي للجماعة والمجتمع والأمة، أي: إشاعة الحبّ بين الجماعة المتفاعلة وتجسيدها في ممارسات تعاونية فيما بينها بحيث تمتصّ كافة التوترات التي تحدث بين التصادم بين المصالح))^(٣).

ولهذا الأمر آثار اجتماعية عدّة، منها:

١. تحقيق صلة الرحم التي أمر القرآن الكريم بها.
٢. تحقيق الأخوة الإنسانية، قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥].

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٨٢، ٨٣.

(٢) م.ن: ٨٣.

(٣) الإسلام وعلم الاجتماع: ١٩٦.



٣. تحقيق مبدأ التعاون الذي حثَّ القرآن الكريم عليه، ﴿وتعاونوا على البرِّ والتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

٤. تحقيق التكافل الاجتماعي^(١)، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٥. تحقيق الأمان والاستقرار في حياة الفرد الذي ينعكس إيجابياً على المجتمع.

٦. تحقيق التماسك والترابط الاجتماعي.

٧. صيانة القيم الاجتماعية والأخلاقية والإنسانية.

يرى الإمام (ع) أن من يمدِّ يد العون لأقربائه يستمدُّ من قومه المودَّة والوقار والجاه من جانب، أمَّا الشخص البعيد عن قبيلته مثلاً، ولم يشاركهم في أحزانهم وأفراحهم إنَّما هو فرد واحد تستطيع العشيرة تعويضه، بينما هو لا يستطيع تعويضهم في حال أصابته إحدى نوائب الدهر من جانب آخر، وهذا ما نجده في أغلب عشائرننا حالياً من وجود ما يشبه صندوق التكافل الاجتماعي؛ لذا فقد نهى (ع) عن إهمال القريب لما فيه من ضرر كبير على وجود الإنسان، فبيَّن أنَّ العلاقة بينهما علاقة أخذٍ وعطاء، فلا غنى لكلِّ منهم عن الآخر.

(١) ينظر: سورة النساء: ٣٦، ٣٩، سورة الطلاق: ٧، سورة البقرة: ٢٦١، ٢٦٢، سورة الإسراء: ١٦.



المبحث الثاني: العلاقات الاجتماعية خارج الأسرة

١ - الجيران:

عنى القرآن الكريم بعلاقة الجار، فالإنسان يقضي أغلب حياته بالقرب من جاره، فينبغي عليه الإنعام إليه، والتعاطف معه، ومشاركته في أفراحه وأحزانه، وهذا ما أمر الله به في كتابه، بقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

فقد تضمنت هذه الآية الكريمة أكثر من علاقة اجتماعية (الوالدين، ذي القربى، اليتامى، الجار ذي القربى، الجار الجنب، الصاحب بالجنب، المساكين، ابن السبيل، وما ملكت أيمانكم)، فهذه العلاقات تتدرج بين العلاقات المباشرة (الوالدين، ذي القربى، بعض الأيتام)، والعلاقات غير المباشرة، ومن الملفت للنظر أن الله تعالى قرن الإحسان إلى أولئك الأشخاص - وخاصة الوالدين - بعبادته، وعدّ الإشراف به للاهتمام والعناية بذلك^(١)، وقسم الله تعالى الجار بحسب هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة أقسام، ولكل منهم حقوق^(٢)؛ (الجار ذي القربى، الجار الجنب، الصاحب بالجنب).

لقد أكد الإمام عليؑ على ضرورة تقوية هذه العلاقة عبر وصيته، بقوله: ((الله الله في جيرانكم! فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم))^(٣)، وجعلها مطلقة ومعرفة، فشملت بذلك الأقسام الثلاثة التي ذكرها

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٩ / ٥ وما بعدها .

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١٥٦ / ٥ .

(٣) نهج البلاغة: ٣٠ / ٣ .



تعالى في الآية السابقة، واستند في وصيته لبيان وجوب الاهتمام بالجار إلى وصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

إن هذا التركيز على الجار نابع من أثره العظيم في المجتمع، فبحفظه وإعطائه حقه، وصيانة أهله وماله، وحمايتهم يتحقق الأمان ويستطيع المرء أن يطمئن على أهله في حضوره وغيباه من جانب، ويسود الودّ والرحمة والألفة في ذلك المجتمع من جانبٍ آخر.

٢- الأسرى:

نفى القرآن الكريم وجود الأسرى عند الأنبياء، بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠]، أي: ((ما كان لنبيٍّ أن يجبس كافرًا للعداء والمنّ حتى يثخن في الأرض))^(١)، فالدين الإسلامي إنما هو دين رحمة، فلا يقبل أن يعذب أحدًا ولو كان كافرًا، من هنا نلاحظ في وصية الإمام علي (ع) لولديه أنه أوصاهم بأسيرهم - قاتله ابن ملجم - بقوله: ((انظروا، إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل؛ فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))، فنلاحظ أنّ الإمام (ع) ما طلب إلا القصاص.

وروي عنه (ع) قال: ((إنّه أسير، فأحسنوا نزله، واکرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن متّ فاقتلوه قتلتني))، وقال: ((ما فعل ضاربي؟ قالوا: قد أخذناه.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن حديد: ١٧ / ١٠ - ١١.



قال: اطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن أنا مت فاضربوه ضربة لا تزيدوه عليها^(١)، كيف لا تكون هكذا وصيته، وقد قال فيهم تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٨ - ٩].

ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم من كل هذه التوصيات بالعلاقات الاجتماعية، والحث عليها بطرق مختلفة إلا إنها تنتهي بمجرد أن تصطدم مع مخالفة الإسلام ومحاربتة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة ٢٣ - ٢٤].

وتتسع العلاقات الاجتماعية أكثر لتتجاوز العائلة، والجيران، والأقارب والأصدقاء، ويمكن أن ترتبط تلك العلاقات بجوانب سياسية، واقتصادية، كعلاقة المسلمين مع بعضهم، وعلاقة المسلمين مع غيرهم، وعلاقة الوالي مع رعيته والعكس، ولم يترك الله تعالى هذه الأمور لتكون فوضى بل بيّن ذلك عبر آيات قرآنية مختلفة، وكذلك الأمر بالنسبة للإمام عليؑ، فنلاحظ أنّ هناك الكثير من الخطب وجهها لولاته بين بيان ما يوجب عليهم فعله ومداراته، وما ينبغي عليهم تجنبه والابتعاد عنه، بين مدح لأحدهم، وذم لآخر، وسنقف على بعض تلك الجوانب:

٣- علاقة الوالي بالرعية:

تعدّ هذه العلاقة من أهمّ العلاقات وأكثرها خطراً؛ كونها لا تتعلق بشخص

(١) الإمام علي بن أبي طالبؑ في الكتاب والسنة والتاريخ: ٢٥٠ / ٧.



واحد فحسب بل تشتمل على مجموعة من الناس يمتلك الأول السلطة الكاملة وبيده يمكن أن يتحكّم بمصير الثاني، حياته، رزقه، وأمنه،... وغيرها؛ لذلك نلاحظ في خطب الإمام (ع) مجموعة من الوصايا لمن يوليهم أمر الناس.

وتتعلّق هذه العهود بالمبادئ الإسلامية التي أمر بها الله تعالى في كتابه الكريم، وعمل بها رسوله الأكرم (ص)، وسنقتصر في بيان هذه الوصايا على رسالة الإمام علي (ع) لمحمّد بن أبي بكر حين قلده مصر، وعهده (ع) لمالك الأشر لمّا ولّاه أمر مصر كذلك، إذ قال (ع) في عهده لمحمّد بن أبي بكر: ((فاخفّض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم))^(١).

إذ ابتداء الإمام (ع) عهده بإعطاء الوصايا بصورة مباشرة بصيغة أفعال الأمر من دون أيّ مقدّمات، وابتداء بقوله: ((فاخفّض جناحك))، وهي كناية استعملها القرآن الكريم مرّتين يبيّن فيهما تعالى لرسوله الكريم (ص) طبيعة التعامل مع المؤمنين، بقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، أي: ألن لهم جانبك وتواضع لهم وأرفق بهم^(٢)، وساو بينهم فلا تفضيل لأحد منهم على الآخر^(٣) في المعاملة والرفق والعطاء وأمور الحياة كافّة، فدعا بذلك إلى العدل، فأراد أن يؤكّد المبدأ الإلهي القرآني في التعامل مع الرعيّة، وخاصّة المؤمنين.

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٥١٦

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٥٣، ٨/ ٦٧، والميزان في تفسير القرآن: ١٢/ ١٩١، ومفاتيح الغيب: ٢١٥/ ١٩، والكشاف: ٣/ ٤١٨.

(٣) ينظر: الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي: ٥/ ٢٢٢٨.



إن هذه الأوامر التي ذكرها الإمام عليؑ تجعل العلاقة بين الوالي (الحاكم) ورعيته طيبة، ولعل سبب تأكيده على تلك الأمور (الرأفة، الرحمة) وإصراره عليها هو ما ذكره تعالى لنبيه، بقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالمحبة، والرحمة تجذب البشر، وتهيء أنفسهم لقبول الحاكم من جهة، ولفعل الصواب من جهة أخرى، فضلاً عن امتلاك قلوبهم بجعلهم معه، وينصرونه عند الحاجة.

أمره - بعد ذلك - أيضاً بالحدز من الموت، والاستعداد له؛ لأنه حقيقة مطلقة لا شك فيها، إذ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْعُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وإن أمركم بعده إما الجنة وإما النار، فأثبت ذلك الإمامؑ، بقوله: ((فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدوا له عدته فإنه يأتي بأمر عظيم، وخطب جليل، بخير لا يكون له شرّ أبداً، أو شرّ لا يكون معه خير أبداً))^(١)، فمن يؤمن بأن وراءه حساب وعذاب فلا يظلم أحداً، وبهذا يسود العدل.

أمّا قوله: ((فإنه لا سواء إمام الهدى، وإمام الردى))^(٢)، فبيّن هنا أنّ الحاكم إما أن يدعو إلى الهدى، فينجو هو ومن اتبعه، وإما يدعو إلى الضلال، فيهلك هو ومن تبعه، وهذا التقسيم أشار إليه القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) نهج البلاغة: ٣ / ٥١٧.

(٢) م. ن: ٣ / ٥١٨.



هُم مِّنَ الْمُتَّبِعِينَ ﴿ [القصص: ٤١-٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وفي موضع آخر يذكر (ع) في عهده لمالك الأشتر جملة من الأوامر يبين فيها ما يجب على الوالي فعله مع رعيته إذ ابتداءً أوّل الأمر بالحثّ على التقوى، وطاعة الله، وترك الشهوات، واتباع ما أمر الله به، والدعوة إلى العمل الصالح، ثم بعد ذلك عمد بإعطاء وصاياهم، ولعلّ سبب هذا؛ لتكون مقدّمة لتهيئة النفس وتهذيبها عبر تذكيرها بالله تعالى، فأوصى الإمام (ع) مالك الأشتر بالرأفة برعاياه ومداراتهم والعناية بهم، بقوله: ((واشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبّعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق))^(١)، ثمّ قسّم الإمام (ع) الناس إلى صنفين: أخ في الدين، ونظير في الخلق (الإنسانية)، فلا ينبغي ظلم أيّ أحد منهما.

الصنف الأوّل: - أخ لك في الدين - أثبتته القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالغاية من هذه الأخوة التي تعدّ ((أهم الأسس التي وضعها القرآن الكريم لبناء المجتمع الإنساني الصالح))^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، فيمكن في الدين الإسلامي أن تكون الأولى بالنصر والرحمة هي أخوة الدين والإيمان، بحسب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ

(١) نهج البلاغة: ٣ / ٥٧٢ .

(٢) أسس العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الاجتماعي: ١٧٦ .



اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٣-٢٤﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤].

عندما صرّح الله تعالى بمبدأ الأخوة بين المسلمين أصبحت ((من أعظم الحقوق التي فرضها الله سبحانه))^(١) عليهم، فمن واجب المسلم استناداً إلى ذلك رعاية أخيه، ونصحه، وحمایته، وفعل كل ما يمكن أن يجعله يعيش بأمان واستقرار، وفي الوقت نفسه ابعاده عن كل سوء يمكن أن يعرضه للخطر.

أما الصنف الثاني: - نظير لك في الخلق - فالإسلام لم يقاتل غير المسلمين أو يعاديهم مالم يرفعوا السلاح ضده، فهم في تعايش دائم مع المؤمنين ولهم حقوق ((بشرط أن يراعوا الأعراف العامة التي يتقيد بها المسلمون، ويلتزموا بالعهود والمواثيق المبرمة بينهم))^(٢)، فقد قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، فالإمامؑ استند في وصيته إلى الإساس القرآني الذي وضعه الله تعالى؛ فبرّ الأول كونه أخاك في الدين، وبرّ الثاني كونه شريكك في الإنسانية.

ونلاحظ في قوله ﷺ: ((ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزین لك الشرّ بالجور، فإنّ البخل، والجبن، والحرص، غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله))^(٣).

(١) العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم: ١٣٤.

(٢) أسس العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الاجتماعي: ١٧٦.

(٣) نهج البلاغة: ٣/ ٥٧٥.



والشورى مبدأ قرآني، إذ أمر به تعالى بصورة مباشرة، بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ((أي: استخرج آراءهم وأعلم ما عندهم))^(١)، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]، إذ جعلها من صفات المؤمنين.

ونلاحظ في عهد الأمير (ع) أعلاه أنه قد حثَّ على المشاورة، ولكنه في الوقت نفسه نهى عن مجموعة من الصفات إذا توافرت أحدها في شخص معين فيجب تجنب مشورته؛ لأنه ينفي الغرض الأساس من الشورى، وهو الوصول إلى الرأي السليم والأمر الصواب، وهذا ما أكدته (ع) في موضع آخر، بقوله: ((من استبدَّ برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركهم في عقولهم))^(٢)، وهو أيضاً يبيِّن في النصِّ سبب عدم مشورتهم، ففي مشاورة البخيل يتعد عن الفضل والغنى ويقترّب من الفقر وهو بهذا نقل اللفظة إلى بعدٍ آخر ((فقد نقل اللفظ الأخير من موقف إلى موقف، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨])^(٣)، وكذلك الأمر مع الجبان، فهناك الكثير من المواقف في الحكم والسلطة تتطلب الشجاعة والجرأة.

إنَّ الغاية الاجتماعية من الشورى هي تقريب الناس للحاكم وإلغاء الحاجز بينهم فضلاً عن معرفة ما يدور في أذهانهم من أمور مهمّة تتعلق بأسس الحكم.

لقد شدّد الإمام (ع) التحذير من سفك الدماء، بقوله: ((إِيَّاكَ وَالدمَاءَ، وَسفكها بغير حِلِّها، فَإِنَّه لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنَقْمَةٍ، وَلَا أعْظَمَ لِتَبْعَةٍ، وَانْقِطَاعِ مَدَّةٍ مِنْ سفك

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٤٢/٢.

(٢) نهج البلاغة: ٦٦٥/٣.

(٣) الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون: ٧٩.



الدماء بغير حقها...))، فالإمامؑ هنا يدعو لحفظ الدماء وصيانتها، وعدم سفكها بغير حق؛ لما لها من آثار عظيمة على الفرد والمجتمع، وهذا ما أكدته القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]، فقد جعل للنفس الواحدة قيمة كبيرة، وأهمية عظيمة فجعل إحيائها إحياء للناس كافة، وقتلها قتلاً للناس كافة، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، نلاحظ أن الله تعالى حرّم القتل إلا بالحق - القصاص - فجعل أحكاماً خاصة لمن يقتل مؤمناً متعمداً، وجعل أيضاً عقاباً شديداً في الدنيا والآخرة لمن يقتل مؤمناً متعمداً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٢-٩٣]؛ فلاهمية الأمر؛ وخطورته كان لا مناص من التحذير بتلك القوة والشدة من الإمامؑ من سفك الدماء.

ومن الجوانب الاجتماعية التي حذر منها الإمام الإعجاب بالنفس والتفاخر على الناس بقوله: ((وإياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان ليمحق ما يكون من إحسان



المحسنين))^(١).

فإنَّ العجب بالنفس، والثقة بها من الأمور التي تجعل العلاقات الاجتماعية سيئة، فالمتكبر والمتفاخر لا يستمع لأحد، ولا يعنى بأمر أحد سوى نفسه ومن ثم لا يصلح أن يرمى شؤون الناس.

وهذا مذهب قرآني، فقد نهى تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، والعجب أحد أساليب الشيطان للتمكّن من الإنسان وإبعاده عن الحق وإسقاطه في الضلال، فقد قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

الخاتمة

١. أكد الإمام عليّ (ع) في خطبه على حفظ العلاقات الاجتماعية، ومنحها حقّها، وهو مبدأ قرآني.
٢. يرى الإمام (ع) أن بصيانة تلك العلاقات تتحقق أهمّ المبادئ الإسلامية والإنسانية.
٣. المتدبر في خطب الإمام (ع) يلحظ التفصيل في كثير من هذه العلاقات.
٤. غالباً ما يستمدّ الإمام (ع) ألفاظه من القرآن الكريم؛ وذلك لترسيخ تلك المبادئ الإنسانيّة.

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح: ٣/ ٤٣٩.



المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون)، عباس علي حسين، العتبة العلوية المقدسة، ط ١، ٢٠١١.
٢. أسس العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الاجتماعي، حسين علي السلطاني، مجلة كلية التربية، عدد ٢، ٢٠١٢.
٣. الإسلام وعلم الاجتماع، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤.
٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت.
٥. البعد الفكري والتربوي في نهج البلاغة دراسة هادفة لنصوص من كلام سيد البلغاء، عبد الرسول الغفاري، مؤسسة أنصاريان، إيران، ط ١، ٢٠١٠.
٦. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.
٨. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرّي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٨١ م.
٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٣٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.



- ١٠ . التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٤ .
- ١١ . جواهر من كنوز الوصي، عبد الله بن القذان.
- ١٢ . الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة)، لأبي الحسن يحيى بن حمزة بن علي الحسيني، تح: خالد بن قاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
- ١٣ . شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة اسماعيليان، إيران.
- ١٤ . شرح نهج البلاغة، عباس علي الموسوي، دار الرسول الأكرم، دار المحجة البيضاء، ط١، ١٩٩٨ .
- ١٥ . العلاقات الاجتماعية في السنة النبوية، محمد خير رمضان يوسف، ١٤٤٥ .
- ١٦ . العلاقات الاجتماعية في القرآن، عبد الله الحمد الجلاي، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٩٩٥ .
- ١٧ . العلاقات الاجتماعية من منظور سوسيولوجي، عبد العزيز فكرة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بانة عدد (١٣).
- ١٨ . العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المسلم، معتوق بن معتق اللحياي، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، ماليزيا، ٢٠١٢-٢٠١٣ .
- ١٩ . العلاقات الإنسانية مفهومها وتطبيقاتها في القرآن الكريم، يحيى بن محمد، جامعة أم القرى.
- ٢٠ . في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٢٠٠٣ م .
- ٢١ . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار



- الله محمود بن عمر الزمخشري، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٩٩٨ م.
٢٢. لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف.
٢٣. المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف، ط ٢، ٢٠٠٦.
٢٤. المجتمع والتاريخ، مرتضى مطهري، ترجمة: محمد علي آذرشب، المكتبة الإسلامية الكبرى وقسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة، طهران، ط ١، ١٤٠٢.
٢٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٥ م.
٢٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
٢٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تمّ التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز.
٢٨. موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، مركز بحوث دار الحديث، ط ٢، ١٤٢٥.
٢٩. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م.
٣٠. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، منشورات لقاء، قم، ط ١، ٢٠٠٤.

الأثر الفكري للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

في تفسير القرآن الكريم / دراسة تاريخية

م. د. زيد كميل جواد سماوي الفتلاوي

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

يعدّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام رمزاً دينياً مهماً في العالم الإسلامي فقد كان نموذجاً للعدالة والتقوى والإصلاح الاجتماعي، اضطلع بدورٍ مهمّ وأساسي في تفسير القرآن الكريم بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله؛ وذلك لمعرفته الواسعة بالآيات القرآنية واستنباط الأحكام في جميع الظروف ومواقف المجتمع الإسلامي المبكر.

لم يكن الإمام عليّ عليه السلام مجرد مفسّر، بل كان قدوة حسنة للمسلمين ونوراً يهتدى به، وإنّ دراسة سيرته العلميّة والفكريّة تساعد المؤمنين في استيعاب كميّة تطبيق القيم القرآنية في حياتهم. وكذا فإنّ دوره السياسي في توجيه الأُمَّة الإسلاميّة يُظهر كميّة استخدامه للمبادئ القرآنية في مواجهة التحديات، إذ عاش عليه السلام في فترة حرجة مرّ بها العالم الإسلامي من حروب وأزمات.

وإنّ الإرث الفكري والثقافي الذي خلفه الإمام عليه السلام ما يزال مؤثراً في الفكر الإسلامي الحديث، وإنّ دراسة ارتباطه بالقرآن الكريم تفتح مجالاً جديداً للبحث الأكاديمي يسهم في تطوير الدراسات القرآنية والتاريخية.

الكلمات المفتاحية: الإمام عليّ عليه السلام، التفسير القرآني، الدراسات التاريخية.



Abstract:

Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) is considered an important religious symbol in the Islamic world, as he was a model of justice, piety, and social reform. He had an important and fundamental role in interpreting the Qur'an after the Prophet Muhammad, may God's prayers and peace be upon him and his family, due to his extensive knowledge of Quranic verses and deducing rulings in all matters. Circumstances and attitudes of early Islamic society. Imam Ali, peace be upon him, was not just an interpreter, but rather he was a good role model for Muslims and a guiding light, as studying his scientific and intellectual biography helps in understanding how believers can apply Quranic values in their lives. It also plays a political role in directing The Islamic nation shows how it used Qur'anic principles in facing challenges, as he, peace be upon him, lived during a critical period that the Islamic world went through, including wars and crises. The intellectual and cultural legacy left by the Imam, peace be upon him, is still influential in Islamic and modern thought, and studying its connection to the Holy Qur'an opens a new field for academic research that contributes to it. In developing Quranic and historical studies.

Keywords: Imam Ali (AS), Qur'anic Interpretation, Historical Studies.



المقدمة:

تكمُنُ الأهميّة الدينية للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من كونه رمزاً أساسياً يجسّد قيم القرآن الكريم ومبادئه حرفياً، وإنّ دراسة سيرته العلمية تبين لنا كيفية تطبيقه للآيات القرآنية في حياته اليومية، ممّا يعزّز فهمنا للقيم القرآنية في الحياة العملية. أمّا في مجال التفسير والمفاهيم القرآنية فقد كان عليه السلام مصدرًا لتفسير القرآن الكريم بعد النبي صلى الله عليه وآله، ففهمه فهم عميق ومتجذّر في عمق الكلام الإلهي في الآيات المباركة؛ لذا فإنّ دراسة تفسيراته القرآنية تساعد في الكشف عن جوانب دقيقة في معاني النصوص القرآنية وكيفية استنباط الأحكام منها، ممّا يوفر رؤية إضافية عن تفسير القرآن الكريم في ضوء حياة أقرب الناس للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ويعدّ عليه السلام قدوة حسنة للمسلمين بفضل علمه الواسع وتقواه وعدله وحكمته. وعند النظر إلى الأهميّة التاريخية في سيرته الشريفة يتبيّن لنا دور الإمام عليه السلام في توجيه الأمة الإسلامية طول مدّة الخلافة الإسلامية.

وإنّ دراسة ارتباطه عليه السلام بالقرآن الكريم تساعد في فهم كيفية تأثير تعاليم القرآن الكريم في القرارات السياسية والدينية التي اتخذها عليه السلام، وتوضّح كيفية إدارة الدولة الإسلامية على ضوء المبادئ القرآنية، والتفاعل مع تحديات العصر، وأيضاً تمكّننا من فهم كيفية مواجهة الأزمات الكبرى عبر مبادئ دينية، وهذا يساهم في تفسير الأحداث التاريخية وتحليلها بشكلٍ أكثر دقّة.

كذلك كان له دور كبير في الإرث الفكري والديني، إذ ترك الإمام عليه السلام إرثاً فكرياً ودينيّاً غنياً يؤثر في الفكر الإسلامي حتّى اليوم. وكذلك فإنّ دراسة ارتباطه بالقرآن الكريم تساهم في فهم كيف تطوّرت هذه الأفكار، وكيف شكّلت الاتجاهات الفكرية والعقائدية التي أثّرت في مختلف المدارس الإسلامية.



أما الأهمية الأكاديمية فكانت من خلال فتح آفاق البحث والتفسير ودراسة العلاقة بين الإمام علي (ع) والقرآن الكريم، مما يساعد على تسليط الضوء على جوانب غير مكتشفة أو غير مفهومة بشكل كافٍ في تفسير القرآن وتطبيقه وإثراء الأدبيات الإسلامية من خلال التحليل الدقيق لمواقف الإمام علي (ع) وتفسيراته، وأيضاً يمكن إثراء الأدبيات الإسلامية بمعلومات جديدة ودقيقة، مما يساهم في تطوير الدراسات القرآنية والتاريخية، وتعتبر دراسة العلاقة بين الإمام علي (ع) والقرآن الكريم مسألة محورية في فهم التاريخ الإسلامي، وتقديم رؤية أعمق للأبعاد الروحية والأخلاقية التي ساهمت في تشكيل الفكر الإسلامي وصياغة معالمه.

واقترضت طبيعة البحث أن يُقسَّم إلى مطالب ثلاث، جاءت في نشأة الإمام (ع) وتعليمه وصفاته، ودفاعه عن الإسلام. وفي تفسير الإمام (ع) ومدى تأثيره في المدارس الأخرى، وفي الفكر الإسلامي. ومن ثم تطبيقات تفسيرية. مسبوقة بمقدمة ومختمة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث ثم عرض للمصادر والمراجع التي اعتمدها البحث، ومن الله التوفيق.

المطلب الأول: الإمام علي (ع) والقرآن الكريم سياق تاريخي

نشأته وتربيته:

وُلِدَ الإمام علي بن أبي طالب (ع) في مكة المكرمة، في ١٣ رجب سنة ٢٣ قبل الهجرة، واسم أبيه عبد مناف بن عبد المطلب، واسمه شيبه بن هاشم، واسمه عمرو، ووالدته فاطمة بنت أسد بن هاشم^(١). فهو من أسرة هاشمية رفيعة في قريش، كانت لها مكانة كبيرة في المجتمع المكي، كان (ع) من أوائل الذين دخلوا الإسلام، وهو ابن عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن أسرته الأقرب؛ مما جعله من الذين نشأوا في بيت النبوة وحظوا بتأثير مباشر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) الطبقات الكبرى: ٢/ ٥٢.

التربية في كنف النبي صلى الله عليه وآله

توفي والد الإمام علي عليه السلام وهو في سنّ صغير، بينما كانت والدته فاطمة بنت أسد قد توفيت عندما كان عمره صغيراً. وبعد وفاة والديه، تبناه النبي صلى الله عليه وآله (١)، وقام بتربيته ورعايته في بيته صلى الله عليه وآله حيث تلقى تعليمًا وتربية دينية عميقة. وكان النبي صلى الله عليه وآله يهتم بتعليمه الأخلاق والقيم الإسلامية، وقد تأثر الإمام علي عليه السلام تأثرًا كبيرًا بأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وتعاليمه، إذ تعلّم من النبي صلى الله عليه وآله كيفية الصلاة، والصيام، والعديد من الأحكام الإسلامية (٢).

التدريب والتعليم:

تلقّى الإمام علي عليه السلام تعليمًا عميقًا من النبي صلى الله عليه وآله، وكان له دور كبير في تعلّم علوم الدين والفقه. فكان معروفًا بذكائه وحكمته وسرعة تعلّمه، ممّا جعله أحد أبرز العلماء والخطباء في زمنه.

وبجانب تعليمه الديني، كان الإمام علي عليه السلام يُدرّب على الفروسية والشجاعة، إذ اشتهر بفنون القتال، وقد عُرف بشجاعته وبسالته في المعارك مثل معركة بدر وأحد والخندق (٣).

دور الإمام علي عليه السلام في دعم النبي صلى الله عليه وآله:

كان الإمام علي عليه السلام من أوّل مَنْ آمن برسالة النبي صلى الله عليه وآله ودعمه في نشر الإسلام. وكان له دور كبير في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحاب الدعوة، وشارك في مختلف الغزوات والمعارك الهامة، وقد كلفه النبي صلى الله عليه وآله بعدد من المهام الخاصة، منها

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٢١.

(٢) سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ١١٦.

(٣) تفسير علي بن أبي طالب عليه السلام: ٨٨.



معاهدة الصلح مع قريش في صلح الحديبية، وليس بغريب عن خليفة رسول الله ﷺ هذه المنزلة الرفيعة.

الصفات الشخصية:

كان ﷺ معروفًا بتقواه وورعه وعلمه الواسع. وكانت أخلاقه وشخصيته مثالًا يحتذى به، وقد أثر تعليمه وتربيته على مسيرته كخليفة لاحقًا، وجعل منه شخصية محورية في تاريخ الإسلام.

وقد تميّز الإمام بالعدل والحكمة، ممّا تجلّى في حكمه وإدارته لشؤون المسلمين بعد أن تولّى الخلافة. فكان عادلاً ملماً بالشريعة، ولديه قدرة على استنباط الأحكام من القرآن والسنة^(١).

ويتبيّن أنّ نشأة الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) وتربيته كانت في بيئة مليئة بالإيمان والنقاء، إذ نشأ في كنف النبي محمد ﷺ وتعلّم منه القيم الدينية والأخلاقية، ممّا ساعده في أن يصبح أحد أبرز الشخصيات في تاريخ الإسلام.

الدور المبكر للإمام عليّ بن أبي طالب (ع) في الإسلام:

كان الإمام ﷺ من أوائل من آمن برسالة النبي محمد ﷺ، إذ أسلم وهو في سن مبكرة جدًا. هذا الإيمان المبكر كان له دور كبير في دعم النبي ﷺ ومساعدته في نشر الدعوة الإسلامية.

وكان له ﷺ دور بارز في المعارك الإسلامية المهمة مثل معركة بدر وأحد والخندق، حيث أظهر شجاعة وبسالة كبيرة منقطعة النظير. ففي معركة خيبر، كان له دور حاسم في فتح الحصن اليهودي (باب خيبر)، ممّا عزّز مكانته كقائد محارب^(٢).

(١) تفسير مجمع البيان: ١/ ١٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٢٧.



وفي فترة التهديدات التي واجهها النبي صلى الله عليه وآله، اضطلع الإمام عليه السلام بمهمة حماية النبي صلى الله عليه وآله، حيث تعرّض للخطر مرارًا عدّة في المواقف المختلفة والمتنوعة دفاعًا عن النبي صلى الله عليه وآله ودعوته^(١).

العمل السياسي والإداري:

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله كان للإمام علي عليه السلام دور رئيسي في فترة الخلافة. بالرغم من أنّه لم يُختَر خليفةً مباشرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ دوره كان كبيرًا في الأحداث السياسية والاجتماعية التي تلت ذلك، كذلك كان معروفًا بحكمته في التعامل مع القضايا القانونية والسياسية.

التعليم والتفسير:

كان الإمام علي عليه السلام مصدر التفسير الأوّل بعد النبي صلى الله عليه وآله، ويعدّ أعظم مفسّر القرآن الكريم، إذ قام بتعليم الصحابة، الذين علّموا المجتمع الإسلامي التفسير فضلًا عن الأحكام الدينية والشرعية. وتفسيراته العميقة للقرآن الكريم كانت مصدرًا مهمًّا للفهم الإسلامي.

وكذلك كان للإمام علي عليه السلام دور مهمّ كخطيب ومرشد، حيث كان يلقي خطابًا تعزّز القيم الإسلامية وتوضّح المبادئ الدينية ببراعة وبلاغة فائقة ويلحظ ذلك من خلال خطبه في المسجد النبوي وفي أماكن أخرى، وقد ارتقت الخطابة في عهد الإمام عليه السلام ارتقاءً واضحًا وصارت سلاحًا قويًّا يلجأ إليه الخليفة وخصمه؛ لثيرانها الأُنصار، ويحفّزان النفوس إلى الغارة والحروب، ولقد خلّف لنا هذا العصر قدرًا كبيرًا من الخطب، لم يؤثر مثله طوال عهد الخلفاء؛ وليس ذلك بعجيب؛ فإنّ المسلمين لم يقفوا موقفًا يحتاج إلى الخطابة كهذا الموقف الذي وقفه الإمام علي عليه السلام^(٢).

(١) الإمام علي عليه السلام وسيرة العدالة الإنسانية: ٤٢.

(٢) الكافي: ١ / ١٥٢.



العدالة الاجتماعية والإصلاح:

كان الإمام (ع) معروفاً بالعدالة في حكمه ومعاملته للناس، ممّا جعله مثلاً للقيادة الرشيدة، وقام بإصلاحات اجتماعية وقانونية تهدف إلى تعزيز العدالة والمساواة بين المسلمين، فاهتمّ بشكل خاص بالمستضعفين والفقراء، وسعى لتحسين أوضاعهم، ممّا يعكس التزامه بالقيم الإسلامية من العدالة والرحمة.

المواقف السياسية والإصلاحية:

بعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان، تولّى الإمام عليّ (ع) الخلافة بطلب من الناس، وواجه على إثر ذلك تحديات كبيرة وسيل من الفتن والصراعات الداخلية. وقد واجهها بتوحيد الأمة ومعالجة المشكلات الاجتماعية والسياسية التي واجهها المسلمون في تلك الفترة.

وقد عُرفَ عن الإمام (ع) أنّه يعمل بشئانية عجيبة لا تغادر منهجه فهو المقاتل والعاشق لربه وهو الحاكم والفقير والمنظر ورجل التطبيق، وعندما طبّق النظم الادارية في الدولة فإنّه نظرها في تصميم وتشكيل الدولة في رسالته لمالك الأشر (رحمه الله) واليه على مصر .

ولا شكّ إنّ للحاكم حقوقاً وعليه واجبات، فمن حقوق الرعيّة على الحاكم هو ما أوصى به الإمام عليّ (ع) لمحمّد بن أبي بكر بقوله: ((واخفظ لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، واس (من التسوية) بينهم في اللحظة والنظرة، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم))^(١).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧ / ٥٥.

الإمام عليّ عليه السلام والقرآن الكريم:

خلال فترة حياة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كان القرآن الكريم قد نزل كاملاً، وكان عليه السلام من بين الذين حفظوا القرآن عن ظهر قلب. وكان له فهم عميق للقرآن، وقد قام بنقل العديد من أحكامه وتفسيره للصحابة والتابعين، فكان يقدم تفسيراً يشمل جوانب عدّة، بما في ذلك المعاني الظاهرة والباطنة للآيات. وقد نقلت عنه العديد من الأقوال والتفسيرات التي توضح معاني الآيات وتكشف عن الدلالات الخفية للنصوص القرآنية^(١).

وكان عليه السلام يطبّق مبادئ القرآن الكريم في حياته العملية، سواء في سياسته أو في القضاء. فكانت قراراته وأحكامه تستند إلى تعاليم القرآن، وسنة النبي صلى الله عليه وآله، ممّا جعله نموذجاً لتطبيق الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: تفسير الإمام عليّ عليه السلام للآيات القرآنية

كان الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام مرجع جميع العلماء البارزين في تفسير القرآن الكريم، وقد عُرف بفهمه العميق للآيات القرآنية، وكانت تفسيراته تعكس معرفة واسعة بالنصوص والأحكام، بالإضافة إلى تأثيره بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وتعاليمه.

تميّزت تفاسيره عليه السلام بكونها شاملة وتراعي الجوانب الظاهرة والباطنة للآيات، فكان عليه السلام يقدم تفسيرات تتجاوز المعاني الظاهرة للنصوص، مستنداً إلى تفسير النبي صلى الله عليه وآله ومعرفة الشخصية بظروف النزول. وكذلك امتلك القدرة على استنباط الدلالات العميقة والرمزية للآيات، تأثرت تفسيراته بالتركيز على مبادئ التوحيد والإيمان العميق، وكان يحث على فهم الآيات في سياق تعاليم العقيدة الإسلامية^(٢).

(١) بحار الأنوار: ٩٢/ ١٦٦.

(٢) ينظر: القرآن في فكر الإمام علي عليه السلام: ٢٣.



استعراض بعض الأقوال والتفسيرات التي نقلت عن الإمام علي (ع):

١. في تفسير سورة الفاتحة: قال الإمام علي (ع): ((إِنَّ آيَةَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تعبر عن اسم الله الذي يشمل جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا، ويدل على رحمة الله الواسعة التي تشمل جميع المخلوقات))^(١).

٢. في تفسير آية التطهير: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قال الإمام علي (ع): ((إن هذه الآية تدل على تطهير أهل بيت النبي محمد (ص) من جميع الأرجاس والنجاسات الروحية والمادية، مما يؤكد مكانتهم العالية وتفضيلهم على غيرهم))^(٢).

٣. تفسير آية المودة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، فسّر الإمام (ع) هذه الآية بأن المقصود بالمودة لأهل البيت هو ((وجوب محبتهم واتباعهم، وأن الله أمر بمودتهم كجزء من الإيمان الكامل))^(٣).

٤. تفسير آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، في تفسيره (ع) لهذه الآية قال: ((إن الولاية تعني الرفعة والقيادة الروحية والسياسية لأهل بيت النبي محمد (ص))^(٤)، واعتبر أن الآية تؤكد حق أهل البيت في القيادة والرعاية.

دراسة مدى تطابق تفسير الإمام علي (ع) مع التفاسير الأخرى:

١. يتماشى تفسير الإمام علي (ع) للقرآن الكريم في كثير من الأحيان مع التفاسير

(١) تفسير مجمع البيان: ١ / ٢١.

(٢) تفسير القمّي: ٢ / ١٩٣.

(٣) تفسير العيّاشي: ١ / ١٦٧.

(٤) تفسير الإمام العسكري (ع): ٢٢٥.



الأخرى، ولكنّه يتميّز بخصوصية تتعلّق بظروف نزول الآيات وعلاقته المباشرة بالنبيّ محمد صلى الله عليه وآله، وفيما يأتي دراسة للتطابق والاختلافات بين تفسير الإمام عليه السلام وتفسير أخرى.

٢. التطابق مع تفسير الصحابة: العديد من تفسيرات الإمام عليّ عليه السلام تتماشى مع تفسيرات الصحابة الآخرين مثل عبد الله بن عباس، الذي كان أيضًا من كبار المفسرين، إذ يتشاركان في بعض الآراء حول معنى الآيات، ولكن الإمام عليّ عليه السلام كان يتميّز بفهم عميق نتيجة قربه من النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، وقد روي عن ابن عباس قوله: ((كلّ ما عندي فمن عليّ بن أبي طالب)).

٣. الاختلافات مع التفسير اللاحقة: بعض التفسير اللاحقة التي ظهرت بعد عهد الإمام عليّ عليه السلام قد تقدّم تفسيرات إضافية أو مختلفة بناءً على تطوّرات في الفهم والعلوم. على سبيل المثال، تفسير المتأخرين مثل تفسير الطبري أو القرطبي قد جمعت ودونت الروايات المختلفة، وقد تتضمّن اجتهادات المفسرين بجانب ما نُقل عن الإمام عليه السلام ^(١).

٤. التفسير الظاهري والباطني: بينما تتفق العديد من التفسير مع تفسير الإمام عليّ عليه السلام في الجوانب الظاهرة للآيات، فإنّ الإمام كان يركّز أيضًا على الجوانب الباطنية والرمزية، ممّا قد يختلف مع بعض التفسير التقليدية التي تركّز أكثر على المعاني الظاهرة.

٥. التأثير على المدارس الإسلامية: تفسير الإمام عليّ عليه السلام له تأثير كبير على المدارس الشيعية، ويُعتبر مرجعية أساسية في تفسير النصوص القرآنية. بينما في المدارس السنية، يتم أخذ تفسيراته بعين الاعتبار لكنّه لا يكون المرجع الأساسي كما هو الحال في المدرسة الشيعية.

(١) الإمام عليّ عليه السلام والفكر الإنساني: ٩٢.



المواقف التي تعكس فهم الإمام علي عليه السلام للقرآن:

استخدم الإمام عليه السلام القرآن كمرجع أساس في خطبه وأقواله، فالعديد من خطب (نهج البلاغة) تحمل استشهادات قرآنية تعكس فهم الإمام عليه السلام للآيات وربطها بالواقع الاجتماعي والسياسي والديني. وعلى سبيل المثال:

١. في خطبته المشهورة عن التقوى، يقول الإمام عليه السلام: ((فاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِينُهُ، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلَّبَكُمْ فِي قَبْضَتِهِ))^(١)، وهذه الكلمات مستلهمة من مفاهيم قرآنية حول مراقبة الله وسيادته على كل شيء.

٢. كما قال في موضع آخر: ((واعلموا عباد الله، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حَصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفَجْرُ دَارُ حَصْنٍ ذَلِيلٍ))^(٢)، وهو تفسير للفصل بين المؤمنين الطائعين وبين الفاجرين، كما ذكر في القرآن الكريم.

الأثر القرآني على قراراته السياسية والدينية:

كان الإمام علي عليه السلام يرى في القرآن المرجعية النهائية لكل قراراته وتصرفاته، وقد انعكس ذلك في نهجه السياسي والديني طوال فترة خلافته، إذ كان يرى القرآن دستوراً للحكم والعدل، ومن الأمثلة على ذلك:

١. موقفه في معركة صفين: استند الإمام علي عليه السلام إلى القرآن في رفضه للتحكيم الذي فرضه معاوية، معتبراً أن الحكم لله وحده، في استشهاد مباشر من سورة الأنعام بآية: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

٢. العدل في الحكم: كان الإمام علي عليه السلام شديد الحرص على تطبيق العدل على وفق التعاليم القرآنية، ففي إحدى خطبه قال: ((أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دِينِهِ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/١١٦.

(٢) م. ن: ٢٠٩/٩.



بطمريه، ومن طعمه بقرصيه))^(١)، وهذا يعكس تأثير الآيات التي تحض على الزهد والعدل، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

التأثير المستمر للإمام علي عليه السلام في الفكر الإنساني

يعدُّ الإمام علي عليه السلام رمزاً للعدالة والتقوى في الفكر الإسلامي، وله تأثير عميق على فهم المسلمين للقرآن الكريم. فقد شكّلت أفكاره الأساس الذي يستند إليه الكثير من المسلمين لفهم مبادئ القرآن المتصلة بالعدالة الاجتماعية، والحكمة، والتقوى.

١. العدالة: لقد جسّد الإمام عليه السلام مبدأ العدالة الاجتماعية في حياته اليومية وفي تعامله مع الآخرين، ممّا جعل من تفسيراته وتجربته العملية نموذجاً لفهم المسلمين لكيفية تطبيق مبادئ القرآن على أرض الواقع. على سبيل المثال، التزامه المطلق بالعدالة والمساواة وكان هذا التطبيق العملي مصدر إلهام للكثير من العلماء في ربط التعاليم القرآنية بحياة الناس اليومية.

٢. التقوى كمبدأ أساسي: وكذلك فإنّ التزامه بالتقوى، سواء في حكمه أو في تعامله مع الأفراد، شكّل ركيزة مهمّة لفهم معاني القرآن التي تتعلّق بالتقوى والابتعاد عن الظلم والفساد. وإنّ استشهاده الدائم بالقرآن في خطبه وأفعاله عزّز لدى المسلمين الوعي بضرورة الاعتماد على القرآن كمرجع أخلاقي.

التأثير على العلماء والمفسّرين:

كان الإمام علي عليه السلام مصدر إلهام كبير للمفسّرين والعلماء عبر التاريخ

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.



الإسلامي، وقد استمد العلماء من علمه الغزير وحكمته العميقة في تفسير القرآن الكريم وتطبيق تعاليمه، ومن الأمثلة لذلك:

١. اعتمد الزمخشري في تفسيره (الكشاف) على كثير من الأفكار التي طرحها الإمام علي (ع) حول العدالة والمساواة، وأدرج في تفسيره تأويلات الإمام (ع) لبعض الآيات.

٢. الطبري في تفسيره (جامع البيان)، رغم أنه غالباً ما ينقل أقوال مختلف الصحابة، إلا أنه يستشهد بعدد من المواقف والآراء التي نقلها عن الإمام علي (ع)، مما يدل على تأثيره على تفسير القرآن لدى العلماء الأوائل.

٣. وكذلك ابن أبي الحديد في شرحه (نهج البلاغة) أظهر بوضوح كيف أثر الإمام علي (ع) في فهم العلماء لفلسفة العدل والحكم المستمدة من القرآن.

المطلب الثالث: تطبيقات الإمام علي (ع) لمبادئ القرآن الكريم العدالة الاجتماعية والإصلاحات:

يرى الإمام علي (ع) أن القرآن الكريم هو المصدر الأساس لتطبيق العدالة الاجتماعية، وقد قام بتطبيق تعاليم القرآن في جميع جوانب حكمه، وكان يسعى لتحقيق مبدأ المساواة والعدالة بين جميع أفراد المجتمع، بغض النظر عن طبقتهم أو مكانتهم، إذ قال (ع) في إحدى خطبه: ((والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت))^(١).

- التساوي في توزيع الثروات: التزم الإمام (ع) بتطبيق الآية الكريمة: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، إذ رفض التمييز بين الناس في توزيع

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤.

- المال العام، وكان يحرص على أن يستفيد كل فرد من موارد الدولة بشكل عادل.
- رعاية الفقراء والمساكين: وتطبيقاً لمبدأ القرآن الكريم في رعاية الفقراء والمساكين كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، قام الإمام عليه السلام بتنفيذ سياسات لمساعدة الفقراء وتوفير الاحتياجات الأساسية لهم.
 - إصلاح توزيع بيت المال: ألغى الإمام عليه السلام الامتيازات التي كانت تُمنح للطبقات الغنية، وأعاد تنظيم توزيع بيت المال ليكون على أساس المساواة والعدالة، بما يتماشى مع التعاليم القرآنية.
 - محاربة الفساد: كان عليه السلام شديد الصرامة في محاربة الفساد واستغلال السلطة، وقد نُقل عنه أنه قام بإعفاء بعض الولاة الذين انحرفوا عن مبادئ العدالة والإنصاف، تطبيقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]^(١).
 - إصلاحات زراعية: نفذ الإمام عليه السلام إصلاحات زراعية لضمان توزيع الأراضي بشكل عادل، بحيث يتمكن المزارعون من الحصول على موارد كافية لتحقيق معيشتهم، في انسجام مع مبادئ القرآن في توزيع الثروة بين أفراد المجتمع.

العدالة في القضاء:

- كان الإمام عليه السلام قدوة في تطبيق العدالة في القضاء، إذ استند إلى القرآن الكريم كمصدر أساسي للأحكام والقوانين، وكذلك كان يرى أن العدالة هي الأساس الذي يقوم عليه الحكم الإسلامي من خلال:
- الشفافية والإنصاف: إذ تبنت سياسة واضحة في القضاء، قائمة على الشفافية

(١) القرآن في فكر الإمام علي عليه السلام: ١١٤.



والإنصاف، من دون تمييز بين الأطراف، فكان يقضي بين الناس بالعدل حتى لو كان الطرف الآخر قريباً أو صديقاً، تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥] (١).

- رفض الوساطات: كان الإمام علي (ع) يرفض أي تدخلات أو وساطات في القضاء، وكان يعتبر أنّ العدالة يجب أن تكون مطلقة وغير مشروطة بأيّ ضغوط سياسية أو اجتماعية.

أبرز قضايا القضاء التي تعكس فقهه القرآني:

١. تعدّد قضية الدرع مع يهودي من أشهر الأمثلة على عدالة الإمام علي (ع) في القضاء إذ اتهم فيها يهودي بسرقة درع الإمام علي (ع)، وعندما قُدمت القضية إلى المحكمة، لم يقدم الإمام علي (ع) أيّ دليل مقنع، فحكم القاضي لصالح اليهودي، الذي اندهش من عدالة الإمام علي (ع) واعترف بعد ذلك بأنّ الدرع فعلاً تعود للإمام علي (ع). هذه الواقعة تعكس تطبيق الإمام لمبدأ العدل القرآني من دون أيّ تحيّز (٢).

٢. قضية طلحة والزبير في بداية خلافته، بعدما حاولا الحصول على مناصب عالية في الدولة، لكنّ الإمام علي (ع) رفض ذلك؛ لعدم توفر الكفاءة المطلوبة، وكان يستند في قراراته إلى القرآن، خصوصاً في تطبيق مبادئ العدل والابتعاد عن المحاباة.

أمثلة قرآنية استشهد بها الإمام علي (ع):

استخدم الإمام علي (ع) العديد من الأمثلة لتوضيح العبر والمفاهيم القرآنية بطريقة تجسّد الفهم العميق للمعاني الروحية وتساعد الناس على التأمل والتفكير، ومن هذه الأمثلة:

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١/ ١٧٨.

(٢) قادتنا كيف نعرفهم: ٤/ ١٣٠.



١. مثل الغيث: استخدم الإمام علي عليه السلام مثل الغيث (المطر) لشرح أهمية الوحي والإرشاد الإلهي للناس. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الزمر: ٢١]، أشار الإمام علي عليه السلام إلى أن الوحي هو كالماء الذي ينزل على الأرض فتزدهر به الحياة. فإن قلوب الناس تنتعش بالوحي والهدى الإلهي كما تزهر الأرض بالمطر. وفي أحد خطبه يقول: ((فانظروا إلى ماء السماء إذا تحلّبت غمامه وفصل سحابه، فسالت أوديته، وخلق تلاعه، فإذا جماد تدب فيه الحياة، ونبات تنبت فيه الغلة)).

٢. مثل النور والظلمات: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وضح الإمام علي عليه السلام إن الله تعالى هو النور الذي يهدي القلوب ويخرجها من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الحق والمعرفة. وشبه الإمام عليه السلام العقل والهدى الإلهي بالنور الذي يبّد الظلام ويُرِي الإنسان طريقه. فيقول في إحدى خطبه: ((إنما مثلي ومثلكم كمثلي سراج في ظلمة يستضيء به من ولجها)).

٣. مثل الحياة الدنيا والآخرة: كثيراً ما كان عليه السلام يستخدم الأمثلة القرآنية لتوضيح الفرق بين الدنيا والآخرة. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]، كان الإمام عليه السلام يبيّن إن الدنيا لا تدوم، وإن الآخرة هي المستقرّ الدائم. وفي إحدى خطبه الشهيرة يقول: ((إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكلّ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل)).

٤. مثل الجبال: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧]، استخدم الإمام عليه السلام الجبال كمثال على الثبات والاستقرار، وشبه المؤمن الراسخ الإيمان بالجبل الذي لا تهزه الرياح العاتية. فيقول في إحدى خطبه: ((كونوا في الفتن كأبناء



الصخر، لا يطيش لهم سهم، ولا يقرع لهم صفاً)).

٥. مثل التجارة: شرح الإمام علي (ع) أيضاً أمثلة للتجارة، مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، إذ أوضح أن التجارة هنا ترمز إلى الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان في الدنيا والتي تكون سبباً في نجاته يوم القيامة. ويشير الإمام علي (ع) إلى أن هذه التجارة تتطلب التضحية بالمال والجهد في سبيل الله.

٦. مثل الزرع: في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمْثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠]، إذ استخدم الإمام علي (ع) الزرع كمثال على حياة الإنسان في الدنيا، حيث ينمو الزرع ويخضر لفترة ثم يذبل ويذول، وهكذا هي حياة الإنسان. يقول الإمام علي (ع) في تفسيره لهذا المثل: إن الدنيا تزدهر لفترة قصيرة، لكن النهاية محتومة بالزوال والفناء، ويجب على الإنسان أن يركّز على الآخرة.

٧. مثل الرياح: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، أشار الإمام علي (ع) إلى أن الرياح التي تأتي بالأمطار هي رمز للرحمة الإلهية، وإن الله يرسل رحمته لعباده كما يرسل الرياح بالبشائر، ويشير الإمام علي (ع) إلى أن هذه الأمثلة تعكس الحكمة الإلهية في تدبير الكون.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تقضى الحاجات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسالات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، وبعد. ففي خاتمة هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية:

١. نشأ الإمام علي عليه السلام في بيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مما أتاح له فهمًا عميقًا ومباشرًا لتعاليم الإسلام والقرآن الكريم، وهذا الارتباط الوثيق بالنبي صلى الله عليه وسلم جعله مرجعًا أساسيًا لفهم القرآن الكريم وتفسيره.

٢. على الرغم من إن الإمام عليه السلام لم يكن مع جمعة القرآن في عهد الخليفة عثمان بن عفان، إلا أن له دور مهم في حفظ النصوص القرآنية وفهمها، عن طريق جمعه الخاص للقرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مما يعكس اهتمامه العميق بهذا الكتاب الإلهي، وكان مرجعًا للتفسير بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

٣. تميّزت فترة خلافة الإمام عليه السلام بالعدالة الاجتماعية وتطبيق مبادئ الحكم الرشيد، على وفق تعاليم القرآن الكريم، فقد اعتمد في قراراته السياسية والقضائية على القرآن الكريم بشكل كبير، مما أثر على المسلمين في فهمهم لمفاهيم مثل العدالة والقيادة والتقوى.

٤. ترك تفسير الإمام عليه السلام وفهمه للقرآن الكريم تأثيرًا كبيرًا على العلماء والمفسرين اللاحقين.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. إحقاق الحق (شرح)، السيد المرعشي، تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٩٩٠ م.
٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٥١ م.
٣. الإمام عليّ بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام)، أحمد الرحمانى الهمداني، المنير للطباعة والنشر، طهران، ١٩٩٦ م.
٤. الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَام) وسيرة العدالة الإنسانية، (بيانات النسخة المعتمدة).
٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣ م.
٦. تفسير الإمام العسكري (عَلَيْهِ السَّلَام)، المنسوب إلى الإمام العسكري (عَلَيْهِ السَّلَام)، مدرسة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَام)، قم المقدسة، ١٩٨٨ م.
٧. تفسير العيّاشي، محمّد بن مسعود العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ م.
٩. تفسير القمّي، عليّ بن إبراهيم القمّي، تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، ١٩٦٧ م.
١٠. تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي.
١١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق ومراجعة: محمّد عبد الكريم النمري، بيروت، لبنان، ١٩٩٨ م.
١٢. شرح نهج البلاغة، الشيخ محمّد عبده، دار الذخائر، قم، إيران، ١٩٩١ م.



١٣. الشيعة في الميزان، محمّد جواد مغنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٧٩ م.
١٤. الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٢ م.
١٦. قادتنا كيف نعرفهم؟، السيد محمد هادي الميلاني، تحقيق وتعليق: السيد محمد علي الميلاني، قم المقدسة، ١٩٧٥ م.
١٧. القرآن في فكر الإمام علي عليه السلام - الشيخ جعفر السبحاني.
١٨. الكافي، الشيخ الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران.
١٩. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمّد بن سليمان الكوفي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، ١٩٩١ م.
٢٠. مناقب عليّ بن أبي طالب، ابن المغازلي (أو الخوارزمي حسب النسخة).
٢١. نشأة التشيع والشيعة، السيد محمّد باقر الصدر، تحقيق وتعليق: عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٧ م.

لفظة (الصادقين) في القرآن الكريم / دراسة تحليلية

م.د. سرمد محمد بكر

م.م. مرفد محمد بكر

جامعة كربلاء / كلية تكنولوجيا المعلومات

الملخص:

الحمد لله الذي هدانا ووفقنا إلى هذا البحث الذي خصصناه لدراسة لفظة (الصادقين)، وهي أحد ألفاظ القرآن الكريم. وأظنّ أنّ كثيراً من الباحثين قد سلّطوا الضوء على ألفاظ القرآن؛ لغرض بيان أهميّة كلّ لفظة وكلّ حركة، بل كلّ نقطة في هذا الكتاب؛ لما له من أهميّة وقدسيّة. ومع البحث والتقصي عن المصادر والمراجع حول هذا الموضوع فقد استطعت الوصول إلى مجموعة طيّبة منها، أثرت البحث في بيان مدلولات هذه اللفظة، وحاولت تفسير الآيات وبيان المعنى اللغوي لها، وتوجيهها النحوي، والدلالي في القرآن الكريم. الكلمات المفتاحيّة: لفظة (الصادقين)، القرآن الكريم، الدراسات التحليليّة.



Abstract:

Praise be to God who guided us and enabled us to undertake this research, which we have dedicated to studying the word “the truthful,” one of the words of the Holy Quran.

I believe that many researchers have focused on the words of the Quran to demonstrate the importance of each word, each diacritical mark, and indeed, each punctuation mark in this book, given its significance and sanctity.

Through research and investigation of sources and references on this topic, I was able to reach a good collection of them, which enriched the research in explaining the ruling on this word, and I tried to interpret the verses and explain their linguistic meaning, and their grammatical and semantic direction in the Holy Qur'an.

Keywords: The word (the truthful ones), the Holy Quran, analytical studies.



المقدمة:

نزل القرآن الكريم؛ لتنظيم حياة الإنسان، وبيان القوانين والأحكام في جميع ميادين الحياة البشرية.

وقد احتاجت تلك الأحكام والتشريعات إلى بيان، فكان اتجاه المسلمين أولاً إلى رسول الله ﷺ؛ لغرض الفهم والاستعلام، وخلفه من بعد وفاته ﷺ، الإمام عليّ ؑ؛ لتكملة مسيرته في إفهام الناس تفاصيل دينهم وقوانين حياتهم، ثم تبعه ولده من بعده، وقد ساهم بهذا العمل بعض الصحابة والتابعين؛ بغية نشر هذا الدين ودوامه. وقد اخترت تسليط الضوء على لفظة (الصادقين)؛ لما للصدق من ارتباط بالرسل والأنبياء وآل البيت الأطهار.

وتمّ توزيع البحث على أربعة مباحث بعد المقدمة هذه، جاء المبحث الأول في بيان معنى (الصادقين)، ثمّ تبع بمبحثٍ ثاني؛ لبيان المعاني اللغوية للفظـة (الصادقين)، وفصل القول في المبحث الثالث في التوجيهات النحويّة للفظـة، أمّا المبحث الرابع فكان محوره مخصّصاً لدراسة الدلالة القرآنيّة للفظـة ومصاحباتها، ثمّ تبع بخاتمة البحث فثبت بالمراجع والمصادر.

وقد أتبع البحث المنهج التحليلي في بيان الدراسة اللغوية والمعجمية والنحوية والدلالية؛ للوصول إلى الغاية المبتغاة من الدراسة، وإن قصرت في ذلك فهذا ما جادت به يدي، وإن أفدت فهو بتوفيق من الله سبحانه وتعالى.



المبحث الأول: معنى (الصّادقين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ذكرت طائفة من المصادر المعتمدة بها أن هذه الآية نزلت في حق الإمام علي عليه السلام، ونذكر ما جاء في بعض منها في ما يأتي:

ورد في تفسير فرات الكوفي^(١) (ت ٤٢٦هـ) قال: ((حدّثني محمد بن أحمد بن عثمان بن دليل، قال: حدّثنا أبو صالح الخزاز، عن مند بن عليّ العنزي عن الكلبي، عن أبي صالح: عن ابن عباس في قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال: مع عليّ وأصحابه))^(٢). وكذلك روي عنه بالإسناد المتقدم ((عن ابن عباس: وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ نزلت في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأهل بيته خاصة))^(٣).

(١) * لم أعر على سنة وفاته، ويبدو أنّ فرات الكوفي عاش ما بين القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع؛ إذ جاء في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ((تفسير فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي المقصور على الروايات عن الأئمة الهداة عليهم السلام) وقد أكثر فيه من الرواية عن الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي نزيل قم والمتوفى بها الذي كان من أصحاب الإمام الرضا والجواد والهادي عليهم السلام... وكذلك أكثر فيه من الرواية عن جعفر بن محمد بن مالك البزاز الفزاري الكوفي (المتوفى حدود) ٣٠٠هـ وكان هو المرّي والمعلم لأبي غالب الزراري المولود (٢٨٥هـ)...، ويروي التفسير عن فرات والد الشيخ الصدوق، وهو أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه المتوفى (٣٢٩هـ) كما يروي والد الصدوق أيضًا عن علي بن إبراهيم المفسر القمي الذي توفى بعد (٣٠٧هـ)، ولعلّ فراتًا بقي إلى حدود تلك السنة، وأما الشيخ الصدوق فيروي في كتبه عنه كثيرًا إمّا بواسطة والده أو بواسطة شيخه الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي، وكما يروي الهاشمي هذا عن فرات كذلك يروي عن والد أبي قيراط جعفر بن محمد الذي توفي (٣٠٨هـ)، فيقوى احتمال أنّ فراتًا أيضًا أدرك أوائل المائة الرابعة)). الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢٨٩-٢٩٩، وينظر أيضًا: معجم رجال الحديث: ١٤ / ٢٧١-٢٧٢.

(٢) تفسير فرات: ١٧٣.

(٣) م. ن: ١٧٤، وينظر: تفسير القمي: ١ / ٣٠٧، والكشف والبيان: ١٠٩/٥، وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت: ١ / ٢٥٩، ومجمع البيان: ١٥٢/٥، ونور الثقلين: ٣ / ١٨٥-١٨٦، والميزان في تفسير القرآن: ٩ / ٤٢٣.



وفي الدر المنثور ((أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: مع علي بن أبي طالب، وأخرج ابن عساكر عن أبي جعفر في قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: مع علي بن أبي طالب))^(١)، فهذا دليل بين واضح لدعوة القرآن للكون بأسره لاتباع الإمام علي عليه السلام فهو الهادي والمفسر والمبين لكلام الله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهم صادق بعد صادق.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي للفظ (الصادقين)

لتفسير الألفاظ وتحليلها لا بدّ من معرفة الجانب اللغوي للفظ المرادة، فلكل حركة وسكنة تأثير على المعنى والدلالة، ولفظة (الصَّادِقِينَ) هي اسم فاعل من (صَدَقَ)، و((الصَّدْقُ: ضِدُّ الكَذِبِ؛ صَدَقَ يَصْدُقُ صِدْقًا... وَالصَّادِقُ وَالصَّدُوقُ واحد))^(٢)، وفي أصل اللّفظ معنى القوّة؛ فهي كما أوردها ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): ((أصل يدلُّ على قوّة في الشيء قولاً وغيره، من ذلك الصَّدْقُ: خلاف الكَذِبِ، سُمِّيَ لقوّته في نفسه؛ ولأنَّ الكَذِبَ لا قوّة له، هو باطل))^(٣) وهي تأتي من ((صَدَقَ صِدْقًا خِلَافُ كَذَبٍ فَهُوَ صَادِقٌ وَصَدُوقٌ مُبَالِغَةٌ))^(٤)، وكان معنى القوّة يأتي في الصَّدْق؛ لما يبذله الصَّادِق من جهد في مواجهة رغبة النفس وميولها إلى الكذب.

ويظهر أنّ للصَّدْق معنى واسع لا يُطْلَقُ إِلَّا على مَنْ تحقّقت هذه الصفة في ذاته

(١) الدر المنثور: ٤ / ٣١٦، وينظر: تاريخ دمشق الكبير: ٤٢ / ٣٦١، ونظم درر السمطين: ١١٢، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ١ / ٧٧١، وينايع المودة لذوي القربى: ١ / ١٣٧، وروح المعاني: ٧ / ٦٥، وفرائد السمطين: ٣٧٠.

(٢) جمهرة اللغة (ص د ق): ٢ / ٣٤٨، ولفظة (الصادق) لا تساوي لفظ (الصدوق) من جهة المبالغة، فهما ليسا بمعنى واحد من هذه الجهة، كما ذكر ابن دريد.

(٣) مقاييس اللغة (صدق): ٣ / ٣٣٩.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ص د ق): ١٧٥.



وفي علاقته مع نفسه والآخرين، وخلافه فلا يمكن وصفه وإطلاق هذه التسمية عليه؛ بينها الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) بقوله: ((الصَّدْقُ: مُطَابَقَةُ الْقَوْلِ الضَّمِيرِ وَالْمُخْبَرَ عَنْهُ مَعًا، وَمَتَى انخَرَمَ شَرْطٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ صِدْقًا تَامًّا، بَلْ إِمَّا أَنْ لَا يُوصَفَ بِالصَّدْقِ؛ وَإِمَّا أَنْ يُوصَفَ تَارَةً بِالصَّدْقِ، وَتَارَةً بِالْكَذْبِ عَلَى نَظَرَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ))^(١)، وبذلك فمطابقة القول للحدث هي معيار للتصديق أو التكذيب فإنَّ الصِّدْقَ هو مقدار المطابقة بين ما يُخبر به، وما هو متحقق وموجود؛ وهو ما يمتاز به الصادق عن الكاذب، وكذلك ورد في لسان العرب ((صَدَقَنِي فَلَانٌ، أَي: قَالَ لِي الصِّدْقَ، وَكَذَّبَنِي، أَي: قَالَ لِي الْكَذْبَ، وَمَنْ كَلَّمَ الْعَرَبَ صَدَقْتُ اللَّهَ حَدِيثًا إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، الْمَعْنَى: لَا صَدَقْتُ اللَّهَ حَدِيثًا إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا))^(٢).

ومحور الصِّدْقِ: هو تمامُ المطابقة من حيث (النِّيَّةُ والقَوْلُ والفعل)، وجاء في الكلِّيَّات: ((والصِّدْقُ فِي الْقَوْلِ مُجَانِبَةُ الْكَذْبِ، وَفِي الْفِعْلِ الْإِتْيَانُ بِهِ وَتَرْكُ الْإِنْصِرَافِ عَنْهُ قَبْلَ تَمَامِهِ، وَفِي النِّيَّةِ الْعِزْمُ وَالْإِقَامَةُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْلُغَ الْفِعْلَ))^(٣) فالصادق مَنْ كَانَ صَادِقًا فِي النِّيَّةِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَتَصَدَّرَ أَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ مُطَابِقَةً لِتِلْكَ النِّيَّةِ وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْعَامُّ لِلصَّدْقِ، فَضْلًا عَلَى حُصُولِ هَذِهِ الْمَطَابَقَةِ فِي مَا يُخْبَرُ بِهِ.

المبحث الثالث: التوجيهات النحويّة للفظ (الصادقين)

للوصول إلى الغرض المراد من اللفظة لا بدّ أيضًا من التعرّف إلى توجيهها النحوي، فقد يأتي لفظ (الصادقين) على هيئة اسم الفاعل ليشير إلى دلّته على الذات ((وهو: ما دلّ على الحَدَثِ والحُدُوثِ وفَاعِلِهِ))^(٤)؛ فالأصل فيه دلّته على الذات

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٨ - ٤٩٧.

(٢) لسان العرب (صدق): ٢٣٣/١٠.

(٣) الكلّيّات: القسم الثالث (الصدق): ١١٠.

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢١٦ / ٣.



المُتَّصِفَةُ بالفعل والقائمة به ^(١)، ويزاد على ذلك دلالاته على الحدوث أو الدوام، وورد في الكليات أن ((اسم الفاعل لَمَّا كَانَ جَارِيًا عَلَى الْفِعْلِ، جَازَ أَنْ يُقْصَدَ بِهِ الْوُقُوعُ بِمَعْنَى الْقَرَانِ كَمَا فِي (ضَائِقٍ)، وَيَجُوزُ أَنْ يُقْصَدَ بِهِ الدَّوَامُ كَمَا فِي الْمَدْحِ وَالْمُبَالَغَةِ)) ^(٢) فدلالته مشتركة بين الفعل ودلالاته على الحدوث والتجدد، وبين الاسم ودلالاته على الثبوت والاستمرار.

وتعلّق اللفظة بفعل الأمر (كُونُوا) في الآية ﴿وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ التي هي موضع البحث إذ يرشّح دلالة اللفظة إلى الاسميّة الدّالة على الثّبوت، من دون أن يُراد بها الحدث، فتكون اللام للتعريف لا اللام الموصولة، فلم تجتمع اللام الموصولة مع الصفة المُشَبَّهة واسم التفضيل؛ لما فيهما من معنى الثّبوت؛ ولأنّهما لا تأوّلان بالفعل ^(٣).

أمّا دلالة (مع) وهي ظرف دالّ على الاجتماع والمصاحبة؛ بينها سيبويه: ((وسألت الخليل عن معكم ومع، لأي شيء نصبتها؟ فقال: لأنها استعملت غير مُصَافَةٍ اسماً كجميع، ووقعت نكرة، وذلك قولك: جاء معاً وذهباً معاً وقد ذهب معه، ومن معه، صارت ظرفاً، فجعلوها بمنزلة: أمام وقدام)) ^(٤)، وتوضح دلالتها على المصاحبة من خلال ما أتى به سيبويه من الأمثلة (جاء وذهباً) وبين المرادي هذه الدلالة بصراحة؛ فهي ((اسم لمكان الاصطحاب، أو وقته، على حسب ما يليق بالمضاف إليه... لازم للظرفية لا يخرج عنها، إلا إلى الجرّ ب(من)) ^(٥)، ومجيئها

(١) ينظر: شرح الرضي على كافي ابن الحاجب: ٤١٦ / ٣ .

(٢) الكليات: القسم الأول: ١٣١ .

(٣) ينظر: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، المعروف بشرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١٥٠ / ١ .

(٤) الكتاب: ٢٨٦-٢٨٧ / ٣ .

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٠٦ / ١ .



مُضَافَةٌ يَجْعَلُهَا فِي وَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ مَعَانٍ؛ فَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ (ت ٧٦١هـ): ((وَتُسْتَعْمَلُ مُضَافَةٌ؛ فَتَكُونُ ظَرْفًا، وَلَهَا حِينٌ ثَلَاثَةٌ مَعَانٍ: أَحَدُهَا: مَوْضِعُ الْاجْتِمَاعِ؛ وَلِهَذَا يُجْبَرُ بِهَا عَنِ الذَّوَاتِ نَحْوَ (وَاللَّهُ مَعَكُمْ). وَالثَّانِي: زَمَانُهُ، نَحْوَ: (جِئْتُكَ مَعَ الْعَصْرِ). وَالثَّلَاثُ: مُرَادِفَةٌ عِنْدَ))^(١)، وَاقْتِرَانُ مَعَ الْبَصَادِقِينَ يُؤَيِّدُ دَلَالَتَهُ عَلَى الذَّاتِ، وَالْمَعْنَى الْمُرَادُ اجْتِمَاعُوا مَعَ الذَّوَاتِ الصَّادِقَةِ.

وَمَجِيءُ (مَعَ) فِي الْآيَةِ مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجَرِّ (مِنْ) ظَاهِرٌ فِي الْإِنْتِجَاءِ بِالْبَصَادِقِينَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى فِتْنَةٍ مُحَدَّدَةٍ، أَوْ طَائِفَةٍ مَعِيْنَةٍ (خَاصَّةً)؛ قَالَ أَبُو حَيَّانٍ (ت ٧٤٥هـ): ((قَالَ صَاحِبُ اللَّوَامِحِ: وَ(مِنْ) أَعْمٌ مِنْ (مَعَ)؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ فَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْمَعْنَى الْمَأْمُورِ بِهِ، وَلَا يَنْعَكِسُ ذَلِكَ))^(٢)، وَمِنْ خِلَالِهِ يُفْهَمُ أَنَّ الْمَأْمُورِينَ لَيْسُوا مِنْ فِتْنَةِ (الصَّادِقِينَ) بِالْمَعْنَى الْوَاضِحِ لِمَفْهُومِ الصَّدَقِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ لـ (مَعَ) الْمَعْبُورَةِ فِي هَذَا النَّصِّ؛ إِذْ يُلْحَظُ فِيهَا الْأَمْرَ (لِلَّذِينَ آمَنُوا) أَنْ يَكُونُوا إِلَى جَانِبِ الصَّادِقِينَ لِأَنَّ يَكُونُوا مِنْ ضَمْنِهِمْ، وَكَأَنَّ غَايَةَ مَا يُمْكِنُ الْوَصُولُ إِلَيْهِ هُوَ أَنْ يَتَّبِعُوا الصَّادِقِينَ وَمَصَاحَبَتَهُمْ بِالْكَوْنِ مَعَهُمْ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَعْنَى كَوْنِ (الصَّادِقِينَ) قَدْوَةً لغيرهم.

وَإِيرَادُ حَرْفِ الْجَرِّ (مَعَ) فِي سِيَاقِ الْأَمْرِ بِدَلَالَةِ الْفِعْلِ كَوْنُوا، يَجْعَلُهَا فِي مَعْنَى الْمَطْلُوقِ مِنْ قِيُودِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، فَتُعْطِي مَعْنَى الْاجْتِمَاعِ الْمَطْلُوقِ لَا فِي مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ مُحَدَّدِينَ، وَقَدْ أورد السَّيُوطِيُّ (ت ٩١١هـ) هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ((وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدُ الْاجْتِمَاعِ وَالِاشْتِرَاكِ، مِنْ غَيْرِ مُلَاحَظَةِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ نَحْوَ ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾))^(٣).

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٣٤٦/١.

(٢) البحر المحيط: ١١٤/٥.

(٣) الإتيان في علوم القرآن: ٤٧٣/٢.



أما ورود فعل الأمر ﴿كُونُوا﴾: ففيه دلالة على وجوب الاتباع للصادقين والاجتماع معهم؛ لصدقهم وكمال هذه الصفة فيهم، واستعمال فعل الكون الدال على إطلاق الحدث من نوعه إلى الوجود العام (المطلق)، وما يخص كل الأفعال التي يأتي بها المأمورون، وإطلاق الأمر بمصاحبة الصادقين من جميع الاتجاهات يبين عصمتهم، ولقد فصل القول في هذه الآية الفخر الرازي (ت ٦٠٤هـ) بقوله: ((إنَّ قَوْلَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمرٌ لهم بالتقوى، وهذا الأمر إنما يتناول مَنْ يَصِحُّ منه أن لا يكون متقيًا، وإنما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ، فكانت الآية دالةً على أن من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتديًا بمن كان واجب العصمة، وهُم الَّذِينَ حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُونِهِمْ صَادِقِينَ، فهذا يدلُّ على أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَى جَائِزِ الْخَطَأِ كَوْنُهُ مَعَ الْمَعْصُومِ عَنِ الْخَطَأِ حَتَّى يَكُونَ الْمَعْصُومُ عَنِ الْخَطَأِ مَانِعًا لِجَائِزِ الْخَطَأِ عَنِ الْخَطَأِ))^(١)، وهو ما يجعل هذا الأمر سائدًا بأمر الذين آمنوا في كل مكان وزمان بالكون، ومع هؤلاء الصادقين وهو ما يبيِّن أن وجود الصادقين في كل مكان وزمان ضروري للحيلولة من انحراف الأمة عن مسارها القويم.

المبحث الرابع: الدلالة القرآنية للفظ (الصادقين) ومصاحباتها

لهذه اللفظة في القرآن الكريم مجموعة من السمات يمكن تحديدها بملاحظة السياقات التي وردت فيها، يُعرف في ضوئها (الصادقون) بسماتهم التي خصَّصهم القرآن الكريم بها؛ وهي: إنَّ التعبير القرآني يبيِّن لنا معنى الصادقين؛ بقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وهنا نجد إسناد الفعل (ينفع) إلى (صدقهم)، والصادقون هم الفئة المنتفعة بهذا الصدق،

(١) مفاتيح الغيب: ٢٢٧/١٦.



- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧-٨].

ومن السمات الأخرى للـ(الصادقين) أنهم المصدقون للأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧-٨]، قال الزمخشري (ت ٥٨٣هـ) في معناها: ((ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم))^(١)، فالصادقون هم من صدقوا الأنبياء ﷺ، فيأتي تصديقهم جزءاً من الشهادة للأنبياء.

وبيّن الألوسي وجهاً آخر للصادقين؛ فقال: ((والمراد بالصادقين النبيون الذين أخذ ميثاقهم... أو المراد بهم المصدقون بالنبيين، والمعنى: ليسأل المصدقين للنبيين عن تصديقهم إياهم))^(٢)، وبعد الأخذ بالوجهين في هذه الآية يكون المراد من (الصادقين) الأنبياء ومن كان بمنزلتهم ممن تبعهم.

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوْسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]، فأتت بخصوص نبي الله يوسف ﷺ وفي قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤]،

(١) ينظر: الكشف: ٥٠٩/٣.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٢١/٢٣٤-٢٣٥.



إذ استعملت في مقابل المنافقين وسمّاهم بالمؤمنين، وهم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ، وهؤلاء هم الفئة الثانية من الصّادقين، وهم أتباع الأنبياء .

وتبيّن ملامح (الصادقين) بصورة جليّة بمجيئها في سياق الحصر المفيد للتخصيص، من حيث أنّ ضمير الفصل يدلُّ على إثبات (المسند للمسند إليه) دون غيره وهو ما أشار إليه الزمخشري^(١)، وقد وردت هذه اللفظة في آيتين بأسلوب الحصر في ضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، والأخرى قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وفائدة ورود ضمير الفصل هنا -هم- ليؤكد أنّ ما بعده خبرٌ وليس صفة^(٢).

ليبيّن أنّ ما بعد ضمير الفصل -هم- ليس وصفًا للمبتدأ، إنّما ورد للإخبار على سبيل التحقق بالصدق وثباته، في طائفة قد التزمت الصدق في سلوكها لا مجرد وصف له، وقد زادت الآيتان ملامح أخر لما سبق ذكره من سمات (الصادقين)؛ بأنهم (لم يرتابوا) وهو ما يؤكد كمال صفة الصدق فيهم وينسجم مع ولايتهم وعصمتهم من الكذب التي أشار إليها الرازي، وأنهم ممن جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، أمّا الآية الثانية فقد بيّنت أنّ المراد بالصادقين هم (الفقراء المهاجرين)، ولذلك فإنّ مدلول لفظة الصادقين يزداد وضوحًا وبيانًا في هذه الآية،

(١) ينظر: الكشف: ٥١/١، والإتقان في علوم القرآن: ٢/٢٦٥.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: مسألة رقم (١٠٠): ٢/٢١٧.



كما أشار إليه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ^(١)، وهو أمر يؤكد أن الألف واللام في قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ لمعهد سبق معرفته بالصدق.

وكذلك أكدت هذه الآية ميزة انفرد بها الصادقين في القرآن الكريم؛ باعتبار استمرار نصرتهم وإيمانهم بالله ورسوله بحسب دلالة الفعل المضارع، وهو ما لم يثبت لغيرهم، وهذا المعنى متطابق مع دلالة قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَصَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢]، إذ إن صدق العهد مع الله تعالى من أوضح مصاديقه؛ نصرته ونصرة رسوله ﷺ.

مما تقدم يخلص البحث إلى مجموعة من السمات الدلالية التي أبرزها تفاعل لفظة الصادقين بمعناها المعجمي وهيأتها مع المعاني النحوية التي وردت فيها عبر سياقات اللفظة القرآنية، وبمجموع هذه السمات تتمكن من تحديد المعنى النحوي الدلالي للفظ الصادقين بأنهم طبقة مميزة من المؤمنين وممن جاهدوا في سبيل الله وممن ينتظروا قضاء نحبهم، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، ونصروا الله ورسوله ﷺ، وهم يشتركون في الانتماء إلى طائفة حزب الله، وخير البرية، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار.

وما تجدر الإشارة إليه أيضاً إن من أبرز السمات الدلالية المميزة للآية موضع البحث عن تلك التي اشتركت معها في استعمال لفظة الصادقين هي توجيه الأمر باتباعهم ونصرتهم على آية حال، ومن ثم فإن اللام فيها للعهد؛ باعتبار أن هذه الخصوصية فيهم لا بد من أن تكون معهودة عند المخاطبين؛ لكي يسهل اتباعهم،

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٠٣/١، وقد فهم المراد بالصادقين في الآية هم (المهاجرون) ولم يدخل الفقهاء.



وهو ما يشير إلى عصمتهم وإلا كان الأمر باتباعهم في حال الخطأ أيضاً وهم معصومون عن ذلك، وهو ما لم تُبرزه الآيات الأخرى، أو تُشر إلى هذا المعنى وانفردت به الآية موضع البحث.

الخاتمة:

الحمد لله كما هو أهله وكما يستحقه، حمداً كثيراً دائماً أبداً، والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين، وبعد.

لقد توصل البحث عن طريق هذه الدراسة إلى مجموعة من السمات الدلالية التي امتازت بها لفظة (الصادقين) في مجموعة من الآيات الشريفة على مستوى التعبير والاستعمال القرآني، ومنها:

١- وردت لفظة (الصادقين) بصيغة اسم الفاعل وقد غلب فيها دلالتها على الاسمية من دون الفعلية بشكل واضح، وهو ما يؤكد تعلقه في هذه الآيات بذات عاقلة من دون إرادة الدلالة الفعلية فيها.

٢- اختصت الآيات المبحوثة بلفظة (الصادقين) بمجموعة من السمات الدلالية المميزة عن أقرب الآيات المشتركة معها من جهة الاشتقاق في ألفاظها، الأمر الذي يُبرز خصوصية هذه الآيات على مستوى التعبير القرآني، ومن ثم خصوصية من تعلقت به وخصته بالذكر.



المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
٢. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله الأنباري (٥٧٧هـ)، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط١٣٨٠هـ، ٤ - ١٩٦١م.
٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن هشام الانصاري (٧٦١هـ) ومعه مصباح السالك إلى أوضح المسالك، بركات يوسف هبود، راجع الكتاب وصححه: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤. البحر المحيط، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠١م.
٥. تاريخ دمشق الكبير، أبو القاسم علي بن الحسين بن الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ)، تح: علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٦. تفسير فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (٤٢٦هـ)، تح: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.



٧. تفسير القمّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمّي، من أعلام القرن الثالث الهجري، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، إشراف لجنة التحقيق والتصحيح في المؤسسة، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٨. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ابن دريد (٣٢١هـ)، علق عليه ووضع هوامشه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
٩. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تح: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٢م .
١٠. الدر المنتور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر .
١١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العلامة آقا بزرك الطهراني، دار الأضواء - بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة محمود الألوسي (١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان .
١٣. شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن رضي الدين الإسترابادي (٦٨٨هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق عليه السلام، ط ٢ .
١٤. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام، الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحنفي (٤٨٠هـ)، حقه وعلق عليه: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٧٤م .



١٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م.
١٦. فرائد السمطين في فضائل المرتضى البتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، إبراهيم بن محمد ابن المؤيد بن عبد الله بن علي بن محمد الجويني الخراساني (٣٧٠هـ)، مؤسسة الحمودي، بيروت - لبنان.
١٧. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسبيويه (١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٤، ٢٠٠٦م.
١٩. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي (٤٣٧هـ)، دراسة وتحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٢م.
٢٠. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش - محمد المصري، ط ٢، ١٩٩٢.
٢١. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٣٠٠٣م.



٢٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، رابط الثقافة والعلاقات الإسلامية، إيران - طهران، ط ١، ١٩٩٦ م.
٢٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (٧٧٠هـ)، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
٢٤. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الخوئي، مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ط ٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.
٢٥. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الصادق، إيران - طهران، ط ١.
٢٦. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤٢٦هـ.
٢٧. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، الدار الإسلامية، لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠.
٢٨. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تح: حسن حمد، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٩ م.
٢٩. منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، المعروف بشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن علي بن محمد الأشموني (٩٢٩هـ)، حققه وشرح شواهده وأتمّ مباحثه: محمد محيي الدين عبدالحميد، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ م.
٣٠. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٧.



٣١. نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزردندي (٧٥٠هـ)، تح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣٢. نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تح: السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ٢٠٠١م.
٣٣. ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (١٢٩٤هـ)، تح: سيد علي جمال أشرف الحسيني، الناشر: دار الأسوة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

تمثّلاتُ الشاهدِ القرآنيِّ في نهجِ البلاغةِ

م. د. مكاسب عبادي عبود سلمان

الملخص:

إنّ القرآن الكريم، والإمام عليّ (عليه السلام) صنوان لا يفترقان؛ لأنّ الإمام هو القرآن الناطق، لذا فورود الشاهد القرآنيّ في نهج البلاغة من الأمور البديهية، إذ نجده يرد في مواضع كثيرة من خطبه، وتمثّل بها الإمام (عليه السلام) في بعض المواقف التي أوجبت عليه أن يأتي بالآيات المباركات، وذلك بطريقتين هما:

الأولى: التمثّل بالشاهد القرآنيّ بشكل مباشر؛ وذلك لأغراض متعدّدة، قد تكون أغراضاً حجاجية أراد عبرها وصف موضوع معيّن، أو إثبات حكم محدّد بحجّة قرآنية دامغة، أو لغرض تفسيريّ معيّن، وقد ينفرد بتفسير لفظ قرآنيّ بشكل غير وارد في كتب التفسير المتوارثة.

الثانية: التمثّل بالشاهد القرآنيّ بشكل غير مباشر؛ إذ يأخذ ملمحاً إسلوياً معيّنًا من الشاهد القرآنيّ يميل الأذهان عبره إلى استحضار تفسيره وربط ذلك التفسير مع الموقف الحالي الذي يتحدّث عنه، فيكون الشاهد القرآنيّ خير معين له في إظهار المعنى المراد من النصّ.

وقد تكفّل هذ البحث بمراقبة هذه التمثّلات واستجلاء قيمتها الفكرية التي أراد الإمام (عليه السلام) إيصالها للمتلقّي، وفي الختام أحبّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل، والثناء الجميل إلى القائمين على هذا المؤتمر القيم الذي يبحث عن تراث أهل البيت (عليهم السلام) ويظهره بصورة علمية، وبطرق أكاديميه معتبرة. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، والحمد لله ربّ العالمين.

الكلمات المفتاحية: الشاهد القرآني، نهج البلاغة، الحجاج.

Abstract:

The Holy Qur'an and Imam Ali (pbuh) are inseparable counterparts; for the Imam is the "Speaking Qur'an." Thus, the presence of Qur'anic citations in Nahj al-Balagha is foundational. We find these citations throughout his sermons, where the Imam invoked blessed verses in various contexts through two primary methods:

First: Direct Citation of the Qur'anic Witness. This serves multiple purposes, such as argumentative (Hajaji) goals to describe a specific subject, proving a legal ruling with irrefutable Qur'anic evidence, or for a particular exegetical (Tafsiri) purpose. In some instances, he provides unique interpretations of Qur'anic terms not found in traditional inherited tafsir books.

Second: Indirect Citation of the Qur'anic Witness. Here, the Imam adopts a specific stylistic feature from the Qur'anic text that prompts the mind to recall its interpretation and link it to the current situation he is addressing. Thus, the Qur'anic witness becomes the best aid in manifesting the intended meaning of the text.

This research undertakes the task of monitoring these manifestations and elucidating the intellectual value the Imam sought to convey to the recipient. In conclusion, I would like to express my sincere gratitude and high praise to the organizers of this esteemed conference, which explores the heritage of the Ahl al-Bayt (pbut) and presents it in a scientific and reputable academic manner.

Keywords: Qur'anic Witness, Nahj al-Balagha, Argumentation.



المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمدٍ ﷺ وعلى آله الطيبين، وصحبه المنتجبين، وبعدُ:

فإنَّ القرآنَ الكريمَ والإمامَ عليَّ ﷺ صنوان لا يفترقان؛ لأنَّ الإمامَ عليَّ ﷺ هو القرآنُ الناطق، وقد ورد الشاهدُ القرآنيُّ في مواضع كثيرة من خطب نهج البلاغة، وتمثَّل به الإمامُ عليُّ ﷺ في بعض المواقف بطريقتين هما:

الأول: التمثُّل بالشاهد القرآنيِّ بشكل مباشر؛ وذلك لأغراض متعدِّدة، كأن تكون أغراضًا حجاجيةً أراد بواسطتها أن يثبت موضوعًا معيَّنًا، أو يصف حالة معيَّنة بحجَّة قويَّة دامغة، أو لغرض تفسيريٍّ معيَّن، وقد ينفرد بتفسير لفظ قرآنيٍّ بصورة منفردة عمَّا ورد في كتب التفسير المتوارثة .

الثاني: التمثُّل بالشاهد القرآنيِّ بشكل غير مباشر؛ إذ يأخذ ملمحًا أسلوبيًّا معيَّنًا من الشاهد القرآنيِّ يحيل الأذهان عبره إلى آية قرآنيةٍ أو قصَّة قرآنيةٍ تُماثل الموقف الآنيِّ الذي يريد وصفه، فيكون الشاهد القرآنيُّ خير معين له في إظهار المعنى المراد من النصِّ؛ فمثلاً قد يشبَّه موقفًا يحصل معه في تلك اللحظة بقصَّة قرآنيةٍ معروفة عند المتلقِّي، فيجعلها بؤرة دلاليةٍ يكمن فيها البعد التعبيريُّ الذي يريد توصيله للمتلقِّي، وقد يصرِّح بذلك التشابه أو قد يلمِّح له تلميحًا ويترك المتلقِّي يتأمَّل في معرفة وجه التشابه بين القصَّة القرآنيةِ والموقف الذي يعبر عنه .

وقد اعتمدت الباحثة في دراستها على منهجٍ تحليليٍّ أُستندت فيه على بعض المصادر التاريخيةِ وشروح نهج البلاغة .

وفي الختام أحبُّ أن أتقدِّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى القائمين على



هذا المؤتمر القيم الذي يبحث في تراث أهل البيت (عليهم السلام) ويظهره بصورة علمية، وبطرق أكاديمية معتبرة. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، والحمد لله رب العالمين .

التمهيد

معنى الشاهد:

الشاهد في اللغة مأخوذ من الفعل الثلاثي (شهد)، الذي يعني المعاينة والخبر القاطع، وشهد شهودًا أي: حضره فهو شاهد، ومنه قوم شهود أي حضور^(١)، وورد في المعجم الوسيط أن الشاهد هو من يؤدّي الشهادة، والشاهد هو الدليل^(٢).

أمّا في الاصطلاح فالشاهد يعني ((ما كان حاضرًا في قلب الإنسان، وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الحق فهو شاهد الحق))^(٣)، ويعرف أيضًا بأنه ((جملة من كلام العرب أو ما جرى مجراه، كالقرآن الكريم ومن يتسم بمواصفات معينة... وتقوم دليلًا على استخدام العرب لفظًا لمعناه، أو نسقًا في نظم أو كلام))^(٤)، وعرفه محمد عبدو بأنه ((دليل نصي جزئي يعود إلى ما عُرف لدى النحاة بعصور الاحتجاج وأتى به لبناء قاعدة، ويمكن تأويله على وجهة غيرها، وإلا عدّ مثالًا وإن كان من نصوص عصور الاحتجاج))^(٥).

وبذلك يمكننا القول إن الشاهد هو الدليل النقلي الذي يحتجّ به ناقله على قول أو رأي لبناء قاعدة معينة أو إعطاء حكم معين أو إثبات وجهة نظر، وقد أدرك العرب

(١) ينظر: الصحاح: ٢/٤٩٥

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: ١/٢٤٠

(٣) التعريفات: ١/١٢٤

(٤) الشواهد اللغوية: ٢٥٦

(٥) اللغة الشعرية عند النحاة: ١٣-١٤



قيمة الكلام البلاغيِّ فأخذوا ينتقون أفصح الكلام وأبلغه في الاستشهاد النقليّ، وكان الشاهد الشعريُّ هو المقدّم في الاستشهاد والتمثُّل في هذا الموضوع، ناهيك عن استعمالهم الشاهد القرآنيِّ في الاستشهاد^(١)؛ لأنّه أساس البلاغة وموطن الفصاحة وآياته المباركات، وهي الأصحّ من بين الشواهد الأدبيّة الأخرى، لأنّه النصّ الوحيد المجلّل بالثقة؛ إذ لم يدخله الباطل ولا التحريف فهو محفوظ من عند الله تعالى^(٢).

وكان للشاهد القرآنيِّ تمثُّلات كثيرة ومتنوّعة في نهج البلاغة، وبطرائق متعدّدة؛ فقد يأتي بها الإمام عليه السلام مسبوقة بكلمة (قوله تعالى)؛ لتميُّزها من كلامه، ويأتي بها بنصّ مباشر، أو يأتي بها ويجعلها ضمن نصّه متعلّقة معه وكأنّها جزء منه، أو قد يجعل القرآن مذيلاً فيختم به كلامه ويختزل المعنى، وتظهر دلّالته التوكيديّة، ومن ذلك قوله ((هيهات قد فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال بالها ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]))^(٣).

وقد يصدّر به كلامه ويفتتح خطبته كما في قوله ((فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك))^(٤)، أو يجعل النصّ القرآنيّ حجّة إقناعيّة دامغة لا يمكن ردّها كما في قوله ((ولمّا دعانا القوم إلى أن نُحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتوتّي عن كتاب الله تعالى. وقد قال الله سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]))^(٥)، فقد جعل النصّ القرآنيّ مصداقاً لقوله بوصفه حجّة إقناعيّة؛ لإقناع القوم في الرجوع إليه (للقرآن الكريم) عند التخاصم،

(١) ينظر: خزانة الأدب: ٩/١

(٢) ينظر: قيمة الشاهد القرآني في كتاب الجنى الداني: ٧٦

(٣) في ظلال نهج البلاغة: ٣/١٠٤

(٤) م.ن: ٣/٤٥٤

(٥) م.ن: ٢/٢٣٤٣



ولكن اشترط أن يحكم ترجمان القرآن بالصدق، وذلك إبان الفتنة التي حصلت بين الإمام والخوارج؛ ليخضعهم للرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

ولغرض تسهيل دراسة تمثلات الشاهد القرآني في نهج البلاغة ارتأت الباحثة تقسيم هذا البحث على مبحثين هما:

المبحث الأول: التمثل المباشر

المبحث الثاني: التمثل غير المباشر

المبحث الأول: التمثل المباشر

لا تقصد الباحثة هنا حتمية مجيء النص القرآني مقتبساً اقتباساً مباشراً بلفظه ومعناه، إنما المراد به التوافق الدلالي والتطابق المعنوي بين النص القرآني ونص الإمام؛ فقد يأتي النص القرآني بشكل غير مباشر، أو قد يوحى إليه الإمام (ع) إجماعاً، لكن ما نبحت عنه هنا التطابق والتوافق الدلالي، وقد جاء هذا التوافق لأغراض دلالية مختلفة؛ أبرزها كان الغرض الحجاجي؛ فغالباً ما يأتي الإمام (ع) بالنص القرآني؛ لإعمال الوظيفة الحجاجية، فيعضد كلامه، ويقوّي حجته، ويقنع المقابل به؛ ومن ذلك قوله: ((ومرّ أهل مكة أن لا يأخذوا مساكن أجراً، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]، فالعاكف المقيم به والبادي الذي يحجّ إليه من غير أهله))^(١)، فالنص القرآني هنا جاء به الإمام (ع)؛ لبيان حكم شرعي إلهي ثم عمد إلى بيان الدلالة اللغوية لألفاظه؛ لتوثيق المعنى وتعزيده والتأكيد على تنفيذه؛ لأنّ هذا الكلام هنا ليس عامّاً، إنّما كان مخصّصاً لقثم بن عباس والي الإمام على مكة يأمره فيه بالالتزام بشرائع الله تعالى، وعدم الخروج عنها، فالنص القرآني هنا جاء لغرض أمر واجب التنفيذ، وقد يأتي لغرض النصح والحث على التفكير كما في قوله ((ولم يباشر

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ١٧١



قلبه اليقين بأنّه لا ندّ له، وكأنّه لم يسمع تبرّأ التابعين من المتبوعين إذ يقولون ﴿تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ * اِذْ نُسُوِيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴿[الشعراء: ٩٧-٩٨]﴾^(١)، تمثّل الإمام بالنصّ القرآنيّ، وهنا جاء لتعضيد المعنى المطروح في الخطبة، وتنبية السامع وتوعيته عندما تذهب به المذاهب في وصف الله تعالى، وعدم معرفة كنه ذاته الإلهية وصفات وحدانيّته وانفراده، فالنصّ القرآنيّ هنا يؤكّد على التفكير، وأخذ العظة من الأمم التي سبقتهم، وكيف تبرّأ التابعين من المتبوعين .

وقد يجعل النصّ القرآنيّ متممًا لكلامه، مقويًا لحجّته، مختصرًا لما يريد قوله كما في قوله في سياق حديثه عن الشيطان: ((فلعمري لقد فرّق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالزرع الشديد، ورماكم من مكان قريب ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]﴾^(٢)، فقد جاء بكلام الشيطان المثبت في الذكر الحكيم؛ ليكون حجّة لكلامه، ومختصرًا لما يرنو إليه من تحذير الناس من الشيطان .

وفي سياق حديثه عن الآخرة ونهاية الإنسان قال: ((قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا اِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]﴾^(٣)، فقد استشهد الإمام عليّ عليه السلام بآية قرآنية مباشرة؛ لبيان المعاد وأنّ البارئ عزّ وجلّ الذي أنشأ الأولى قادر أيضًا على إنشاء الأخرى، فقوى حجّته ودعم دلالته بهذه الآية المباركة التي اقتبسها اقتباسًا مباشرًا من النصّ القرآنيّ المقدّس .

(١) في ظلال نهج البلاغة : ١٠٤ / ٢

(٢) م.ن: ١١٣ / ٣

(٣) م.ن: ١٧١ / ٢



ولمّا وصف علم الباري عزّ وجلّ، وذكر صفاته التي انفرد بها على عباده عضدّ كلامه بحجّة قرآنيّة فقال: ((وإنّما علّم الغيب علم الساعة وما عدّد الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخيّ أو بخيل))^(١)، فالآية المباركة جاءت لتكون حجّة نقلية تؤكّد كلام الإمام (ع)، إذ أراد عبرها تهذيب النفوس في التفكير بالذات الإلهية بشكل يناسب ذلك الخالق، فسبحانه وتعالى عمّا يصفون. أمّا في بيان أحكام الدين ونواهيها فقد تمثّل بقوله: ((فأمّا الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨])^(٢)، فقد جعل من الآية القرآنيّة وسيلة تأييد للمعنى المراد بيانه، ومن ثمّ إثبات حكم شرعيّ .

نلاحظ في النصوص السابقة أنّ الإمام (ع) يفصل الآيات المباركات عن نصّ كلامه فيقول: قال تعالى؛ ليميّز كلام الباري-عزّ وجلّ- من كلامه، ولهذه الطريقة حضور واسع ولافت في نهج البلاغة، ونجده في مواضع أخرى يتمثّل بالآية القرآنيّة ويجعلها جزءاً من نصّه، ويضمّن كلامه من دون أن يفصل بينهما، ومن ذلك قوله: ((اللهم إنّنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدوّنا وتشتت أهوائنا ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩])^(٣)، فالإمام جعل الآية المباركة ضمن نصّه بوصفها دعاء، ونصّه في معرض الدعاء أيضاً، فالتناسب الدلاليّ خلق تناغماً معنوياً زاد من اللحمة والانسجام الدلاليّ بينهما، وهذا ما نجده في قوله: ((وعرضت عليك أعمالك بالمحلّ الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة، ويتمنى

(١) في ظلال نهج البلاغة : ٢٥٢ / ٢

(٢) م.ن: ٥٤٠ / ٢

(٣) م.ن: ٤٢٠ / ٣



المضيق الرجعة ولات حين مناص) (١)، فقد ختم الإمام خطبته بـ (لات حين مناص)، وهي آية قرآنية أدخلها في نصه وتمثل بها؛ لبيان نهاية الإنسان الحتمية التي لا مفر منها ومن عمله، وجعل الآية المباركة متممة للدلالة المعنوية، ملتصقة معه وكأنها جزء منه، فحدّد وظيفته عبر دلالاته التي تجسّدت من روح النصّ القرآنيّ، فأعطى للنصّ كلّ مدلولاً دينياً قوامه الاعتبار والعمل الصالح قبل مجيء الأجل .

المبحث الثاني: التمثّل غير المباشر (المحور)

يتمّ الإفادة من النصّ القرآنيّ في هذا الأسلوب ببعض البنية اللغوية للنصّ؛ كإجراء التقديم والتأخير أو الفصل بين أجزائه أو الإبقاء على كلمة أو كلمات محورية فيه دون تغيير، أو قد يشير النصّ كلّ إلى لفظ أو آية أو سورة أو موضوع أو قصّة قرآنية بطريقة الإيحاء أو التلميح (٢)، وتتميّز هذه الطريقة بشيء من الصعوبة في التطبيق بالنسبة للباحث، وفيها يتحرّر كاتب النصّ من الاقتباس النصّي للقرآن الكريم، فتظهر قدرته في تعالق نصّه مع النصّ المقدّس بتأليف نسيج لغويّ متجانس ومتناغم (٣)، وقد اعتمده الإمام (عليه السلام) في بعض مواضع خطبه بطريقة التعالق الدلاليّ بين النصّ المقدّس والموقف الآنيّ الذي يتحدّث عنه، وكان ذلك بطريقتين هما:

الطريقة الأولى: التمثّل بالنصّ الصريح: يتمثّل الإمام بالآية المباركة بشكل صريح ومباشر كما في قوله: ((لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضُّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ ﴿وَوَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥])) (٤)، جاء الإمام (عليه السلام) بالآية

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٥٦١

(٢) ينظر: الاقتباس والتناص والقرآنية: ١١-١٤

(٣) ينظر: مدخل لجامع النصّ: ٩١

(٤) في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٣٤٣٨



المباركة بمعناها الشموليّ العامّ بنصّها الصريح وبشكل مباشر، وجعلها مصداقاً للموقف الذي يتحدّث عنه، وقد شرحها محمّد جواد مغنّية ذاهبا إلى أنّ المقصود هنا بقول الأئمّة هم أهل البيت عليهم السلام وهم سيورثون الأرض بعد حين، وكلّ من يؤذيه ويعدايمهم ستزول دولته ويهلك ملكه حتّى تنتشر علومهم وفصائلهم في شرق الأرض وغربها، وإنّ هذه الرفعة والوجاهة في الحياة الدنيا هي من أفضل النعم وأكملها^(١)، وفي سياق النصّح والاتّعاظ تحدّث الإمام عن الأغنياء فقال: ((وأما الأغنياء من مترفي الأمم فتعصّبوا لآثار مواقع النعم فقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذّبين))^(٢)، تمثّل الإمام بالنصّ الصريح في سياق حديثه عن أغنياء القوم؛ لغرض الأمر بامتنان حدوث ذلك الشيء، مظهرًا معه مشاعر وجدانيّة بصيغة خطابيّة مباشرة جعلت من النصّ القرآنيّ معينًا عذبًا استقى منه الردّ على المتكبرين لنبوّة النبيّ محمّد عليه السلام، وقد كفانا محمّد جواد مغنّية في شرحه لهذه الخطبة فقال ((وأنكر مترفو قريش نبوة محمّد عليه السلام لا لشيء إلاّ لأنّه لا يملك كنزًا ولا جنّة يأكل منها أو يُلقى إليه كنز أو تكون له جنّة يأكل منها))^(٣).

أمّا في قول الإمام ((ذمتي بما أقول رهين، وأنا به زعيم أنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثالات حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات))^(٤)، يستوقفنا قوله (وأنا به زعيم) ويعود بأذهاننا إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢]؛ ليجعل أذهاننا تستعيد إحدى القصص والمواقف القرآنيّة التي سردها لنا الباري - عزّ وجلّ - في محكم كتابه العزيز

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤/ ٣٤٤

(٢) م.ن: ٣/ ١٣٢-١٣٣

(٣) م.ن: ٣/ ١٣٥

(٤) م.ن: ١/ ١٣١



في جزئية من قصّة النبي يوسف عليه السلام المشوّقة عندما فقدوا صواع الملك وكيف تمكّن النبي يوسف عليه السلام من كيدهم، فأخذها الإمام وجعلها مصداقاً وانعكاساً للموقف الآني الذي يصفه، فيستحضر ما موجود في ذهن المتلقّي من الثقة العالية التي كان يتحدّث بها عزيز مصر وحاشيته وهم يسألون عن الصواع المسروق، ناهيك عن المكافأة التي سيهبها الملك لمن يأتي بذلك الصواع، فوظّف الإمام هذه الجزئية وجعلها معادلاً موضوعياً للحدث الآني الذي يجرب الناس عنه بأن يجعلوا ثقتهم به، وأنه مسؤول عن كلامه وكفيل بأنه واقع لا محال؛ ليحتّم على من يخاطبهم أن يمتنعوا عمّا هو صريح في المنع والتحريم، فاستعمل هذا التمثّل لغرض النصح والموعظة، وهذا ما عمله أيضاً في قوله: ((عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم ولا تنقادوا لأهوائكم فإنّ النازل بهذا المنزل نازل بشفى جرف هار))^(١)، إنّ في قوله (بشفى جرف هار) استعمال قرآنيّ مباشر مأخوذ من قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وبذات المعنى، ففي القرآن الكريم الآية المباركة تشير إلى الابتعاد عن بناء الحياة على باطل وعلى ما لا يرضي الباري - عزّ وجلّ -، فأخذ الإمام عليه السلام هذا السياق الدلاليّ وسخره لإظهار ما يصبو إليه من معنى، بطرح يشتمل على بعض التفصيلات، وذلك بعدم الركون إلى الجهالة والانقياد إلى الأهواء؛ وقد أشار القرآن إلى تلك الموبقات بشكل مجمل وجاء الإمام ليفصّل القول فيها.

وفي سياق الاتعاظ أيضاً جاء قوله: ((فمهّد لقومك وقدم ليومك الحذر الحذر أيها المستمع، والجدّ الجدّ أيها الغافل، ﴿وَلَا يُبْنِيكَ مِثْلَ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤])^(٢)،

(١) في ظلال نهج البلاغة: ١١٤ / ٢

(٢) م.ن: ٣٧٩ / ٢



في الآية المباركة يعود الكلام بها إلى الباري - عز وجل - فهو الخبير العليم الذي لا يغرب عن علمه شيء، فأخذها الإمام؛ ليعكس صداها على كلامه ويجعلها تعبر عن نفسه بوصفه امتداداً لرسالة التوحيد، ودينه الإسلامي، فهو نفس رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

أمّا في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((بَعْدَ لَهُمْ كَمَا بَعُدَتْ ثُمُودَ. أَمَا لَوْ أَشْرَعْتَ الْأَسِنَّةَ عَلَيْهِمْ وَصَبَّتَ السِّيُوفَ عَلَى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدَمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهُمْ، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَمَتَخَلٌّ عَنْهُمْ))^(١) .

يعود بنا النصّ إلى قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ﴾ [هود: ٩٥]، لقد جمع القرآن الكريم بين أهل مدين وأهل ثمود لإشراكهما في الذنب نفسه وحصولهما على البعد والهلاك نفسه، فأخذ الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الصفة من هاتين القبيلتين؛ ليجعلهما معادلاً موضوعياً لمن يخاطبهم في هذه الخطبة ممن وقفوا ضدهم في صفين لتشابه عملهم مع عاد وثمود وبعدهم عن طريق الحق والصواب وغواية الشيطان لهم، والتشبيه هذا كان الغرض منه ردعهم ومحاوله إرجاعهم إلى صوابهم .

ولمّا أراد أن يبيّن منزلتهم ومنزلة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن غيرهم تمثّل بآيتين مباركتين في قوله: ((ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيّد شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب، في كثير ممّا لنا وعليكم، فإسلامنا قد سمع وجاهليتنا لا تدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شدّ عنا، وهو قوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ﴾

(١) في ظلال نهج البلاغة : ٣ / ١٩



المُؤْمِنِينَ ﴿[آل عمران: ٦٨]، فنحن مرّةً أولى بالقرابة، وتارةً أولى بالطاعة))^(١)، تمثّل الإمام بآيتين مباركتين وأجاد في تعالق نصّه معهما بتوفّر الغاية المنشودة؛ ليكشف عن جانب عقائديّ من جهة، وعاطفيّ من جهة أخرى، بيّن عبرهما مدى قوّة الصلة بين أهل البيت عليهم السلام والرسول صلّى الله عليه وآله، والقرآن الكريم، ونهج البلاغة واستعمال الإمام للنصوص المقدّسة لتعزيد كلامه، وتقوية حججه، وإثراء دلالاته.

وقد يأخذ التعالق الدلاليّ لبعض ألفاظ القرآن الكريم؛ ليعكس تلك الدلالة على نصّ خطبته ومن ذلك قوله: ((فمن تمّ على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة، ومن لجّ وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه))^(٢) فلفظ (ران) يعود بأذهاننا إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، فلفظ (ران) في الآية المباركة بتفسير بعض المفسّرين يعني أنّ العبد إذا أخطأ خطيئةً تكتب في قلبه نقطة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب صُقل قلبه، فإذا عاد زيد فيها حتّى تعلو على قلبه، وإنّ للأعمال السيئة صوراً ونقوشاً تُنقش في النفس، تمنع النفس أن تُدرِك الحقّ كما هو عند اعتيادها المعصية ومداومتها عليها^(٣)، ولم يخرج الإمام عليه السلام عن المعنى ذاته في نصّ خطبته؛ إذ أراد استحضار الدلالة المعروفة لهذا اللفظ بلمحة تعبيرية مكتنزة تكشف مدى التعالق الدلاليّ بين نصوص النهج والنصّ القرآنيّ الخالد وسيادته .

وقد يسأل الإمام عن لفظ قرآنيّ معيّن فيعمد الرسول صلّى الله عليه وآله إلى تفسيره وربطه بالواقع الذي يعيشه إبان تلك اللحظة كما في قوله: ((لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(١) في ظلال نهج البلاغة : ٣ / ٤٦٧

(٢) م.ن: ٤ / ١٣٦

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٢٢٤١٢



قوله: ﴿الم* أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢]، علمتُ أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟ فقال: يا علي، إنّ أمّتي سيُفْتَنُونَ من بعدي، فقلت: يا رسول الله، أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر فإنّ الشهادة من ورائك، فقال لي: إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذا؟ فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشري والشكر^(١)، في النصّ سؤال صريح عن الفتنة ليس لغرض معرفة معناها، إنّما كان غرض الإمام من هذا السؤال معرفة غيبية لما سيحصل بعد فقدان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد سار الجواب في التّجاهين: الأوّل: تلميحا والثاني تصرّحا؛ فالتلميح كان في الإشارة إلى كمّية الفتن التي ستصاحب الإمام أيام حياته، ومدى المشقّة التي سيلاقها إبان ذلك، وكثرة أموال الناس وغرقهم في ملذّات الدنيا الماديّة، وبعدهم عن الروحانيّات والتقوى، أمّا التصريح فهو فوز الإمام على هذه الدنيا الزائلة؛ لأنّ الحياة بحسبانه وسيلة لا غاية، فغاياته مرضاة الله فقط؛ لذا كان من الشاكرين المستبشرين، وليس من الصابرين، وهذه هي الخاتمة التي يبتغيها ويتوق أن ينهي حياته بها .

وقد يعمد إلى سورة قرآنيّة فيستحضرها في بعض نصوصه، كما في قوله في سياق حديثه عن القاضي عبد العليم: ((فهو من لبس الشهوات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجي أن يكون قد أصاب))^(٢)، نلاحظ أنّ الصورة التشبيهيّة التي تمثّل بها

(١) في ضلال نهج البلاغة: ٢/٤٠٥

(٢) م.ن: ١/١٤٥



الإمام في قوله مثل (نسج العنكبوت) استوحاها من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، تعبيرًا عن الضعف وقلة التدبّر والوقوع في الخطأ وعدم تدبّر أحكام الله تعالى بشكل دقيق وصحيح، وتطبيقها على الواقع .

وقد ينفرد الإمام ببعض التفسيرات لبعض الألفاظ القرآنيّة، كما في قوله: ((الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل الصالح))^(١)، فالإمام يرى معنى الإسلام وتعمّق فيه؛ ليحاكي الجانب الروحانيّ عند الناس بشبكة متّصلة من الأعمال المتوالية التي تبدأ بالتسليم فاليقين، فالتصديق، ثمّ الإقرار، وهذا كلّ إذا كان نابعاً من روح مقرّرة ومُحلّصة ومؤمنة سينعكس على الأداء الذي يترجم بالعمل الصالح الملموس؛ أي إنّ الإسلام يبدأ بالجانب الروحانيّ المجرّد الذي يأسر الروح والوجدان، ليترجم بالنهاية إلى الجانب العمليّ الملموس، ولو عدنا إلى معنى الإسلام الذي ورد في أغلب كتب المفسّرين نجده يقتصر على الإقرار بالوحدانيّة، ونطق الشهادة، أمّا أقرب التفاسير إلى قول الإمام ما جاء في الأمثل لمّا قال صاحبه: ((الإسلام يعني التسليم وهو هنا التسليم لله، وعلى هذا فإنّ معنى الدين عند الله الإسلام: إنّ الدين الحقيقيّ عند الله هو التسليم لأوامره وتحقيقها في الواقع، لم تكن روح الدين في كلّ الأزمنة سوى الخضوع والتسليم للحقيقة، وإنّما أطلق اسم الإسلام على الدين الذي جاء به الرسول الأكرم ﷺ؛ لأنّه أرفع الأديان))^(٢) .

وقد يعمد إلى تفسير آية كاملة كما في قوله: ((وسمع رجلاً يقول إنّنا لله وإنّا

(١) في ظلال نهج البلاغة : ٤ / ٢٩٥

(٢) الأمثل : ٢ / ٤٢٩



إليه راجعون، فقال (ع): قولنا إنا لله، إقرار على أنفسنا بالملك، وقولنا: وإنا إليه راجعون، إقرار على أنفسنا بالهلاك^(١).

فهو تفسير صريح وواضح يشير إلى المعنى بدقّة وبصورة مباشرة، ولم يختلف عمّا جاء به بعض المفسّرين في كتب التفسير .

نخلص ممّا تقدّم أنّ الإمام (ع) قد تمثّل ببعض الآيات القرآنيّة لأغراض بلاغيّة أو دلاليّة أو لتوكيد حالة معيّنّة، وهذا ما وجدناه في بعض المصادر التاريخيّة وشروح نهج البلاغة .

(١) في ظلال نهج البلاغة : ٤ / ٢٧٤



الخاتمة:

بعد الدراسة والتأمُّل والتفكير مع هذه الجولة السريعة في البحث عن فحوى التمثُّلات القرآنيَّة في نهج البلاغة، توصلَ البحثُ إلى جملة من النتائج يمكن أن نجملها بالآتي:

١- قد يأتي الإمام بالنصِّ القرآنيِّ بشكل مباشر، فيجعله متعلِّقاً مع نصِّه ومتمِّماً لكلامه، مقويّاً لحجَّته، يختصر فيه معانٍ كثيرة، وأغلب هذه الأنواع كانت لغرض حجاجيٍّ للردِّ على من يسأله أو لبيان حكم شرعيٍّ، أو لغرض النصِّح والهداية .

٢- قد يعتمد الإمام في الاقتباس المباشر إلى أن يعكس ظلال النصِّ للموقف الآنيِّ الذي يعيشه، أو يتحدَّث عنه .

٣- قد ينفرد الإمام ببعض التفسيرات لألفاظ، أو آيات قرآنيَّة، وهذا يصلح أن يكون نبغاً غزيراً ومميّزاً لمن يبحث فيه .

٤- لا تقصد الباحثة بالتمثُّل غير المباشر بأن يأتي الإمام بالنصِّ القرآنيِّ بطريقة التلميح إليه؛ إنّما التمثُّل هنا بما يعكسه النصُّ القرآنيُّ على الحالة أو الموقف الذي يريد الإمام وصفه، وهذا ما لمستته الباحثة في مواضع كثيرة من نهج البلاغة، وهو مرتع خصب لمن يبحث فيه .



قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الاقتباس والتناسخ والقرآنية، محمد عبد الحسين الخطيب، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء، ٢٠١٩ .
٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
٣. تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧ م .
٤. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ .
٥. خزائن الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القاهر البغدادي، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مدني، مصر، ط ١، ١٩٨٦ م .
٦. في ظلال نهج البلاغة، شرح محمد جواد مغنية، انتشارات كلمة الحق، مطبعة ستار، ط ٢ .
٧. قيمة الشاهد القرآني في كتاب الجنى الداني، هدى حامد كزار، بحث كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، ع ٢٤ .
٨. اللغة الشعرية عند النحاة، محمد عبدو فلفل، دار جرير، ٢٠٠٧ م .
٩. مدخل لجامع النصّ، جرار جنيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ١٩٩٠ م .
١٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى أحمد الزيات، حامد عبد القادر .
١١. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .

أثر أمير المؤمنين عليؑ في نشر الأخلاق الإسلامية وتعزيزها

دراسة في الحكمة والإرشاد

م. د. مصطفى حسين عبد الرسول

كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

الملخص:

يتناول هذا البحث أثر أمير المؤمنين علي بن أبي طالبؑ في نشر الأخلاق الإسلامية وتعزيزها، مركزاً على دوره في تقديم الحكمة والإرشاد كوسيلة لتحقيق هذه الأهداف، إذ يُعدُّ الإمام عليؑ شخصية محورية في التاريخ الإسلامي، حيث اشتهر بحكمته العميقة وخطبه البليغة التي أثرت بشكل كبير على القيم الأخلاقية في المجتمع الإسلامي، وقد جاءت محاور البحث بالآتي:

الخطابُ الأخلاقي في خطب أمير المؤمنينؑ ورسائله:

فتم استعراض أهم الخطابات والرسائل التي تناولت القيم الأخلاقية، مثل العدل، الصدق، والتواضع، مع تحليل كيفية استشهادهؑ بالقرآن الكريم والسنة النبوية لتأكيد هذه القيم وتعزيزها في المجتمع.

الحكمة في أقوال أمير المؤمنينؑ:

يتمُّ تحليل أبرز أقواله وحكمه، مثل تلك المتعلقة بالصدق والأمانة والعدل، وكيف استعمل الحكمة لتوجيه الناس نحو تطبيق القيم الأخلاقية في حياتهم اليومية.

التأثير الاجتماعي لأخلاق أمير المؤمنينؑ:

يُنَاقش البحث كيفية تأثير أخلاق الإمام عليؑ في نشر العدالة والمساواة بين



الناس، ودوره في تشكيل الوعي الأخلاقي للأمة الإسلامية، مما أدى إلى تأثيرٍ طويل الأمد في المجتمعات الإسلامية.

الإرشادُ الأخلاقي في نهج البلاغة:

يستعرض البحث الأسس الأخلاقية في كتاب (نهج البلاغة)، وكيفية تأثير هذه النصوص على الأدب والفكر الإسلامي، مع التركيز على تأثيرها المستمر على الفقهاء والمفكرين على مرّ العصور.

استنتاجات البحث:

يخلصُ البحث إلى أنّ أمير المؤمنين عليّ (ع) لعب دورًا محوريًا في نشر القيم الأخلاقية وتعزيزها في المجتمع الإسلامي، من خلال حكمته وإرشاده، فضلًا عن تأثر الكثير من معاصريه وتلاميذه بهذه القيم، مما ساهم في بناء مجتمع إسلامي يقوم على أسس العدالة والمساواة، وستظلُّ تعاليمه وحكمته مصدر إلهام للأجيال الحالية والقادمة في مواجهة التحديات الأخلاقية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الإمام عليّ (ع)، الأخلاق الإسلامية، الحكمة.

Abstract:

This research examines the influence of Amir al-Mu'minin Ali bin Abi Talib (pbuh) in disseminating and consolidating Islamic ethics, focusing on his role in providing wisdom and guidance as a means to achieve these objectives. As a pivotal figure in Islamic history, Imam Ali (pbuh) is renowned for his profound wisdom and eloquent sermons that significantly shaped the moral values of the Islamic community. The research is structured around the following axes:

Ethical Discourse in the Sermons and Epistles of Amir al-Mu'minin (pbuh): This section reviews key discourses and letters addressing moral values such as justice, honesty, and

humility, analyzing how he invoked the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah to reinforce these values within society.

Wisdom in the Sayings of Amir al-Mu'minin (pbuh): An analysis of his most prominent aphorisms and wisdom regarding integrity, trustworthiness, and equity, and how he employed wisdom to steer people toward applying ethical values in their daily lives.

The Social Impact of Imam Ali's (pbuh) Ethics: The study discusses how his moral character influenced the spread of justice and equality, and his role in shaping the ethical consciousness of the Islamic Ummah, leading to a long-term impact on Islamic societies.

Moral Guidance in Nahj al-Balagha: This axis explores the ethical foundations within the book Nahj al-Balagha and the influence of these texts on Islamic literature and thought, highlighting their continuous impact on jurists and thinkers throughout the ages.

Research Conclusions: The research concludes that Amir al-Mu'minin (pbuh) played a central role in promoting moral values through his wisdom and guidance. His teachings influenced many of his contemporaries and disciples, contributing to the construction of an Islamic society based on justice and equality. His legacy remains a source of inspiration for present and future generations in facing ethical and social challenges.

Keywords: Imam Ali (pbuh), Islamic Ethics, Wisdom.



مقدمة:

يُشكّل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) رمزاً خالدًا في تاريخ الفكر الإسلامي، إذ يتجلّى تأثيره في مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية. ومن أبرز مظاهر هذا التأثير دوره الكبير في نشر الأخلاق الإسلامية وتعزيزها. لقد كان الإمام عليّ (ع) منارةً للحكمة والإرشاد، مستنداً إلى تعاليم القرآن الكريم وسيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)؛ ليرسم من خلالها معالم السلوك القويم، والتوجيه الأخلاقي للأمة الإسلامية.

تتجسّد أهميّة هذه الدراسة في إبراز دور الإمام عليّ (ع) في توجيه المجتمع الإسلامي نحو التمسك بالقيم والأخلاق الفاضلة التي تشكّل أساساً متيناً لهضبة المجتمع واستقراره، فقد كان الإمام عليّ (ع) مثلاً حياً للعدل والتواضع والصبر، وقدوة في الإحسان والرحمة، معتمداً على تعاليم الإسلام لإرشاد الناس نحو الطريق المستقيم.

كما يهدف هذا البحث إلى تحليل الموروث الفكري والأخلاقي للإمام عليّ (ع)، من خلال استعراض أقواله وخطبه التي زخرت بالحكمة والإرشاد، وهذه الأقوال ليست مجرد نصوص تاريخية، بل هي كنوز معرفية وأخلاقية تمثل منهجاً متكاملًا في الحياة اليومية، وتسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء عليها وفهمها في سياقها التاريخي والاجتماعي، بالإضافة إلى استنباط الدروس والعبر منها لتكون زاداً للأجيال المعاصرة.

وقد اعتمد البحث على منهج التحليل النصّي والدراسة الموضوعية للمصادر التاريخية والإسلامية التي تناولت حياة الإمام عليّ (ع) وتعاليمه الأخلاقية. وسيتمّ التركيز على ثلاثة محاور رئيسة؛ أولها: استكشاف الحكمة في أقوال الإمام عليّ (ع)، وكيف أسهمت في نشر الفضائل الإسلامية، وثانيها: دراسة أسلوبه في الإرشاد



والتوجيه، ودوره في تثبيت القيم الأخلاقية في نفوس المسلمين، وثالثها: تحليل تأثير هذه القيم على المجتمع الإسلامي في عصره وما بعده.

إنّ دراسة أثر أمير المؤمنين عليه السلام في نشر الأخلاق الإسلامية وتعزيزها ليست فقط تسليطاً للضوء على شخصية إسلامية عظيمة، بل هي أيضاً محاولة لفهم العوامل التي ساهمت في بناء مجتمع إسلامي متماسك ومستقر، قادر على مواجهة التحديات والأزمات من خلال التمسك بالقيم النبيلة التي أرساها الإمام عليّ عليه السلام.

المبحث الأول: الخطاب الأخلاقي في خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله:

يستعرض البحث أهمّ الخطابات والرسائل التي تتناول القيم الأخلاقية، مثل العدل، الصدق، والتواضع، مع تحليل كيفية استشهاد عليه السلام بالقرآن الكريم والسنة النبوية لتأكيد هذه القيم وتعزيزها في المجتمع.

المطلب الأول: الحكمة في أقوال أمير المؤمنين عليه السلام:

يتمّ تحليل أبرز أقواله وحكمه، مثل تلك المتعلقة بالصدق والأمانة والعدل والحلم، وكيف استعمل عليه السلام الحكمة لتوجيه الناس نحو تطبيق القيم الأخلاقية في حياتهم اليومية، فمن سيرته عليه السلام: ((دعا الإمام عليه السلام غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت، فقال: ما حملك على ترك إجابتي؟ قال: كسلت عن إجابتك، وأمنت عقوبتك، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعلني ممن يأمن خلقه، امض فأنت حرٌّ لوجه الله))^(١).

فأقواله عليه السلام تعكس رؤية عميقة وفهماً شاملاً للحياة، والأخلاق، والعلاقة بين الإنسان وخالقه، ومن تلك القيم والمثل الأخلاقية التي حثّ عليها الإمام عليه السلام وكان

(١) المناقب: ١/ ٣٧٩.



لها الأثر الواضح في إصلاح المجتمع وبنائه بناءً قائماً على أساس الخير للناس وصلاحهم هو العدل، فقد أشار (ع) إلى أن من الإنصاف أن يوزن الإنسان نفسه قبل أن ينظر إلى غيره ولا يظلم أحداً كما إنه لا يُحِبُّ أن يظلمه أحد، فقد وصّى ابنه الإمام الحسن (ع) بقوله: ((يا بُنَيَّ اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يُحسنَ إليك))^(١).

إن الحكمة في كلام الإمام (ع) ليست مجرد مواظب أخلاقية أو دينية فحسب، بل هي منظومة فكرية تهدف إلى توجيه الفرد والمجتمع نحو الفضائل، وتعزيز القيم الإنسانية الراسخة.

لقد مزج الإمام (ع) بين العمق الفلسفي والبصيرة الدينية ليقدم توجيهات تصلح لكل زمانٍ ومكانٍ، مما جعل حكمته تتجاوز إطارها التاريخي لتصبح مدرسة إنسانية عالمية.

أولاً: مفهوم الحكمة عند أمير المؤمنين علي (ع):

فالحكمة عند الإمام (ع) ليست مجرد إدراكٍ نظريٍّ أو مجرد معرفة عقلية، بل هي سلوك عملي، ومنهج حياتي يهدف إلى تحسين الذات وإصلاح المجتمع، فقد كانت الحكمة في نظر الإمام (ع) تعني القدرة على رؤية الأمور بعمق، والتصرف بما يتناسب مع مقتضيات العدالة والخير، يقول (ع): ((العقلُ عقلان: عقلُ الطبعِ وعقلُ التجربة، وكلاهما يؤدي إلى الحكمة))^(٢)، مشيراً بذلك إلى أن الحكمة تتطلب توجيه العقل نحو التجربة والمعرفة.

(١) نهج البلاغة: ٥٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ٧٥ / ٧.



ثانياً: مظاهر الحكمة في أقوال الإمام عليّ عليه السلام:

تتجلى الحكمة في أقوال الإمام عليّ عليه السلام من خلال توجيهاته ونصائحه التي شملت شتى مجالات الحياة، سواء كانت فردية أو اجتماعية، ومن أبرز مظاهر الحكمة:

١. الحكمة في التعامل مع النفس: يقول الإمام عليه السلام: ((أفضل الجهاد جهاد النفس))^(١)، مشيراً إلى أهمية ترويض النفس وتزكيتها قبل الانشغال بإصلاح الآخرين، فهو يرى أنّ بداية الحكمة تكمن في معرفة الذات وضبطها، وهذه الرؤية تمثل قاعدة جوهرية في الأخلاق الإسلامية التي تسعى لتحقيق التوازن بين الروح والجسد.

٢. الحكمة في التعامل مع الناس: كان الإمام عليّ عليه السلام يدعو دائماً إلى اللين والرفق في التعامل مع الآخرين، ويقول: ((العفو تاج المكارم))^(٢)، وهنا يتجلى الجانب الإنساني للحكمة، إذ يدعو إلى الترفع عن الأحقاد والتسامح، وهو ما يعزز العلاقات الإنسانية القائمة على الاحترام والتفاهم.

٣. الحكمة في السياسة والحكم: تُعدُّ خطب الإمام عليه السلام في السياسة والحكم أنموذجاً عظيماً للحكمة السياسية، فقد كان يؤكد دائماً على أنّ الحكم يجب أن يقوم على العدالة والإنصاف، ويقول في ذلك: ((من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه))^(٣).

٤. إنّ هذه النصيحة تمثل ركيزة أساسية للحكم الرشيد، إذ يربط الإمام عليه السلام بين الأخلاق والحكم، ويرى أنّ القيادة الحقيقية تبدأ من الذات.

(١) غرر الحكم: ٢٠٧.

(٢) م. ن: ٥٢٠.

(٣) وسائل الشيعة: ١٦ / ١٥١.



٥. الحكمة في مواجهة الظلم والعدوان: كان الإمام (ع) يشدّد على ضرورة التصدي للظلم، لكنّه كان يدعو إلى التعامل مع الظالم بالحكمة، وليس بالعنف الأعمى. فيقول (ع): ((احذر كلّ عملٍ يُعملُ به في السرِّ ويُستحيى منه في العلانية))^(١)، داعياً إلى أن يكون السلوكُ نابعاً من ضميرٍ حيٍّ يرفض الظلمَ ويعملُ على إزالته بالطرق التي تحقّق العدالة دون نشر الفساد.

المطلب الثاني: التأثير الاجتماعي لأخلاق أمير المؤمنين (ع):

يناقشُ البحثُ كيفية تأثير أخلاق الإمام علي (ع) في نشر العدالة والمساواة بين الناس، ودوره في تشكيل الوعي الأخلاقي للأمة الإسلامية، ممّا أدّى إلى تأثيرٍ طويل الأمد في المجتمعات الإسلامية.

أسس الإمام علي (ع) مبادئ العدل والمساواة في المجتمع، إذ كان يرى أنّ جميعَ الناس متساوون في الحقوق والواجبات، وهذا المبدأ ساهم في تقليص الفجوات الاجتماعية وتعزيز التماسك المجتمعي.

كذلك دعا إلى تعزيز الروابط الإنسانية في التعامل مع الناس، مثل التواضع والعفو، وهذه ساهمت في تقوية تلك الروابط بين أفراد المجتمع، وكان الناس يرون فيه القدوة والمثال الحي للأخلاق الإسلامية، ممّا جعلهم يسعون لتقليده، لذلك يُصنّفُ الناس إلى ((فإنهم صنفان؛ إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظيرٌ لك في الخلق))^(٢).

وكان الإمام (ع) يعلمُ الناس بالأفعال قبل الأقوال، إذ كان يُجسّد في حياته اليومية ما يدعو إليه من أخلاق، وهذا كان له تأثير كبير في نشر القيم الإسلامية الصحيحة بين الناس، فقد خاطب جنوده: ((أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١٢٩.

(٢) م: ٣/ ٨٤.



مدبراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تستحلّوا سبيّاً، ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً))^(١).
كذلك ساهمت مواقف الإمام (عليه السلام) في نشر ثقافة التسامح والعتف بين الناس،
وكان يُشجّع على حلّ النزاعات بالطرق السليمة والتفاهم، ممّا قلّل من العنف
والصراعات في المجتمع.

فبأخلاقه (عليه السلام) جعل المجتمع الإسلامي أكثر تماسكاً وتعاوناً، وكان الجميع
يشعرون بالمسؤولية تجاه بعضهم البعض، ويعملون من أجل المصلحة العامة، ممّا
ساهم في بناء مجتمع قويّ ومستقرّ، قائم على العدل والمساواة والإحسان.

لقد كان العدلُ حجر الزاوية في سياسة الإمام عليّ (عليه السلام)، فلم يكن يميّز بين
الناس بناءً على انتمائهم القبلي أو الطبقي، بل كان يطبّق العدل على الجميع.

كما حرص (عليه السلام) على إشراك الناس في اتّخاذ القرارات المهمة، وكان يؤمن بأنّ
الحاكم يجب أن يستمع إلى رعيّته ويتشاور معهم في الأمور التي تمسّ حياتهم، وهذا
المبدأ عزّز من ثقة الناس في قيادته، وأدّى إلى تعزيز الوحدة والتماسك الاجتماعي،
فقد كان (عليه السلام) زاهداً في الدنيا، لا يبتغي من الحكم مكاسب شخصية، إذ عاش حياةً
بسيطةً، يرتدي ما يلبس عامة الناس، وهذا الزهد والتواضع جعله قريباً من الناس،
وأكسبه احترامهم ومحبتهم، ممّا أثر إيجاباً على استقرار المجتمع وتماسكه.

مصاديق الأثر الاجتماعي لأخلاق الإمام عليّ (عليه السلام):

١. تعزيز القيم الإنسانية:

ساهمت أخلاق الإمام عليّ (عليه السلام) في نشر قيم الإنسانية بين أفراد المجتمع، وكان
يحثُّ على التراحم والتعاطف مع الفقراء والمحتاجين، ويرى أنّ القوّة في المجتمع



تأتي من تماسكه ومن روح الأخوة بين أفرادها، فكان يقول: ((أقوى الناس من قوِي على غضبه بحلمه، وأحزَمُ الناس من قَدَرَ على أن يُعِينَ نَفْسَهُ على هواه))^(١).

٢. التأكيد على حقوق الإنسان:

كان (ع) سبَّاقاً في الدفاع عن حقوق الإنسان، وكان يعتبرها جزءاً لا يتجزأ من العدالة، ولم يكن يقبل الظلم أو التعدي على حقوق الآخرين، سواءً كانوا من المسلمين أو من غيرهم، وما موقفه مع اليهودي الذي وجدَ درعه عنده إلا دليل حرصه على العدل، حتى مع من يخالفه في الدين، إذ لم يتردد في ردِّ الدرع إليه بعد أن تبين أنه صاحبه.

٣. نشر العلم والمعرفة:

كان الإمام (ع) معروفاً بفضلِهِ في نشر العلم والمعرفة، وكان يحرص على تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وكان يقول: ((العلم خيرٌ من المال، العلمُ يحرسُك، وأنت تحرسُ المال))^(٢)، فهذا التشجيع على طلب العلم أدى إلى رفع مستوى الوعي بين الناس، وساهم في بناء مجتمع متعلم قادر على مواجهة التحديات.

٤. تحقيق العدالة الاجتماعية:

عمل الإمام علي (ع) في فترة حكمه على توزيع الثروة بشكل عادل، مما أدى إلى تقليص الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وكان يؤمن بأن المال يجب أن يُوزع بما يُحقق العدالة الاجتماعية، فكان يقول: ((ما جاعَ فقيرٌ إلا بما مُتَّعَ به غنيُّ))^(٣)، وهذا النهج ساعد في خلق مجتمع أكثر توازناً واستقراراً.

(١) ميزان الحكمة: ٣ / ٢٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ٧٥ / ٧٦.

(٣) نهج البلاغة: ١٩ / ٢٤٠.



٥. إصلاح المجتمع:

سعى الإمام عليه السلام جاهداً إلى إصلاح المجتمع من خلال تقوية أواصر الأخلاق الحميدة بين الناس، وكان يدعو إلى التمسك بالقيم الإسلامية النبيلة، مثل الصدق والأمانة والشجاعة، وكان يقول: ((أفضل الزهد إخفاء الزهد))^(١)، فهذه الدعوات ساعدت في نشر روح التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع.

الإرث الأخلاقي للإمام عليّ عليه السلام:

١. تأثيره على الحركات الإصلاحية:

أثرت أخلاق الإمام عليه السلام على العديد من الحركات الإصلاحية التي قامت عبر التاريخ الإسلامي، وكانت سيرته وأقواله مصدر إلهام للكثير من القادة الذين سعوا إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والإصلاح السياسي، حتى في العصر الحديث، إذ لا تزال أفكاره حول العدل والمساواة والحرية مرجعاً للمصلحين والمفكرين.

٢. انتقال القيم إلى الأجيال اللاحقة:

لم تتوقف آثار أخلاق الإمام عليه السلام عند جيله فقط، بل انتقلت إلى الأجيال اللاحقة، وكانت سيرته تُدرّس وتُروى للأجيال كجزء من التراث الإسلامي العظيم، وهذه السيرة الغنية بالقيم النبيلة ساهمت في تشكيل الوجدان الثقافي والديني للأمة الإسلامية.

٣. الإلهام الشخصي:

لم يكن الإمام عليه السلام قائداً دينياً فقط، بل كان مصدر إلهام شخصي لكل من يسعى للعيش بأخلاق حميدة، وأخلاقه وشجاعته كانت تُلهم الناس على تجاوز

(١) بحار الأنوار: ٦٧ / ٣١٧.



صعوبات الحياة والتحلي بالصبر والعدل حتى في أصعب الظروف.

لذلك فإن الأثر الاجتماعي لأخلاق الإمام علي بن أبي طالب (ع) امتد ليشمل مختلف جوانب الحياة في المجتمع الإسلامي، من خلال قيادته الحكيمة وأخلاقه السامية، فقد استطاع أن يُرسِّخ قيم العدل والإنصاف والإنسانية في قلوب الناس، مما ساهم في بناء مجتمع متماسك يسوده التعاون والاحترام المتبادل، لقد ترك الإمام علي (ع) إرثاً أخلاقياً عظيماً لا يزال يُلهِمُ الأجيال المتعاقبة، ويُمثِّلُ نموذجاً يُحتذى به في القيادة والأخلاق.

المبحث الثاني: الإرشاد الأخلاقي في نهج البلاغة:

كان الإمام علي بن أبي طالب (ع) دائماً ما يركِّز على المبادئ الأخلاقية والفضائل التي ينبغي أن يتحلَّى بها المسلمون، سواء كانوا قادة أو أفراداً عاديين من خلال خطبه ورسائله، وفيما يأتي بعض من النصوص من نهج البلاغة مع تحليل لمضمونها الأخلاقي:

المطلب الأول: العدل والإنصاف:

يقول الإمام (ع) في إحدى خطبه: ((إن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق))^(١).

من خلال هذا النص يوضح الإمام (ع) أهمية العدل كقيمة أساسية في الحياة الاجتماعية والسياسية، فالعدل عند الإمام ليس مجرد قيمة قانونية، بل هو مبدأ شامل يُمكن أن يحقق الراحة والرضا للجميع؛ لذا يعتبر الجور، أي: الظلم، هو النقيض المباشر للعدل، ومن يظن أن العدل يحد من حريته فإن الظلم سيحمل له قيوداً أشد وأضيق.

(١) نهج البلاغة: ١ / ٤٦.



فلم يكن العدل عند الإمام عليّ مجرد مفهوم نظري، بل كان ممارسة يومية تتجلى في كل أفعاله وأقواله، مما جعله نموذجاً يُحتذى به في القيادة والإدارة، فالإمام عليه السلام كان يعتبر العدل أساس الحياة المستقرة والمجتمع المتوازن، فبالعدل تحيي الأمم، وكان يرى أن العدل لا يقتصر فقط على القوانين والنظم، بل يجب أن يكون سلوكاً يتبعه كل فرد في حياته اليومية:

١. العدل في الحكم:

عندما تولى الإمام عليّ عليه السلام زمام الخلافة، كان أول ما حرص عليه هو تطبيق العدل بين الناس بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية أو الاقتصادية، فكان يساوي بين الجميع في الحقوق والواجبات، ويحرص على عدم تفضيل أحد على الآخر بسبب قرابة أو منفعة، وقد روي عنه عليه السلام: ((العدل أساس به قوام العالم))^(١).

٢. العدل في توزيع الثروات:

كان الإمام عليّ عليه السلام شديد الحرص على توزيع بيت المال بعدالة، فلم يكن يميّز بين الناس بناءً على انتمائهم القبلي أو مكانتهم، بل كان يوزع الثروة بما يتناسب مع احتياجات الناس. فقد كان يقول: ((والله ما كنت من دنياكم تبراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوباً طمراً))^(٢).

٣. العدل في القضاء:

كان الإمام عليّ عليه السلام قاضياً عادلاً يُعرف بحكمته وبعده نظره، ولم يكن يتردد في إحقاق الحق حتى لو كان الحكم ضد مصلحة الشخصية، أو أقرب الناس إليه،

(١) مطالب السؤل: ٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٢٠٥.



وكان يقول: ((إنَّ في العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ فَالجورُ عَلَيْهِ أَضيقُ))^(١).

الإِنصافُ في سيرة الإمام عليّ (ع):

١. الإِنصافُ مع الأعداء:

كان الإمامُ عليّ (ع) يُعاملُ أعداءه بالإِنصافِ، حتَّى في ميادينِ الحربِ، وكان يُظهرُ الرحمةَ والعفوَ عندَ المقدرةِ، ويحرصُ على أن يُعاملَ الأسرى بِطريقةِ إنسانيَّةٍ، فبعدَ معركةِ صفينِ كان يرفضُ إهانةَ أو ظُلمَ الأسرى من جيشِ معاويةَ، قائلاً: ((لا تقاتلوا الخوارجَ بعدي، فليسَ مَنْ طلبَ الحقَّ فأخطأه، كَمَنْ طلبَ الباطلَ فأدركه))^(٢).

٢. الإِنصافُ في العطاء:

كانَ (ع) يُنصِفُ الناسَ في العطاءِ ويحرصُ على ألاَّ يفضَلَ أحداً على آخرٍ بسببِ قرابةٍ أو مصلحةٍ، وكانَ يوزَعُ المالَ بِإِنصافٍ، ويُعطي كلَّ ذي حقِّ حقَّه، ويقولُ (ع): ((واللهِ لئنَ أُبیتُ على حَسكِ السعدانِ مُسَهَّداً، أو أُجرُّ في الأغلالِ مُصَفِّداً، أحبُّ إليَّ من أنْ ألقى اللهَ ورسولَهُ يومَ القيامةِ ظالماً لبعضِ العبادِ، وغاصباً لشيءٍ من الحطامِ))^(٣).

٣. الإِنصافُ مع أهلِ بيته:

لم يكنِ (ع) يُميِّزُ بينَ أهلِ بيتهِ والآخرينَ في المعاملةِ فقد كانَ يحرصُ على تطبيقِ العَدْلِ حتَّى مع أبنائهِ وأقربائهِ، إذ روي أنَّه في مرَّةٍ من المرَّاتِ، جاءه أحدُ أقاربه يطلبُ مالاً من بيتِ المالِ، ((إنَّ عقيلاً لَمَّا سألَ عطاءَهُ من بيتِ المالِ، قالَ له

(١) شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٦٩.

(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ: ٦ / ٣٠٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٢٤٥.



أمير المؤمنين عليه السلام: تُقيمُ إلى يوم الجمعة، فأقام، فلما صَلَّى أمير المؤمنين الجمعة قال لعقيل: ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين؟ قال: بس الرجل ذلك، قال عليه السلام: فأنت تأمرني أن أخون هؤلاء وأعطيك))^(١).

المطلب الثاني: تأثير العدل والإنصاف في المجتمع:

استطاع الإمام عليّ عليه السلام من خلال التزامه بالعدل والإنصاف أن يُرسخَ قيمًا أساسية في المجتمع الإسلامي، وكان الناس يشعرون بالأمان والطمأنينة في ظل حكمه؛ لأنهم يعلمون أن حقوقهم مصونة، وأن العدل هو المعيار الأساسي في التعاملات، وقد ساهمت هذه القيم في تعزيز وحدة المجتمع وتقوية الروابط بين أفراده. إذ كان العدل حجر الزاوية في سياسته عليه السلام، فلم يكن يرى العدل مجرد فضيلة أخلاقية، بل كان يعتبره ركنًا أساسيًا للحكم الرشيد، وكان يعتقد أن أي حكومة لا تستند إلى العدل محكوم عليها بالفشل؛ لأن الظلم يؤدي إلى الفوضى والانهيار الاجتماعي، وهذا ما نلاحظه في رسالته إلى مالك الأشر، حينما ولاء مصر، إذ قال: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، والطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم))^(٢).

أولاً: الصدق والأمانة:

جاء في إحدى رسائله عليه السلام إلى الأشعث بن قيس عامله في أذربيجان: ((إن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة))^(٣)، إذ يُشدّد الإمام عليّ عليه السلام على مفهوم الأمانة، خاصّة عند تولّي المناصب والسلطات، فالوظيفة العامّة ليست فرصة

(١) بحار الأنوار: ٤١ / ١١٤.

(٢) نهج البلاغة: ٣ / ٨٤.

(٣) الإمامة والسياسة: ١ / ١١١.



لتحقيق مكاسب شخصية، بل هي مسؤولية كبيرة يجب أن يتحلّى القائم بها بالصدق والأمانة، وهذا النص يُبرز الأهمية الكبرى للأمانة في الحكم والقيادة.

ثانياً: الزهد في الدنيا:

يقول الإمام علي (ع) في إحدى خطبه: ((يا دنيا، غري غيري، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك))^(١)، ويُظهر هذا النص مدى زهد الإمام علي (ع) في الدنيا، وعدم اكتراثه بالمغريات المادية، ويُعبّر الإمام (ع) هنا عن موقف فلسفي وأخلاقي يُعزّز من قيمة الروحانية والتقوى فوق الماديات، فطلاق الدنيا هنا يعني الترك الكامل لها وعدم الانغماس في شهواتها، وهو ما يرفع من شأن القيم الروحية والأخلاقية.

ثالثاً: الصبر والتسامح:

قدّم الإمام (ع) نموذجاً للصبر على الظلم، وليس مجرد الدعوة إليه، والصبر ليس ضعفاً، بل هو فضيلة قوية يستطيع الإنسان من خلالها مواجهة الظلم والتغلب عليه، وهذا الصبر يترافق مع الدعوة إلى التسامح والعفو عن المخالفين، وهو ما يُعزّز من قوة المجتمع وتماسكه.

رابعاً: الحرص على حقوق الضعفاء:

في رسالته إلى مالك الأشتر عندما ولّاه مصر، قال الإمام (ع): ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبغاً ضارياً تغتمهم أكلهم))^(٢).

فالإمام (ع) يوجّه هنا تعليمات صارمة لولاته بضرورة الرفق بالرعية، خاصة الفقراء والضعفاء، ويدعو إلى التحلّي بالرحمة واللطف، ويزدّم الجشع والطمع الذي

(١) نهج البلاغة: ٢: ١٥٨.

(٢) م: ٣ / ٨٤.



قد يدفع بعض الحكّام إلى استغلال مَنْ هم تحت حكمهم؛ لذلك يشير النصّ إلى وجوب حماية حقوق الفقراء والضعفاء في المجتمع.

خامساً: الإخلاص في العمل:

حثّ الإمام عليّ عليه السلام على العمل الصالح والإخلاص فيه، مع التأكيد على أنّ الإنسان تحت رقابة الله تعالى، فيجبُ عليه أن يكون متّقياً وخائفاً من الله في جميع أفعاله، وهو ما يعكسُ فهماً عميقاً لمسؤوليّة الفرد في أعماله وأثرها على حياته الأخرويّة.

المطلبُ الثالث: تحديات تطبيق العدل والإنصاف والإرث الدائم لحكومته عليه السلام:

أولاً: تحديات تطبيق العدل والانصاف:

١. مقاومة الفئات المستفيدة من الظلم:

بالرغم من جهود الإمام عليه السلام في تحقيق العدل والإنصاف، واجه مقاومةً شديدةً من قبل الفئات التي كانت تستفيد من الظلم والاستغلال، وهذه الفئات حاولت زعزعة استقرار حكمه من خلال إثارة الفتن والنزاعات، لكنّ الإمام عليه السلام استمر في نهجه العادل، مؤكّداً أنّ تحقيق العدل قد يتطلّب التضحية بمصالح بعض الفئات من أجل الصالح العامّ.

٢. التعامل مع الفتن الداخليّة:

كانت فترة حكم الإمام عليه السلام مليئةً بالفتن الداخليّة التي أثّرت على استقرار المجتمع، مع ذلك كان الإمام عليه السلام حريصاً على تطبيق العدل حتّى في أوقات الفتن، وكان يسعى إلى حقن الدماء والبحث عن حلولٍ سلميّة للنزاعات، ممّا أظهر تماسكه القوي بالعدل والإنصاف حتّى في أصعب الظروف.



ثانيا: الإرث الدائم لحكومة الإمام علي (ع):

١. نموذج للحكم العادل:

تركت حكومة الإمام (ع) إرثاً عظيماً يتمثل في نموذج للحكم العادل الذي يسعى لتحقيق مصلحة الجميع، وهذا النموذج لا يزال يُدرّس ويُستلهم منه في مختلف الأوقات والأماكن، حيث يُعدُّ مثلاً لكيفية تحقيق العدل والإنصاف في الحكم.

٢. تأثيره على الفكر السياسي الإسلامي:

كان لنهج الإمام (ع) في الحكم تأثيرٌ كبيرٌ على الفكر السياسي الإسلامي، فالعديد من الفقهاء والمفكرين قد استلهموا من سيرته ومنهجه في العدل والإنصاف، وسعوا إلى تطبيق هذه المبادئ في مختلف الأنظمة السياسية عبر التاريخ الإسلامي. إذ إن تأثير العدل والإنصاف في المجتمع خلال حكومة الإمام (ع) يُعدُّ من أهمِّ العوامل التي ساهمت في تحقيق الاستقرار الاجتماعي وبناء مجتمعٍ قويٍّ و متماسك، ورغم التحديات والفتن نجح الإمام (ع) في تطبيق مبادئ العدل والإنصاف، ممَّا جعله نموذجاً يُحتذى به في الحكم الرشيد، وإرثه في الحكم العادل لا يزال يُلهِمُ الأجيال، ويؤكد على أهميَّة العدل كقيمة أساسية في بناء المجتمعات المستقرَّة والعادلة.



النتائج:

يخلصُ البحثُ إلى أنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لعبَ دورًا محوريًّا في نشرِ القيمِ الأخلاقيّةِ وتعزيزِها في المجتمعِ الإسلاميّ من خلالِ حكمته وإرشاده، فضلًا عن تأثّر الكثير من معاصريه وتلاميذه بهذه القيم، ممّا ساهم في بناءِ مجتمعٍ إسلاميٍّ يقوم على أسسِ العدالة والمساواة، وتظلُّ تعاليمه وحكمته مصدر إلهام للأجيالِ الحاليّةِ والقادمةِ في مواجهةِ التحدّياتِ الأخلاقيّةِ والاجتماعيّةِ.



المصادر والمراجع:

١. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني، ط ٣.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.
٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
٤. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ؛ حققه ووثق أصوله وعلّق عليه: سامي الغريزي، دار الحديث، قم، ١٣٧٩.
٥. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول (ع)، محمد بن طلحة الشافعي (٦٥٢)، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية.
٦. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، تحقيق وتصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦م.
٧. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، والسيد محمود الطباطبائي، نژاد، ط ٢، ١٤٢٥.
٨. وسائل الشيعة، الحر العاملي (١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع)، لإحياء التراث، ط ٢، ١٤١٤هـ.



